

عالم الكتب

إسرائيل و عقيدة الأرض الموعودة

إبكار السقاف



إيكاك السقاف

المجلد: ١٥٠٠
رقم المجلد: ١٥٠٠
رقم التسجيل: ١٥٠٠

إسرائيل و عقبة الإضراب الوعود

الناشر
عالم الكتب
٣٨ شارع عبد الحليم شرمت - القاهرة

الإهداء

إلى القائل ؛

« إن الشرَّ الذي وضع في قلب العالم العربي لا يد أن يُقتلح !... »

جمال عبد الناصر

* « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون »
« حديث شريف » رواه البخاري ومسلم .

تحية

إلى؛

من غاب جسداً وشعاً روحاً .. من دفعنى لإخراج هذا
« الكتاب » . .

« عباس محمود العقاد »

تحية ..

تحية ، يعقب بها أرج الذكرى ، ويشيع فيها عبير

« اللذكريات » ! . .

أبكار

« إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان متلاصقتان ، ولا يمكن

تدمير الصهيونية بدون تدمير اليهودية ».

واينمان

إن اليهود يعتبرون أنفسهم سلالة «إسرائيل» وأنهم
مهما تباينت جنسياتهم واختلفت أصولهم «عبريون» كما يعتبرون
«الأسفار الخمسة» صادرة عن موسى وأن النصوص منها إلهام «وحي
إلهي» وضعتها الأجيال في إطار «العهد القديم» أو هذا «الكتاب
المقدس» للدين اليهودي الحالي . . وعلى هذا الأساس يتمسكون بعقيدة
«الأرض الموعودة» ويدعون ملكية فلسطين طبقاً لما جاء في «الأسفار
الخمس» من نصوص . . وهذا مما يجعل قضية فلسطين قضية دينية في
المقام الأول ولذلك يجب أن لا نسقط الجانب الديني في قضية فلسطين فإنما
هو الأساس ! . .

ومن ثمّ فنحن إذ نتناول في بحثنا هذا «إسرائيل»
مستهدفين العثور على منبت هذه «العقيدة» ، «عقيدة الأرض الموعودة» ،
في سبر لأصول تكونها وفي تمحيص لأسباب نموها وفي تفنيد
لعمول تطورها كمشكلة لم تتسكّن إلا من الرواسب التاريخية
ولم تطف على صفحة الحاضر إلا من أعماق التاريخ ، فليس إلا لنجد أنفسنا
قد تناولنا تاريخ «آباء التوراة» وتاريخ «موسى» نفسه في هذا البحث . .
وهذا يحتم علينا أن نقول إننا إذ نتناول تاريخ «آباء التوراة» وتاريخ
موسى في هذا «الكتاب» فليس إلا لنتناول ذلك من الزاوية اليهودية
الحضرة وكما جاءت به نصوص ما قد أشرنا إليه من «أسفار» . . ومن

هنا منحنا أنفسنا كامل الحرية ومطلقها في نقد هذه « الأسفار » التي تنشرها
الصهيونية العالمية في وجه العالم كسجلٍ شرعيٍّ يمنحها فلسطين ملكا . . .
فليس إلا على هذه « الأسفار الخمسة » اعتمدت الصهيونية العالمية في بناء
دعوتها وليس إلا من نصوص هذه « الأسفار الخمسة » افتعلت صرح
وليدها « دولة إسرائيل ! . . »

أبّار السفاف

المحتويات

التمهيد :

من هم « العبريون » ؟ ومن هم « بنو اسرائيل » ؟
ومن هم « اليهود » ؟

الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

انحسار العصر الحجري الحديث عن دورة الفتوح لامتلاك
مفرق طرق عالم الشرق الاوسط القديم وتكشف المعالم الأثرية عن صراع
الأنفاج البشرية عبر المد الزمنى منذ الألف العاشر ق . م . حتى نهاية
العصر البرونزى الرابع والآخر لامتلاك الناصية السياسية لهذا المفرق
الرئيسى ذى الاتجاهات الرابطة بين أطراف الشرق القديم . أثر الموجات
النابعة من قلب شبه الجزيرة العربية في مجريات الأحداث السياسية لهذه
المنطقة . امتداد موجة عربية تحمل « قبائل كنعان » . امتلاك
قبائل كنعان الناصية السياسية لهذه الأرض التى عرفت بـ « أرض كنعان » .
استهداف الأمم المجاورة « أرض كنعان » هدفاً للسيطرة السياسية
على دنيا الشرق الاوسط القديم .

الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

العواصف السياسية على بلاد ما بين النهرين تدفع « آباء »
التوراة « من الفرات الأدنى إلى أرض كنعان . مطلع « ابراهيم » على
التاريخ فى أعقاب « الغزو الكاسى » للفرات الأدنى وانصبابه على السهل .

الفيضي لبلاد ما بين النهرين وضياع « مملكة أرض البحر »
رواية « التوراة » عن هذه الفترة. ارتحالات « أبرام »
عبر « أرض كنعان » حتى وادي النيل في مشرق الحكم الهكسوسى .
الحلم بامتلاك « أرض كنعان » والاراضى الواقعة من
الفرات إلى النيل يطوف على الجبين عوضاً عن مُلك « أرض البحر » .

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »

« الوعد » بمنح « أرومة إسرائيل » كل « أرض كنعان »
والاراضى الممتدة من الفرات إلى النيل . مولد إسماعيل ، ونمو فكرة
« الارض الموعودة » على مدارج الأيام . مولد إسحاق ، وطرّد إسماعيل .
« القربان البشرى » على « جبل أمريا » . اسم « يهوه » يتجاوب همساً
فى مسمع التاريخ .

مولد يعقوب ، وخروج فكرة « الارض الموعودة » من
الطور السلبي إلى الطور الإيجابى وتحول الفكرة عنها من الملك إلى المُلْك .
يعقوب ينتزع « البركة » من إسحاق .

المهد التاريخى لمولد « إسرائيل »

يعقوب يستبدل اسمه إلى « إسرائيل » . يعقوب أو
إسرائيل ينزح إلى مصر تحت ظلال العصر الهكسوسى . جعلانات
العصر الهكسوسى تحمل بعض أسماء حكام الهكسوس ومن بين هذه
الاسماء اسم يعقوب ويوسف . سجلات « تحوت — موسى » الثالث
تؤيد وجود صاحبي هذين الاسمين من بين الحكام الهكسوس .

انشقاق التربة الزمنية عن « أبناء إسرائيل » واستيطانهم
وادي النيل خلال الاستعمار الهكسوسى للوادي ، وتراعى ألوان العزة
عليهم فى مصر . الغفوة عن « الارض الموعودة » بالعزة فى مصر خلال

نيف وأربعة قرون من الزمن . تكون « نسل الاسباط الإثني عشر » إلى « يوت » استقرت في « أرض غوشن » من شرق الوادي .

بزوغ شمس الإمبراطورية المصرية ، ورواح الغبار الهكسوسى عن انتشار « بيوت إسرائيل » في مصر القديمة خلال حكم الإمبراطورية المصرية .

« بيوت إسرائيل » تهوى في عصر الإمبراطورية المصرية إلى مرتبة العبودية . هبات التذاكر عن « أرض الآباء » تنطلق بين « بيوت إسرائيل » . إرهاب الوعى « الإسرائيلي » في مصر إلى فكرة « الأرض الموعودة » خلال الحكم الحيثى لأرض كنعان . التدهور الاقتصادى فى نهاية حكم « رع — موسى » الكبير . التوثب اللوى على الحدود المصرية من ناحية « أرض غوشن » من الجهة الشرقية للوادي يد الزمن تطوى رع موسى الثانى وتنشر منفتاح الاول ثم منفتاح الثانى . عودة موسى الى مصر . اشتداد خطر الزحف اللوى على الحدود المصرية من جهة « أرض غوشن » .

طرد « بنى إسرائيل » من مصر

الخطر اللوى على الحدود المصرية يستدعى طرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون « أرض غوشن » من شرق الوادي ومن حيث أقبل الغزو اللوى . انتصار مصر على لوبيا . « قصيدة النصر » التى ألقت بمناسبة انتصار منفتاح على لوبيا .

الامان المصرية التى سلكها بنو إسرائيل عند طردهم من مصر والمدة الزمنية التى اقتطعوها فى هذا الترحال من مصر الى سفوح سيناء .

انحسار الزمن عن مطلع عقيدة « الأرض الموعودة »

تقنين الحلم القديم وابتعاث ربوبية « يهود » من طيات الماضي السحيق . تحول الفكرة عن « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة الى عقيدة دينية . تكون الكهنوت الإسرائيلي . قيام « مملكة كهنة » و « شعب مختار » و « أمة مقدسة » . « بيوت اسرائيل » تطالب بـ « الأرض الموعودة » .

الزحف الإسرائيلي صوب « الأرض الموعودة »

التمرد الكهنوتي على موسى . الثورة الجماعية على موسى « الرب يأمر بموت هرون » . « واقعة ياهص » و « واقعة أذرعى » وأثرهما في نفسية جماعة اسرائيل .

ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » في إطار الفرات والنيل

اشتداد التمرد الكهنوتي على موسى وطغيان الثورة الجماعية عليه . « الرب يأمر بموت موسى » . « يشوع بن نون » يعلن خبر غياب موسى في « جبل نبو » ومن حيث لن يعود .

بروز « يشوع بن نون » في إطار التاريخ الإسرائيلي

بدء حياة عقيدة « الأرض الموعودة » . يشوع بن نون يتولى قيادة بني إسرائيل والعنق الاسرائيلي يسلس لقبضته العنان . تحول موسى الى مجرد رمز .

انحسار السجف السياسية والدينية عن يشوع بن نون القائد
الحربي والزعيم الديني الحقيقي لبني اسرائيل .

تكون الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله إلى يشوع

بنو اسرائيل في « أرض كنعان » . « عهد القضاة »
و « عهد الملوك » . امتلاك داود آخر حصون كنعان ، « صهيون » .
وفاة سليمان وانقسام مملكته الى مملكتين . في الشمال
« مملكة اسرائيل » . وفي الجنوب « مملكة يهوذا » .
« الغزو الاشوري » ، ومحو « مملكة اسرائيل » من خريطة
الوجود .

« الغزو البابلي » وانهيار « مملكة يهوذا » . أبناء يهوذا
يساقون أسرى الى « بابل » . هبات التذاكر عن « صهيون » تعصف
بأفئدة اليهوديين .

الأيدي اليهودية تنشر القراطيس وتجري الاقلام .

بروز « الاسفار الخمسة » المكونة « التوراة » على صفحة
التاريخ الديني .

الرجوع الى اورشليم .

الغزو الروماني . هدم « المعبد » وتشيتت بني اسرائيل
في أرجاء الارض .

الأيدي اليهودية تنشر القراطيس من جديد وتجري الاقلام
فتكتب الـ « مشنا » وتسطر « التلمود » البابلي والاورشليمي . أثر
الالتحام الكتاني في ارماسخ عقيدة « الارض الموعودة » وتحويلها الى
عقدة نفسية .

انتقال عقيدة « الأرض الموعودة » من المجال العاطفى إلى المجال السياسى

انبثاق « الصهيونية » .
ارتسام الحركة الصهيونية، شرقية وغربية وعالمية وحديثة ،
فى « مقررات حكماء صهيون »
امتداد رقعة « الأرض الموعودة » الى امبراطورية
يهودية عالمية .
ارساء حجر الاساس فى صرح « الامبراطورية اليهودية »
على قاعدة تطوى معها الفرات والنيل .
تعبيد الطريق الى « الامبراطورية اليهودية » عن طريق
افتعال « دولة اسرائيل » على أسس من نصوص « التوراة » أو « الاسفار
الخمسة » الاول من « العهد القديم » .
التعقيب :

عقيدة « الأرض الموعودة » فى ميزان التاريخ

« التوراة » تحت أضواء التاريخ .
تلاشى القدسية عن « الاسفار الخمسة » و بطلان نسبتها الى
موسى .
ذوب « الجنسية الاسرائيلية » فى تيار الزمن ، وتبدد
عقيدة « الأرض الموعودة » فى سراب التاريخ .

تمت

جهر بها تيهًا وتفاهراً، هي القائلة بأن أرض فلسطين قد مُنحت لبني إسرائيل
منحة إلهية وملكا أبدياً لتسكون عاصمة للمملكة اليهودية تشمل قاعدتها كل
الرقاع المترامية في إطار الفرات والنيل . . .

ومن ثمَّ فالمشكلة مشكلة دقيقة وحرجة لاستنفاد الفكر
الصهيوني في دعوته إلى المصدر الديني المحص ولاستمداده مادته من المدد العاطفي
البيحت بل ولاعتماد الصهيونية العالمية اعتماداً كلياً على هذين المصدرين مستهدفة
من وراء ذلك امتلاك العالم عن طريق امتلاك فلسطين أولاً ومن بعدها بلاد الشرق
الأوسط لتقيم على أنقاضها « الأمبراطورية اليهودية » التي حلم بها « هرتزل »
١٨٦٠—١٩٠٤ ، وليد الصهيونية البابلية وأبو الصهيونية الغربية والتي
رسم رقعتها على صفحات كتابه « الدولة اليهودية »^(١) الذي كان بمثابة حجر
الأساس في افتعال « دولة إسرائيل » وجرَّ على العالم هذه الجريرة بحجرة قلم
واحدة جاءت تقول ؛

« إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ننساه ! . »

وبقيناً أن حجة الصهيونية بادعائها الحق في امتلاك فلسطين
إنما هي حجة لا تقوم إلاَّ على أساس من القول بأن أرض فلسطين هي الوطن
التاريخي « لبني إسرائيل » وأنها قد منحت لهم منحة إلهية وأبدية وهذه
الحجة لا تعتمد على أساس سياسي أو سند قانوني وإنما على مجرد دعامة دينية
كما أكد ذلك « هرتزل » نفسه في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقدت منه
الأواصر في مدينة « بال » بسويسرا ، ١٨٩٧ م ، يوم وقف هو ، نفسه ، يرأس
هذا المؤتمر مُعرِّفاً ماهية الصهيونية وما تستهدفه حركتها بقوله ؛

« إنَّ العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية! -
وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء
وطن قوميٍّ يهوديٍّ في فلسطين ! . »

هذا القول المُسوَّض للهدف الصهيوني والرامي إلى إنشاء
وطن قوميٍّ يهوديٍّ في فلسطين تنفيذاً للنصّ الوارد في «الكتاب المقدس» كان
الّلهب الذي لفتح الذاكرة من كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية بلفحات
الحنين إلى ما يعتبرونه الوطن المورث والموروث ، كما كان بدوره المادة الأساسية
التي أعدها « هرتزل » نفسه لا ببناء الصرح من « دولة إسرائيل » . . هذه
« الدولة » التي ما فتعت إلّا وارتفع الصوت الصهيوني يعلن العالم بإنشاء « الوطن
القومي اليهودي » في فلسطين تنفيذاً للنص الوارد في « الكتاب المقدس » ! .
وإشعاراً للعالم بقيام هذا « الوطن القومي اليهودي تنفيذاً للنص الوارد في الكتاب
المقدس » اتخذ الصهاينة من رداء الصلاة اليهودية المؤلف من اللونين الأزرق
والأبيض ، لـ « دولة إسرائيل » علماً ، ومن « نجمة داود » رمزاً ، ومن
« الشمعدان المقدس » ذى الفروع السبعة شعاراً ، بينما مثلوا أنفسهم أدق تمثيل
فصورها بـ « الأفعى السامة » ! . هذه « الأفعى السامة » التي بدأ زحف رأسها
المميت من فلسطين والذي لن يعود للالتقاء بالذنب الباقي في فلسطين ،
وهذا يمثل سائر الجماعة اليهودية ، إلّا بعد تسميم العالم وإماتة كل من لا يمت إلى
الجماعة اليهودية بأوشاج قرابة أو نسب ، ثم التربع على أنقاض بلاده وأشلاء أهله
تحت ظل ملك يهودي يحكم العالم كله من صهيون على عرش مساحته كل
الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! .

هذا الهدف الصهيوني السياسي البحت والمستمد معيّن من
الينبوع الماطفي الخض بالإضافة إلى هذا الإشعار الديني من الجانب الصهيوني للعالم

في انشاء « وطن قومي يهودى » في فلسطين تنفيذاً للنص الوارد في « الكتاب المقدس » لا ينجىء بالدلائل الكافية، فحسب ، على أن اليهودية الحالية والصهيونية العالمية هما ، كما قال « وايزمان » زعيم الصهيونية الشرقية وأول رئيس « دولة اسرائيل » ، متلازمتان متلاصقتان، وإنما هو يحمل البرهان القاطع على الاستغلال السياسى للعقائد الدينية في نظر معتنقيها ومن يؤمنون بها . فان هذا « النص » هو الدرع الوحيد الذى تدرأ به الصهيونية عن نفسها كل احتجاج وحجة وهو الأصل الذى انحدر منه وجودها وبه يقوم قيام كيانها الذى لا يتمثل إلا في هذا الفداء الذى ترسله بين الآونة والأخرى بأن فلسطين قد منحت من الإله لإسرائيل منحة أبدية ! . ومن هنا كان قيام ممثلها ومندوب « الدولة اليهودية الحديثة » يجهر على منبر « هيئة الأمم المتحدة » عقب الاعتراف بهذه « الدولة » قائلاً ؛

« قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ، ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحانى ! . »

لا جدال في أن هذا « الحق الروحانى » مستمد من الإصحاح الخامس عشر من « سفر التكوين » وهو الذى أشار اليه مؤلف كتاب « الدولة اليهودية » ، من قبل ، وممثل « دولة اسرائيل » من بعد وهذا الإصحاح يقول ؛ « قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً ، لنسلك أعطى هذه الأرض . من نهر مصر الى النهر الكبير . . نهر الفرات ! . » ولكن . . .

حتى نبحت في أمر هذا « النص » وحتى نضعه في ميزان التاريخ سابرين ماهيته من حيث البطلان أو الاصابة ، نقول ، إن هذه الصيغة التى دوت بها جدران المؤتمر الصهيونى الأول ، وراح رجّع صداها في أرجاء

« هيئة الأمم المتحدة » لم تأت نشازا وإنما كانت الترجيع الجديد لأصدقاء الماضي البعيد المتجاوب نفماً حبيباً في مسمع كل فرد من أفراد الطائفة اليهودية ، كما كانت للد الذي استمد الفكر الصهيوني منه جوهر دعوته ! فإن حجة الصهيونية في دعوتها إنما هي حجة دعائها الدين ، ومادتها هذا « النص » إلى جانب نصوص أخرى من « كتاب » غلف بالقدسية وحومت من حوله أنفاس التقديس ، تحمله الصهيونية بيديها وتقدمه إلى العالم هادرة بأنه هو نفسه البرهان القاطع على حقها الشرعى فى امتلاك أرض فلسطين ولا فحسب هذه « الأرض » وحدها وإنما كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل . ثم إنها لم تقف عند هذا الحد وإنما هي لهذا « الحق الشرعى » الذى تدعيه قد سجلت وأعلنت عندما ارتفعت يدها وعلقت ، على مدخل الـ « كنيسة » ، هذه العبارة :

« حدودك يا إسرائيل من الفرات الى النيل ! . »

ومن ثم ، فإن فلسطين ليست هى كل « الأرض الموعودة » التى يدعى الصهاينة ملكيتها . . كلاً ! .

« إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائى . فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط . وسنجعل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا كلها ، بلاد الآباء والأجداد . . وسنحقق رؤيا أنبياء اسرائيل ! » (١)

بنى جريون

أو فى ذلك شك ؟ !

إن فلسطين ليست هى كل « الأرض الموعودة » ، وإنما

(١) مايو سنة « ١٩٤٩ » .

هى جزء منها... وعن هذا « الجزء » يتحدث الصهاينة فى ترديد لتلك الصيغة التى انطلقت من « تل أبيب » تقول ؛

« إن إسرائيل بوضعها الحالى لا تمثل إلا خُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء .. ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية » ^(١) . !

مناحيم بييجن
كلا ! ..

كلا ، لن نقسأل قارئى ؛ ما هى هذه « الأربعة الأخماس » الباقية ؟ ... فيها هى ذى أمامنا منتشرة الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة فى المدارس اليهودية ، والتى تدرس اليوم للنشء فى « دولة إسرائيل » ... فنحن نرى على هذه الخريطة قد رسمت رقعة « الإمبراطورية اليهودية المرتبة » ! . فى إشارة إلى الأراضى الإسلامية المقدسة ، وفى مقدمتها « المدينة المنورة » ! . إلى هذه المدينة الضامة لضريح صاحب الرسالة الإسلامية قد تناول النظر الصهيونى فلم تتورع اليهودية عن أن تجعلها ضمن هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ! ..

وأما إذا تساءلنا ؛ كيف سيكون العمل على « تحرير » هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ؟ . فان الجواب ما زال يدوى فى أرجاء الـ « كنيست » مردداً :

« إن إسرائيل لن يكتسب لها البقاء ما لم تشن حرباً وقائية على الدول العربية ، وتعمل على مد حدودها داخل هذه الدول ، حتى تضمن سلامتها

(١) سنة « ١٩٥٣ » .

تحقق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ، ألا وهو إقامة إمبراطورية
سرايلية ممتدة الأرجاء ، تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع ! .

وبذلك يتم تحقيق الميثاق الذى قطعه الرب مع إبراهيم ! . . »^(١)

موسى شاريت

هذا بعض من أقوال زعماء الصهيونية العالمية كما سجلتها
اضر « المؤتمر الصهيونى الأول » و « هيئة الأمم المتحدة » والبرلمان الإسرائيلى
« كنيست » .. وكلها ، مجتمعة ، تأتى بالأدلة القاطعة على أن الهدف الأخير
صهيونية العالمية هو امتلاك العالم عن طريق امتلاك بلاد الشرق الأوسط من
إت إلى النيل وما ذلك إلا تطبيقاً لما جاء فى ذلك « الميثاق » الذى سجلته
وض من « كتابهم المقدس » الذى عليه فى دعواهم يعتمدون والذى لم تتشكل
من نصوصه « مشكلة فلسطين » ! . .

ومن هنا نستطيع أن نقول إننا لن ننبين أبداً مدى خطورة
مشكلة فلسطين « على بلاد الشرق العربى إلا إذا عدنا إلى « الأسفار الخمسة »
، تنصدر « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى وإلا إذا نشرنا
منا « « تلمود » وإلا إذا استعرضنا محاضرات « حكماء صهيون »
روفة تحت اسم « بروتوكولات حكماء صهيون » .. حينئذ ، وحينئذ ،
لنعد ما نتناول كل ذلك على حدة فى معرض البحث ، بعد صفحات ،
يجلى لنا بوضوح تام الهدف الجوهرى للصهيونية العالمية من وراء إقامة
مبراطورية يهودية « على أنقاض الدول العربية أولاً والدول الغربية آخراً

(١) سنة « ١٩٥٥ » .

وحينئذ انك تفهم المعنى من استهدافهم استعباد سكان الدنيا جميعاً بعد استعمار دول الأرض جمعاء ! . .

هذا التماذى الصهيونى يدفعنا إلى أن نسأل أنفسنا ؛

ماهى الوسيلة الناجحة لسحق رأس هذه « الحية السامة » حتى يحف منها الجسم ويكف منها اللسان عن هذا الفجيع الذى يرسل شرر الشر ، وسموم العدوان فى كل متجه مهدداً روح السلام فى كل ناحية من أنحاء الشرق الأوسط بالخطر ؟ ! .

وما هو الموضع الباتر لاستئصال هذه الجرثومة التى استشرى تضعفها استشرى يحاول الفتك بسكان المجتمع البشرى مهدداً حياته الاجتماعية والأخلاقية بالانهيار إن لم يكن بالفناء ؟ ! .

* * *

لا جدال أن القوة العسكرية كنفيلة بسحق هذه « الأفعى السامة » ، رأساً وذنباً ! . . القوة العسكرية قادرة على إدالة « دولة إسرائيل » ونثر من تجمع فيها من اليهود جماعات وفرادى فى سائر أنحاء الأرض ، بيد أن الدولة العربية الكبرى تعتنق السلام مذهباً لا تريد حرباً ولا تقدم على الحروب إلا اضطراراً ، إما لرد عدوان أو لسكف عداء . وهذا بالإضافة إلى أنها ترى أن « مشكلة فلسطين » مشكلة دينية فى الصميم استمدت مبدءاً وجودها من نصوص دينية بحجة ، هى التى تتخذ منها حجتها وهى التى يقوم عليها منطقها ، وهذا مما يجعل ساحة الحرب هو الورق وأما السلاح فهو القلم فليس للحجة إلا أن تقارع بالحجة وليس للمنطق

إلا أن يحارب بالمنطق ، وأما ما سوى ذلك من الوسائل فلن يكون إلا حلاً وقتياً ، والدولة العربية الكبرى لا تريد هذا الحل الوقتي ، فهي ترى أن « مشكلة » قد عقدتها نصوص سطرت ، زيفاً ، بمداد القدسية لن تزايل العالم ما لم تزل عن هذه « النصوص » هذه « القدسية » الوهمية التي ما لم تعرض أمام الرأي العالمي عرضاً تذوب به « عقيدة الأرض الموعودة » في سراب التاريخ كما من هذا السراب قد حيكت فان هذه « المشكلة » ستعججد ، حتماً ، مع الزمن وإلى التشكل من جديد ستعود جديدة مما سيعود بالعالم عامة وعالم الشرق الأوسط خاصة إلى التساؤل من جديد ؛

كيف يمكن أن تحل « مشكلة فلسطين » ؟ . .

من اليقين أنه طالما ظل المصدر اليهودي زاخراً بجمرة هذه « العقيدة الدينية » فلن تحل ، قط ، « مشكلة فلسطين » حلاً حاسماً . قد يحترف التيار الزمني أطراف هذه « المشكلة » ولكنه لن يقيم أصولها وليس إلا في توار فيه ستتوارى ولروح من الزمن هو مهما طال واستطال ومهما إلى آما د امتد فلن تמיד في أعماقه أبداً هذه « المشكلة » التي ما لم تحل دينياً وتذوب منطقياً فلن تغيب مطلقاً من صفحة التاريخ السياسي . . ليس إلا تحت رماد الأيام سيختفي اللظى وحما سينحسر الرماد ، يوماً ، عن هذا اللظى فتهب العاصفة من جديد وتندلع النيران ، ولن يكون لذلك من سبب إلا لأن هذه « العقيدة الدينية » قد ظلت مشتعلة الجذوة بين الجوانح اليهودية . .

ومن اليقين أننا ما لم نضع أمام الرأي اليهودي ، نفسه ، هذه « العقيدة » في ميزان التاريخ حتى يستبين لليهود جميعاً مدى الوهم الذي يتخذون منه سنداً فستظل هذه « الأفعى السامة » ترسل الفحيح وتدعى « الحق الشرعي » في

امتلاك فلسطين وهذه حقيقة نستطيع أن ندينها تماماً إذا اتخذنا المنطق أداة في تفكيرنا وأخذنا أحداث التاريخ ومجرياته شواهد . . فلقد قُوضت ، من قبل ، لليهود ملكة وأديلت « دولة إسرائيل » ، ولقد نثر هدم « المعبد الثاني » اليهود بعيداً وراء هذه البقعة من الأرض التي يدعون شرعية ملكيتها فغابوا ، في توار ، في تيارات الشعوب التي ينتمون بها عنصراً و جنسية ويتسمون بسمات المظهر الخارجى لأهلها من السحنة واللون واللغة . . ولكن ! . « المشكلة » قد ظلت هي هي . . وإلا فكيف يمكن لها أن تذوب وهي تتخذ مساندتها من عقيدة دينية تربتها النفس ، ومنبتها الجوانح ، تُروّيها العاطفة ، وبغذيتها الوجدان والجذور منها ، في ميد ، قد تأصلت في الصدور ؟ . . ومن ثم كان النقيض الذي زاد هذه « المشكلة » تعقيداً في جبهة الزمان ! . فلقد حمل اليهود معهم هذه « العقيدة » وأحواها معهم حيثما حلوا ، ومن نفوسهم لم تقتلع باقتلاعهم جماعات من فلسطين ، فلقد زادهم التشبث بها التصاقاً وتشبثاً ، ولها احتضاناً وصوناً بل وفي حنين يستنح الذكرى إلى عزة ولت انحمت عليها منهم الحنايا وكبارث عزيز توارثوه عن الآباء راحوا ، بدورهم ، يورثونه إلى أبنائهم ، الذين في مسامعهم صبوا ، وهم بعد في مهودهم ، أنغام الشوق إلى الوطن الموروث لهم « شرعاً » والمسلوب منهم « غصباً » ! . .

وبقينا لقد انتشر أفراد الطائفة اليهودية بين الشعوب التي يحملون جنسياتها ، ثم هم قد احتكوا بهم تحت مظهر واضح من الاندماج والاندغام ولكنهم قد ظلوا ، بالرغم من تفرقهم في الشعوب ، وحدة تترابط تحت ظل التستر والاستتار ، بعروة يشدّ منها الوثاق الواحد إلى الآخر رباط قوى ومتين ! . فقد لا يفهم الواحد من أبناء الطائفة اليهودية لغة الواحد الآخر من

نفس طائفته الدينية ، لاختلاف الوطن والجنس ، وقد لا تتجانس طبيعته وطبيعته الآخر لتباين النشأة والبيئة بل والطبع والمعايير .

ولكن ١٠ بالرغم من هذا الاختلاف والتباين فهناك رابطة تضامن تجمع بوتقتها بين أفراد هذه الطائفة جميعاً وهي هذه « العقيدة » ، عقيدة « الأرض الموعودة » ، التي لم يزد التشتت أهلها إلا بها اشتغالا ١ . فلقد صهبعوا منها سلاحا شحذوا منه النصال على مشحذ الوجدان ، ثم راحوا يتربصون من ورائه حتى سنحت السانحة للانقضاض فهبوا لإقامة « دولتهم » من جديد . . . وهكذا من جديد جابهت جبهة الزمن « مشكلة فلسطين » ١ . ومن ثم فإن الحل لهذه « المشكلة » ، وإن كان من مظاهره زوال « دولة إسرائيل » وعودة الجماعات اليهودية إلى البلاد التي تنتمي بجنسياتها إليها ، لا ينحصر إلا في حل واحد وهو حل عقدة هذه « العقيدة » من النفس اليهودية نفسها . . . وهذا أمر يحتم علينا أن نضع هذه « العقيدة » على بساط البحث وأن نسلط أضواء التاريخ عليها من كل جانب حتى يبين العالم أصل وجودها ، وأدوار نشأتها ، وأطوار تطورها ، ويراهها وهي تتكون في مجرى الزمن ، ثم وهي تقبلور عبر مجريات الأحداث السياسية من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية فإلى عقدة نفسية . . .

ولما كنا لا نستهدف إلا انتزاع الحقائق من صدر التاريخ ففحن نستهل بحثنا بهذا السؤال :

ما هو نصيب هذه « العقيدة » من الخطأ أو من الصواب ؟ . . .

الجواب عن هذا السؤال يدفع بنا في الاحتكام إلى المنطق الصرف فنقول ؛

لا جدال في أنه حتى إذا صحت الحجة الصهيونية وعلى قاعدة ثابتة الأساس استقامت هذه « العقيدة » فليس في وسع الشعوب العربية الاعتراف للصهيونية بشرعية « دولتها » فالطوائف الدينية لا تمتلك بلداناً ، . . وأما . . أما إذا تداعت هذه « العقيدة » وتحت أشعة التاريخ ذابت وثبت بطلانها فليس في وسع الصهيونية نفسها إلا الانحناء أمام الشعوب العربية انحناء الاعتراف بأنها كانت أسيرة وهم قديم غشى منها الفكر ، وأسلم منها القلب بسموم العدوان السقيم ! . . .

ولسكن ! . .

أحقاً يجهل الفكر الصهيوني الحقيقة من هذه « العقيدة » ؟ .
كلا ؛ إن الفكر الصهيوني لا يجهل هذه الحقيقة وإنما هو لها يتجاهل وما ذلك إلا لأن هذه « العقيدة » لو تجلت أمام العالم على حقيقتها وتحت أشعة التاريخ ذابت الخيوط التي نسجتها في نسيج الزمن كنصوص قدسية ، وتسلشت في محض وهم كما قد حيكت من وهم محض لوحت للصهاينة حجة وتهافت ولتصدعت من تلقاء نفسها « دولة إسرائيل » وانهارت منها الأركان ! . . وإلا فكيف لا ينهار من أساسه صرح « دولة » لا يقوم منه البنيان إلا على أساس هو نفسه نصوص غير شرعية من « كتاب » تذفى ، بافتقائه عن موسى ، عنه القدسية انقفاء يجعل « دولة إسرائيل » تتحول إلى ذكرى باهتة في جبين الزمن ويجعل « الطائفة اليهودية » تستحيل إلى أطلياف عابرة في جفن الغدا .

هذا هو السبب الذي يدفع باليد منا إلى أن نتناول نفس « المصدر » الذي انتزعت منه الصهيونية العالمية دعوتها ونستوحى منه

الحكم على نفسه بنفسه وعلى ما يحتويه من « نصوص » هي التي عقدت هذه « العقيدة » ثم ، بعد ذلك ، نستطيع أن نحكم على الدرجة التي يقف عندها هذا « المصدر » وبالتالي على الدرجة التي تقف عندها هذه « النصوص » في معيار التفكير السليم .

ولكن ..

محال أن تمتد اليد منا فنتناول « الكتاب المقدس » ، مصدر العقيدة اليهودية الحالية ، أو أن ننشر الصفحات من « الأسفار الخمسة » فيه إلا إذا عدنا بهذه « العقيدة » إلى الوراء وأرجعناها ، شيئاً فشيئاً ، إلى أصولها العريقة في القدم وتقهقرنا بها إلى ظروفها الماضية . فليس إلا عندما نُذِيب هذه « العقيدة » في التيارات التي انحدرت منها ، وليس إلا عندما نتغلغل بأسبابها في طبقات الماضي القصوى ونشق إلى العوامل التي جاءت بها غمار القرون الغابرة ونساطر عليها أضواء التاريخ الذي سبقها لنرى مولدها في مهد الزمن ونموها فتطورها على مدارج الأيام ، نستطيع أن نستجلي العنصر منها كبذرة ألقيت في تربة الماضي وطوتها طبائنه خلال أطواء ليل « آباء إسرائيل » .. ليس إلا عن طريق هذه الوسائل سنعلم العنصر من هذه « البذرة » التي لن تكون إلا واحدة من اثنتين ؛

إما بذرة سليمة ألقيت في تربة صحيحة ، وإما بذرة سقيمة لا نتناولها لنحلل منها العنصر الا ونجدها قد انحلت في يدنا وتحللت الى ..
لأشياء ١ .

ومن هنا ينبثق احتياجنا إلى سلاح المنطق ومعمل الفكر وهو هذا القلم الذي نتناوله أداة نقاش به حجة الصهاينة في أسلوبهم الديني الذي

يضعونه أساساً لدعواهم السياسية .. بيد أننا قبل أن نأج إلى لجة البحث وننشر طيات « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي ، الذي يعرف بـ « العهد القديم » في نسخته البروتستانتية و « العهد العتيق » في نسخته الكاثوليكية ، في تركيز على « الأسفار الخمسة » الأوّل في كل منهما ، وهى الأسفار المنسوبة إلى موسى ، نرى لزماً علينا أن نقول كلمة بخصوص هذه « الأسفار الخمسة » وهى ؛

تتألف هذه « الأسفار الخمسة » الأوّل من « الكتاب المقدس » من مجموعة تسمى ، علمياً ، « التوراة » أى الشريعة .. ويسند اليهود هذه « التوراة » إلى موسى إذ يعتبرون هذه « الأسفار » صادرة عنه وحيّاً من الإله .. وأما الواقع التاريخي فيتنافر كل التنافر وهذا المعتقد الذى لم تنبثق إلا منه « مشكلة فلسطين » .. فإنما ، وإن كان جوهر التقاليد المدونة فى هذه « الأسفار » ونواة التشريع فيها تتصل بالزمان الذى بدأ فيه تاريخ « بنى اسرائيل » كجماعة منظمة ، إلا أنها بكل نصوصها قد كتبت بعد موسى بأكثر من عشرة قرون من الزمان والبرهان على ذلك مستمد من نفس ما تحتويه هذه « الأسفار » من نصوص .. لا من الازدياد التدريجى فى الشرائع الذى سببته مناسبات العصور التالية على عصر موسى من اجتماعية ودينية والتى تظهر واضحة فيما ترويه هذه النصوص من روايات غسب ولا غسب من الازدواج المتواتر والاختلافات المتتابة بين النصوص الدالة على تمازج عدة تقاليد وعلى وجود أكثر من قلم جرى بتسطير هذه « الأسفار » .. كلا ! . وإنما لأن أسماء بعض القبائل والمدن التى تتحدث عنها هذه « الأسفار » لم يكن لها فى عهد موسى وجود !.. وهذا بالإضافة إلى ذلك الحدث الذى يتم به « سفر التثنية » ، وهو السفر الخامس من هذه « الأسفار » ، حديثه وهو حدث ، قد حدث ، لا محالة ،

بعد موسى بأجيال لأنه لا يتحدث لحسب عن وفاة موسى ودفنه في « أرض موآب » وإنما عن ضياع مكان قبره في ذلك المكان من الأرض .. ولما كان ليس هناك كائن ، كان من كان ، يستطيع التحدث عن نفسه بهذه الصيغة فنستطيع أن نقول إن الاعتقاد بنسبة هذه « الأسفار » إلى موسى ليس إلا اعتقاداً واهماً وباطلاً ، وأما الإصرار عليه فأصرار يتأرجح مكانه بين جهل بالتاريخ أو تجاهل للتاريخ ! . وإلا فأى برهان يمكن أن يقدم أقوى من هذا البرهان على انتفاء نسبة هذه « التوراة » إلى موسى من أن مؤلف هذا السفر الأخير من الأسفار المنسوبة إلى موسى لا يعرف مكان قبر موسى ١٩ .

وفي الواقع أن هذه « الأسفار » ، التي تُكوّن الدين اليهودي الحالي ، لا تعود بوجودها إلا إلى عدة أقلام يهودية وهي على وجه التحديد أقلام « بيت يهوذا » دون سائر بيوت بني إسرائيل كما أنها لا تعود بتاريخ وجودها إلا إلى ما بعد الغزو البابلي لأورشليم « ٥٨٦ ق . م » .. ولم تُعرف إلا عند ما أعاد الفتح الفارسي ، « ٥٣٩ ق . م » ، الأسرى اليهوديين إلى أورشليم . . وإلى عدة عوامل تعود بذلك الأسباب فإنه لما لم يكن في وسع اليهود بعد إعادتهم إلى أورشليم أن يقيموا لهم دولة كتلك التي كانت لهم قبل الأسر ، وذلك لنضوب الثروة المادية وللافتقار في العدة والعدد ، فقد وجدوا أنفسهم في حاجة إلى تنظيم يهيء لهم أسباب الوحدة القومية ، فأنحى الكهنة يراجعون ماسطرته الأقلام اليهودية من قبل يوم جرت وهي في الأسر تعبّد الطريق إلى عودة « بيت يهوذا » إلى الحكم من جديد ، فوجدوها كافية بالفرض . فان هذه الأقلام التي حرصت على تسطير أبرز الأحداث في تاريخ « بني إسرائيل » مستهدفة بذلك وضع قواعد حكم

دينى يقوم على المأثور من أقوال القدامى وتقاليدهم ، ثم حرصت على صيغ ذلك بصفة شرعية فالتذت محوراً اسم « شريعة موسى » ومرجعاً « أوامر الرب » هى أقلام ، ولا شك ، تمثل حجارة الأساس فى بناء صرح « بيت يهوذا » من جديد ! . . . ، ومن ثم ما انتهوا من مراجعتها إلا وشافوها بغلاف القدسية لتطلع على التاريخ الدينى فى نفس اللحظة التى دعا « عزرا » الجماعة اليهودية إلى الاستماع إلى ما قد أخذ بتلوه عليها من نصوص أسماها « شريعة موسى » ! .

ومن ثم فإن الشريعة اليهودية الحالية التى يتداولها اليهود اليوم ويلبسها العالم من خلال طبائعهم وطبائعهم لا تمت الى موسى بأسباب ولا تعود بوجودها إلا الى ما كتبته أقلام مؤلفى هذه « الأسفار الخمسة » وفتاً لأهوائهم وسياساتهم ونسبوها ، افتراء على الله وافتراء على موسى ، إلى موسى وإلى الله ، ولم يكتفوا بما سطره فيها من سخف وانحلال وإنما نسبوها إلى الله على لسان موسى تطاولاً وبهتاناً وزوراً ! .

من هنا نستطيع أن نقول إننا سنبيح لأنفسنا التحدث عن « موسى » وعن « إبراهيم » وعن غيرها من « أنبياء الله » ، الذين سيأتى ذكرهم فى معرض البحث ، على ضوء ما جاءت به صفحات هذه « الأسفار » مع إيماننا العميق بعصمتهم وتنزههم عما جاء فى هذه « التوراة » المفتراة من سفه وفحش وإسفاف ! . . .

ولكن ! .

ليس معنى ذلك أن الإسلام الذى يؤمن بموسى ، كنبىّ

وكرسول وكليم لله عز وجل ، لا يؤمن بتوراة هي على موسى قد أنزلت . .
كلّا ! . . إن الإسلام ، الذى يرفرف على سائر أرجاء الشرق الأوسط وييسط
جناحيه حتى أقاصى الشرق الأقصى ، يؤمن بالتوراة ككتاب مقدس .
ولكن ! .

بأية « توراة » يؤمن الإسلام ؟ ! .

إن الإسلام يؤمن بالتوراة التى جاء فيها الإنذار بالرسالة
الحمدية والتبشير بها . . إلا أن الإسلام لا يؤمن ، قطّ ، بتوراة مفتراة كتبها
رجال البيت اليهودى وفقاً لمقتضيات سياسة « بيت داود » من سلالة يهوذا ،
ثم تآدوا ونسبوها ، افتراء على موسى ، إلى موسى وجعلوها ، كفرأ
منهم بالله ، صادرة إليه عن الله ! . .

وهنا . .

وهنا . . تنبثق أمامنا حقيقة جوهرية وكأنما هى لم تطرق بعد الأذهان ،
إذ أنها لم تطرق من قبل الأفلام وهى أن الإسلام قد جاء ملغياً لهذا الدين
اليهودى العائد بوجوده إلى مؤلفى هذه « الأسفار » . . لذلك حارب
صاحب الرسالة الإسلامية يهود شبه الجزيرة العربية وسماهم كفاراً إن لم يعتنقوا
الإسلام ، هذا الدين الذى جعل اعتناقه صورة للعودة الى الدين الذى أوحاه
الله الى موسى . . والذى جاءت تحمل مفهومه هذه الآية ؛

« ان الدين عند الله الإسلام ! » ^(١) .

ومن ثمّ فإن الدين اليهودى الحالى دين ألقاه الإسلام

(١) « ١٩ آل عمران » .

وأبطله إبطالا كاملا ولو لم يكن الإسلام قد أبطله لما كان محمد ، عليه السلام ، قبل إسلام من أسلم من اليهود ، ولما كان قد أقرهم على نبذهم دينهم إلى دينه . . وهو دين الله الذى أوحاه إلى « الأنبياء » كافة ، ولذلك كانت هذه الآية ؛

« ومن يبشغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ! . . » ^(١) .
والكن ! .

الفكر اليهودى الذى لا يهمه من أمر دينه إلا عقيدة « الأرض الموعودة » يحاول استجاع شتات تفكيره ، فيشير أمامنا نقطة يحسب أنه قد أصاب بها بغيته إذ يشير لنا إلى الآية التى تقول بأن موسى قال لقومه ؛

« يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . . » ^(٢)

إن لنا فى هذا الصدد سؤالاً لا نلقيه لأنفسنا وإنما نلقيه إلى اليهود أنفسهم ، وهو ؛

من هم أولئك القوم ، « قوم موسى » ! . .
لا جدال فى أن « قوم موسى » ، بدليل النصوص اليهودية نفسها ، كانوا هم وحدهم « بنى اسرائيل » . . وحتى يتضح لنا ذلك تماماً

(١) ٨٥ آل عمران .

(٢) ٢١ المائدة

فنفسِّق ، بعد قليل ، بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود »
نقول ؛ إن هذه الآية لا تحمل « وعداً » بامتلاك هذه « الأرض المقدسة » وإنما
هى تكتب لهم دخولها ومساكنة أهلها ، وتجعل لذلك شرطاً هو عدم
ارتداد « قوم موسى » عن موسى ، وإلا انقلبوا خاسرين . .

وأما إذا تشبث الفكر اليهودى بفكرته فنستطيع
أن نأخذه بمنطقه قائلين ؛ فلنفترض ، مجازاً ، بأن هذه الآية تحمل وعداً
فإنّ هذا « الوعد » قد غدا باطلاً من الوجهة اليهودية ، ومن الوجهة
الإسلامية معاً ! .

فأما من الوجهة اليهودية ، فإن الإصحاح الأول الذى تعتمد
عليه الصهيونية فى ملكية هذه « الأرض » يقول : « قطع الرب مع ابرام ميثاقاً
قائلاً ؛ لنسلك أعطى هذه الأرض . . »

ومن هنا نرى أن هذا « الوعد » خاص بنسل ابرام
فقط . . وهل اقتصر « نسل ابرام » على إسحاق ؟ أم شمل اسماعيل وغير
إسماعيل ؟ ! .

وحتى يتضح لنا أنه ليس هناك شيء ، اليوم ، اسمه « نسل
أبرام » نقول إن من نفس سطور « توراتهم » تنمحي قدسية القول بأن فلسطين
هى للصهاينة وليهود اليوم « أرض موعودة » ! . .

وأما من الوجهة الإسلامية فإنّ هذه الآية التى تقول بأن
موسى قال لقومه ؛ « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة . . » فإنها آية لو تمعنّا
فى معناها لأدركنا ، كما أشرنا قبل قليل ، إلى أنها قد كتبت « لقوم

موسى « دخولها ومساكنة أهلها ، لا امتلاكها ، كما قد جعلت لذلك الدخول شرطاً وهو عدم الارتداد والا انقلبوا خاسرين ! . . وأما و « قوم موسى » قد تمردوا على موسى وارتدوا عنه و ؛

« قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون . . » (١)

« يا موسى إنا ان ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون » (٢)

فكان رد موسى أن ؛

« قال ؛ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! » (٣)

ومن ثم ؛

« . . ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا . . »
وضربت عليهم المسكنة وباءوا بغضب من الله ! ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٤)

ومن هنا نرى أن هناك تطوراً سار بهذا القول الكريم لاشتماله على شرط لم يلتزم به « بنو اسرائيل » فكان افتراق موسى عنهم ، كما إلى ذلك تشير الآية ، وكان نعمتهم بالفاسقين وكان عقاب هذا الفسق أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله عميم .

(١) ٢٢ المائدة . (٢) ٢٤ المائدة .

(٣) ٢٤ المائدة .

(٤) ١١٢ آل عمران .

وعلى ذلك تنمحي ، أيضاً ، من وجهة النظر الإسلامية ،
الفكرة القائلة بأن هناك « أرضاً موعودة » لا تقوم ليس لهم في الواقع ،
الآن ، وجود فحسب ولا لاتصافهم بالفسق فحسب وإنما لأن الإسلام الذي
أنهى الدين اليهودي الحالى إلغاءً كلياً بقوله « إن الدين عند الله الإسلام »
وبقوله « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فان يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين » قد أنهى ، بهذا الإلغاء ، الفكرة عن هذا « الوعد » لإلغاء
نهائياً ! .

وهكذا ..

هكذا تنمحي من الوجهتين اليهودية والإسلامية معاً
القدسية التي صاغت الأفلام اليهودية من حول « أرض مقدسة » جعلتها وقفاً
على أبناء يهوذا وبذلك عقدت في جبهة الزمن عقيدة « الأرض الموعودة » ! .

وعلى هذا الأساس وبهذا اليقين نبدأ في استعراض فصول
هذه « الرواية » .. هذه الرواية التي لعبت ، منذ نُسجت في إبهار ظلمة اسرائيل
واستهجار ليل تاريخهم ، أخطر الأدوار على مسرح التاريخ حتى اليوم ! .

حرى بنا قبل أن نخوض إلى لجة البحث في تاريخ هذه الطائفة الدينية التي أطلق عليها ، تجوزا ، اسم « الإسرائيليين » أن نفرق بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » . . وهذا يدفع بنا إلى إلقاء هذا السؤال ؛

من هم « العبريون » ؟

ومن هم « بنو إسرائيل » ؟

ومن هم « اليهود » ؟

الجواب عن هذا السؤال لا يأتي إلا من أنفاس التاريخ نفسه ! .

فأما « العبريون » فإن تاريخهم ، كما وُجد في آثار « نارعم سن » ، يبتدىء بعشيرة من تلك العشائر التي انتشرت ، خلال الفترة التاريخية لبلاد ما بين النهرين ، على حافة « الهلال الخصيب » . . وهذه العشيرة عرفت تحت اسم « عبرو » تارة وتارة أخرى تحت اسم « عبريو » وتارات تحت اسم « عبران » وذلك نسبة إلى جدها الأعلى « عابر » كما سيتضح لنا ذلك بعد قليل . . وأما أول ظهور بعض أفرادها على التاريخ فكان في مدينة « أور » على ضفة الفرات الأدنى وفي السهل الفيضي الذي كوّنته رواسب النهرين في الجنوب فجعلت منه منطقة مستنقعات وسميت ؛ « أرض البحر » .

ثم . .

ثم هاجر فريق من هذه العشيرة في أعقاب « الغزو

السكاسي « لبلاد ما بين النهرين وضياع مملكة « أرض البحر » ، ١٧٦٠ ق . م ، ونزلوا فترة بجوار « حاران » إلى شمال « الهلال الخصيب » بقيادة رئيس لهم ، لا نشق اليه ثنايا التاريخ القديم لبلاد ما بين النهرين إلا ويطلع علينا ، عبر الألواح الصاصالية ، حاملا نعت « داميق — ايليشو » وهذه كلمة بابلية معناها « خليل الله » . . ونحن لما كنا نعرف من « الأقلام المسحارية » أن هذا النعت كان خاصا بآخر ملك من ملوك « أسرة أرض البحر » الذي فرّ بعشيرته من أمام وجه الغزو السكاسي الذي اغتمر « أرض البحر » ثم ، بالتالي ، لما كنا نعرف أن هذه العشيرة التي نحن بصدد الحديث عنها قد ارتحلت من ضفة الفرات الأدنى إلى حافة الهلال الخصيب بقيادة رئيس لها كان يحمل نعت « خليل الله » فاننا نقف ، للحظة ، حيارى نجدخلالها أنه من الصعب أن نفرق بين الصورتين لهذا الرئيس الذي يطلع علينا من ثنايا الألواح البابلية كآخر ملك من ملوك « أرض البحر » في نفس الوقت الذي يطلع علينا من ثنايا « سفر التكوين » كرئيس عشيرة حاملا لقب « العبراني » واسم « أبرام » . . والذي ظل يترحل بجماعته من أفراد هذه العشيرة إلى أن استقر بهم الاستيطان في « أرض كنعان » وإن كان هذا الاستقرار لم يخل من التنقل بين أرجاء هذه الأرض الفياضة بالخيرات ويتخذ مجراه تارة إلى غرب الأردن وتارة إلى شرقه وحينما آخر من شرقه إلى الحدود المصرية وإلى التوغل في أعماق الوادي الخصيب . . هذه الجماعة لم تكن بموجة بشرية أو قبيلة كبرى لها تقاليدها ولغتها الخاصة بها ، فليس هناك موجة أو قبيلة تسمى بهذا الاسم وإنما هو اسم خاص أطلق على هذه العشيرة نسبة إلى « حابر » وهو الذي ينتهي اليه نسب « خليل الله ابراهيم » .

هؤلاء هم « العبريون » . .

عشيرة ابراهيم هي ، وحدها ، التي حملت هذا الاسم وأما من تفرع عن هذه العشيرة من خلف فقد عُرِفَ تحت أسماء أخرى كالعُمونيين والموآبيين من نسل عمون وموآب ابني لوط . . وهؤلاء مع العبريين قد ذابوا ، تاريخياً ، في تيار الزمن عندما طوتهم لجة الشعوب كأفراد . ومن ثمَّ فإن هذه العشيرة ، العشيرة العبرية ، ليس لها في واقع التاريخ الحاضر أى وجود ! .

وأما « بنو إسرائيل » فهم ، وحدهم ، أولاد يعقوب بن اسحاق وذلك نسبة إلى يعقوب الذى تغير اسمه ، كما يذكر الأصحاح الثانى والثلاثون من « سفر التكوين » ، إلى : « إسرائيل » . .

أبناء يعقوب وهم « الأسباط » الإثنا عشر ، راويين وشمعون ولأوى ويهوذا ويساكر وزبولون من « ليئة » ودان ونفتالى من « باهة » وجاد وأشير من « زلفة » ويوسف وبنيامين من « راحيل » هؤلاء وحدهم هم ؛ « بنو إسرائيل » . ثم إن النسل من هؤلاء الأبناء ، وهو الذى كُتِبَ به « بيوت إسرائيل » ، من بعد ، قد أضاف الى اسم بيته المشتق من اسم أبيه هذا الاسم . . . وبذلك غدا نسل يعقوب من أبنائه وحدهم ، هم ؛ « بنو اسرائيل » .

هؤلاء هم « الإسرائيليون » . .

أولاد يعقوب بن إسحاق وحده.

هم وحدهم أصحاب هذا الاسم دون سائر العبريين من سلالة عابر ودون باقى أولاد ابراهيم من غير « سارة » . فأما إسماعيل وهو من « هاجر » وأما

زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوح وهم من « قطورة » فليسوا
بالإسرائيليين ، ولا بالإسرائيليين كل من تفرع عن هؤلاء من نسل .. بل حتى
نسل « عيسو » بن إسحاق نفسه ليس بالإسرائيليين لأن عيسو قد تغير ، أيضاً ،
اسمه إلى « أدوم » وأصبح أولاده ونسلهم يعرفون بالأدوميين ... وهؤلاء قد
ذابوا ، تاريخياً ، في تيار الزمن وطوتهم لجة الأجيال كبيتوت متفرقة بين
الشعوب ، ومثلهم كان الإسرائيليون ! . . فلقد بدأ ذوب بني إسرائيل في التيار
الزمني عندما تسرب عنصر الفناء في كيانهم عقب وفاة سليمان ، ٩٣٥ ق . م ،
وانقسام مملكته ، التي قام شاول بتأسيسها وأتم بنيانها داود ، إلى مملكتين
قامت إحداهما في الجنوب بمن تحدر من سبطى يهوذا وبنيامين واتخذت من
أورشليم عاصمة ولما كان سبط يهوذا هو المتوارث عرش هذه المملكة فقد
عُرفت هذه تحت اسم « مملكة يهوذا » أو « مملكة اليهودية » كما
قامت الأخرى في الشمال بمن تحدر من نسل الأسباط العشرة الباقين
واتخذت « السامرة » عاصمة وراحت تحكم هذا الشمال تحت اسم « مملكة
إسرائيل » . . ففي عام ٧٢١ ق . م احتل الآشوريون مملكتي إسرائيل
ويهوذا . ولما حاولت « مملكة إسرائيل » التمرد على الآشوريين قام هؤلاء ،
٧٠١ ق . م ، عازمين على محو أبناء إسرائيل من صفحة الوجود فاحتلوا هذه
« المملكة » احتلالاً كاملاً وأباحوها لجندهم واستباحوها لأنفسهم ثم قادوا
من تبقى من سكانها أسرى إلى العراق وأحلوا محلهم قبائل عربية جديدة جاءوا
بها من سورية وشبه الجزيرة العربية ومن العراق وبهذا محيت
« مملكة إسرائيل » من خريطة الوجود نهائياً .

ومن ثم فإن « بني إسرائيل » من نسل الأسباط العشرة

شيء ليس له اليوم في ضوء الواقع التاريخي وجود ! .

وأما « اليهود » فينقسمون إلى قسمين رئيسيين ؛

قسم ينتسب إلى « يهوذا » ، رابع أبناء يعقوب ، ولم يكن ينسب إليه إلا بعد أن أصبح اسمه علماً على الإقليم الذي قسم لأبنائه عند تقسيم الأرض بين « بيوت إسرائيل » ثم شمل هذا الاسم نسل بنيامين عند ما تضافر هذا الفرع مع فرع يهوذا الذي نشأ منه « بيت داود » والذي ، بالتالي ، نشأت به « مملكة اليهودية » أو بالأحرى « مملكة يهوذا » . . وهذا قسم باد ، أيضاً ، معظمه وذاب في تيار الشعوب باقيه غداة اجتاحت الغزو البابلي هذا ، « المملكة » . . ففي عام ٥٦٧ ق . م احتل البابليون « مملكة اليهوديين » واستولوا على عاصمتها أورشليم . ثم لما حاول من كان قد تبقى من اليهود في هذه المنطقة التمرد على سلطان بابل في فلسطين عاد البابليون معتزمين هذه المرة أن يحلوا المشكلة اليهودية حلاً حاسماً فأحرقوا أورشليم وهدموا « هيكل سليمان » وأباحوا البلاد لأنفسهم واستباحوها لجندهم فقتلوا من وقعت عليه يدهم من سلالة يهوذا ثم أخذوا ملكهم « صدقيا » وحوالى خمسين ألفاً من رجالهم أسرى إلى بابل حيث لم يسع « أبناء يهوذا » إلا الجلوس على ضفة الفرات والتباكى على أورشليم الضائعة والترنم بذكرى « بيت داود » وذكرىات « صهيون » . . ولكن ، مع هذا الترنم بدأ الحنين الى « صهيون » وليصبح هذا الحنين الى صهيون رمزاً للحنين الى « بيت داود » ثم ليسى هذا الحنين الى « بيت داود » رمزاً للحنين إلى عودة « مملكة يهوذا » أو هذه « المملكة اليهودية » وابتدأ الخيال مع هذا الحنين يحنج بالرؤوس اليهودية ويشكل

من الوهم روايات ومن هذه الروايات صوراً هي التي دفعت بالأيدي منهم إلى أن تنشر القراطيس وتُجرى عليها الأفلام في تسجيل لهذه الصور وفي تسطير لهذه الأوهام التي سارت نحو هدف واحد هو عودة « بيت داود » على عرش اليهودية . ولكن أبت هذه الأفلام ألا أن تغمس بمداد القدسية ، ولكي يصبغوا غايتهم بالصبغة الشرعية نسبوها إلى موسى ! .

هذه الأفلام اليهودية ، التي جرت في المنفى البابلي تعد العدة لإعادة « مملكة يهوذا » على صفحة المستقبل ، هي التي جاءت بهذه « الأسفار الخمسة » التي نسبوها ، افتراء ، إلى موسى وحملوها ، زوراً ، هذا « الوعد الإلهي » الذي حولوه من فرد إلى فرد كيما يحصروه في « نسل يهوذا » عامة وينتهوا به إلى « بيت داود » خاصة ! ..

إنّ « بيت داود » لما كان رمزاً لهذه « المملكة » فقد حصرت الأفلام اليهودية هذا « الوعد » في نسل داود وليعطوا قضيتهم صبغة شرعية رأى مؤلفو هذه « الأسفار » أن من صالحهم أن يبدأوا بإبراهيم ! . فجمعوا « الوعد » يأتي لإبراهيم باديء ذي بدء ثم حولوه إلى إسحق ليخرجوا منه اسماعيل ثم حولوه إلى يعقوب ليخرجوا منه « عيسو » وليحصروه في سلالة يعقوب أو إسرائيل ثم حولوه إلى « يهوذا » الإبن الرابع ليعقوب ، ليحصروه في نسله وهو « بيت داود » ومن « بيت داود » إلى نسل داود لينحصر بذلك في مملكة الجنوب دون الشمال ! .

وهكذا أعدت الأفلام اليهودية العدة لقيام « مملكة يهودية » صاغت حجر أساسها من مادة وهمية هي هذا « الوعد » به « الأرض الموعودة » ! . هذا « الوعد » الذي لم يكن في واقعه إلا العوبة من ألاعب

السياسة تتوارى خلف ستار من الدين وكان ، في صميمه ، وعداً سياسياً تابعاً لمآرب الساسة من « أبناء يهوذا » ومن أهل الكهنوت منهم الذين ما فرغوا من تسطير تلك الصحائف التي كونت « الأسفار الخمسة » إلا وكان الفتح الفارسي لبابل ، ٥٣٩ ق . م ، وإلا أعاد الفرس من تبقى من اليهود في بابل مرة أخرى إلى فلسطين .

ولكن ، هذا الحدث الذي يعتبر من أبرز الأحداث في تاريخ اليهوديين لم يعد عليهم بما استهدفوه في فلسطين من إعادة « دولة » كانت لهم فيها.. ومن هنا كان استشعارهم الحاجة الى توثيق عرى الرابطة القومية بين الأفراد برباط تمثل في هذه « الأسفار » التي تناولها « عزرا » وأخذ يقرأها على اليهود ، في ذلك الاجتماع العام الذي دعا اليه ، بعض مقتطفات منها هي تلك التي اتخذت من عقيدة « الأرض الموعودة » محوراً وهي هذه التي ما انتهى من قراءتها إلا وأقسم اليهود على أن يتخذوا من هذه « العقيدة » دستوراً يسرون عليه ! . وبهذا عملوا ، فإنهم وإن كانوا قد ظلوا تحت الحكم الفارسي ، بالرغم من المركز الديني الذي منحه الفرس لهم في القدس ، لا قدرة لهم على إبراز نواياهم الى حيز الفعل فإنما العامل الزمني كان قد بدأ عمله في تحويل هذه للعقيدة إلى عقدة نفسية بدأت تستقر شيئاً فشيئاً في أقاصي الضمائر يزيدا مرور الأيام تعقيداً على تعقيد ، ولا سيما عند ما غزا المقدونيون فلسطين وألحقها الإسكندر ، ٣٣٢ ق . م ، بدولة الإغريق . وعند ما احتلها العرب الأنباط ٦٠ ق . م ، وأصبحت تابعة لعاصمتهم « بتراء » وعند ما احتلها الرومان وجعلوا منها ولاية رومانية في أوائل القرن الأول الميلادي .. ولكن ! . هذا اللظى السكامن تحت وماد الأيام كان لابد له من التآجج وهذا ما قد حدث فإن اليهود حاولوا في

هذه المرة استغلال المركز الدينى الممنوح لهم لأغراض سياسية فهاجمهم «تيطس» ، ٧٠ م ، بمساعدة سكان البلاد العرب واحتلّ القدس ودمرها وهدم « الهيكل » وقتل معظم من كان فيها من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة ففر الى مصر وسورية وبلاد أخرى حيث بدأت تطويهم لجنة الأيام وإن كان هذا الحدث لم يجرى بنهاية التاريخ اليهودى من فلسطين إلا عندما جاءت آخر محاولة لهم لإحياء تراثهم فيها وذلك عندما أعلن بعض يهود القدس العصيان على الرومان ودعوا لقيام «مملكتهم» فهاجمهم «هادريان» ، ١٣٥ م ، ودمّر المنطقة اليهودية فى القدس تدميراً شمل من كان قد ظل فيها من اليهود ، ثم أتمّ هدم « الهيكل » وبنى مكان القدس مدينة جديدة . وهكذا أزال الرومان « مملكة يهوذا » من خريطة العالم القديم ولم تبق لليهود بعد هذه المحاولة قائمة فى فلسطين ولم يظهر لهم أى نشاط سياسى استمدقواه من مدد دينى حتى العصر الحديث . .

هذا هو القسم الأول من « اليهود » ، . ولهذا قلنا إنه قسم باد معظمه وذاب فى تيار الشعوب باقيه . .

وأما القسم الآخر فهو الذى ما زال باقياً ولم يزل منتشرأ وهذا يتمثل فى هؤلاء اليهود الحاملين لألوان من الجنسيات المختلفة الذين توارثوا الدين اليهودى الحالى عن أسلاف كانوا أنفسهم ينتمون إلى عدة شعوب كانت تسكن شرق أوروبا وتتسكلم اللغة اللّيدية . . وهؤلاء ، لا تصاهم بالعبريين صلة عنصرية ولا بالإسرائيليين أوشاج قرابة تاريخية فانما هم ينحدرون من قبائل « الخزر » المنغولية المنتمية إلى سلالة القبائل

التركية التي كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحالها إلى شرق أوروبا واحتلالها تلك المنطقة الفسيحة الواقعة بين جبال « الأورال » شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً حيث أقاموا مملكة ضمت كل تلك الأرجاء وكانت من قبل وثنية ثم انقلبت يهودية وهذا هو السبب المباشر في انتشار الدين اليهودي في كل تلك المساطق ثم في امتداده ، من بعد ، إلى سائر بلاد الغرب .

هذه هي الحقيقة كما يقرها التاريخ السياسي وهو يحدثنا عن تقهقر « قبائل الخزر » إلى شرق أوروبا ، عقب طردهم من آسيا في القرن الأول للميلاد ، سالكين الطريق الواقع شمالى بحر قزوين في اكتساح لذلك الشرق الفسيح من أرجاء العالم الغربى حتى أنه لم تنقضى سبعة قرون من الزمن إلا وكانوا قد احتلوا كل تلك الرقاع التي أشرنا إليها وأسسوا مملكتهم الوثنية .. ولما كانت هذه القبائل قد طبعتها طبائع القسوة المتعطشة إلى إراقة الدماء التي كانت تتميز بها شعوب القبائل للمنغولية فقد رغب مسلمو الشرق في أن يرشدوا هؤلاء الخزر إلى سماحة الدين الإسلامى كما رغب مسيحيو الغرب . بالتالى ، في أن ينشروا السلام في أرجاء هذه المملكة الدموية الطبيعية والطابع فكان ذلك ترغيباً لحاكم هذه القبائل في الإطلاع على الدين اليهودى .. وصادف الدين اليهودى من نفس « بولان » هوى ! . فلقد وجد ملك هؤلاء الخزر في الدين اليهودى ، بما يحتويه من طقوس دموية وبما يشتمل عليه من شرائع ، تبيح كل كلمة في قاموس الإباحية ، تفسيراً لأصول دينه الوثنى فاعتنق اليهودية ديناً ، ٧٤٠ م ، ثم تبعته حاشيته فشعبه ثم أعلنه ديناً رسمياً لقبائل الخزر ..

منذ نهاية القرن السابع الميلادى حتى نهاية القرن العاشر عاشت هذه المملكة الخزرية ، التى قامت فى القسم الجنوبى من روسيا بين نهريّ النولجا والدون غامرة شواطئ البحر الأسود وبحر قزوين ، « دولة يهودية » لا يجلس على عرشها ملكٌ إلا إذا كان يهودياً حامياً لهذا الدين الذى أصبح دين هذا الشعب الذى تراوح عده بين ثمانية وعشرة ملايين وكل فرد فيه كان قد أصبح يهودياً والذى لا يعقل ، بداهة ، أن يكون اعتناقه اليهودية كفيلاً بتغيير جنسه ! . فهو ، من الوجهة العامة فى « علم الأجناس » ، شعب ينتمى إلى القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحاله إلى شرق أوروبا ثم تأسيسه فيها مملكة انقابت إلى « دولة يهودية » وإليها يعود الدين اليهودى بأسباب انتشاره فى أرجاء عالم الغرب وذلك عندما تعرضت هذه القبائل الخزرية لغزو الدولة البيزنطية والتجحت فى حروب مع انقبائل الروسية التى كانت تسكن شمال هذه المملكة ، « مملكة الخزر » . . فالتدزم الروس الخزر وهوت عاصمتهم « اتيل » وانطلق الروسيون فغزوا جميع الأراضى التى كانت تتكوّن منها هذه « المملكة الخزرية » وضموها إلى الدولة الروسية وأصبح الخزريون رعايا الدولة الروسية . . ولما كانت هذه الدولة قد بدأ توسعها وامتداد رقعتها حتى أصبحت أقوى الدول فى شرق أوروبا فإنّ هذه الهزيمة التى حلت بالخزر وكان فيها انتهاء « دولتهم » وانهمار قوتهم الحربية هى التى أدت إلى تفشى الدين اليهودى وامتداده ليس فى شرق أوروبا وجنوبها الشرق فحسب وإنما فى امتداده إلى سائر أنحاء العالم الغربى . .

حقبة لقد ظل الخزر فى جنوب روسيا ، داخل نطاق الدولة الروسية ، المجموعة الجنسية المتمازجة بلغتها اللّيدية ودينها اليهودى ولكن

حينما هُزمت روسيا من جيرانها الغربيين ونشأت إثر ذلك تلك الدول الكبيرة في الجزء الشرقى من أوروبا شهد العالم بنشأتها تفشى اليهودية بين الشعوب الواقعة على الحدود الروسية ! . فان هذه الدول ، الغاليسية واللثوانية والبولندية والرومانية وغيرها من الشعوب الواقعة على الحدود الروسية ، لما كانت قد وفقت في غزواتها المتجهة إلى الشرق على حساب روسيا فقد انطلقت تضم الى أراضيها مجموعات من هذا « الشعب الخزرى » . ثم ، بالتالى ، لما كانت حدود تلك المناطق للدول التى قامت فى شرق أوروبا تتغير تغيرات رئيسية ، خلال البضعة القرون التالية على تفكك الدولة الروسية ، فقد كان من نتيجة تلك التغيرات أن وُزع « شعب الخزر » ، الذى كان عدده يتضاعف تضاعفاً مطرداً ، على الحدود السياسية المختلفة والدائمة التغير فكانت أجزاء من أرضهم تُضم إلى روسيا ، وأخرى الى رومانيا ، وأخرى الى غاليسيا ، وأخرى الى لثوانيا ، وأجزاء الى النمسا ، وأخرى إلى أوكرانيا . . . وهكذا وُزعت سلالة الخزر على سائر دول شرق أوروبا وبدأ عامل الزمن ، أيضاً ، يأتى هنا بأثره فذابت ، عن طريق الاختلاط ، الخصائص الخزرية فى الخصائص الجنسية للشعوب التى طوتهم تحت ظلالها . . . وهذه السلالة من الخزر التى تجنست بالجنسيات البولندية والرومانية والأوكرانية والنمساوية واللثوانية ، وهى جنسيات الغالبية العظمى من الصهيونيين ، هى التى كونت هذه المجموعات المنتمية الى جنسيات مختلفة والمنفصلة جغرافياً والمترابطة عقيدة من يهود سائر بلدان العالم الغربى ! .

هؤلاء اليهود الغربيون الذين هم من سلالة الخزر هذه التى وُزعت على الدول المختلفة فى شرق أوروبا هم الذين قد حاولوا ، كما يدل التاريخُ

الحديث ، الاتحاد مرة أخرى ليكونوا « دولة يهودية » على غرار مملكتهم تلك ، « مملكة الخزر » ، التي كانت تتحكم في شرق أوروبا وهؤلاء هم الصهيونيون ! . هؤلاء الصهاينة الذين ، كما ثبت تاريخياً ، لم يهاجر أسلافهم إطلاقاً الى فلسطين ولا من فلسطين ولا تربطهم بفلسطين صلة قومية أو تاريخية ولا تصلهم بأهاها صلة وطنية أو لغوية على الإطلاق هم الذين استطاعوا أن يخفوا عن العالم عليهم أنفسهم بهذا الأصل الخزري الذي ينحدرون منه تحت نداء مدوٍّ من الادّعاء بأن لهم « الحق الشرعي » في امتلاك فلسطين على أساس أنها « أرض موعودة » لهم كمنحة إلهية أُعطيت لآباء لهم وأجداد ! . .

هؤلاء هم الصهاينة الذين تمكنوا ، اليوم ، من افتعال « دولة » لهم في فلسطين ، ليست هي في واقعها التاريخي إلا محاولة جريئة لتجميع هذه الجماعات المنحدرة من آباء وأجداد من الخزر لتمديد عهد « دولة الخزر اليهودية » ! . . والبرهان على ذلك هو أن هؤلاء الصهاينة أنفسهم قد رغبوا ، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى ، في جمع شتات الخزر الموزعين جنسيات مختلفة على دول العالم العربي تحت ظل دولة يهودية تتمتع بالحكم الذاتي في شرق أوروبا ، وليس إلا عند ما تبينوا استحالة تحقيق هذه الرغبة السياسية كان أن اتجه تفكيرهم إلى اختيار مكان آخر يسكنهم إنشاء هذه « الدولة » فيه فأسهفتهم قرائنهم بوسيلة نابذة من قلب دينهم ، ألا وهي « عقيدة الأرض الموعودة » ! . وهذه هي التي سنضعها أمامهم ، بعد صفحات ، في ميزان التاريخ وهذه هي التي مكنتهم من اغتصاب أرض فلسطين ! .

هذا هو في ضوء الحقائق التاريخية أصل الصهاينة الذين يدعون أن لهم « حقاً روحانياً وشرعياً في فلسطين » ١ .
ولكن . .

حتى ندين تماماً أن الحركة الصهيونية التي مهدت لافتتال « دولة إسرائيل » هي أحدث محاولة رمت الى جمع شتات السلالة الخزرية وإسكانها في منطقة جغرافية غريبة عن وطنها التاريخي في أواسط آسيا وإنها ليست في مداها الواقعي حركة دينية على الإطلاق وإنما حركة سياسية تتوارى خلف ستار من الدين ولم تجد وسيلة إلى غايتها إلا في ادعاء أصحابها بأن العبريين والإسرائيليين كانوا لهم آباءً وأجداداً ، نستطيع أن نتساءل ؛

هل يُمكن للخيال ، مهما اتسعت أمامه آفاق التعليـل والاستنتاج ، أن يوجد صلة بين أسلاف هؤلاء الصهاينة من القبائل المنغولية التي كانت تسكن أواسط آسيا وبين القبائل التي عاشت يوماً في المنطقة الجغرافية المعروفة الآن باسم فلسطين قبل اعتناق الخزر الدين اليهودي بنحو ألفي عام وأن ينحدر من سلالتهم هؤلاء الصهاينة الذين يدعون أن لهم حقاً شرعياً في رقعة من الأرض افتعلوا فيها « دولة » بمدد نابع من « كتاب » افتراه رجال الدين اليهودي على الله وموسى معاً ، ثمراحوا يحاولون تسنيد الأركان المتداعية لهذه « الدولة » بمساند أخرى افتعلوا ظاهرها من « الجنسية الإسرائيلية » وأخفوا باطنها وهو « الجنسية الخزرية » متجاهلين بأنه ليس هناك في الواقع التاريخي شيء اسمه « الجنسية الإسرائيلية » ١ . .

هذا هو القسم الثاني من « اليهود » ، وتؤلفه السلالة الخزرية الممثلة في هذه المجموعات المنفصلة من يهود العالم الغربي المنتمين إلى

جنسيات مختلفه تهزهم ذكرى ممالكه كانت لهم في شرق أوروبا وليس لها من ذكرى اليوم في جفن الزمن إلاّ جمهورية صغيرة تقع على مقربة من المنطقة الآسيوية التي نزلت عنها قبائل الخزر .

هذه الجمهورية اليهودية المشار إليها هي « يبروييجان » . . .
وهي واحدة من الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وتبلغ مساحتها رقعتي بلجيكا وهولندا معا وتضم حوالى مئة ألف يهودى وقد أنشئت منذ حوالى ربع قرن من الزمن وأعان إذ ذاك أن الغرض من إنشائها هو إعداد « وطن قومى لليهود » .
ولكن . .

رغم قيام هذه الجمهورية في نطاق الاتحاد السوفيتى فإنّ الحكومة السوفيتية تعد الترويج للصهيونية جريمة معاقبا عليها حتى أنها أغلقت المدارس التي كانت تُدرس فيها اللغة العبرية ، ومن هنا نستطيع أن نلقى ضوءا على موقف الاتحاد السوفيتى يوم أيد مشروع تقسيم فلسطين تقسيما يسمح بإنشاء « دولة يهودية » فيه ونفهم لماذا اتخذت الحكومة السوفيتية هذا الموقف بعد أن حرمت الصهيونية في بلادها رغم إقرارها « إنشاء وطن قومى يهودى » لليهود في « يبروييجان » وذلك لتخلص من شر تحويل ذلك « الوطن القومى اليهودى » إلى « دولة يهودية » !

وأما القسم الأخير من « اليهود » فمنتشر في دُول أوروبا الغربية . وهؤلاء ، كسلالة الخزر ، لا يمتون بصلة عنصرية أو صلة دم تاريخية إلى الشعوب السامية التي كانت تسكن فلسطين وإنما هم ينتمون إلى

جنسيات مختلفة اعتنق أسلافها الدين اليهودي ، وإلى مجزرة هادريان يعود السبب في تهويد هؤلاء .. فان على أثر مجزرة هادريان فر من نجا من اليهود خارج فلسطين هائمين على وجوههم يطوون صدورهم على تعاليم « التوراة » وأمارؤوسهم فمتلثة بأحلام « الأرض الموعودة » هؤلاء المشردون من اليهود إلى جانب التجار منهم وأسرى الحروب هم الذين قاموا بنقل هذا الدين إلى حيث انتقلوا بل بلغوا به إلى شعوب القبائل في شمال أفريقيا حتى مراکش كما بلغوا به الصين والهند وإلى الأفطار التي تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشالى وبذلك انتشر الدين اليهودي بين شعوب كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة ولذلك نجد في كل شعب من شعوب العالم وفي كل جنس من أجناسه المختلفة تجبوعة تعتنق الدين اليهودي ديناً ! .

هؤلاء هم « اليهود » بما ينقسمون إليه من أقسام .. لا يؤلفون « شعباً » ولا « جنساً » وإنما هم يكونون « جماعة دينية » مكونة من عدة أجناس وأصول ..

وهؤلاء الذين تهودوا من ذوى الجنسيات المختلفة والأصول المتباينة والبيئات المتنافرة والذين لا تصلهم بالعبريين صلات قرابة أو عصبية ولا بأباء إسرائيل ولا بإسرائيل ولا بأبناء إسرائيل أو شاج نسب يسمون أنفسهم « عبريين » تارة و « إسرائيليين » تارة أخرى ويدعون أن فلسطين وطن موروث لهم عن آباء لهم وأجداد ومنحة إلهية جاء بها « الوعد » لهم على لسان هؤلاء الأسلاف ! .

من ثم حتماً علينا ونحن إنما نلج إلى لجة التاريخ بحثاً عن

« الأصول » و « العوامل » و « الأسباب » التي عقدت في جبهة الزمن « مشكلة فلسطين » أن نعود إلى تلك العهود التي تقدمت مطلع هذه « المشكلة » على التاريخ وهذا يدفع بنا إلى التغافل في عهود موعظة في القدم وأن نتبع المعاول الأثرية وهي تسير بنا على هذه الناحية التي يحدها شرقاً جبل الزيتون ويترامي عليها ظلال حوريب أو جبل صهيون في امتداد إلى البحر الميت حتى يغيب في وادي الأردن بينما تحمل منا اليد « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي وتنشر منه الصفحات بين دوى هدير الزمن في عبوره على هذه « الأرض الموعودة » وهو يقطع عليها الأجيال ! ..

الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

على صليل المعاول الأثرية التي أزاحت الشجف الفاصلة بين التاريخ وبين ما قبله وبيننا وبين الزمن في ليله وسحره وفجره نطل على الماضي من خلال الأطلال وعلى هذه الناحية من الأرض الفريدة في أهميتها التاريخية من حيث تمسك اليهود بشرعية ملكيتها نطوى التلال حتى ينثنى بنا الزمن عائداً إلى الوراء . .

ومن هناك . .

منذ بدأ هيكل هذه البقعة يتكون وتؤثر العوامل الجوية بفعلها فتنتحت فيه هذه المعالم من جبال وسفوح وأنهر ووديان وتظهر القبائل البشرية في تجمّع وفي انقراط يبدأ بنا الزمن من لجة هذا الماضي البعيد له استرسال عابراً إلى التاريخ عبر عصور ما قبل التاريخ المنقسمة إلى أقسام رئيسية ثلاثة ، في تمهل عند كل عصر على حدة . فهو لا يقطع بنا « العصر الحجري القديم » طويلاً عهوده الثلاثة ، الأسفل والمتوسط والأعلى ، إلا ليهدينا إلى أول أثر لبقايا الإنسان قاوم تأثير الزمن فأمامنا مطروحة العظام والآلات التي نحتها صاحب هذه العظام من أحجار الطران مهمة على شواطئ الأنهار وتحت طبقات سميكة من الحصى الذي دحرجته المياه ، دليلاً على أن وجود الإنسان لا يرجع إلى أزمان سحيقة سبقت هذا العصر الحجري الأول فحسب ،

ولإنما على أن الجنس البشرى قد بدأ يرتقى أولى مدارج التطور في نفس هذا العصر الذى جاء فى نهاية تقهقر عصر جليدى وبرهان ذلك نفس هذه الآلات التى لا تتناولها إلا لنرى صورة إنسان ذلك العصر على صفتها والا لتبينه ، بالرغم من بدائية هذه الآلات الدالة على مستواه المنخفض فى شجرة الحياة ، إنساناً بدأ يسيطر بذكائه على الحيوان وبدأت معالم البشرية تبرز فيه أوضح من ذى قبل .. هذه المعالم التى ما اشتد بروزها إلا وكان ذلك إيذاناً بانتهاء هذا العصر وبداية «العصر الحجري المتوسط» مع عصر جليدى آخر هو الذى دفع بإنسانه من غصون الأشجار إلى أغوار المغاور وطوايا الكهوف حيث عثرنا فيها على مجموعة من هياكله مطروحة الى جانب مخلفاته هى آلاته التى اصطنعها من النحاس ومن الحديد وتركها أكواماً تماسكت بفعل الترشيح المختلط بالمواد الجيرية .. هذه الأكوام من الرواسب هى سجلات تاريخ ذلك العصر وتاريخ إنسانه الذى تساوت مرتبته فى هذه المنطقة والمرتبة التى عليها فى غيرها من مناطق الشرق الأوسط القديم استجابة لوحدة الجو التى كانت فى كل هذه الجهات متشابهة ، وبالتالى ، لطبيعة الحياة التى كانت على ساحل البحر الأبيض المتوسط كله واحدة .. هذه الحياة التى امتدت خطاها الى أن تعتلّى مدارج التطور نحو رقى جديد ما بدأت معالمه تتّسم فى كل هذه الجهات بالوضوح إلا وكان ذلك الإيذان بانتهاء هذا العصر وبداية «العصر الحجري الحديث» . وهذا العصر الذى بدأ منذ حوالى عشرة آلاف سنة ق . م . هو فى الواقع فجر الأزمان الحديثة ، لا لأن بدايته تتفق مع عصر تقهقر الجليد الذى ما زال إلى اليوم فحسب ، ولا لأنه عصر نهضة الصناعة وبداية استعمال المعادن من الذهب والنحاس فحسب ، ولا لارتباطه « بالعصر المعدنى »

الذى يليه ويتداخل فيه فحسب ، وإنما لأنه العصر الذى أخذت فيه الأحوال العامة للانسان تتغير تدريجياً ففيه أخذ أفراد القبائل يجتمعون فى قرى ويكونون « الشعوب » وفيه بدأت هذه الشعوب ، فيما بينها ، تاريخ التصارع والصراع على امتلاك رقاع هذه « الأرض الموعودة » ! .

منذ فجر التاريخ بدأت رواية الصراع على امتلاك هذه الرقعة من الأرض التى كانت بحكم موقعها الجغرافى جسراً يصل الشرق بالغرب والغرب بالشرق وممرأ من الجنوب، حيث الجزيرة العربية ، حتى الشمال ، حيث أفريقيا الشرقية بينما كانت يد الزمن عاملة من خلال هذا العصر فى نشر طبقات من البشر أبت إلا الاحتفاظ لنا بسماتهم وهى تطويعهم فى طبقات هذه الناحية من الدنيا وخاصة فى كهوف « الكرمل » وفى جنوبى « الناصرة » ولتأتى المعاول الأثرية بهم إلينا وهى تطرح تراب الأجيال عن هياكل لهم وجماجم وجدناها متحجرة فى الكهوف وتزيح الركام عن طبقات أربع علت بعضها بعضاً فى « بيت يراه » دليلاً على أن هذه الرقعة من الدنيا قد امتلكها فى غضون هذه الفترة الزمنية شعب تنالت عليها أفواجه من شبه الجزيرة العربية فى تدافع حتى بلغت فئات منه وادى النيل حيث حلت هناك قبائل وفى أحضانه استقرت استقراراً امتد عبر مدى من الزمن غير قصير يدل عليه ما قد وجدناه من محلات لهذا الاستقرار فى العباسية والمعادى وحلوان . . هذا بينما كانت الأفواج التى خلفت عن مواصلة الترحال إلى وادى النيل قد اغتمرت اغتاراً كلياً هذه الرقعة من « الأرض الموعودة » وانتشرت فى أرجائها لتصبغها بلون تحضرى

لم تهت ، بعد ، منه المعالم فما زالت معالم ذلك التحضر ، وخاصة في « جريكو » واضحة فيما تركه لنا هذا الوافد الجديد وراه من المعابد والمذابح والحاريب التي غصت بها مناطق هذه الناحية غداة كانت الفلول من هذه الأفواج تترج على هذه السفوح والوديان قبل أن تطويهم طياتها وتحفظ لها يد الزمن بهياكلهم هذه وجاهجهم التي لا تسلط عليها أضواء « علم الأجناس » إلا ونعود مقتنعين بأن العنصر من هذا الشعب كان « سامياً - حامياً » وإن كان لفظ « سامى » ولفظ « حامى » لا يجوز ، علمياً ، إعطاؤهما أية دلالة جنسية لأن غاية ما هنالك أنهما يمثلان فرعين من سلالة البحر الأبيض المتوسط كوننا هذا الوافد الجديد الذى يطلع علينا من ثنايا العصر الحجري الحديث مستهلاً أول فصول رواية الصراع البشرى على ملكية هذه « الأرض » عندما راح مساحاً بأساحه أحدث مما سبقها وأكل يغزو القبائل التي سبقته في الانتشار على هذه الرقعة ، ويقتطع عليها مراحل العصر الحجري الحديث حتى النهاية معلناً لنفسه حق امتلاك هذه الناحية من أرض تمثل مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم ! .

بهذه المقدمة استهلّت السطور الأولى من قصة الصراع البشرى على هذه الرقعة من الأرض ، وهى قصة وإن بهتت منها المعالم فى أبعاد ما قبل التاريخ إلا أنها قد أخذت فى الوضوح شيئاً فشيئاً بمطلع التاريخ غداة بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتها البشرية . .

في أعقاب ذلك التغير الذى طرأ على جو بلاد العرب خلال العصر الحجري الحديث ، نتيجة للتغير الذى طرأ على جو العالم وأدى الى ذوب ثلوج العصر الجليدى الأخير ، بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف موجاتها البشرية الى خارجها . . فموجة الى وادى الفرات الأدنى وموجة أخرى الى وادى النيل ، وموجات أخرى تتابعت لتجهز « الهلال الخصيب » وأكثر من ناحية من نواحي الشرق القديم بالسكان وتطبعه بالطابع العربى الأصيل . .

وهذا هو الواقع فإن جو شبه الجزيرة العربية لم يكن ، لشطر كبير خلال العصر الجليدى الأخير ، على النحو الذى نعهده الآن . . فقد كانت الرياح الغربية المشبعة بالرطوبة والبرودة تصل اليها وتنزل عليها ، فى جميع فصول السنة ، الغيث المطير والمحيط الهندى أو بالأحرى فرعه ، الخليج العربى ، كان بالربع الخالى فيها متصلا مما جعلها بأوساطها وأطرافها خضيرة التربة شجراء الأرجاء ، تسكتنفها الغابات وتتخللها الآبار وتجرى على صفحتها المياه بما كان فيها متفجراً من العيون . ولهذا كانت مزهوة مأهولة آهلة بالعمران وعامرة بطبقات من البشر . . غير أن التغير الذى طرأ على جو العالم فأذاب ثلوج العصر الجليدى بالتدريج . قدأصابتها تدريجياً ، أيضاً ، بالتغير الكلى الذى جاء بأثره فى غضون العصر الحجري الحديث فان هذا التغير الذى وقع بفعل العوامل الطبيعية وأدى الى انحباس المطر قدأدى الى هبوب العواصف والرياح السموم وإلى هياج الحرات فحُفَّت رطوبة التربة وزاد فيها الجفاف وتحولت إلى يبوسة أماتت ، بالتدريج ، الزرع وهيَّجت سطح القشرة الأرضية فحولتها إلى رمال

هو تراب ثم صحارى راح يشح فيها النبات ويجف فيها الماء . . هذا الجفاف الذى أصاب بلاد العرب وهبط بمستوى الماء فيها عدة أقدام يُبدّل ، بفعل تبدل جيولوجى يطرأ فى باطن الأرض ، طعم المياه وغيّر مجاريها وأدّى إلى تحويل الأرض إلى بقاع صحراوية غاضت فيها الآبار واختفت فيها العيون كان له الأثر الفعّال لا فى تاريخ العرب فحسب وإنما فى تاريخ الشرق الأوسط القديم على وجه التخصيص ، لأنّ هذا الجفاف الذى أصاب شبه الجزيرة العربية قد جاء بأثره فى حالة الساكنين فيها فدفنهم التّقى التّنقل منها إلى مواضع أخرى تتوافر فيها شروط الحياة ! .

ومن هنا بدأت شبه الجزيرة العربية تقذف إلى خارجها موجاتها البشرية . . وإذا كان علماء الشرق القديم يختلفون فى تحديد منقطة فى شبه الجزيرة كمنبع كانت لهذه الهجرات « السامية » المتتالية والمتوالية فذهب بعضهم إلى أن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما منقطة « نجد » ، هو منبع الساميين بينما ذهب البعض الآخر إلى أن « العَرَض » ولا سيما « البحرين » هو ذلك المنبع وذهب آخرون إلى أن الجنوب هو ذلك المنبع فليس الا لتتضافر آراؤهم عند اليقين بأن الموطن الأصلى لجميع الساميين هو جزيرة العرب وأن من هذا ينبوع العربى قد تدفقت طبقات من البشر وسكنت كل بقعة اتسمت بالسامية وبرهان ذلك هو أن جميع الآثار السامية تشير إلى أن جزيرة العرب هى الموطن الأصلى الذى ظهر فيه الساميون فلقد ثبت ، علمياً ، أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الاثنولوجية لأقوام أكثر من ناحية من نواحي الشرق الأوسط القديم وليس

ذلك إلا لأن من هذا المنبع خرجت منذ منتصف الألف الرابعة ق . م تلك
الموجة التي اتجهت الى الشمال الشرقى وفي وادى الفرات الأدنى حلت ومنها
نشأت حضارة البابليين والآشوريين بينما اتجهت أخرى الى وادى النيل وفيه
حلت ومنها نشأت الأسرات الأولى في مصر القديمة . . .

وهنا . . .

هنا ينبغي بنا أن نتمهل قليلا فنقول ؛

لا جدال في أن وادى النيل كان مأهولا منذ عصور ما قبل
التاريخ يقوم من الجنس « الحامى » نشأ من البلاد نفسها ومن نفس القارة التي
يقع فيها هذا الوادى وينسب إلى لوبيّ أفريقيا الشمالية المسمين الآن بالبربر
كما ينسب الى « الصوماليين » من سكان أفريقيا الشمالية الشرقية غير أنه
عند نهاية « العصر المعدنى » نجد بعض التغير قد أخذ يدخل على هذا الشعب
الحامى الجنس الناشئ من طبيعة هذه القارة نفسها وأن هذا التغير ، الذى
كانت له مميزاته الخاصة التي تختلف اختلافاً بيناً عن الشعب الأصلي ، آسيوى
العنصر دخل وادى النيل خلال العصر الحجري الحديث كموجة امتدت في
غير عذف من شبه الجزيرة العربية واغتمرت وادى النيل . وإذا كان علماء
التاريخ القديم يختلفون في تحديد الجهة التي دخلت منها هذه الموجة العربية الى
وادى النيل فذهب بعضهم الى أنها جاءت عن طريق البحر الأحمر من
جهة « فقط » وأنها عن طريق أعلى وادى النيل اتجهت من الجنوب
عبر اليمن وأرض « بونت » فى الشاطئ الجنوبى للبحر الأحمر من الجانب
الآسيوى ودخلت الوادى حتى « القصير » على الشاطئ المصرى ثم تابعت المسير

إلى « أبيدوس » في مصر الوسطى ومن هناك غزت باقي الوادى بينما ذهب آخرون الى أنها اخترقت سورية وعن طريق فلسطين فسيناء دخلت شرقى الدلتا ومن ثم انتشرت فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى ، ويعزز هذا الرأى الأخير أن الحضارة فى مصر قد بدأت فى الدلتا فى نفس الوقت الذى زحف العنصر العربى على الوادى ودخل مصر تدريجياً وبغير عنف وأحضر معه حضارة أرق من حضارة الجنس الحامى الذى لم يكن يعرف إلا الآلات والأوانى الحجرية بينما تزداد معالم هذا العنصر العربى وضوحاً بالذين أسسوا الأسرة الأولى فى مصر . . . فإن الذين أسسوا هذه « الأسرة » ، عام ٣١٠٠ ق . م ،^(١) وخافوا أضرحة أبيدوس وقبور « نجادة » ليسوا إلا سلالة شعب عربى أدخل إلى الوادى معرفة المعادن وعلمه استخدام الذهب والنحاس والبرونز وفن البناء بالطوب وأدخل اليه الكتابة ، أداة كل تقدم وتنظيم . .

هذا الشعب هو الذى أصبح « الجنس الحاكم » وهو الذى وحد البلاد من أسوان إلى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد ظهرت فى عهده الكتابة المصرية واتفقت المصادر التاريخية على أنه « مينا » . .

وهنا . . لنا فى هذا الصدد ، كلمة وهى ؛ ألا يجب علينا أن نصحح أوضاعاً تاريخية نستبدل من جرائها نظرتنا إلى مؤحد مصر القديمة الذى يطلع علينا ، تحت أحداث أضواء العلوم التاريخية ، عربياً ، وبالتالى إلى مصر بالذات التى تطلع علينا ، منذ فجر التاريخ ، عربية ؟ .

(١) كانت اتجاه علماء التاريخ المصرى فى بادىء الأمر إلى أن حكم « مينا » يقع فى عام ٤٧٧٧ ق . م ولكن « المعهد الشرقى » بشيكاجو انتهى إلى تحديد عام ٣١٠٠ ق . م وهو الذى يأخذ به علماء الآثار المحدثون .

لا جدال في أن الأثر السامى العربى قد ترك طابعه على مصر القديمة واضحاً في عهد الأسرة الأولى وأن وضوحه قد اشتد إبان الأسرة الرابعة بالرغم من ذلك الاندماج الكلى الذى كان قد أصبح محسوساً بين « الجنسيتين » والذى كان يتخذ مجراه عبر الزمن بينما كانت شبه الجزيرة العربية تواصل قذف موجاتها لتمد الهلال الخصيب ، حتى منخفض نهري الأردن والعاصمى بسورية ، بأفواج أخرى من البشر .. ومن أشد هذه الموجات هديراً كانت تلك التى امتدت ، حوالى عام ٢٥٠٠ ق . م ، وأحلت « الكنعانيين » فى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية وعلى شاطئ السهل الفلسطينى الذى لم يكن قد أُطلق عليه هذا الاسم بعد وكان يسمى إذ ذاك « شبلاح »^(١) .

ومن هنا يستبين لنا تماماً أن « الكنعانيين » من أصل عربى بحت . فهم من القبائل العربية « البائدة » التى استوطنت هذه البقعة من الأرض وأنشأت فيها حضارة أثبتت الكشف الأثرية الحديثة تاريخها وامتدادها من غزة جنوباً إلى « رأس شمرة » شمالاً حيث عجت بها شواطئ « البحر الميت » وتلال الأردن وواديه كما زخرت بها مداخل الأودية وأضفة الجداول وحواشى العيون بينما كان التيار الزمنى يسير هادراً على مناطق هذا المفرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط القديم ويقتطع عليها « العصور البرونزية » . عصرراً حتى العصر الرابع والأخير الذى ينتقل بنا إلى مرحلة تنقالية جديدة امتدت من القرن الثالث والعشرين إلى القرن الحادى والعشرين ق . م . وهى الفترة التى ساد الكنعانيون خلالها هذه المنطقة وامتلكت قبضتهم تمام

« SHEPLAH » (١)

الامتلاك الفاصية السياسية لهذه البلاد بينما راحت يدُ الزمن من حولهم تُحوّل اسمها من « شبلاح » إلى « أرض كنعان » . .

هذه الأرض ، « أرض كنعان » ، هي الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة » وهي ، بالتالي ، الإطار الذي ظهرت فيه على التاريخ صورة العبريين ومن هنا يتجتم علينا كيانا نستبين تماماً هذه « الصورة » أن نظوف ، للمحات ، بأرض كنعان وعصر كنعان بل وبهؤلاء الكنعانيين أنفسهم الذين تواترت عنهم الروايات النابعة من قلب تاريخ هزته هزات الخيال فراح يروى أنهم عنصر يعود بأسباب انتشاره الى شخصية حملت اسم « كنعان » وأن كنعان هذا كان ابناً لشخصية أخرى حملت اسم « حام » وهذه رواية تدفع بنا إلى الإطار قليلاً لنقول ؛

إننا إذا كنا نعرف أن الاسم الذي يُطلق على الأرض الواطئة هو « كنعان » ، كما لا تزال مادة كنع وقنع وخنغ بهذا المعنى في لغتنا العربية ، لا يسعنا إلا أن نُفكّر في هذه الرواية التي تُجسّد هذا الاسم وتجعله أباقبلياً جاء إلى مفرق الطرق هذا بأبنائه ، اليبوسى والعمورى والاروادى والعرق والجرجاشى والجمامى والحوى والعمارى والسنى وحث وصيدون ، وأن إلى ما تفرع من هؤلاء الأبناء يعود بأسباب انتشاره هذا العنصر .. فهذه رواية وكأنا ما هي قد دلفت إلينا من عهود الأساطير لأن هذا العنصر لا يتجلى تحت ضوء التاريخ الحديث إلا سلالة موجهة من « العرب البائدة » قدفتها شبه الجزيرة العربية إلى حيث امتدت بها الحياة إلى عهود

تركت منها الأثر في بعض ما تحمله جوانب هذه الأرجاء من أسماء ما زالت ، حتى اليوم ، بها عاقلة بما يقوم عليها من مدن وبما يجري عليها من أنهر وبما يشتمخ عليها من جبال . ومثلاً على ذلك يأتي في المقدمة اسم « صهيون » ..

إن كلمة « صهيون ، نفسها ، وإن كنا لا نجد لها أصلاً متفقاً عليه في اللغة العربية ، عربية الأصل ، وأكثر الشُّراح يرجعون أنها من مادة الصون والتحصين . لأن هذا الجبل كان فعلاً من حصون الروابي العالية . والمقصود بالعربية هنا لغة الأصلاء من أبناء شبه الجزيرة العربية الذين سكنوا هذه البقعة من الأرض قبل هجرة العشيرة العبرية إليها بزمن غير قصير . وهؤلاء الأصلاء من « العرب البائدة » الذين أطلقوا على الأرض اسم « كنعان » ليلحق بهم هذا الاسم بينما اختفى معناه في طيات لغتنا العربية ولم تبق إلا مادته من خنع وقنع وكنع هم الذين أطلقوا على هذا الجبل اسم « صهيون » وليختفى ، اختفاء الأصل من كلمة كنعان ، الأصل من كلمة صهيون كاسم عربي قديم أطلق على هذا الجبل إلى جانب ما أطلق على بعض بقاع هذه الأرجاء من أسماء لأن كان أقدمها تلك التي جاءت للأنهر والجبال فإنما أحدثها هي تلك التي جاءت في غضون الألف الثاني ق . م للمدن مستمدة ، أصلاً ، من المذابح والمعابد والمحاريب . فلقد كان إذا طاب لأب قبلي مكانٌ واعـتزم فيه الاستقرار فأول شيء كان يبدأ به هو أن يقيم مذبحاً أو محراباً وبجانب هذا المحراب أو المذبح الذي يرتفع على مدارج الأيام إلى « بيت » يليق جانباً عصا الترحال لتتصرف به الأيام وهو إلى جواره قد خلد لا يغادره إلا غراراً وإلا لعودة إليه من جديد . . فقد كان قيام هذا « البيت المقدس » يكفل لمن يقيمه

مقاماً ويوطد له مكانة كانت قد رفعته اليها الأيام يوم نشرته أباً لقبيلة يتف
هو فيها الكاهن والقاضى ، وبالتالى الملك والحاكم المطلق لمدينة لم تلبث
أن نشأت بنشأة هذا « البيت » وعمرت بالعماير المتفرعة من أنشأه كآب
قبلى . . ومن أسماء هذه المدن المستمدة من هذه « البيوت » ما زالت
ترن فى مسمع الحاضر من شذوق ذلك الزمن البعيد أصداء تتجاوب من حول
عدة « بيوت » . : منها « بيت يراه » و « بيت لحم » و « بيت اناث »
و « بيت مرسيم » و « بيت شماس » وأما أوقع هذه الأصداء فى مسمع
الزمن فما زال « بيت إيل » أو بيت الإله .

وهنا . . هنا يتمهل بنا الفكر للحظة أمام هذا الاسم ، اسم
« إيل » وهو الأصل من الكلمة العربية « إله » بينما يسبح منا التفكير
مستعرضاً هذه القبائل من « العرب البائدة » التى ترنمت بهذا الاسم حتى
تجاوب منه رجع الصدى بين أرجاء هذه البقاع منذ فجر الزمان حتى نضاه .
هذا الاسم المدوى بالجلال والقداسة هو الذى حملته كنعان فى موكب التاريخ
وعرفته خاصاً بالإله واختصته بساكن السماء الحاكم من ملكوتها هذا
الوجود الذى له قد خلق والذى عن الإعراف بألوهيته والاتجاه بالتعبيد لم ينحرف
فرع من فروع كنعان وعن التضافر من حول عبادته لم تشذ من المدن
الكنعانية مدينة وذلك فى اتباع لمدينة « ييوس » العاصمة السياسية لهذه
البلاد فقد كانت « ييوس » ، عاصمة كنعان بالأسس وأورشليم اليوم ،
مركزاً لعبادة « إيل » ومركزاً . .

وهنا عند ذكر « ييوس » نقول إنها مدينة استمدت اسمها

من قبائل اليبوسى وأنها كانت قاعدة لهذه القبائل من اليبوسيين ولم تعرف باسم «أورشليم» الا في خلال تلك الفترات التي استغرقت المرحلة الأخيرة من العصر البرونزى الأوسط الى نهاية العصر البرونزى الرابع والأخير أى بعد الانصباب البشرى الذى اتخذ مجراه آتياً من سورية ومن بلاد ما بين النهرين وخاصة من ضفاف الفرات الأدنى فإن مما وجدناه من الكتابة الإسمينية ، التي نعرفها بالمسمارية ، وخاصة على ضفاف الأورنتس وفي « حماء » ، نعلم أن اللغة البابلية التي غدت حوالى الألف والأربعمئة ق . م لغة السجلات الرسمية في « أرض كنعان » ، هي الدليل القاطع على أن مفرق الطرق هذا قد غدا ساحة للصراع البشرى فخيما سرنا في جوانب مفرق الطرق هذا وجدنا آثار التدمير تطل علينا من أطلال الحصون ، ولا سيما في « تل بيت مرسيم » بينما ينبعث من ثنايا الأنقاض رجوع الصدى يحدثنا بسيرة هذا التنازع وهذا النزاع المستهدف من وراء ملكية مفرق الطرق الرئيسى هذا ذى الاتجاهات الأربعة الرابطة بين أطراف الشرق القديم إصابة الهدف المتمثل في امتلاك ناصية الشرق الأوسط من كل الأطراف .

حرى بنا من ثم أن نحتكم إلى الآثار وعليها أن نسير على هدى المعاول الأثرية فننبع مرامى ذلك الارتحال « العراقى - السورى » الذى اشتد هديره إبّان القرن الثامن عشر ق . م والقرون التالية غاصراً من أرجاء الدنيا هذه الأرض ، أرض كنعان . . فإنما على هدى هذه المعاول الأثرية نرى أضواء التاريخ وتنحسر البقاع عن مدن مستقلة نراها قد نشأت على غرار ما قد ترك المرتحلة وراءهم من مدن الرافدين والتي لم تقم هنا إلا كما

قامت هناك من حول محراب أو مذبح كان ، حتماً ، أن يقوم بقيامه « بيت » يُتَّخذ للعبادة مكاناً وللتعبد قبلة اتباعاً لتقليد قديم كان قد سار به هناك العرف وكانت قد جرت هناك به العادة وهذا إذا استثنينا مدناً أخرى كانت أسماءها تستبدل بأسماء لم تسكن في واقعها إلا تكراراً لأسماء مدن كانت لم تزال قائمة عهد ذاك في بلاد ما بين النهرين ، ومثلاً على ذلك تجيء في المقدمة مدينة « ييوس » فان هذه المدينة التي كانت قاعدة لقبائل اليبوسى أو اليبوسيين لم تُعرف باسم « أورشالم » ، أى مدينة سالم أو مدينة السلام ، إلا غداة ارتحل إليها المرتحلون من أبناء الرافدين ، وهم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم الذى لم يكن نفسه ، إلا لرجع العبدى لما كان هناك يتجأب في جنوب الفرات من اسم كانت قد أطلقته الإمبراطورية السوميرية على عاصمتها السياسية التى أنشأتها على ضفة الفرات الأدنى والى عرفت خلال العصور التاريخية للرافدين باسم « أور » . . فنجد حوالى الألف الخامس ق . م حتى مغرب الإمبراطورية البابلية الأخيرة والآخرة فى القرن الخامس ق . م ظل عالماً بهذه المدينة هذا الاسم السوميرى والذى تجأب رجع صدهاء على « أرض كنعان » فى عهد كانت الأضواء المصرية نفسها قد انسابت عبر « بيت مرسيم » غامرة النواحي الجنوبية من « أرض كنعان » فى امتداد صوب الشمال .

وفى الواقع أن الأضواء المصرية كانت قد انسابت إلى « أرض كنعان » منذ أمد غير قصير وإن كانت خيوط امتدادها لم تتحدّد تحديداً جلياً إلا فى عهد الأسرة الثالثة عندما نشطت التجارة نشاطاً تاماً بين مصر

وبين الرافدين . وكأنا « سنفرو » كان قد فطن إلى أهمية مفرق الطرق هذا فهُدِّدَ لامتداد السيادة المصرية عليه تمهيداً هو هذا الذى بنى فى « وادى طميلات » ، وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء إلى فلسطين ، نقطاً محصنة تخللتها معابد « سبتو »^(١) ، رب الشرق . وبذلك وطد سلطان مصر فى سيناء ونظم المواصلات وأمن القوافل فى صعودها من مصر وهبوطها إليها مستهدفاً إنشاء دولة متحدة ثابتة الدعائم عاصمتها مصر التى جعل منها قاعدة للحياة الإقتصادية ومحوراً لهذه الحياة فى عالم الشرق القديم مما تستطيع يدنا ، بهديه ، أن تمتد فترسم أشعة مصرية تنساب من النيل مخترقة شمال دمشق إلى أواسط تلك الرقاع التى سنعرفها من بعد باسم « فينيقيا » حيث تتلاقى بأشعة أخرى تنساب من الرافدين . .

هذا العهد الذى تتلاقى فيه أشعة النيل بأشعة الرافدين على « أرض كنعان » إنما هو ، نفسه ، نفس العهد الذى يمثل التربة التى ألقيت فيها بذرة « الأرض الموعودة » فالزمن إنما هو الزمن الذى يتفق تاريخياً وعصر « آباء التوراة » .

(١) « SEPTU » .

الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »

يستهل هذا العصر المعروف بالعصر البطريكي تاريخه بمن اليه ، كما يقول « العهد القديم » ، تعود بأبوتها « إسرائيل » رجالاً وجماعة غداة استهل هذا « الأب » مطالعه على التاريخ من خضم ذلك الارتحال الذي اتخذ مجراه من ضفاف الفرات الأدنى إلى « أرض كنعان » . . فنحن اذ نفتق خطى هؤلاء المرتحلة الذين تدافعوا قبائل وفرادى يجمع شعنتهم أكثر من قائد ويوحد بين أهدافهم استهداف هدف واحد يتلخص في امتلاك رقعة من أرض جرى بينهم عنها التعبير بأنها « أرض بالدين والعلل تفيض » فليس إلا لانتتبع من بين هؤلاء القادة فرداً واحداً يناديه التاريخ العبري باسم ؛

تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر

ولكن . .

عند « عابر » ينبغي بنا أن نتمهل قليلا وأن نستعمل التاريخ عن الاسترسال ، للحظة ، خلالها نستوضح الحقيقة من هذا الاسم . لا لأن « عابر » يُعرف باسم « هود » وإنما لأن الأقلام قد حارت بحثاً عن الأصل من كلمة « عبري » حتى توقّف الكثير منها عند القول بأن « بنى إسرائيل » قد

عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى أبيهم « تارح » لأنه قد عبر النهر ، أى أنه أتى من وراء النهر ، نهر القرات ، إلى « أرض كنعان » . يَبْدَأُ إلى هذا السبب لا يعود اسم « عبرى » فليس هو بصفة لحقت بتارح اكلا ولا هو باسم موجة بشرية أو قبيلة من القبائل التى كانت تواصل وراء العيش المسير وإنما هو ، كما يتجلى من ثنايا التاريخ ، لقب عائلة واحدة جاء بها « تارح » إلى « أرض كنعان » ولما كانت هذه تعود بنسبها البعيد إلى « عابر » . . فقد عرف أبناؤها بالعبريين كما نسمع ذلك من الشفاة الكنعانية غداة أطلقت على « ابراهيم » هذا النعت وعرفته « بالعبرانى » وليأتينا بذلك الدليل على أن هذه النسبة إنما هى نسبة إلى جدّ وليست نسبة إلى قوم وعلى أنه ليس إلّا إلى « عابر » ، هذا الجدّ الأعلى الذى ينتمى اليه أفراد العشيرة العبرية ، يعود السبب الحقيقى فى جملهم هذا الاسم الذى سبق أن ورد ذكره فى النصوص المصرية القديمة تحت اسم « خبيرو » ولا غضاضة فى ذلك ، لأنه ليس هناك أى اختلاف بين الكلمتين . فان حرف ال « خ » يساويه حرف ال « ع » فى اللغة العبرية التى كان لابد أن يرجح فيها الحرف الأخير على الحرف الأول نسبة إلى « عابر » والى جاءت ، بالتالى ، كقرع من اللغات السامية نسبة إلى تلك الشخصية التى تقف فى المنتصف من سلسلة نسبهم التى يرتقون بحلقاتها من عابر ، عبر « شالح » و « ارفكشاد » إلى « سام » . .

و « سام » ؟ .

من هو « سام » ؟ .

ومن كان « سام » ؟ ..

سؤال ، نلقيه إلى مؤلف السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى مع علمنا بأن شجرة الأنساب الواردة فيه لاتقوم على أسس علمية وإنما على بواعث محض عاطفية ..

ومن هذا المؤلف اليهودى يحىء الينا الجواب عبر الأصحاح العاشر من هذا السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » ، « سفر التكوين » قائلا ؛ . بأن « سام » أبو كل بنى « عابر » .. وأن عابر هو ابن شالح بن ارفكشاد بن سام .. وهذا الجواب يُحتم علينا أن نناقش ، مناقشة علمية ، « قصة سام » ..

ولكن ..

نحن إذ نناقش « قصة سام » مناقشة علمية يتحتم علينا العودة إلى عهد متوغل فى القدم من تاريخ بلاد ما بين النهرين وبالتحديد إلى تلك الفترة الزمنية التى اتخذ فيها القدامى مساكنهم فوق مستوى تلك التربة الخصيبة التى كوّنوها نهرا الدجلة والفرات عند وصولها إلى البحر من تراكم الرواسب التى تحدت مواردها من جبال أرمينيا ومن حيث ينبجس هذان النهران ، وحتى يصل بنا هذا التاريخ إلى سنة ٢٢٢٥ ق . م ، السنة التى حُددت فيها تواريخ الأسرة البابلية الأولى فى التقويم العالمى والتى تعد من أهم السنين فى تاريخ الشرق الأوسط لأنها السنة التى نادى خلالها « سومو — أبوم » العمورى بنفسه ملكا على بابل بعد أن قوض الإمبراطورية السوميرية

الأولى في «أور» وقضى على عائلي «لارسا» و «إيسين» وبسط نفوذه على سائر أرجاء بلاد ما بين النهرين جامعاً في سلطان واحد وبصفة نهائية نهاية المنطقتين . . .

حدث كهذا كان لا بد أن يُخالد اسم «سومو-أبوم»
في ذاكرة ذلك التاريخ . .
والآن . .

نحن إذ نعرف أن ترجمة اسم «سومو-أبوم» هي
الأب سام فليس إلّا لنذكر بأن معرفتنا بترجمة هذا الاسم ليس ، نفسه ، إلّا
الضوء الذي نلقيه على «سام» هذا الذي يقول عنه مؤلف «سفر التكوين»
بأنه «أبو كل بني عابر» . .
أجل . .

لا جدال في أن تاريخ بلاد ما بين النهرين قد ضم أكثر من
واحد حمل هذا الاسم . بيد أن ذاك الذي ترك أثره في وعى الزمن ، بهذه
الصفة التي يذكرها مؤلف «سفر التكوين» ، كان «سومو-أبوم» أو
«الأب سام» هذا الذي حكم بلاد ما بين النهرين ، ٢٢٢٥ - ٢٢١١ ق.م ،
وكان مؤسس الأسرة البابلية الأولى . هذه الأسرة العمورية التي أنشأت
الأمبراطورية البابلية الأولى والتي جاء سادس ملوكها وأكثرتهم في أفق التاريخ
تألفاً ، «محورآبي» ٢١٢٣ - ٢٠٢٠ ق.م ، فزاد أثرها عمقاً في وعى الشرق
القديم عند ما أسس رسمياً وحدة هذه الأمبراطورية وغداة حفر على اللوح

الحجرى شريعته الوضعية وعاشق في معرض التاريخ هذا « القانون الموحد »
محتفراً به في جبهة الشرق القديم آثاراً عميقة الغور بعيدة المدى . .
والآن . .

الآن نعود إلى مؤلف « سفر التكوين » وهو يحدثنا عن
« تارح » بينما نسلس للمخيلة منا العنان أمام ما تصوره نصوصه من صور
حتى المدى الذي نرى في مداه « تارح » شخصية محسنة ومحسوسة . .
ومن هناك نبدأ نقتفي من « تارح » الأثر وهو يسير عبر تلك الأمواج البشرية
في اغمارها « أرض كنعان » طاوياً بمصاه من هذه « الأرض » ناحيتها ،
على حد تعريف هذا المؤلف اليهودي ، كانت تلك الممتدة فيما بين مينائى صيدا
وغزة على شاطئى البحر الأبيض حتى سدوم وعمورة على ضفاف البحر الميت
مستصحباً ذويه وفي مقدمتهم ابنه الحامل ، عهد ذلك ، اسم ؛ أبرام . .
« أبرام » ؟ .

يقينا إن عند هذا الاسم ينبغي بنا أن نتهلل قليلا ونستهل
التاريخ العبرى عن الاسترسال للحظات لنقول ؛

إن « أبرام » ، من سنعرفه من بعد باسم إبراهيم ، ليس
عنّا في خضمّ هذا الارتحال بقصى كلاً ولا هو في أبعاد هذا الترحال بيميد
لا ، وليس هو علينا بالرغم من تهافت أضواء التاريخ لهذه الفترة الزمنية
بغريب فليس هو بكيثونة سرايية الطيف يعلويها عن الحقيقة تطاول

المدى الزمنى ويجبها استقهار ليل الأساطير .

كلا . إن صاحب هذه الشخصية وإن بدأ ظهوره فى أفق الزمن فى سماء ملبدة بالغيوم فانما سيجف التاريخ تنحسر عنه تمام الإنحسار فى مغرب الحكم الحيثى ومشرق الحكم الكاسى لبلاد ما بين النهرين بينما يتراجع عنه جذراً مد الأساطير حتى لنراه ، فى بهرة الضوء السياسى للعصر ، يشق ثنائيا التاريخ فى أعقاب الغزو الحيثى الذى اجتاحت الفرات الأعلى ويطلع علينا عبر المد الكاسى الذى اغتمر الفرات الأدنى مجترفاً « أور » ، هابطاً « أرض كنعان » بخطوات وثيدة متشعبة ، ثابتة الحركة ، يحركها فكر ترامت أمامه الأهداف وفى وضوح ارتسمت بل وتحدت المعالم من هذه الأهداف ، وبرهان ذلك ما قد تركته هذه الشخصية وراءها على رمال الزمن من آثار تجافى تمام الجفافة ما قد جاء عنها من وصف فى سطور السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الخالى . .

يقيناً ، ليس هناك فى السجلات التاريخية لذلك العصر أى إلماح عن اسم « أبرام » . لا ، ولا هناك فى الوثائق الموثوق بها لذلك العهد عن هذا الاسم أى تلميح . فانما أقدم نص ورد عن هذا الاسم جاء فى قائمة شيشنق الأول ، حوالى ٩٤٥ — ٧٤٥ ق . م ، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين فى مصر القديمة وصهر سليمان وبالإضافة إلى ذلك حملت هذه القائمة صورة لإبراهيم غير أن الأثر الذى تركه صاحب هذا الاسم لا يحمل الدليل الكافى فحسب على أن حامله قد عبر حقيقة معبر الحياة وإنما هو نفسه برهان على أنه لا يمكن أن يكون إلا لشخصية قدرت تمام التقدير ما فى

جمعيتها من إمكانيات ، وما تشتمل عليه إمكانياتها من قدرة . .
وهذا أمر يُحتم علينا مناقشة « قصة أبرام » ، أيضا ، مناقشة علمية . .

ومناقشة « قصة أبرام » مناقشة علمية تحتم علينا العودة إلى عهد آخر ممن في القدم من التاريخ السياسى لبلاد ما بين النهرين وعلى وجه التحديد إلى سنة ١٩٢٥ ق . م وهى السنة التى دالت فيها دولة الإمبراطورية البابلية الأولى غداة أغار الحيثيون على بابل وصارعوا « سمشو — ديتانا » ، أى شمس الدين ، آخر ملوك هذه الأسرة العمورية حتى صرعوه . . ومن هنا نبدأ فى تحسس خيوط الأحداث التى لانضع عليها يدنا إلا لنراها وقد حاكت أمامنا صورة لإبراهيم بريئة هى كل البراءة من كل ما قد ألقاه عليها مؤلف « سفر التكوين » من تُرْهات ، لا تبدو واضحة كل الوضوح إلا ونحن نتابع مجريات الأحداث السياسية فى أعقاب الغزو الحيثى للرافدين . فلقد أعقب هذا الغزو الحيثى ، الذى يقابل منتصف حكم الأسرة الثانية عشرة المصرية ، فترة غير مستقرة ولا ثابتة اجتاحت فيها عجيج الفوضى بلاد ما بين النهرين مدى قرن ونصف قرن من الزمان ساد خلالها الاضطراب قبائل البدو وعشائرهم حتى تدافعوا فراراً إلى « أوض كنعان » وليدفعهم هذا الممر الذى يقود إلى مصر إلى قلب الوادى نفسه بل وإلى التوغل فى أرجائه جنوباً بعيداً عن الدلتا . . وصورة حية لمؤلاء المهاجرين الآسيويين مازالت فى معرض التاريخ معالقة فى مصر الوسطى كما حُفرت على جدران قبر كُشف ببلة بنى حسن وتعود بتاريخها إلى السنة السادسة من حكم سنوسرت الثانى ، حوالى سنة ١٩٠٠ ق . م ، أى بعد مرور خمس وعشرين سنة على تلك الغزوة الحيثية أو بالأحرى

من ذلك الاستيلاء الحيثي على بابل وهو الذي لا نحاول أن نلتقط من خلاله خيط الأحداث إلا ليأتيننا ساساً عبر الوثائق المعاصرة لتلك الفترة الزمنية والتي عثرنا عليها على مسافة غير بعيدة من بابل . .

تزيح هذه الوثائق المسطرة على أكثر من لوح من الألواح الصلصالية الحجب عن الفترة التاريخية القائمة التي تلت هذا الغزو الحيثي للبلاد حتى الغزو الكاسي الذي اجتريها اجترياً وبذلك تكشف لنا عن أحداث كانت حتى عهد حديث من عصرنا الحاضر محتجبة وراء غيم الزمان . . فهي تحدثنا عن أسرة حاكمة من أسرها المالكة تسميها هذه الوثائق الأسرة الثانية ونقول بأنها استولت خلال هذه الفترة الزمنية بين الغزوتين على أسفل بابل عند الفرات الأدنى في « أور » واولت حكم البلاد من تلك الجهة التي كونتها رواسبُ النهرين في الجنوب فجعلت منها منطقة مستنقعات وسميت « أرض البحر » . . والألواح إذ تحدثنا هذا الحديث عن هذه الأسرة التي قامت خلال هذه الفترة القائمة من تاريخ البلاد تحاول جمع شعثه من تلك الجهة المسماة « أرض البحر » فليس إلا تهدينا إلى أن هذه الأسرة التي استولت لردح من الزمن على أسفل بابل عند الفرات الأدنى في « أور » قد حكمت منطقة « أرض البحر » لأكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، ١٦٢٥ — ١٧٦٢ ق . م ، وأن ملوكها الذين اقتصر عددهم على ثلاثة قد باشروا سلطة غير مستقرة ولا ثابتة حتى أغار الكاسيون وجاء « جنداش » ، مؤسس الأسرة الكاسية والثالثة في بابل ، وطرده الثالث والأخير من ملوك « أرض البحر » . .

ولكن ..

ثمة سؤال يطراً على الذهن ، هنا ، وهو ؛

أىّ الأسماء كان يحملها هذا الملك الثالث والأخير من ملوك
« أسرة أرض البحر » الذى اضطره جنداش ، سنة ١٧٦٢ ق . م ، إلى مغادرة
« أرض البحر » ومفارقة « أور السكدان » ؟ ..

سؤال ، لا تجيب عنه هذه الألواح التى تحت رياحُ الزمن
منها بعض السطور إلا من احتفاظها بالنعته الذى كان يُطلق على هذا الملك
وهو ؛ « داميق — إيليشو » أى « خليل الله » ..

والآن ..

نحن إذا كنا نعرف أن آخر ملك من ملوك « أسرة
أرض البحر » كان نعت ، كما ورد فى الوثائق البابلية ، « داميق —
إيليشو » وأن ترجمة هذا النعت هى « خليل الله » وبالتالى ، أننا إذا كنا
نعرف أن هذا النعت هو الذى يطلق فى المراجع الدينية على « إبراهيم » ، فلا
يسعنا إلا أن نقارن بين الوثائق البابلية وبين الأحداث التاريخية لإسرائيل
وبنى إسرائيل فى مصر المكسوسية بينما نقف متسائلين أ كان آخر ملك من
ملوك « أسرة أرض البحر » شخصاً آخر غير إبراهيم ؟ ..

أجل ..

لأجدال فى أن هذا النعت ، نعت « داميق — إيليشو » ،
قد عرفناه فى سجلات بابلية أخرى لملك آخر ورد ذكره فى « القوائم

الملكية » .. عرفناه في الفجر الباكر من تاريخ الرافدين وعلى وجه التحديد في أعقاب الفزو العيلامي الذي اجتساح بابل ، حوالى سنة ٢١٤٥ ق . م ، غداة انصب العيلاميون بقيادة « كدرمابوك » وأسسوا مملكة لهم في « لارسا » توالى على حكمها ابنا « كدرمابوك » بالتتالى « واراد — سن » و « ريم — سن » . وهذا الأخير الذى استولى ، فى العام الثلاثين من حكمه ، على « ايسين » وقضى على استقلالها قد ذكر هذا النعت ، سنة ٢١٣٣ ق . م ، بمناسبة انتصاره هذا الذى سجله على لوح صلصالى نقراً عليه هذه العبارة :

« فى هذه السنة ... استحوذ الراعى « ريم — سن » على مدينة « داميق ايليشو » وغنم « ايسين » وامتلك كل ما فى ايسين » .^(١)

ولكن ..

هذا الملك العيلامى والثانى فى قائمة ملوك « لارسا » إنما هو قد هزم آخر ملك من أسرة « ايسين » وليس آخر ملك من ملوك أسرة « أرض البحر » . . ومن هنا يتضح لنا أن « داميق — ايليشو » الذى هزمه « ريم — سن » العيلامى غير « داميق — ايليشو » الذى هزمه « جنداش — السكاسى » والذى إذا قمنا بعملية حسابية بسيطة وازنا فيها بين التاريخ البابلى وبين التاريخ الذى جاء فى « سفر التكوين » عن ابراهيم لتبيننا ان « داميق — ايليشو » أسرة « أرض البحر » ليس شخصاً آخر غير ابراهيم .^(٢)

(١) فى متحف الاوغر .

(٢) « BACKGROUND OF ISLAM » BY « PHILBY »

إن الفترة الزمنية من سنة ٢٢٢٥ ق . م ، وهى السنة التى أسس فيها « سومو — ابوم » أو « الأب سام » الأسرة البابلية الأولى ، إلى سنة ١٧٦٠ ق . م ، وهى السنة التى انهارت فيها أسرة « أرض البحر » ، تقع فى مدى زمنى مقداره أربعائة وخمسة وستون سنة . .

والآن لنحتفظ بهذا الرقم فى ذاكرتنا بينما نتناول « سفر التكوين » لنقرأ فى الإصحاح الحادى عشر منه هذه السطور ؛

« هذه مواليد سام — لما كان سام ابن مئة سنة ولد ارفكشاد . . وعاش ارفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد رعو . . وعاش رعو اثنتين وثلاثين سنة وولد سروج . . وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور . . وعاش ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح . . وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام » .

ومن ثم فالمدى الزمنى من « سام » إلى مولد إبراهيم يقع فى فترة تنحصر فى ثلاثمائة وتسعين سنة . . إلا أننا إذ نتابع « سفر التكوين » فليس إلا لقرأ فى الإصحاح الثانى عشر منه هذه العبارة ؛

« وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران »

وإذن . .

نحن إذا أضفنا هذا الرقم الأخير إلى الرقم الأول من السنين من عهد « سام » إلى « مولد أبرام » لصلنا على مجموعة من السنين تحمل نفس

الرقم الذى يسجله التاريخ البابلى من قيام « سومو — ابوم » إلى انتهاء حكم « داميق — إيليشو » . !

وهنا نعود فنحاول التقاط خيط الأحداث مرة أخرى فنقول ؛

إذا كان إبراهيم نفسه هو حقيقة ، آخر ملك من ملوك أسرة « أرض البحر » فإن يكون إلا بسبب سقوط هذه الأسرة وقيام الأسرة انكاسية حوالى سنة ١٧٦٠ ق . م ، وهذا يقابل مستهل حكم الأسرة الثالثة عشرة فى مصر أو بالأحرى بداية الحكم المكسوسى ، قد ارتحل « خليل الله » عن الفرات الأدنى إلى حاران فى « أرض كنعان » حيث ألقى جانباً فى هذه « الأرض » عصا الترحل بعد زيارة قصيرة الأمد لمصر التى كانت خاضعة ، آنذاك ، للحكم المكسوسى وهذا يطابق الأحداث التى تتحدث عنها بعض نصوص « سفر التكوين » .. فان قيام الأسرة الثالثة فى بابل حوالى سنة ١٧٦٠ ق . م يضع عصر إبراهيم مقابلاً للفترة الباكورة من العصر المكسوسى فى مصر الذى بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق . م ويتفق وتاريخ اسرائيل وأبناء اسرائيل فى مصر حتى إننا لنستطيع أن نقول إن من هنا قد التقطنا عقدة الأحداث فى نسيج الزمن ! .

وهكذا ..

هكذا يتراجع جذراً مد الأساطير عن « خليل الله » إبراهيم بل ونشاهد مطلع إبراهيم على التاريخ فى أعقاب « الغزو الكاسى » للفرات الأدنى وانصبابه على السهل الفيضى لبلاد ما بين النهرين وضياح مملكة « أرض البحر » . وهكذا تدلف إلينا الأدلة على وجوده كشخصية كان لها

شأنها الخطير في خلال تلك الفترة الحالكة من تاريخ الرافدين والنيل مما يجعل الحلم بامتلاك « أرض كنعان » والأراضي الواقعة من الفرات إلى النيل لا يبدو غريباً إذا كان قد طوف على الجبين عوضاً عن « مملكة أرض البحر » .

ولكن ! ..

نحن لا نكاد نلقى على هذه الشخصية أضواء التاريخ السياسي لهلاد ما بين النهرين الأً ويصطدم منا المسمع بما يجيء عنها من ذكر في السفر الأول من أسفار « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي . . هذا « السفر » المنسوب افتراءً الى موسى ، عليه السلام ، والذي تكتنفه السذاجة من كل جانب وتحف به روح البداوة من كل طرف حتى جانب مؤلفه التوفيق في التأليف وحتى جافته الحقيقة في سرد الوقائع مما يدل دلالة واضحة على أنه مكذوب على موسى وعلى الله ! ..

ولكن ..

بالرغم من فطرية الأسلوب في هذا « السفر » وبالرغم مما يكتنفه من غموض في التفكير ومن سذاجة في التأليف وما يشتمل عليه من غلوٍّ ومن تناقض تكسرت حجة مفسريه على صخور الاستحالة كما يجدوا تبريراً لما يحكيه من قصص أو تاويلا لما يروي به من روايات جاءت متأخرة جداً من العهود التي يرويها فإن علينا أن نخلد إلى الصبر ونتمسك بأهداب الأناة والروية ونحن نجهز المخيلة منا على أن تجاري النصوص وتشهد ما تصوره من مشاهد . . وليس إلا تحت هذا اللون من الاعتبار نستطيع أن نقول اننا سنصنئ إلى رواية

التوراة عن هذه الفترة وهى تصور أمامنا خطوات أبرام عبر سطور هذا « السفر » وهى تسير فى اتباع خطوات « تارح » صوب هدف مرماء ناحية من « أرض » كان لها مغزاها السياسى فى تاريخ ذلك العصر ، فلقد ،

« أخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هاران ابن أخيه وساراي كمنته امرأة أبرام ابنه فخرجوا جميعاً من « اور » السكليانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران واقاموا هناك^(١) .

من « أور السكليان » وأور السكليان هو الموضع الذى يُسمى الآن « المقبر » والواقع على الفرات الأدنى عند ذلك السهل الفيضى الذى كان يُسمى « أرض البحر » جاء « أبرام » إلى حاران . . وفى حاران ، وكسائر بقاع « أرض كنعان » كانت حاران عامرة بأبناء القبائل الذين كان قد حفر بهم الثراء المادى من كل جانب فرفع كل واحد فى قبيلته إلى مرتبة ممالك ، استرسلت فى مسيرها الأيام بهذا البيت البابلى الذى لقب بالهبرى ، نسبة إلى « هابر » بينما راح مسيرها ، على حد تصوير النصوص ، يومض فى نفوس أهل هذا البيت وميض التنبيه إلى ما قد حفر بهؤلاء الآباء القبليين من ثراء مادى هو ، حتماً ، السبب الذى أساء لكل أب قبلى زمام التملك والرخاء . . .
وهنا . .

هنا ، تحدثنا النصوص التى أمامنا ، وعامياً نلقى مسئولية هذا الحديث ، أن الشرارة الأولى قد انطلقت فى مخيلة « أرومة إسرائيل »

(١) الاصحاح ١١ « سفر التكوين »

وقد حث شرر الحلم باثراء مادّي تكون له به في « أرض كنعان » أبوة قبلية
على غرار ما لآباء القبائل فيها من حكم وملك وسلطان. وإنّ نحو بلوغ هذا
الهدف ، ما لبثت أن سعت الخطف حثيثة بأبرام عبر سلسلة الأيام حتى اقتنت
يده ، خلالها ، المقتنيات المادية وامتلكت من النفوس العدد الوفير من العبيد
واستجلبت الجنود المرتزقة المتمرنين على حمل السلاح إعداداً لصيحة ارتفعت ،
باديء ذي بدء همساً ، وما سرى تجاوبها بين الأتباع إلاّ وسجل الزمن ؛

انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »

تحدثنا النصوص العبرية بأن من شفقتي « أرومة إسرائيل » استهلّت فكرة « الأرض الموعودة » تاريخ انبثاقها في أرجاء « أرض كنعان » كيبدأ أنه لا بد لنا ، ونحن إنما نستهل البحث في تاريخ نشأة هذه « الفكرة » ومنشأها ، أن نطوف ، للحظة ، بالتفكير الإلهي والمعتقد الديني لذلك العصر لارتباط هذه « الفكرة » ارتباطاً كلياً بهذا المعتقد ولا اتصالها اتصالاً مباشراً بهذا التفكير . .

من سجلات التاريخ الديني الكنعاني يأتينا البرهان على أن الإيمان بالله واحد مسكنه السماء كان الأساس الذي يقوم عليه صرح هذا الدين والفكرة الجوهرية التي تستدير من حولها العبادات ويقوم عليها نظام الكهنوت وتعلق بها من كل انسان الأهداب ! . وبينما تأتينا من السجلات الكنعانية هذه الأدلة فإنما مؤلف « سفر التكوين » يجعلها ممثلة في أحد ملوك كنعان وكهنتها ، فهو يقول لنا بأن « ملكي صادق » قد أخرج خبزاً وخمراً وخرج إلى أبرام مرحباً به.. ولما كان ملكي صادق ، ملك شاليم « كاهناً لله العلي » ، كما تقول النصوص العبرية ، فقد بارك أبرام قائلاً ؛

« .. مبارك أبرام من الله العليّ مالك السموات والأرض »^(١)

(١) الاصحاح ١٤ « سفر التكوين »

هذا الإقرار الذى تنفّس عنه الصدرُ من مصدر العقيدة للدين اليهودى الحالى هو الذى نضع فى حرص عليه سياقتنا لا لأننا نعتبره تأييداً خصب لحقيقة تاريخية مقررة وهى أن مفهوم الإله كإله على مالك للسموات والأرض كان واضحاً فى العقل الكنعانى قبل هذا العهد الذى يتحدث عنه المؤلف اليهودى بزم من غير قصير، وإنما لأنَّ مؤلف «هذا السفر» قد جعل هذا المفهوم نفسه الذى تسامى إليه العقل الكنعانى هو، بهيمته، المعتقد الذى كان قد أخذ به أبرام ! . فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن أثر هذه «البركة» مباشرة أقسم أبرام لملك سدوم بهذا الإله نفسه ومشيئاً إليه بالكلمات نفسها التى استخدمها «ملك شاليم» قال ؛

« رفعت يدي إلى الإله العلى مالك السماوات والأرض »^(٢)

نحن لا نريد أن نقول بأن كنعان قد عرفت الوحداية الخالصة وأن ابراهيم، عليه السلام، قد دان بنفس هذا المعتقد الكنعانى .. كلا ! . وإنما نريد أن نشير إلى ما تحمله نصوص هذا المؤلف اليهودى من معنى ينكر، بطريقة غير مباشرة، الدرجة الفكرية التى يذكروها لإبراهيم مصدر العقيدة لدينا الإسلامى بالإطراء .. فبينما يرفع الإسلامُ ابراهيمَ إلى التفكير فى وحدانية خالصة نرى مؤلف «سفر التكوين» قد تمادى فجعله يدين بنفس هذا المعتقد الكنعانى الذى وإن كان قد آمن بالله واحد مسكنه السماء فانما هو قد أحاطه بحاشية من الأرباب وأفراد لكل واحد منها بلدة خاصة وأناط بكل واحد منها رعاية فئة خاصة من الناس أو بعض أفراد .. وليس إلاَّ من مادة هذه الفكرة راح هذا

المؤلف اليهودي يختار لأبرام رباً ويجعله به خاصاً هو الذى سيطلمع علينا باسمه بعد قليل وبعد أن جعله هذا المؤلف يصدر عنه «الوعد» إلى «أبرام» بمنحه ملكاً «أرض كنعان» . . فلقد ؛

« .. قال الرب لأبرام . . » ؛ اذهب من أرضك ومن
عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك^(١)

هذا أول نص يسجل مولد فكرة « الأرض الموعودة » !.
نعم .. هذا أول نص يسجل انبثاق فكرة « الأرض الموعودة »
فى « السفر » الأول من « كتاب » نفت فيه يهود الأسر البابلى أنفاس القدسية
وناولوه عبر الأجيال إلى هؤلاء الصهاينة الذين يحملونه اليوم بيدهم ، وفى تجاهل تام
لعدمهم أنفسهم بتاريخ كتابته وزور نصوصه على موسى ، ويقدمونه للعالم شاهداً
على أنه ، نفسه ، الحجة الشرعية التى تمنحهم الحق الروحانى فى امتلاك فلسطين !.
لا جدال فى أن الدعوة الصهيونية إنما هى من هذا « النص »
نابعة ، وبما سيأتى بعد هذا النص من نصوص هى مشتقة وعليها قائمة فلا
مساند للصهاينة إلا « الأسفار الخمسة » الأول من هذا « الكتاب » الذى نواتينا
الأدلة التاريخية الدامغة على أنه مكذوب على موسى ومكتوب بأقلام كثيرة وفق
أهواء كاتبيه وتحقيقاً لأطماعهم وأهدافهم السياسية فى فلسطين .. ومن ثم حتماً
علينا أن نتناول هذا « الكتاب » وهو عماد الصهيونية وعمدتها فيما تدعيه ،
وفى صبر سابر نتابع النصوص وهى تحدثنا عن هذا « الوعد » الذى تستهل
الحديث عنه قائلة ؛

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

« فذهب أبرام كما قال له الرب ! .

وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران » . (١)

والى أين خرج أبرام من حاران ؟

سؤال نلقيه إلى مؤلف « سفر التكوين » والجواب عنه

يأتينا عبر هذا النص ؟

« فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل

مقتنياًهم ما لى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران وخرجوا ليذهبوا
إلى أرض كنعان .

فأتوا إلى أرض كنعان ! . » (٢)

وهناك . .

هناك ، على حد قول المؤلف اليهودى ؛

« اختار أبرام فى الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة

مورة . وكان الكنعانيون فى الأرض .

وظهر الرب لأبرام وقال ، لنسلك أعطى هذه الأرض ! . » (٣)

عبر هذه العبارة الخطيرة فى دائرة التفكير الإلهى لاشتمالها

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

على إمكان « الرؤية » وإمكان « المكالمة » تظاع علينا فكرة « الأرض الموعودة » في دور انبثاقها وقد انعطف بها المؤلف اليهودي ناحية العاطفة ، نتيجة حتمية لاصطبائها بالقداسة كوعده إلهي ..

ومن هنا بدأت هذه « الفكرة » تتحسس طريقها إلى وجدان جماعة لم تكن هذه العبارة على مسامعهم غريبة ولا كان المعنى منها يحمل اليهم أى مستحدث دبنى جديد . فهذه العبارة التي دمجها يراع كاتب « سفر التكوين » كانت مقبولة ومتداولة بل متعارفاً عليها ومعترفاً بها في جميع الدوائر الدينية لتلك العصور وليس هذا فحسب وإنما كان الاعتقاد بصحتها يمثل ركناً من أركان الإيمان في ديانات الشرق القديم . فلقد كان ظهور أحد الأرباب لمن يختار من البشر ومكالمته إياه ، بل وتناول الطعام معه ، أمراً طبيعياً يُصادف بالتصديق من أتباع من يقول به ويقابل منهم بالقبول . وبالإيمان .

لا غرو من ثم أن يراعى مؤلف « سفر التكوين » كل هذه الاعتبارات وهو يسطر هذه السطور مستهدفاً الوصول إلى غاية تتلخص في عودة « بيت داود » إلى حكم صهيون وإعادة أبناء يهوذا إلى أورشليم .. ثم لما كان ، نفسه ، قد كتب هذا « السفر » في غضون الأسر البابلي ، فقد حمل في ذاكرته ما كان يُروى على ضفاف الفرات من روايات مصدرها تلك الألواح البابلية وما قد سطرته عليها « الكتابة الأسفينية » من سطور تحدثنا عن أكثر من ملك ، وفي مقدمتهم « أور -- نامو » مبتعث النهضة السوميرية في أور ، لم يقم له عرش إلا على أساس من الادعاء بظهور الرب له وتكليفه إياه ببناء مذبح له .

فما كان ليقوم حكم إلا وقوامه « التجلى » وإلا ومقوماته « الرؤية » وإلا ودعامته « مذبح للرب » . وليس إلا على ضوء هذه المعتقدات البابلية الثابتة التاريخ كتب مؤلف « سفر التكوين » النص التالى ،

« وظهر الرب لأبرام وقال :

لنسلك أعطى هذه الأرض .

فبنى هناك مذبحاً للرب الذى ظهر له ! . »^(١)

لأجدال فى أن المغزى البعيد من هذا النص الصريح وما يجعله فى ثناياه من خطورة بالغة لم يعد على الفهم خفياً ، ولا سيما إذا كنا قد علمنا أن هذا المؤلف اليهودى قد اختار « بيت إيل » مكاناً لهذا « المذبح » ! وأما لماذا اختار هذا المؤلف اليهودى « بيت إيل » مكاناً لهذا « المذبح » فإن ذلك لم يكن لما كان لـ « بيت إيل » من سابق قدسية عند أولئك الأصلاء من أبناء الجزيرة العربية من الكنعانيين فحسب وإنما لأن هذا المكان نفسه كان قاعدة ملك « بيت داود » غداة استبدل سليمان اسم هذا المكان من « بيت إيل » إلى « بيت المقدس » ! .

وهنا نعود إلى هذا المؤلف اليهودى ونجارى، جدلاً ، منطقة الذى جرى بهذه الرواية القائلة بأن « أبرام » قد اختار قطعة من أرض كنعان هى « من شكيم إلى بلوطة مورة » وذلك بينما كان الكنعانيون ما زالوا بين جنبات من الأرض يعيشون لئرى كيف سيجد هذا المؤلف لهذا الوضع حلاً يتلخص فى

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »

وجوب إجلاء الكنعانيين عن « شكيم » وعن « بلوطة مورة » ..

أطرق مؤلف « سفر التكوين » فرأى أن الوسيلة إلى الإجلاء تحتاج إلى المال فهو الكفيل وحده بشراء السواعد القوية واستجلاب العدد الأكبر من الجنود المرتقة لرحضة كنعان ، فمن أى مصدر سيأتى إلى « أبرام » بهذا المال وخاصة أنه فى هذه الفترة التى يتحدث عنها قد شحّ فى يد أبرام نتيجة للفتح الذى كان قد أصاب الأردن عهد ذلك ١٩.

وتلفت مؤلف « سفر التكوين » فلم ير حلاً لهذا المأزق إلا الرحيل بأبرام فى طلب المال .. فسطرّ يقول ،

« ارتحل أبرام ارتحالا متوالياً نحو الجنوب .. » (١)

كلا .. ليس فى هذا النص أى مأخذ ، فليس فى الترحال وراء الرزق غضاضة .. ولا بغضاضة أن يكون هذا الارتحال نحو الجنوب .. فى الجنوب مصر ، وتراب مصر كان عهد ذلك تبراً وبهريق المسجد يتوسّج من نيلها الضفاف . ولكن ! . الغضاضة تقع فيما اقترفه هذا المؤلف فى حق ابراهيم من فحش ! . فليس إلاّ باملاء من ميوله الذاتية راح مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا عن « أبرام » قائلاً أنه ؛

« لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته ،

(١) الاصحاح ١٢ « سفر التكوين »

إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر .. قولى إنك أختى ، ليكون لى خير بسببك .. » (١)

خير ، وبسبب ساراي !!
أى خير هذا الذى سيكون لأبرام ، كما يقول هذا المؤلف اليهودى ، بسبب « ساراي » !! ؟ .

يا لهول ماسيأتى به هذا المؤلف اليهودى من جواب
تصدر نصوصه « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى .! إذ يقول ،
« فحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها
حسنة جداً .

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون .
فأخذت المرأة الى بيت فرعون .
فصنع إلى أبرام خيراً بسببها .
وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأثن وجمال ! » (١)
وهنا ..

هنا نستطيع أن نقول إن هذه النصوص ، المنسوبة إلى
موسى افتراء على موسى ، تفصح عن نفسها بنفسها وأنها إلى التعليق منسوبة في غير
حاجة إلا من القول بأن مؤلف « سفر التكوين » قد أراد أن يحمى الى « أبرام »
بالمال فلم يجد وسيلة إلا « ساراي » والتي لم يبلغ بها غايته إلا ورأى أنه لا بد من

(١) الاصطاح ١٢ « سفر التكوين »

(٢) الاصطاح ١٢ « سفر التكوين »

العودة بأبرام الى « أرض كنعان » .. وأما كيف ستكون هذه العودة فليس هناك من حلٍّ إلّا في القول بأن الأمر قد عُرِف وأن الحقيقة قد انكشفت !. ومن ثمّ فلنصنع معاً إلى تلك النصوص العبرية أو بالأحرى إلى مؤلف هذه النصوص وهو يقول ؛

« فدعا فرعون أبرام وقال ؛ ما هذا الذي صنعت بي ؟ !
لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟

لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها ! ؟ »^(١)

وهنا يختم مؤلف « سفر التكوين » روايته هذه ، التي يكاد القلم أن يتوقّف عن الاسترسال خجلاً منها ، فيقول بأن « الفرعون » قال عندذاك لأبرام ؛

« والآن ! هوذا امرأتك خذها ! واذهب !.. »^(١)

أستغفر الله ! ..

لا يسعنا هنا إلّا أن نستغفر الله ونبرأ من هذه الرواية الفاحشة ..
خافوا للخليل إبراهيم أن يكون « أبرام » هذا .. وحاشا لسارة أن تكون « ساراي » هذه .. فلم يك « إبراهيم » سفيهاً ولم تكن « سارة » ،
بغياً ! ..

ويقيناً .. . يقيناً ، أننا لو لم نجد أنفسنا مجبرين على متابعة النصوص العبرية كيما ننبين ماهية الركائز التي عليها ، وحدها ، ترتكز الصهيونية العالمية

(١) الإصحاح ١٢ « سفر التكوين »

في دعوتها لطوبينا صفحات هذا « الكتاب المقدس » ولكفنفنا عن الاسترسال في ترديد نصوصه، بل ولأبيدنا الإصغاء إلى مؤلف هذا « السفر الأول » من هذا « الكتاب » وهو يواصل حديثه عن « أبرام » قائلاً؛

« .. فصعد أبرام من مصر هو وامراته وكل ما كان له . وصار أبرام

غنيًا جدًا في المواشي والفضة والذهب !

وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل إلى مكان

المذبح الذي عمله هناك! » . (١)

وهنا .. هنا يتغيّر الأسلوب وتتغيّر المعاني .. فقد كان

مؤلف « سفر التكوين » قنوعًا في غير زهد عندما اكتفى من « أرض

كنعان » بالرقعة الصغيرة المحصورة بين « شكيم » و « بلوطة مورة »

وجعلها تأتي كنحة قدسية « لنسل أبرام » ..

وأما الآن ؟ ..

الآن وقد واثت الدنيا واثت بالفضة والذهب فلن يكتفى

مؤلف « سفر التكوين » بتلك الرقعة .. ولعله قد رأى المال قد كثُر في يد أبرام

الذي أصبح « غنيًا جدًا » مما تجب منه زيادة رقعة « الأرض الموعودة » لنسل

أبرام من جهة ومن جهة أخرى لا داعي في هذه الحالة من تأجيل « الوعد » بالملك

للنسل .. فليكن من الآن لأبرام نفسه ! .. ومن ثمّ شتمّ المؤلف عن
ساعديه وأجرى قلمه يسطر ؛
« قال الرب لأبرام ..

ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا
وشرقا وغربا لأنّ ، جميع الأرض التى أنت ترى لك أعطيها ..! » (١)
ولكن ! . أو يكفى هذا المؤلف اليهودى كل ما ترى العين
من شمال وجنوب وشرق وغرب ؟ !

كلا ! . إن مؤلف « سفر التكوين » ليستدرك هو نفسه ! .
وكأنما قد عزّ عليه ألا ترى عين « أبرام » من الأرض الرقعة التى تشبع أطاع « بيت
يهوذا » وتروّيها فأمسك بالقلم ليضيف نصّا جديداً سخيفاً يزيد فى رقعة « الأرض
الموعودة » فى ضورة حديث جعل « الرب » يواصل فيه الكلام مع « أبرام »
قائلا ؛

« قم امش فى الأرض طولها وعرضها .
لأنى لك أعطيها ..! » (٢)

وكما أراد هذا المؤلف اليهودى فى نصوصه أرضخ « أبرام »
للأمر وسار به فى الطريق الذى رسمه له خطوة بخطوة كما عن ذلك يحدثنا
قائلا ؛

(١) الإصحاح ١٣ سفر التكوين

(٢) الإصحاح ١٣ سفر التكوين

« فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات مَمْرَا التي
في حبرون وبني هناك مذبحاً للرب »^(١)

وبهذا المذبح الجديد الذي بُنى « للرب » في حبرون وعند
بلوطات ممرا بالذات يحىء الدليل على أن رقعة « الأرض الموعودة » في نخيلة
المؤلف اليهودى لم تعد قاصرة على حيز ينحصر بين « شكيم » و « بلوطة مورة »
وإنما غدت كل « أرض كنعان » أرضاً موعودة لأبرام !

والآن .. الآن آن لنا أن نطالب هذا المؤلف اليهودى بالبرهان على
أن كل « أرض كنعان » قد أمست ، كما يقول ، « أرضاً موعودة » من
الرب لأبرام .. فما هو البرهان ؟ !

إن مؤلف « سفر التكوين » لا يشحّ علينا بالبرهان فهو يقدمه
لنا عبر هذه النصوص قائلا بزهو عجيب ؛

« لقد صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا ؛

لا تخف أبرام ؛ أنا ترس لك ..

فقال أبرام ، أيها السيد الرب ماذا تعطينى ؟

وقال له الرب ؛ الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين

ليعطيك هذه الأرض لترثها .. »^(٢)

« ١ » الإصحاح ١٣ سفر التكوين

« ٢ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين

هذا هو البرهان ..

برهان ، مصدره رحاب المنام ! ..

ولكن ..

للمؤلف اليهودي إذ يختار كل « أرض كنعان »
ويجعلها « أرضاً موعودة » لأبرام ، فإن ذلك لم يكن من لهُو التفكير وعبث
الأُمُور .. فالتفكير في ذلك لم يكن تفكيراً مرتجلاً وحيه الظرف ومصدره
البيثة ، وإنما كان تفكيراً تفصح عن مراميهِ نفس هذه النصوص التي تجعل « أرض
كنعان » تجيء عوضاً عن أرضٍ في « أور الكلدان » ..

ثم هذه المحاورَة القصيرة التي صيغت من مادة الحلم لم تكن ،
بالتالي ، من عبث الكلام ورهل الحديث ، وإنما كان لها مغزاها البعيد الذي
ندركه إذا تذكرنا أن في الأسر البابلي تعلّم اليهود بقايا الدين البابلي وما احتواه
من المعتقدات عن ظهور الرب في المنام واتصاله بمن يختار عن طريق الرؤيا ليعلم
له عن نواياه وما يريد منه أن ينجزه من أعمال .. عرفنا ذلك في تاريخ « إياناتوم »
ملك « لاجاش » وفي تاريخ « جوديا » ، أيضاً ، من ملوك « لاجاش »^(١) ..

ومن ثمّ فلا عجب بعد ذلك أن نرى فكرة « الأرض الموعودة »
وقد بدأ خروجها من الطور السلبي إلى الطور الإيجابي بهذه « الرؤيا » التي أتمت
مجرّاها عبر نصوص أخرى تحدثنا بأن « أبرام » قد سأل « ربه » قائلاً ؛

« أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرضها ؟ »

« ١ » بلاد ما بين النهرين « محرم كمال » .

فقال له ؛

خذ لى عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشاً ثلثياً .
ويمامة وحمامة ! . «(١)

لماذا ؟ 1 .

سؤال ، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودي وعن
الإجابة لا يتوانى أبداً هذا المؤلف ! . فإنما هو فى اعتداد بالقول عجيب يكمل
روايته هذه قائلا إن إثر هذه « الرؤيا » هب أبرام ؛
« فأخذ هذه كلها

وشقها من الوسط وجعل شقَّ كل واحد مقابل صاحبه .
وأما الطير فلم يشقّه ! . «(٢)
وهنا . .

هنا ، أمام هذه النصوص لا بد لنا أن نتمهل للحظة .. لا . .
بل للحظات ! . . فالفكر منا إذ ير بما تتضمنه هذه النصوص من عبارات
لا يستطيع أن يمر بها مروراً عابراً وإنما هو يطرق مفكراً مستشفاً منها الغاية .
ثمّ إلى مؤلف هذه النصوص يلحق بهذا السؤال ؛

ما المعنى من هذا كله ؟ ما المعنى من وراء هذه العجلة
والعنزة والكبش واليمامة والحمامة ؟

« ١ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين

« ٢ » الإصحاح ١٥ سفر التكوين

سؤال آخر نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودي الذي يهيبُ من
ثنايا نصوصه صارخًا يقول بأن العجلة والعنزة والكبش واليامة والحمامة لم تكن
إلا علامات ؛

« الميثاق »

PROFESSOR

في « الرؤيا » . . وعلى بساط الحلم وفي أحضان المنام تعهد
« الرب » لأبرام بأن له « أرض كنعان » . وما العجلة والعنزة والكبش
واليامة والحمامة إلا أدلة مادية على صدق هذا « التعهد الروحاني » بأن إلى «أبرام»
ثم إلى « نسل أبرام » سيؤول « ملك كنعان » فإمّا ؛

« في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً ؛

لنسلك أعطى هذه الأرض !

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ! » (١)

هذا هو النص الديني الذي يعتبر الأساس لطالبة اليهود
بفلسطين . وهذا هو النص الذي يمثل السند الوحيد لأطاع صهاينة اليوم
في مد « دولتهم » التي افتعلوها من مادة نفس هذا النص كيا تشمل كل هذه
الحدود !

وهنا . .

هنا لنا كلمة لا نلقيها إلى هذا المؤلف وإنما إلى من اتخذوا من

(١) الإصحاح ١٥ سفر التكوين

هذا المؤلف مرجعاً .. ننقلها إلى صهاينة اليوم ويهود اليوم ونسألهم
قائلين ؛

ألا ترون أن مؤلفكم قد أخطأ وأنه إلى ما قد ارتكب من
خطأ لم يفتن إذ جعل مكان هذا « الوعد » رحاب المنام ؟ ..

ألا ترون أن مؤلفكم قد كلَّ منه التفكير وأن منه قد تبلبل
البال وأن أمامه قد اختلطت الأحداث فخلط حتى أنه من حيث أراد لدعوته تدعياً
انهال عليها بمعاول الهدم ؟ ..

كيف ؟ ..

كيف ، وليس إلاّ في المنام جاء « الوعد » بإعطاء « نسل
أبرام » كل « أرض كنعان » ؟ . كيف وليس إلاّ في المنام امتدت رقعة
هذه « الأرض الموعودة » من نهر مصر إلى نهر الفرات ؟ !

يقيناً ! . يقيناً ، ليس إلاّ من نسج عالم الأحلام ، في خلال غفوة أرخت
من هذا المؤلف اليهودي الجفنين ، حيكت « الأرض الموعودة » على رقعة
امتدت من الفرات إلى النيل ! ..

والآن ..

الآن وليس إلاّ في عالم المنام اتسعت رقعة « الأرض الموعودة »
هذا الاتساع الذي نسجه الحلم بأوسع مداه نجد أنه حتماً علينا ، ونحن قد وضعنا
يدنا على خيوط النسيج الذي حيكت منه هذه « العقيدة » وتبيننا مادتها وأدركنا
ماهيتها ، أن نسلط أضواء « علم النفس » على من يتخذون من هذه النصوص

حجّةً يحاجون بها العالم على أن لهم قد مُنحت كل الرقاع الممتدة من الفرات إلى النيل ! .

ومن ثمّ ..

ليس أمامنا إلاّ الاعتراف من ينبوع الصبر بينما الفسكُ منّا يتبع هذا المؤلف وهو يراه يسرع ، بعد أن سطر سيرة هذا « الميثاق » ، فينقل خيام أبرام إلى حيث « بلوطات ممرا » العمورى ليضعه بذلك يقطع مع العمورين عهد محالفة ، كان نفس هذا المؤلف قد مهد له بما ضاعفه لأبرام في هذه الفترة الزمنية من مكانة بين ملوك القبائل الكنعانية وبما ضاعفه من حوله من عدد الجنود المتمرنين على حمل السلاح بينما راحت صورة تلك « الرؤيا » تزداد وضوحاً في جبهة هذا المؤلف اليهودى وتُصور « أبرام » وقد غدا له من الشأن ما لهؤلاء الملوك الكنعانيين من عزّة ومن شأن وليس هذا فحسب وإنما تصوره وقد أفرغت في يده قوة ستطوى ساطان كل هؤلاء الملوك بقبضة استمدت قدرتها من ذلك « الميثاق » الذى كانت العجلة والعزّة والكبش والحمامة واليماة علامات على أن « أرض كنعان » وكل الرقاع من الفرات إلى النيل قد غدت ملكاً « لنسل أبرام » ! ..

ولكن ! .

أين « نسل أبرام » ؟ ! .

كبوة أخرى يقع فيها مؤلف « سفر التكوين » إذ هو في نفس الوقت الذى كتب فيه هذه النصوص ، التى تقول بأن الوعد بامتلاك

« أرض كنعان » وسائر الأراضى الممتدة من الفرات إلى النيل قد اختص « نسل أبرام »، راح يذكر بأن « أبرام » الذى شارف مشارف ست وثمانين سنة من العمر كان عند تلقى هذا « الوعد » لا نسل له !

لا جدال فى أن مؤلف « سفر التكوين » قد تسرع بمنح هذا « الوعد » للنسل قبل أن يكون هناك نسل .. بيد أنه سرعان ما استدرك موقفه فأسرع قلمه بيسطر بأن عند ذاك قد تمخص الزمن عن ؛

« مولد اسماعيل »

عبر الإصحاح السادس عشر من « سفره » يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى بتلك القصة التى تحدثنا عن هذا الميلاد حديثاً نلح من ثناياه تمسكن جذور « فكرة الأرض الموعودة » فى تفكير هذا المؤلف واطراد نموها ياطراد نمو إسماعيل على مدارج الأيام عبر الثلاث عشرة سنة التى جعل هذا المؤلف اليهودى إسماعيل يعيشها فى بيت أبيه والتى نرى ، من خلالها ، تسلسل فكرة « الأرض الموعودة » فى نفس هذا المؤلف وانسلاها من حيز الأمل واقتحامها عالم الواقع . . فلقد أخذت تتسارع من مؤلف « سفر التكوين » الأنفاس وتلاحق قائلة بأن « الرب » قد كفَّ عن الظهور فى « الرؤيا » خلال المنام وعاد إلى الظهور فى « الرؤية » خلال النهار . . فلقد « تراءى الرب » وعلى « أبرام » أملى ؛

« العهد »

لقد ؛

« ظهر الرب » لأبرام وقال له ، . . .

أنا الله القدير سر أمانى وكن كاملاً .

فاجعل عهدى بينى وبينك . . » (١)

من « الميثاق » إلى « العهد » خرج « الوعد » دلالة على أن فكرة « الأرض الموعودة » قد بلغت فى مخيلة هذا المؤلف اليهودى دورها العملى مما ندخل به إلى طور جديد فى تاريخ هذه « الفكرة » .. فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن « أبرام » قد أُرهِف السمع إلى هذا « الرب » الذى ظهر له ناسباً إلى نفسه الألوهية وكله قائلاً ؛

« أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أباً لجمهور من الأمم
فلا يُدعى اسمك بعد أبرام بل يكون

إبراهيم !

لأنى أجعلك أباً لجمهور من الأمم واثمرك كثيراً جداً
وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون .

وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك
عهداً أبدياً . . .

وأعطى لك وانسلك من بعدك أرض غربتك ! ..

كل أرض كنعان ملكاً أبدياً ! .. » (٢)

والآن ..

(١) الاصحاح ١٢ سفر التكوين

(٢) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

لقد علمنا أن «الميثاق» قد قُطع بعجلة وعنزة وكبش ويمامة وحمامة واتخذ صورته الرسمية بإرافة دم بعض الحيوان وشق أجسامها من النصف شقاً . وأما الآن وهذه المصوص تذكر بأن « الرب » قد ظهر لمن بأبوتة لإسماعيل تحول اسمه من أبرام إلى إبراهيم وأنه قد كلمه قائلاً بأن له سيُعطى ، ولنسله من بعده ، كل « أرض كنعان » ملكاً أبدياً إذا التزم بهذا « العهد » .. فما هو هذا « العهد » ؟ ..

صريحاً يأتي إلينا من هذا المؤلف اليهودي الجواب يقول ؛

ان «العهد» لم يتخذ ما قد آتخذه « الميثاق » من صورة .. كلا ، لا حمامة ولا يمامة ولا عجلة ولا عنزة ولا كبش وإنما .. إنما « العهد » قد اتخذ هذه الصورة ؛

« .. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك

من بعدك ؛

يختن منكم كل ذكر .

فتختنون في لحم غرلتكم .

فتكون علامة عهد بيني وبينكم فيكون عهدي في لحم عهداً أبدياً ! . (١)

ويُنفذ المؤلف اليهودي « العهد » فوراً فيقول ؛

« فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت إبراهيم وختن لحم غرلتهم . في

(١) الاصحاح ١٧ سفر التكوين

ذلك اليوم عينه . كما كلمه الله ! . » (١)

و ؛

« كان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته (٢) . . »

هذا هو « العهد » الذى كان القيام بأدائه هو العلامة التى وضعها مؤلف « سفر التكوين » على منح ابراهيم ، و « نسل ابراهيم » سائر أراضى « الأرض الموعودة » والرقاع الممتدة من القرات إلى النيل ! . .

وفي الواقع أن « الختان » قد عرف كشعيرة ضرورية ، خلال العصور التاريخية للشرق القديم بل ومنذ عصور ما قبل التاريخ وخاصة في مصر القديمة حتى أن الجندي المصرى القديم كان يقطع عضو التذكير عند أى أسير في الحرب لم يختن لأنه كان يعد نجساً . ولأن القيام به كان يعد علامة على النظافة والتطهير والطهارة . . وهذه الكلمة الأخيرة هى التى تطلق على هذه العملية ، حتى الآن ، في مصر الحديثة . ولكن الختان لم يعرف ، قط ، على هذا النحو الذى يصوره مؤلف « سفر التكوين » الذى يقول بأن بهذه العلامة في اللحم وفي هذا الموضع من الجسم قد أصبح « العهد القدسى » مبرماً على منح ابراهيم كل هذه الرقاع . وعلى أن مآل هذا الملك الوشيك التحقيق ، حتماً ، سيؤول إلى نسل ابراهيم . .

ولكن ! .

(١) الامصاح ١٧ سفر التكوين

(٢) الامصاح ١٧ سفر التكوين

هنا يتلفّت مؤلف « سفر التكوين » فلا يرى أمامه ، حتى هذه النصوص التي سطرها ، غير إسماعيل بينما هو يريد أن يُحوّل هذا « الوعد » إلى إسحاق كيما يصل به إلى « بيت يهوذا » ويحصره في اليهوديين . فكيف يتخلّص من إسماعيل ويخلص إلى إسحاق فيذكر مولده وانتقال « الوعد » إليه ؟

هنا تتنفس سطور « سفر التكوين » عن حدث جديد يُحوّل مجرى التاريخ العبري من ناحية إلى ناحية أخرى وإلى « ساراي » يجعل مؤلف « سفر التكوين » تعود منه الأسباب . . . فإلى « ساراي » التي كانت ، تبعاً لتقليد بابليّ ، قد وهبت جاريته المصرية « هاجر » لإبراهيم ، كيما يستولدها نسلا ، فولدت له إسماعيل يلتفت مؤلف « سفر التكوين » فيتخذ منها مادة لقصة يُصوّر لنا بها « ساراي » ترى أن ما قد آل إلى إبراهيم بسببها من مال ما تسكّونت إلّا به فكرة امتلاك « أرض كنعان » سيؤول إلى ولد أنسله إبراهيم من جارية لها في نفس الوقت الذي أبى فيه هذا المؤلف اليهودي الاعتراف بإمكان حدوث « معجزة » تنجيء إلى « ساراي » بولد . . . ومن ثمّ راح يمهّد لفريضة على « ساراي » لم يجد مادة لها إلّا « لوطا » و « إبنتيه » ! .

وهنا شمر مؤلف « سفر التكوين » عن ساعديه وتناول قلمه وراح يخوض في الحديث خوفاً غير رصين فقال بأن عندما فرّ لوط بابنتيه من ذاك اللحم البركاني الذي أصاب « سدّوم » و « عمورية » وأما من كان فيهما عقابا على تفریطهم بالقيم الأخلاقية حدث أن ؛

« صعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه .. وقالت

البكر للصغيرة :

أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا كمادة أهل
الأرض . هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنجنى من أبنينا نسلا .
فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة .

ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها

ولا بقيامها !

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة :

إنى قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا
فادخلي فاضطجعي معه فنجنى من أبنينا نسلا . .
فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا .

وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها

ولا بقيامها !

فخبأت ابنتا لوط من أبيهما !

فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه مُوآب ..

والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بن عَمَّى .^(١)

أف ١ .

حقًا لقد تمادى هذا المؤلف اليهودي وبلغ في تماديه غاية المدى .

(١) الإصحاح ١٦ سفر التكوين

وكانما لم يكن للوط أن يأتي بنسل لولا هذا « الاستبضاع » الذى اتخذ مكانه ليلا وفي مغارة وإليه كان قد مهد الخمر الذى سقى وتساق فجعل لوطاً يزنى ..
ويعتن ١٩ .

بابنتيه !!

أية فرية أشد فداحة من هذه القرية التى جاء بها هذا المؤلف اليهودى وهو يجعل « موآب » ، ومعناه من الأب ، الثمرة الأولى لهذا الاستبضاع كما يجعل « بن عسى » ، ومعناه من القريب ، الثمرة الأخرى .. فجعل بذلك « الموآبيين » و « العمونيين » ثماراً لهذا الاستبضاع الذى لا يسجله « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى إلا وبنفس الأنفاس تسترسل الأنفاس من هذا المؤلف تحدثنا بأن بعد هذا الحدث ، مباشرة ، يسم إبراهيم وجهه شطر الجنوب مستصبجاً « سارة » حيث بين « قادش » و « شور » فى « أرض جرار » أقاما .. وأما أى صرحى يستهدفه هذا المؤلف اليهودى من وراء هذا القول فهو بالطبع ليس إلا غاية هى هذه التى تفصح عنها نصوصه التى يسترسل بها قائلاً إن هناك .. فى أرض جرار ؛

« قال إبراهيم عن سارة امرأته ؛ هى أختى

فأرسل أبيعالك ملك جرار وأخذ سارة ! » (١)

لماذا ١٩ .

لقد كان هدف هذا المؤلف اليهودى ، من قبل ، استهداف

(١) الاصحاح ٢٠ سفر التكوين

المال يوم قال بأن إبراهيم قد استصحب «ساراي» إلى ملك مصر وأما اليوم فما هو الهدف الذى يستهدفه هذا المؤلف من وراء هذه الرحلة إلى ملك جرار والمال الوفير كان ، كان كما يقول ، لإبراهيم قد توفّر ؟ ..

غير صامتة ، أمام هذا السؤال ، النصوص التى دمجها يراع مؤلف هذا «السفر» الأول من أسفار «الكتاب المقدس» للدين اليهودى الحالى .. وإنما هى ، فى سخاء تسترسل لتحدثنا كيف جاء إلى ملك جرار من أعلمه ، عن طريق المنام ، بأن ؛

« المرأة التى أخذتها .: متزوجة ببعل ! » (١)

كرة أخرى تمادى مؤلف «سفر التكوين» وبلغ من تماديه المدى وعند هذا القول لم يكف وكأنا هو لم يكف بما قد بذله من ابتذال حتى يغمس قلمه بمداد سقيم التركيب فينبى روايته هذه المفتراة قائلا ؛ إن عند ذاك دعا ملك جرار إليه إبراهيم يستوضحه الحقيقة وأن إبراهيم قد أجاب ملك جرار قائلا ؛

« بالحقيقة ! . هى أختى ابنة أبى غير أنها ليست ابنة

أُمى » (٢)

ولكن ... « حدث لما أتاهنى الله من بيت أبى أنى قلت لها ؛

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين » .

(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

هذا معروفك الذى تصنعيه إلى ؛ فى كل مكان تأتى إليه قولى
عنى هو أخى !»^(١)

وفى الحقيقة أننا إذا أخذنا بأقوال هذا « الكتاب المقدس »
للدين اليهودى الحالى لوجدنا أن سارة كانت أختاً لإبراهيم غير شقيقة . وأما
أنه قد اتخذها زوجاً فليس هذا إلا عملاً بتقليد بابلى قديم كان عتد بعض الطوائف
من أهالى بلاد ما بين النهرين متبعاً . وأما إذا تساءلنا لماذا كانت الرحلة إلى
ملك جرار ؟ .. فإن الجواب يأتى إلينا من هذا المؤلف يقول ؛ إن هذه الرحلة
قد أنتت بثأرها . فلقد أبى ملك جرار إلا أن يكون صنعه كصنع ملك مصر
فى العطاء وكما ، من قبل ، شيع ملك مصر سارة وإبراهيم بالفضة والذهب
والغنم والبقر والإماء والعبيد ، صنع ملك جرار نفس الصنع ؛

« فأخذ أبيالك غنماً وبقرًا وعبيدًا وإماءً وأعطاهما لإبراهيم
وردد إليه سارة ! »^(٢)

ثم ؛

« قال لسارة ؛ إني قد أعطيت أخاك ألفاً من الفضة

هو لك عطاء ! »^(٣)

ثم . . ثم إن هذه الرحلة إلى ملك جرار قد أنتت بما لم تأت به

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ٢٠ « سفر التكوين »

الرحلة إلى مصر . . . فليس إلا بعد هذه الرحلة ، مباشرة ، حدث أن ؛
« افتقد الرب سارة .. »

فحيات سارة وولدت لإبراهيم ابناً^(١) ،
تحت هذا اللون من الميلاد تسجل سطور « الكتاب
المقدس » للدين اليهودي الحالي ؛
« مولد اسحاق »

ولكن ! .

هذا المؤلف اليهودي الذي كان قد قصر « الوعد » ، باديء
ذى بدء ، على « نسل أبرام » قد عاد من غفوته وعأوده التنبيه ! تنبيه ، لا إلى
ما قد اقترف من فحش في القول وهو يقول بأن بعد هذه الرحلة إلى ملك جرار
أتت سارة ، مباشرة ، باسحاق وإنما إلى ما قد ارتكب من خطأ بهذا القول
الذي يبطل حجة كل من ينتجى إلى اسحاق في المطالبة بهذا « الوعد » الذي جعله
قاصراً على « نسل أبرام » . ومن ثم راح ، في استدراك لموقفه ، يسطر بأن سارة
قد خرجت من عند « ملك جرار » ولم يكن « . . . قد اقترب إليها » .

والآن .. الآن يستطيع مؤلف « سفر التكوين » تحويل « الوعد » بهذه
« الأرض الموعودة » من مجرى إلى مجرى آخر يطابق منه المأرب ويوافق من هواه
السياسي الهوى .. وأسرع فشتّم عن ساعده ومن مداد الافتراءات غمس من جديد
قلمه وأجراه قائلاً ؛ بأن « الرب » قد كلم مرة أخرى إبراهيم وقال ، إن كل هذه

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر التكوين » .

« الأرض » الفيضة باللبن والعسل والدفاقة بالخير والفواحة بعبق الثراء ستكون
وفقاً على « ابن سارة » ؛

« إسحاق »

وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً والنسل من بعده ! .^(١)

واسماعيل ١٩ .

« .. وأما اسماعيل فقد جعلت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره

كثيراً جداً . .

ولكن اقمي أقيميه مع إسحاق ! . »^(٢)

وهنا .. هنا يترسل مؤلف « سفر التكوين » وراء شطحات
خياله ويرتشف من ينبوع الروايات الرواية بعد الرواية ثم يعود إلينا ليحدثنا كيف
بدأ الاحتكاك العائلي في « بيت إبراهيم » بين سارة وبين هاجر بسبب اسماعيل
واسحاق .. هذا الاحتكاك الذي ما اتسع مدام إلا وأرغم إبراهيم ، آخر الأمر ،
على إنجاز رغبة سارة فطرد هاجر من بيته واسماعيل تحت جناحها إلى الصحراء
العربية الواقعة وراء « أرض كنعان » والملائي بعدد هائل من القبائل من العرب
المقيمة ومن الأعراب الرحل والعائدية بأبوتها ، إلى « يقطان » أو « قحطان »
والرقيقة بنسبها ، أيضاً ، إلى « سام » . .

وهناك .. هناك نُسدل الستار التاريخي على اسماعيل ولا نقف
في هذا الصدد إلا عند قول هذا المؤلف اليهودي الذي يصر على أن إسماعيل
قد « سكن برية فاران » .

(١) الأصحاح ١٧ « سفر التكوين »

(٢) الأصحاح ١٧ « سفر التكوين »

« فاران ؟ . »

إن « فاران » جبل قائم على حدّ برية سيناء الشمالى ويبعد
عرب « مكة » نحو خمسمائة ميل . فأنما فاران بقعة متاخمة للرامة حتى أننا نستطيع
أن نحدد هذه البقعة تحديداً واضحاً فنقول ؛ إن سيناء وسعير وفاران ثلاثة جبال
متجاورة وقائمة فى شبه جزيرة سيناء . . ومن هنا نستطيع أن نقول إن كثيراً
من الأفلام قد خاطت بين فاران وبين مكة أو أرض الحجاز بينما أن الواقع
الجغرافى غير ذلك لأن فاران غير الحجاز . وأما وهذا المؤلف اليهودى يقف
باسماعيل عند سكناه « برية فاران » ولا يحدثنا عن أنه بعد سكناه فاران قد
غادرها إلى أعماق الصحارى حيث تناوله التماريح العربى من التاريخ العبرى فليس
هذا بموضوع بحثنا الآن طالما أن المحور من هذا البحث هو عقيدة « الأرض
الموعودة » التى نراها قد بدأت تنتقل بيد هذا المؤلف اليهودى من جبهة ابراهيم
إلى جبهة إسحاق . . .

وأما كيف سينتقل هذا المؤلف بهذه العقيدة من جبهة إلى جبهة
وأنه كيف سيهاورها فى هذه الجبهة الأخرى ؟ فليس إلا عن طريق استمداده من
خيله المدد وتمييده لها برواية أخرى لا نرانا نبدأ فى الإصغاء إليها إلا ونراه قد
عرج بنا ناحية ابراهيم ليحدثنا عنه قائلاً بأن ابراهيم قد غدا مريراً المنس بعد فراق
اسماعيل . . فلقد فرت أوجاع الوحشة منه الفؤاد وأصابته مواجعها منه المهجة
بطعنات ووخزات . . وأنه بقدر ما عمقت به الأحزان عمق به الميض من صحبة
سارة وإسحاق . . ومن ثمّ ولّى وجهه عن « أرض كنعان » ووحيداً واصل ،
ووحده ، الترحال إلى حيث ؛

« تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة ١ . »^(١)

إننا إذا صدقنا هذه المنصوص لقائنا ؛ يميناً لقد كان حتماً أن يعصف ، لفراق إسماعيل ، الأسى بقاب إبراهيم ويجعله يافق في الآفاق بعيداً عن أرضٍ كان يرح عليها إسماعيل .. كما كان من الطبيعي أن تمرّ على إبراهيم الأيام حيث نأى وتغرب ، لحوالى خمسة عشر عاماً ، مريرة قاسية وأن تدفعه إلى استعراض ما قد مرّ من أحداث منذ فارق بلاد ما بين النهرين حتى الرحلة إلى « أرض جرار » .. أحداث ، ما كانت تحدث لولا مولد اسحاق ولولا مولد اسحاق لما كان قد أصاب اسماعيل ما قد أصابه من هذا التشّت والتشتيت ! . وهنا .. هنا يحدثنا مؤلف « سفر التكوين » بأن إبراهيم قد هبّ عائداً إلى دياره قاصداً داره ..

ولكن .. هنا يطالع علينا هذا المؤلف اليهودى بحدث جديد أهمل فيه التحدث عن حرارة اللقاء بين شيخ وبين صبي كان عند ذاك قد بلغ الخامسة عشرة من العمر بينما راح يحدثنا بأن إبراهيم أخذ اسحاق وبه ؛ « ذهب إلى أرض المريا .. »^(٢)

وفي « أرض المريا » ؛

« بنى هبّاك إبراهيم مذبحاً وربط اسحاق ابنه ووضع عليه

الذبح فوق الحطب .

ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ١ »^(٣)

(٢) الإصحاح ٢٢ « سفر التكوين »

(١) الإصحاح ٢١ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ٢٢ « سفر التكوين »

هذا ما دبحه يراع هذا المؤلف اليهودى من رواية نحن في
غنى عن مناقشتها من حيث الحقيقة أو سواها وإن كان لا يسعنا إلا أن نطرق
أمامها للحظات مفكرين فيها بينما يطوف بالخطاير منّا هذا السؤال ؛
تحت ضغط أى العوامل النفسية باول . مؤلف « سفر التكوين »
ابراهيم السكين ليذبح إسحاق ؟ ! ..

كلّا ، لا جواب يأتى من هذا المؤلف اليهودى عن هذا السؤال
إلا بأن الله ، وهو العليم بما فى القلوب ، أراد أن يمتحن إبراهيم ليعلم ما فى قلبه ..
بيد أن هنا يذهب سؤال آخر وهو ، لماذا اختار هذا
المؤلف اليهودى « أرض المريا » بالذات بقعة لرفع هذا القران البشرى ومكاناً
لحرق هذا القران بعد أن يفصل رأسه عن جسده بالذبح ؟ ! ..

الجواب عن هذا السؤال ينحصر فى تاريخ « المريا »

ان « المريا » جبل وفى جبل المريا تقوم ؛

« صخرة »

منذ زمن بعيد فى مدى التاريخ حفت بهذه « الصخرة » قدسية
بسببها تقدّس هذا « الجبل » الذى يقول عنه هذا المؤلف اليهودى بأن « الرب »
قد عينه لإبراهيم كيما يذبح عليه إسحاق . ونحن ان نفهم تماماً مصدر القدسية
التي حفت بهذا الجبل وبهذه الصخرة ما لم نعد إلى العصور التي سبقت مجىء
« آباء النوراة » أرض كنعان .. ومن هناك ، وبالإضافة إلى ما سطره هذا المؤلف
اليهودى من نصوص ، يستبين لنا تماماً أن مفهوم الإله « كملّى » مالك للسموات

والأرض ، كان مفهومهما واضحاً في العقل الكنعاني منذ القدم وإن كان قد حل بهذا الإله أرباب .. وإن كان هذا المفهوم كافياً لتكوين نظام كهنوتي متصل بهذا الإله العلى المالك للسموات والأرض وأما قاعدة هذا الكهنوت ومركزه فكانت « يهوس » الأمس و « القدس » اليوم وأما المعبود فكان نفس هذه « الصخرة » .

وهنا ، حتماً ، يطوف بالخاطر هذا السؤال ؛ ما الذى جعل لهذه « الصخرة » هذه القدسية دون سائر الصخور ؟ .

الجواب عن ذلك لا ينطوى فى العصر الكنعاني وإنما فى العصور السحيقة البعد السَّابِقة على عصر كنعان وفى نفس العقل البشرى نفسه وفى نفس هذه « الصخرة » نفسها . فإن العقل الإنسانى لما كان فى العصور البدائية طفلاً يمر بمرحلة « الاستحياء الذاتى » وبالتالى لما كانت هذه « الصخرة » ذات سواد متلاشى وكأنه المرأة مشحونة بقوة تبدو وكأنها قد اخترقت الطاقة منذ أن وجدت فقد توهم العقل البشرى وهو فى مرحلة طفولته تلك يربأ أنها حيّة بطريقة عجيبة بها خاصّة هى هذه التى بعثت فى نفسه الخيرة أحياناً وأحياناً الجزع وهى هذه التى قذفت فى روعه ، كلما حاول أن يضع عليها يده ، الروعة إذ كان يتوهم أنه يُفاجأ بارتداد يده بعيداً عنها كأنها همت بأن تتحسّس منه الراحة ! ثم ، لما كانت الفكرة عن الإله قد مرت بأطوار تطورية تبعاً لتطور العقل الإنسانى وكانت النتيجة الطبيعية أن عبّد الإله تحت الشتى من الصور كما اتخذت عدة أمكنة لعبادته فن هنا نعلم أن مدينة « القدس » لم تشذ عن هذه القاعدة عندما كان لها هذا المعبود فى هذه « الصخرة » . . ومن ثمّ فلا عجب أن تكون هذه « الصخرة » قد هزت العاطفة الدينية من العصر

الكنعاني بأعنف الهزات وأن يكون لها في العقل الكنعاني التأثير الذي كان لها في العصور البدائية حتى اعتبرها شيئاً ذا قوة قدسية وأن صوته يُسمع فعلاً في بعض الأحيان وأن له إرادة تُفهم إذا ما أُرهِف اليه المسمع .. ومن هنا تمت سلطتها إلى سيطرة امتدت من نسبية محلية مُتمركزة في الصخرة نفسها إلى مجال أفسح ولّد المعتقد بأن إله السماء قد اختارها لنفسه سكناً على الأرض . وهذا قبل أن يتطور مفهوم هذه الصخرة ، بارتقاء العقل البشري ، إلى مفهوم جديد بالكلية .

هذا هو الطابع القدسي الذي كان لهذه « الصخرة » في العصر الكنعاني ولذلك كانت القرابين تقدم بجانبها كما كانت ترفع عليها المحرقات حتى إننا إذ نقف أمامها اليوم نتأملها وهي غارقة إلى نصفها في الوسط الغربي من فناء هيكل القدس في ظلال القبة المائلة المسماة باسمها فليس إلا لتبدو لنا صحيفة خالدة امتصت مواكب الأحداث التي تتابع مسيرها على صفحة الزمان وكأنا هي بسوادها هذا المتلاليء مرآة تعكس صور الماضي وطقوسه وعباداته بل وكأنا هي آلة سجلت تجارب الأصوات ورنين الدعوات وأين الابتهالات وإنهمار العبرات وعبارات الطقوس التعبدية التي تتالت عبر العصور فتختلج بها بصمت وتكاد ، إذا ما مُسَّت ، أن تكون على أهبة المهمة بها حتى أن المخيلة لتتخيّل أن « الصخرة » تُريد أن تتكلم وتتحدث بشيء تشعر بأن من واجبها الإفضاء به ! ..

هذه القدسية التي حفّت بهذه « الصخرة » هي التي راعاها مؤلف « سفر التكوين » حتى أنه لم ير مكاناً أصح من « جبل المريا » يدفع إليه إبراهيم ليذبح إسحاق بيد لا يصورها هذا المؤلف ، وهو يجري قلبه بهذه التراثارات ، وقد اختلجت وهناً وانفعالا إلا ويكمل روايته قائلاً بأن إبراهيم

كاد أن يذبح إسحاق لو لم تحل بينه وبين إنفاذ هذا الأمر لحظة خاطفة من تابعين سارة كانت قد أرسلتهما وراء إبراهيم واسحاق فأتيا إلى إبراهيم بكبش كان « ممسكا في الغابة بقرنيه » وعند ذاك انتجحه ؛

« .. إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه .

فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع ؛

يهوه يراعة^(١)

وهنا .. هنا ، أمام هذا الهراء المبهوث على إبراهيم ، عليه السلام ، لنا كلمة وهي ؛ أن التضحية بالقرابين البشرية وإحراقها كان ، ولا جدال في ذلك ، طقساً دينياً جرت به منذ القدم العادة وخاصة في بلاد ما بين النهرين فقد كان الأرباب القساة عند البابليين يُغالون في مطالبهم فيطلبون أحياناً تقديم الضحايا البشرية من القرابين .. ولقد بزّ الرب « أدّاد » الأرباب طراً في قسوته إذ كان التماس رضائه يستلزم التضحية بالإبن البكر وحرق جثثانه وليس إلاّ من هذا المدد البابلي بقدم لنا مؤلف « سِفَر التكوين » هذه الصورة المشوهة عن قصة الذبح .. لا لأنه يجعل إسحاق محوراً لها فحسب وإنما لأنه في روايته هذه وفي سرده هذا يساوى بها ويمائل قصص الأرباب القساة عند البابليين دون أدنى تفرقة إلى ما يوجد من فوارق بين صورة وأخرى . فإن قصة الذبح الخاصة بإبراهيم ، عليه السلام ، تختلف كل الاختلاف عن قصص الذبح عند أهالي بلاد ما بين النهرين كما تتباين تبايناً تاماً وهذه الرواية التي يرويها هذا المؤلف اليهودي من حول إبراهيم وإسحاق ..

ثمّ.. ثمّ، ما هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سفر التكوين»
على لسان إبراهيم عند ما قال إن لحظة ارتداد يده بالسكين عن ذبح إسحاق قد
قال ؛ « يهوه يرأة » ؟ ! ..

« يهوه ؟ » .

حقيقة أننا نعلم أن المعنى من هذه الكلمة ، يهوه يرأة ، هى
أن « يهوه » هذا « يَرَى » .. ولكن ! . من هو « ياهوه » هذا الذى
يرى ؟ . ومن أين جاء بهذا الاسم مؤلف هذا الجزء من « التوراة » ؟ ! ..

إن هذا الاسم الذى أجراه مؤلف «سفر التكوين» ، زوراً ،
على لسان إبراهيم ليس إلّا رجوع الصدى لاسم ربّ قديم كانت قد سجلته
النصوص السامية حفرأ على الألواح الصلصالية العائدة بتاريخها إلى ما حول سنة
٢١٠٠ ق.م. .. ثمّ هو ، بالتالى ، لا يقتصر على النصوص السامية لبلاد ما بين
النهرين فإنما هو اسم وجدناه فى مصر القديمة وبالتحديد فى لاهوت « عين
شمس » فان « هوه » ليس فى « تاسوع عين شمس » إلا اسم أحد أولئك
الأرباب .. ومن هنا يأتينا الدليل كيف بدأ اسم « يهوه » يتجاوب همساً فى
مسمع التاريخ العبرى ولماذا أجرى مؤلف هذا الجزء من «التوراة» على لسان إبراهيم
هذا الاسم الذى سيعود فيلغّه عن مسمع نسل إسحاق لأجيال وأجيال ! ..

ولكن .. حتى يُدوّى اسم « يهوه » فى مسمع التاريخ الدينى.
مرة أخرى وحتى يصبح ، فيما بعد ، عند «بنى إسرائيل» علماً على الربّ الذى وقع
عليه اختيارهم ليختارهم لنفسه شعباً نرانا نتمتع مؤلف « سفر التكوين » ونتابع
الإصغاء اليه .. غير أننا نراه يهب فجأة ونسمعه يقول لقد ؛

« .. شاخ إبراهيم وتقدّم في الأيام ١ »^(١)

والآن.. الآن وقد شاخ إبراهيم وتقدّمت به الأيامُ وكان ، حتماً ،
أن توافيه النهاية الطبيعية لكل كائن حيٍّ ، فليس إلا ليشتد منا الانتباه إلى ما
قد اشتمل عليه هذا « السفر الأول من أسفار الكتاب المقدس » للدين اليهودي
الحالي من تراهاث مما يجعلنا نتساءل ، أغفل مؤلف « سفر التكوين » أم
تغافل عن أنه قد سطر نصوباً في الإصحاح الثالث عشر من « سفره » تقول بأن
« الرب » قد كلم إبراهيم قائلاً « جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ! » أنسى
مؤلف هذا « السفر » وهو يتحدث عن وفاة إبراهيم أن إبراهيم قد ثوى
و « الوعد » بتخليته « أرض كنعان » لم يُوفَّ !

لا جدال في أن هذا المؤلف وهو يجرى قلمه بهذه التراهاث
قد نسى ذلك بينما علقت بذهنه تلك الجملة التي وضعها بين شفقي إبراهيم
وإدعى أنه لإسحاق قال ؛

« الرب .. أقسم لي قائلاً ؛

لنسلك أعطى هذه الأرض ١ . »^(١)

بهذا النص الجديد تدخل فكرة « الأرض الموعودة »
في خيلة هذا المؤلف اليهودي إلى مجال جديد وتنفس في هذه الخيلة عن دورها
الفعّال إذ ما لبثت أن تحدت منها العالم في جبهة هذا المؤلف تحديداً رسمت

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ٢٤ « سفر التكوين »

خططه ذكر يائنه عن تلك الجماعة التي كانت قد رفت على « أرض كنعان » في عهد إسحاق نتيجة لذلك القحط الذي أصاب البلاد ودفع بالفلول من الكنعانيين إلى الارتحال صوب الجنوب مستهدفين مصر فراراً من أرض رفّ عليها جوع مهين إلى وادى خصيب رفر ف عليه العيش الرهيف حتى بدت « أرض كنعان » ، في مخيلة هذا المؤلف ، وكأنما هي من كنعان قد خات .. وإذن ، فلن يترك مؤلف « سفر التكوين » هذه « الأرض » إذا جعل إسحاق لها ، الآن ، يترك ؟! . ومن ثمّ فليأت بنص جديد يقول بأن لإسحاق ، أيضاً قد :

« ظهر له الربّ وقال : لا تنزل إلى مصر !

اسكن في الأرض التي أقول لك .. لأنى لك ولنسلك أعطى.

جميع هذه البلاد !

وأنى بالقسم الذى أقسمت لإبراهيم ! » (١)

وإذن ، فقد تذكّر مؤلف هذا الجزء من « التوراة » أن القسم الذى جعله يرد على لسان إبراهيم لإبراهيم لم يؤف لإبراهيم !. ولكن ، ماذا يضير هذا المؤلف اليهودى من أن « يهوه » قد أهمل قسمه ونسى وعده لإبراهيم بينما هو لا يريد أن يصل بهذا « الوعد » إلّا إلى « بيت يهوذا » !؟ .. من هنا نراه يتحوّل بنا فى غير تروّ ناحية إسحاق وكأنما هذا « الوعد » لم يكن لإبراهيم وإنما كان لإسحاق ! بل وفى تغافل بلغ أقصى مداه يمدى هذا المؤلف وإلى مناقضة نفسه بنفسه لا يلتفت فيجمل هذا « الوعد » يرد على لسان إبراهيم لإسحاق !.

وهنا ، لا نقول إلّا مهلاً !.

لنتمهّل للحظة ولنجارى ، جدلاً ، هذا المؤلف فى قوله هذا بل ولنصدقّه ، افتراضاً ، فى نصوصه هذه حتى لا يذبّقنى علينا إلاّ انظار اليوم الذى سيّفى فيه « الرب » بهذا القسم الجديد وهو أنه سيمعطى اسحاق « جميع هذه البلاد » .

ولكن !. عيّنًا نقاب صفحات هذا « السفر » بحثًا عن نصوص فيه تعان عن وفاء « الوعد » لإسحاق ...

كلا !. لا شىء هناك إلاّ من نصوص تسترى تكشف الحقيقة من أمر هذا « الوعد » الذى لم يكن فى واقعه إلاّ وعداً سياسياً تابعاً لمآرب السياسة وألعبه سياسية فى يد هذا المؤلف اليهودى تتوارى خلف ستار من قول « ظهر الرب .. » و « قال الرب .. » و « أقسم الرب .. » فإن هذا المؤلف اليهودى منذ اللحظة التى شرع فيها قلمه وبدأ يكتب « سفر التكوين » لم يستهدف من وراء هذه « الوعود » إلاّ التهديد لعودة « مملكة داود » ... ومن ثمّ كان حتماً لهذا « الوعد » أن يتحوّل فى يده من شخص إلى آخر حتى يصل به إلى « ذرية داود » .. وأما وأنه قد بدأ به بإبراهيم فلم يكن ذلك إلاّ حسباً أملتّه المصالح السياسية كما يكسب قضيته صبغة شرعية . فهو لا يجعل هذا « الوعد » يأتى لإبراهيم ، بادىء ذى بدء ، إلاّ ليحوّله إلى إسحاق ليخرج منه اسماعيل وأبناء اسماعيل وإلاّ ليتخذ من اسحاق وسيلة إلى تحويل هذا « الوعد » إلى يهوه ليحصّره فى سلالة اسرائيل حتى يمكنه بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود لينحصر فى مملكة الجنوب دون الشمال وتعود « مملكة يهوذا » أو « المملكة اليهودية » إلى الوجود ! ..

هذا هو الهدف الأخير الذى استهدفه مؤلف « سفر التكوين »
من وراء هذه المحاولات المتكررة فى صورة انتقال هذا « الوعد » من شخص
إلى آخر حتى أمسى اليقين بتحقيقه وقيام « المملكة اليهودية » المرتبة يميناً راسخاً
فى مخيلة هذا المؤلف الذى رأى أنه ، وقد نقل هذا « الوعد » إلى اسحاق ، قد
آن الآن لأن يضع أسس هذه « المملكة » بأن يضيف على هذا « الوعد » صفة
وسمية لن يخلعها على اسحاق وإنما سيجعل اسحاق يخلعها على يعقوب ..

ولكن ا. هنا تعترض هذا المؤلف عقبات فكيف يمكن له أن
يتخطاها ؟ .. كيف سيمكن لهذا المؤلف اليهودى أن ينحى « عيسو » وهو
الإبن الأكبر لإسحاق ويمنح « جميع هذه البلاد » إلى يعقوب ويعقوب هو
الإبن الأصغر والولاية لا تشهد إلا للإبن الأكبر ؟ .. وأطرق هذا المؤلف ثم
شمر عن ساعديه وأجرى قلمه يحدثنا بهذه الرواية ؛

« حدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا
عيسو ابنه الأكبر وقال له ؛

يا ابنى .. إئتني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى فالآن
خذ عدتك ، جمعيتك وقوسك ، واخرج إلى البرية وتصيد لى صيداً . واضنع
لى أطعمة كما أحب واثنتى بها لآكل حتى تباركك نفسى قبل أن أموت .
وكانت رفقة سامعة إذ تكلم اسحاق مع عيسو ابنه .

فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتى به . وأمّا رفقة
فكلمت يعقوب ابنها قائلة ؛

إنى قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً ، ائتني بصيد واصنع
لى أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتى . فالآن يا ابنى اسمع لقولى فى

ولم يعرفه ، لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه ، فباركه .

وقال ؛ هل أنت هو ابني عيسو ؟

فقال أنا هو !

فقال ، قدّم لي لآكل من صيد إبنى حتى تُباركك نفسى ؟

فقدّم له فأكل وأحضر له خمرًا فشرب .

فقال له اسحاق أبوه ؛ تقدّم ! .. فليغطك الله من ندى السماء ومن دسم

الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل .

كن سيداً لأخوتك « (١) » ! .

لا جدال في أن هذه النصوص لا تحمل في الظاهر ما تشتمل عليه في الواقع .. لا تحمل في الظاهر إلاّ الدليل على خيلة سقيمة انحصرت قدرتها في خلق روايات وهمية يستعصى على أى عقل تجاوز مرحلة الطفولة الباكّة تصديقها بأية حال ! . ولكن ، الواقع يختلف عن هذا الظاهر اختلافاً كلياً ! . فإن هذه « البركة » ، التى أبت طبيعة هذا المؤلف عليه إلا أن يجعل يعقوب يحتلها اختلاصاً ، لا تمثّل مباركة أب لابن وإنما هى شيء آخر طبع هذا « الوعد » بأخطر طابع .. فإن هذه « البركة » لا تمثل في مخيلة هذا المؤلف اليهودى إلا تحوّل الفكرة عن « الأرض الموعودة » من الملك إلى الملك !

لا جدال في أن مؤلف « سفر التكوين » إذ يختص يعقوب بهذه « البركة » فإنما معنى ذلك أنه قد اختصه بأمر لن تنبئته تماماً إلا تحت ضوء التاريخ السياسى اليهودى المتزع بالمعانى . والرموز... فإن هذه « البركة » ليست في مضمونها

(١) الإصحاح ٢٧ سفر التكوين

إلا « البيعة » وإلا « العهد » الذى يمنح لمن يختار ولياً للحكم .
أوشك^{١٩} ..

إذن فلنصنع إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يكمل روايته هذه قائلاً :

« وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب ويعقوب قد
خرج من لدن إسحاق أبيه أن عيسو أخاه أتى من صيده . فصنع هو أيضاً
أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه : ليقيم أبى ويأكل من صيد ابنه حتى
تباركنى نفسك .

فقال له اسحاق أبوه : من أنت ؟

فقال له : أنا ابنك بكرك عيسو !

فارتعد اسحاق ارتعاداً عظيماً جداً وقال ، فمن هو الذى ...

باركته ؟

فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة وُمرّة جداً .
وقال لأبيه : باركنى أنا أيضاً يا أبى .
فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ! ..

إنى قد جعلته سيدياً لك ودفعت إليه جميع اخوته عبيداً . «^(١)

ومن ثم فيقيناً إن هذه « البركة » لم تكن إلا « البيعة »
وإلا ، العهد ، وإلا الدليل على أن الفكرة عن « الأرض الموعودة » قد حولها
هذا المؤلف اليهودى فى جبين اسحاق ، وهو وشيك الاحتضار ، من امتلاك
أرض يرثها الأبناء عن الآباء إلى مُسلك فى هذه الأرض وإلى توارث هذا المُسلك

(١) الأصحاح ٢٧ سفر التكوين

«بيدعة» وبعد أن اتخذنا اسم «البركة» ! وإن كان هذا الملك يظل ، في بعض الأحيان ، مستتراً ويعطى تحت ظل الخفاء بيعة خفية ويُتوارث تحت اسم «البركة» ...

من صدور التاريخ السياسى اليهودى تتنفس هذه الحقيقة ومن صدر «مصدر العقيدة» نفسه للدين اليهودى الحالى تطلع علينا واضحة جلية ونحن نرقب يد هذا المؤلف اليهودى وهى تسجّل شطحات خياله وتصوّر لنا تحركات يعقوب فى «أرض كنعان» لنزداد يقيناً بأن الفكرة عن «الأرض الموعودة» لم تعد فى ذهن هذا المؤلف إلاّ مادة توريث ومجال توارث وانها قد اضطبغت بصبغة الملك الشرعى الذى يتحين الحين المناسب للظهور .. فنحن إذ نتبع النصوص وهى تصوّر لنا تحركات يعقوب تاركاً «بئر سبع» إلى «حاران» فليس إلاّ لنتبين الأثر الذى تركته هذه «البركة» .. كما إلى ذلك يرشدنا نفس هذا المؤلف الذى يجعل يعقوب يطلع على من حوله قائلاً بأنه قد ؛

رأى حليماً ، وإذا سلّم منصوبة على الأرض ورأسها
يمسّ السماء .. وهوذا الربّ واقف عليها فقال ؛

أنا الربّ إله إبراهيم أبوك وإله إسحاق !
الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك !...
وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً...

لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به !...»^(١)

والآن ؟

لا جدال فى أنه وفقاً لهذه النصوص التى سجلها هذا المؤلف

اليهودى على نفسه يغدو « الوعد » بامتلاك « أرض كنعان » بمالك يقوم فيها ليعقوب وعداً وشيك التحقيق بدليل المقطع الأخير وهو « لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به ».

ولكن ..!

ها هي في مدار الزمن قد دارت الأيام وطوت هذا « الوعد »، الذى اختص مؤلف «سفر التكوين» به يعقوب ، فى طيات النسيان !. فإذ ظلت كنعان فى « أرض كنعان » صاحبة السطان وفى هذا ما يحمل الدليل القاطع على أن هذه النصوص لم تكن إلا محض هراء سطرها يراع كاتب هو وإن كان قد استغرقه استعراض مجريات الأحداث السياسية فى عهد يعقوب على « أرض كنعان » فإنما هو قد رآها معكوسة الأوضاع .. فنحن إذا استعرضنا التاريخ السياسى للشرق الأوسط القديم عامّة وسلطاناً أضواء البحث على « أرض كنعان » خاصة خلال هذه الفترة الزمنية فيما بين مغرب القرن الثامن عشر ومشرق السابع عشر ق . م ، وهى الفترة التى عاش فى خلالها يعقوب طويلاً منها مرحلة مشجونة بخطر الأحداث من حياة كنعان لارتباطها بحياة مصر القديمة فى تلك الفترة التى نعرفها فى التاريخ المصرى القديم تحت اسم « العصر الهكسوسى » ، لوجدنا أن هذا المؤلف قد أسرف فى منح هذا « الوعد » ليعقوب من حيث حصر هذا « الوعد » فى « أرض كنعان » وإن كان للجملة المشار إليها معناها فى تقديرات مؤلف هذا « السفر » لأن حياة يعقوب ، خلال العصر الهكسوسى ، كانت بالفعل قد اتخذت الجديد من المعالم وغدت غيرها من ذى قبل لا لأنه قد أنسل من الأبناء إثنا عشر هم « الأسباط » وبذلك غدا شأنه شأن الآباء القبلين من كنعان فى كثرة الولد ولا لأنه قد أمسى طائر الرءاء وإنما لأن التيار الزمنى كان يدفعه ناحية الجنوب حيث كان أحد أبنائه قد تقلد منصباً مرموقاً فى الدولة الهكسوسية ولأنه ليس إلا فى خضم هذه الفترة العارمة بالجديد من التغيرات كان

يعقوب قد خلع عن نفسه اسمه القديم وخلع على نفسه اسماً جديداً هو هذا الذى
كون ؛

المهد التاريخي لمولد إسرائيل

يقينا ، ليس الا عندما استبدل يعقوب اسمه هذا بإسرائيل
طالع الزمن مطلع اسم إسرائيل على التاريخ . وإذا كان اسم « إسرائيل » ليس
إلا كلمة عبرية تتكون من مقطعين الأول « إسر » بمعنى عبد والآخر « إيل »
بمعنى الله فيكون معنى « إسرائيل » عبد الله إلا أن المدلول من المعانى الذى يحمله
هذا الاسم يهمنى فى هذا الصدد إلى جانب الشئ الآخر الذى يهمنى أيضاً وهو السبب
الذى أدّى إلى هذا الاستبدال فى الاسم ثم الأثر الذى ترتب عن هذا الاستبدال .

فأما عن السبب فإن مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا
برواية لا يسعنا ، بعد سماعها ، إلا « الاستغفار » .. وكيف يمكننا ألا نستغفر
وهذا المؤلف اليهودي يحدثنا قائلاً ؛ إن الله قد ظهر ليعقوب متجسداً فى صورة
إنسان وصارعه حتى مطلع الفجر فلما غلبه يعقوب خلع عليه الله هذا الاسم
الجديد .. ولنصنع معاً إلى هذا المؤلف اليهودي وهو يحدثنا قائلاً ؛

« فى تلك الليلة .. بقى يعقوب وحده . وصارعه انسانٌ
حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حَقَّ نَحْذَهُ فأنخلع حقَّ
فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال ؛ أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ! فقال ؛
لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال له ؛ ما اسمك ؟ فقال ؛ يعقوب .

فقال ؛ لا يُدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل !

لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ! ..

فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلا ؛ لأنى نظرت الله
وجهاً لوجه ونجيت نفسى ^(١) ! . »
أوشك ؟ . لقد ؛

« ظهر الله ليعقوب حين جاء من فدان آرام وباركه وقال
له الله ؛ اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون إسرائيل !
فدعا اسمه ، إسرائيل .

وقال له الله ؛ أنا الله القدير أثمر وأكثر أمة وجماعة تكون
منك وملوك سيخرجون من صلبك . والأرض التى أعطيت إبراهيم وإسحاق
لك أعطيتها .

ولنسلك من بعدك أعطى الأرض
ثم صعد الله عنه فى المكان الذى فيه تكلم معه ! . » ^(٢)

هذه هى رواية هذا المؤلف اليهودى عن السبب فى استبدال اسم
يعقوب باسم إسرائيل وهى رواية ، وليس فى ذلك ثمة شك ، من عمل مخيلة
صريعة التخيلات أبت إلا أن تتحدى فى شططها فراحت تتخيل صورة لما يمكن
أن يحدث لبعض المصارعين بعد انتهاء شوط المصارعة فى كل مباراة ! . فهاهو ذا
. مؤلف « سفر التكوين » يحدثنا بأن يعقوب ، أو بالأحرى إسرائيل قد أصيب
فى فخذه ، بعد هذه المصارعة التى استغرقت ليلة بطولها تمكن فى نهايتها من
الاتصار على ربه ، حتى أنه قد ؛

« عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه . ولذلك لا يأكل
بنو إسرائيل عرق النساء الذى على حق الفخذ . . لأنه ضربَ حقَّ فخذه .
يعقوب على عرق النساء ! . » ^(٣)

(٢) ، الإصحاح ٣٥ سفر التكوين

(١) الإصحاح ٣٣ سفر التكوين

(٣) الإصحاح ٣٢ سفر التكوين

يقينا إنها اتراهات ! و يقينا إنه لراء ! و يقينا إنها لقربة مبنوثة
على موسى ، عليه السلام ، إنما هو هذا الجزء من هذه « التوراة » !

ولكن ... الآن ، وقد علمنا من سطور « مصدر العقيدة » للدين
اليهودى الحالى السبب فى استبدال اسم يعقوب إلى إسرائيل ، نتّجه إلى الأثر
الذى تركه اسم « إسرائيل » فى مجرى الزمن غداة غدا أبناء يعقوب ، ويعقوب
نفسه قد غدا يسمى إسرائيل ، يُعرفون بأبناء اسرائيل وليغدو هذا الاسم ، من
بعد نعتاً ألصق بسلالة هؤلاء الأبناء الاثنى عشر ، وهذه السلالة هى التى
تسكونت بدورها إلى « بيوت » غدت تُعرف ببيوت إسرائيل .

هذا هو المهد التاريخى لإسرائيل وهكذا بدأ مطلع « أبناء إسرائيل »
و « جماعة إسرائيل » على التاريخ نسبة إلى إسرائيل هذا الذى إذا شققنا إليه
غيوم الزمن وتتبعنا التاريخ السياسى للعصر الذى عاش فيه وأحطنا بأطراف
الأحداث التى تتابعت فى غضون تلك الفترة الزمنية المعروفة بالعصر المكسوسى
لأدركنا تمام الإدراك أى العوامل كانت تلك التى قذفت فى روع مؤلف هذا
الجزء من « التوراة » إمكان تحقيق « الحلم » الذى كانت قد حاكتة نصوصه
على جبين يعقوب أو إسرائيل والذى لم تكن مادته إلاّ من تجمعات غيوم
المكسوس فى « أرض كنعان » واتجاهها عواصف ناحية مصر ! .

لاجدال فى أن هبّات التزامم على العرش فى مغرب الدولة
الوسطى فى مصر القديمة كانت العوامل التى هيأت للعين المترقبة فى الخارج أن
ترى أن الفرصة قد وّانت لغزو الوادى .. فالعهد الذى اتخذ هذا الغزو القُبلى
مكانه فيه كان ، نفسه ، العهد الذى تهافت فيه قوة الوادى مرة أخرى أشدّ مما
كان عليه قد مرّ من ألوان التهافت السياسى فالأيام كانت قد دارت دورتها

فى مدار الزمن وانفلت من ىدى الوادى زمام الحىكم وبدأ النزاع السياسى يشدد بين حكام الأقاليم وبين بعضهم بعضاً من جهة وبين حكام الأقاليم والقصر الملكى من جهة أخرى وبذلك حلت الفوضى محل النظام ونزل الضعف منزل القوة وعاد الوادى إلى شبه ما كان عليه عند عصر الانحلال الأول أيام شيخوخة الدولة القديمة . سقط العرش ومع سقوط العرش انحلت نظام الملك إلا أن النزاع على العرش لم ينقطع فكل واحد من أصحاب النفوذ كان يرى أنه أجدر من صاحبه بحكم البلاد . ومن ثم ظل الوادى يعانى أمر هذه الفوضى ويصلى بنار الخصومة الانتخابية نحو قرن وربع من الزمن تعاقب خلالها على الوادى ثمانية عشر حاكماً . هذه الفوضى العارمة وهذا الحىكم المزعزع وهذه الحىكمات المضطربة وهذا النظام الختل الذى ظل كل هذا المدى من السنين كان السبب المباشر لذلك الاتحاد القبلى الذى اتخذ مكانه على «أرض كنعان» ، بين القبائل الشتى من كنعان وغير كنعان ، على غزو الوادى وليبدأ بالفعل زحفهم صوبه فى أثر قوة حرية آرية الأصل اكتسحت سوريا وراحت بعرباتها وخيلها تسكتسح كل ما وجدت فى طريقها مختربة أرض كنعان إلى مصر . فبالرغم من أن مصر كانت فى ذلك الوقت تعتبر «أرض كنعان» جزءاً من ممتلكاتها إلا أن مساندة هذه القوة الآرية لمجوع البدو الرحل والمقيمة هى التى أشعلت فىهم قوة فذة مكنتهم من تجاهل السلطان المصرى فاندفعوا نحو الجنوب اندفاعاً متواصلاً ثم ضاربين فى أغواره بغاراتهم التى تتالت توالى التدمير والتخريب حتى دان لهم حكم مصر السفلى من شرق الدلتا فراحوا يمدون عليها ظلالهم من عاصمتهم «أواريس» ، صان الحجر اليوم ، ويقبضون عليها بمخالب الإخضاع .

عن هذا الحدث الذى اتخذ مكانه فى مغرب الدولة الوسطى

بينما كان ملوك الأسرة الثالثة يحكمون طيبة وملوك الأسرة الرابعة عشرة يحكمون الشطر الآخر للوادي ، تتحدث أكثر من مدونة تعود بتاريخها إلى عهد الدولة الحديثة في إشارة إلى التلال من الأنقاض التي تركها هذا الزحف الصحراوي بينما يحدثنا عنه أكثر من مؤرخ من القدامى وفي مقدمتهم « مانيتو » الذي يشتر هذا الحكم إلى ثلاثة أقسام يبدأها بالأسرة الخامسة عشرة وينتهيها بالأسرة السابعة عشرة . كما يحدثنا « يوسفوس » الحديث الفياض عن هذا الغزو ويسمى هؤلاء الغزاة « هكسوس » بمعنى « الملوك الرعاة » ويقول لنا إن المقطع الأول من الاسم هو « حيج » بمعنى مَلِك وإن المقطع الآخر من الاسم هو « سوس » بمعنى رُعاة ..

هؤلاء « الرعاة » هم الذين أصبحوا ملوكاً في مصر السفلى غداة احتلوا شمال الوادي وتوغلوا في أرجائه حتى وصلوا حدود الجنوب بينما بقيت منطقة الحرام ومشار النزاع منحصرة بين « أهناسيا » ، عند مدخل الفيوم و « القوصية » من شمال أسيوط في مصر الوسطى في نفس الوقت الذي سيطر فيه « أمراء طيبة » ، من وراء إقليم طيبة ، على الأقاليم الجنوبية حتى مطلع مصر الوسطى .. وظل هذا الحال حتى مشرق الأسرة الثامنة عشرة عندما استعاد الوادي حريته ومجده وانفجر بركان الثورة في وجه الدخيل واندلع لهيبها من مدائن الصعيد وقراه مندفعاً نحو الشمال حتى بلغ حاضرة العدو فحاصره ومازال به يطارده ، حتى أخرجه منها وردّه إلى قلب فلسطين ثم كراً مُصعّداً إلى الصعيد يطارد أفواج النوبة ، الذين كانوا قد انتهزوا ضعف الوادي فزحفوا بدورهم عليه ، ومازال بهم حتى كسر شوكتهم وأذل عزتهم ثم عاد منتصراً ويده لواء الحرية فركّزه في قلب طيبة ، عاصمة الثورة ، واتخذ منها ، عام ١٥٨٠ ق م ، حاضرة لِمَلِك كان حجر الأساس في بقاء الامبراطورية المصرية

التي ضمت إلى مصر أرض السودان وسوريا وبلاد ما بين النهرين طاوية فلسطين لتمتد بذلك أملاك الوادى من وراء الشلال الرابع إلى منعرج الفرات ! ..

من خلال الآثار التي تركتها هذه الامبراطورية نستطيع التغلغل إلى العصر الهكسوسى وخاصة من خلال البرديات التي أدرختها الأيام فى صدر الزمان إذ تطالعنا عليها للهكسوس أسماء نرى فيها الترابط الواضح بين « آباء التوراة » وبين ما يقصه مؤلف « سفر التكوين » عن مقدم يعقوب أو بالأحرى اسرائيل مصر وعن تولى يوسف منصباً فى مصر .. فإن ممّا يسترعى الانتباه هو أن نرى فى سجل من سجلات « تحوت موسى » الثالث ذكراً لبعض أسماء هؤلاء الرعاة الذين أصبحوا ملوكاً وأن يشتد منا الانتباه عندما يطلع علينا من هذه الأسماء هذان الاسمان ؛

« يعقوب — إيلو » و « يوسف — إيلو » ..

لا جدال فى أن أمام هذين الاسمين الواردين فى قائمة « تحوت - موسى » الثالث لا يسع الفكر المتأمل إلاّ التغلغل فى أطواء الماضى البعيد لأنهما نفس أسماء « آباء التوراة » فحسب وإنما لأنهما يتفقان ، تاريخياً ، مع الفترة التى عاش فى خلالها يوسف ويعقوب فى مصر ! ..

ثم .. ثم إلى جانب هذه البرديات المشار إليها تجبّ الجملانات .. فإن هؤلاء الملوك الرعاة ، الذين ، بعد أن استقروا فى مصر وهدأت ثأرتهم ، بدأوا يقلدون المصريين فى إقامة المسلات وفى تسجيل أسمائهم على الجملانات وخاصة الملوك الأوّل الذين أدفوا الأسرة الخامسة عشرة ، قد سجلوا على بعض الجملانات لهم أسماء .. وهى أسماء نال الزمن من مقاطعها بالتحريف ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتبين من بينها هذه الأسماء ؛ « يونس » و « عنتر » و « عزيز » وأما أهمّ ما يسترعىنا من بين هذه الأسماء فهو اسم « بن يون » وهذا اسم فيه ، ولا شك ، رجع الصدى .

من اسم « بن يامين » بن يعقوب مما يجعلنا نتساءل: أكان بنيامين، أيضاً، من بين هؤلاء الهكسوس ولاسيما أن هذا يتفق، تاريخياً، مع الفترة التي عاش في خلالها بنيامين في مصر مع سائر أبناء يعقوب وإسرائيل والذين بدأ بهم، منذ العصر الهكسوسي تاريخ « بنى إسرائيل » غداة امتدت يد الزمن وسجلت انشقاق التربة الزمنية عن نبت هؤلاء « الأبناء الإثني عشر » واستيطانهم وادي النيل خلال الاستعمار الهكسوسي للوادي حيث ترامت عليهم ألوان العزّة لأجيال ! ..

يحدثنا مؤلف « سفر التكوين » أن إسرائيل نفسه ومعه أبنائه، ماخلا يوسف وبنيامين، قد ارتحلوا عن « أرض كنعان » الى مصر بعد ما ؛

« خلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه .. وجعله على كل أرض مصر ^(١) .. »
وأما هذا الارتحال عن « أرض كنعان » الى مصر، على حد رواية المؤلف اليهودي، فما كان إلا كما ؛

« قال فرعون ليوسف قل لأخوتك ؛ انطلقوا اذهبوا الى أرض كنعان وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا الى . فأعطيكم خيرات أرض مصر ! .. »

افعلوا هذا . خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا . ولا تحزن عيونكم على أئاثكم . لأن خيرات جميع أرض مصر لكم ^(٢) ! . »

وهكذا يسير مؤلف « سفر التكوين » في روايته قائلاً ؛

(١) الاصحاح ٤١ سفر التكوين

(٢) الاصحاح ٤٥ سفر التكوين

« ففعل بنو إسرائيل هكذا . وأعطاهم يوسف عجالات ...
.. وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم . ثم كلموه بكل كلام
يوسف الذى كلمهم به . وأبصر العجلات التى أرسلها يوسف لتحمله . فعاشت
روح يعقوب ! . » (١)

ومن هنا يسترسل المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك ؛
« كلم الله إسرائيل فى رؤى الليل وقال ؛ يعقوب يعقوب !
فقال ؛ هأنذا !

فقال ؛ أنا الله إله أبائك . لا تخف من النزول إلى مصر . لأنى
أجعلك أمة عظيمة هناك . أنا أنزل معك إلى مصر . » (٢)
وحينئذ ؛

« قام يعقوب . . . وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم
ونساءهم فى العجلات التى أرسل فرعون لجملة . وأخذوا مواشيهم ومقتناتهم
الذى اقتنوا فى أرض كنعان وجاءوا إلى مصر . يعقوب وكل نسله معه . بنوه
وبنو بنيهم ... وبناته وبنات بنيهم وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر جميع
نفوس بيت يعقوب التى جاءت إلى مصر سبعون . » (٣)
وعند ذاك ؛

« كلم فرعون يوسف قائلا ؛ أبوك وأخوتك جاءوا إليك .
أرض مصر قد أملك . فى أفضل الأرض اسكن أباك وأخوتك .
ليسكنوا فى أرض جاسان ! .. » (٤)

وهنا يستطرد المؤلف اليهودى فى روايته قائلا ؛

(١) الإصحاح ٤٥ « سفر التكوين »

(٢) الإصحاح ٤٦ « سفر التكوين »

(٣) الإصحاح ٤٦ « سفر التكوين »

(٤) الإصحاح ٤٧ « سفر التكوين »

« وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان . وتملكوا فيها وأنمروا وكثروا جداً .. »^(١)

هذه هي رواية المؤلف اليهودي عن مقدم امرائيل مصر واستقراره ببنيه في تلك الناحية المسماة « أرض جاسان » ، أرض غو شن من شرق الوادي ، حيث بدأ هؤلاء « الأبناء » يتفرقون في مساكنهم فيها ويتكاثرون . « نسل الأسباط الإثني عشر » إلى « بيوت » وكل بيت منها يحمل اسم واحد من هؤلاء « الأبناء » في نفس الوقت الذي عادت فيه هذه « البيوت » بلقبها العائلي الى يعقوب أو إسرائيل حيث من هنا بدأت هذه البيوت تُعرف « ببيوت إسرائيل » ويعرف أبناؤها بأبناء إسرائيل ..

وفي مصر الهكسوسية وفي « أرض غو شن » كان حتماً أن تتراعى ألوان العزة على « بيوت إسرائيل » في خلال ذلك العصر وأن تبدأ الغفوة عن « الأرض الموعودة » بالعزة في مصر خلال مدى من الزمن غير قصير .. ولكن !.. هنا يبرز مؤلف « سفر التكوين » ، وهو سليل « بيت يهوذا » الابن الرابع ليعقوب أو إسرائيل ، فلا يرتضى بأرض « جاسان » بديلاً عن « أرض كنعان » !.. وكيف يرتضى ذلك وهو يُعبد بقلمه الطريق الى عودة « بيت يهوذا » على عرش اليهودية من جديد ؟.. ومن هنا نراه يعود فيتشبث بأهداب حلم كان قد حاكمه قديماً على جبين الآباء وكادت تتلاشى تحت ألوان العزة في مصر منه الأطياف حتى أننا لنراه وقد أحاله الى عقيدة في صدور الأبناء !.. فهو يحدثنا بأن يعقوب أو إسرائيل لم ينس « الأرض الموعودة » خلال السبع عشرة سنة التي عاشها في مصر حتى أنه وهو على فراش الاحتضار قد عهد بها إلى الأبناء فنحن نسمع ؛

« وعاش يعقوب في مصر سبع عشرة سنة .. ولما قربت أيام
اسرائيل أن يموت دعا ابنه يوسف وقال له : .. لا تدفني في مصر . بل
أضطجع مع آبائي . فتحملني من مصر وتدفني في مقبرتهم ... » (١)
وذلك لأنَّ ،

« الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان
وباركني . وقال لي ، ها أنا أجعلك مشمراً وأكثر وأجعلك جمهوراً من
الأمم وأعطى نسلك هذه الأرض من بعدك ملكاً أبدياً ! .. » (٢)
ولذلك ؛

« قال إسرائيل ليوسف ؛ ها أنا أموت ولكن الله سيكون
معكم ويردكم إلى أرض آبائكم . . . » (٣)
والآن ؟ .

الآن وقد قطع مؤلف « سفر التكوين » شوطاً طويلاً شاقاً
في اتجاهه نحو ما قد استهدف من هدف ينحصر في حصر عقيدة « الأرض
الموعودة » في سلالة يعقوب أو إسرائيل فلنتنبه إليه كيف يمهّد إلى عودة « المملكة
اليهودية » التي قوضها الغزو البابلي بأن يحصر هذا « الوعد » في أبناء يهوذا
ليحصره في « ذرية داود » حتى ينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال . . .
تطلع علينا صورة هذه المحاولة واضحة تمام الوضوح عبر ما يجيء به
هذا المؤلف اليهودي من نصوص جديدة تحدثنا بأن آخر كلمات يعقوب كانت
عندما ؛

(١) الأصحاح ٤٧ سفر التكوين

(٢) الأصحاح ٤٨ سفر التكوين

(٣) الأصحاح ٤٨ سفر التكوين

على « يهوذا » جعل مؤلف « سفر النكوتين » إسرائيل
يصبُّ الحامد صبًّا وعليه يغدقها إغداقًا فاجتاز بذلك شوطًا آخر في اتجاهه نحو
هدفه الأخير المنحصر في حصر « الوعد » بامتلاك « الأرض الموعودة » في
« ذرية داود » ليكفل قيام « المملكة اليهودية » من جديد .

والآن ؟ .. !

الآن وقد استفرغ مؤلف « سفر النكوتين » جعبته من
الحامد التي كالمها كيلاً لمن إليه يعود مؤسس « المملكة اليهودية » في أورشليم
بسلسلة نسبه فلنصنع إليه وهو يسترسل في حديثه قائلاً بأن « إسرائيل » قد
واصل حديثه إلى أبنائه يصفهم قائلاً :

« زبولون	عند ساحل البحر يسكن ! ..
يساكر	حمار جسيم رابض بين الحظائر ! ..
دان	حيّة على الطريق ! افعواناً على السبيل يلسع ! ..
جاد	يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخرة .
أشير	خبزة سمين وهو يعطى لذات ملوك .
نفتالى	أيلة مسيبة ! ..
يوسف	غصن شجرة مثمرة على عين .
بنيامين	ذئب يفترس في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء

يقسمّ نهباً ! .. » (١) .

وهكذا أخرج هذا المؤلف اليهودى باقى « الأبناء » بينما
سلط الأضواء على « يهوذا » وحصر « الوعد » فيه . . . وإذا كان « لا ينزل

قضييب من يهوذا « فان معنى ذلك أن « بيت يهوذا » سيظلّ حاملاً قضييب المثلث... وإذا كان ليهوذا يسجد بنو أبيه فأنّماله أيضاً يكون خضوع شعوب.. وبذلك مهّد هذا المؤلف اليهودى ، وهو فى نطاق الأمر البابلى ، الطريق الى عودة « بيت يهوذا » الى عرش اليهودية من جديد ..

وهنا تراخت قبضة هذا المؤلف عن الإمساك بالقلم .. فاقعد استنفذ جهده تحليقه بمخيلة جانحة راحت تسطرّ السفساف والترّهات وتتخذها وسائل الى هذه الغاية التى اختتم بها هذا السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، افتراء ، الى موسى !.

ولكن ! .

هنا يطلع علينا مؤلف يهودى آخر وعن عقيدة « الأرض الموعودة » يواصل الحديث متخذاً من انتشار « بيوت إسرائيل » نقطة بداية حتى بزوغ شمس الأمبراطورية المصرية ورواح الغبار الهكسوسى عن انتشار هذه « البيوت » فى مصر القديمة فى خلال حكم الأمبراطورية المصرية . والواقع ، لقد كان من الطبيعى أن يتكاثر أبناء إسرائيل وأن تُثمر منهم الفروع عبر مجرى الزمن منذ فجر العصر الهكسوسى حتى أواسط حكم الأمبراطورية المصرية !. ومن ثمّ فليس بالغريب أن يطلع علينا هذا المؤلف اليهودى قائلاً لقد :

« مات يوسف وكل أخوته وجميع ذلك الجيل . وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلات الأرض منهم . » (١)

لا جدال فى أن السبب الذى أدى الى وجود « بيوت

(١) الأصحاح الأول « سفر الخروج »

إسرائيل « في مصر القديمة يعود إلى مُستهل الدولة الحديثة .. فان «أحمس» الأول عندما طارد الهكسوس وطردهم كان غفلاً عن اقتلاع هذه الفروع التي كانت قد اكتنفت « أرض غوشن » وإن كانت القبضة المصرية التي راحت تدفع الهكسوس الى ما وراء الحدود المصرية وتبسط من جديد سلطان مصر على « أرض كنعان » كانت في الوقت نفسه قد قيّدت أفراد هذه البيوت بقيود الاستعباد لتتصرف بعد ذلك عنهم انصرفاً تجاهلتهم به بينما كان النسل منهم يتكاثر خلال سِير التاريخ .. ولذلك فليس من الغريب أن يكون هذا الاستعباد الذي يصرّح بذكره هذا المؤلف اليهودي الجديد إذ يقول ؛

« فاستعبد المصريون بنى إسرائيل بعنف ! ومروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللّبن وفي كل عمل في الحقل ! » (١)

إلى هذه المكانة من درجات الاجتماع التي يذكرها مؤلف « سفر الخروج » هَوّت « بيوت إسرائيل » في مصر وبعد عزة كانت في العصر الهكسوسي قد رفرفت على السلف رقت ذلة على هذه « البيوت » وخيّمَت على هذا الخلف لا غداة بسطت الأمبراطورية المصرية سلطان مصر من جديد على « أرض كنعان » فحسب وإنما حتى بعد فقدان السيطرة المصرية على هذا المشرق الرئيسى لطرق عالم الشرق الأوسط القديم في عهد « اخناتون » أثر قيامه بحركته الدينية التي انتهت في تطورها الى تغيير النظرة في دائرة التفكير الإلهي الى الإله ..

وهنا نرانا قد عرج بنا الحديث صوب ناحية هامة لا يتسنى للقلم إغفالها وهي أن « اخناتون » عندما أعلّى شأن « آتن » كإله مجرد لم يجرّد لم يجرّد بمجرّد بفقرة التوحيد وإنما جاء بفكرة في التوحيد جديدة .. فإنما التوحيد كان طابع

(١) الإصحاح الأول سفر الخروج

المعتقد الدينى منذ فجر تاريخ الوادى والإله ، وإن حفت به حاشية من الأرباب فانما هو ، كواحد بل وكأحد وكفرد ، كان معروفاً ولكن النظرة الى هذا الإله الواحد هى التى تغيرت عند « اخناتون » فالإله لديه قد تفرّد بالألوهية ولا تحفّ به حاشية من الأرباب بل ولم تعد تطبعه طبيعة الجسدية التى كان يخضعها عليه لهذا الدين الرسمى كهنوت ولاهوت... أن الإله الحق ليس برجل ولا يتمشى على الهضاب كما يقول الكهنوت الآمنى . كلا ، ولا كان الروح منه يرف على وجه المياه كما يدعى كهنوت عين شمس .. فليس هو الاً شيئاً مجرداً كالحب بل هو الحب .. ومن ثمّ فلتُسَنَر في معابده الزهور يدل رش الدماء وتُشعل في محاربيها الشموع بدل المحرقات ولتكن عبادته التعبّد في رحاب المحبة والسلام عن طريق نشر الإخاء العالمى بين الإنسان والإنسان !.

هذه هى الفكرة الجديدة التى جاء بها « اخناتون » عن الإله الواحد . ولكن لما كان فى ذلك حدٌّ من سلطان الكهنوت بل وإلغاء لسلطانه ، وبالتالي ، ضياعُ لما تسوقه الجماعات إلى أبوابهم من أموال فقد أتهم رجالُ الدين الرسمى « اخناتون » بالإلحاد وتبعتهم جموع الجماعات فى نفس الوقت الذى عجز الوعىُ الجماعى عن إدراك المعنى من وراء هذه الفكرة ، ومن ثمّ اعتُبرت سياسة المحبة العالمية سياسة ضعف وكان لهذا أثره فى الشعوب التى يترامى عليها السلطانُ المصرى وليكون لهذا الأثر نتيجته الختمية فى التاريخ السياسى للمصر إذ تفسّخت الأمبراطورية المصرية وتجزأت وإذ استطاعت هذه المستعمرات ، فى غمرة هذه الفوضى العارمة ، أن تنزع حرّيتها وفى مقدمة هذه المستعمرات « أرض كنعان » .. فلقد تهدّأ ملوك المدن الكنعانية وانطلقت من حناجرهم صرخة واحدة تعلن ، ١٣٥٠ ق م ، استقلال كنعان .. ولكن !. لما كان كل واحد من ملوك المدن الكنعانية من الكنعانيين أنفسهم أضعف من أن

يحتفظ بحريته واستقلال مملكته فقد غدت « أرض كنعان » فريسة سهلة لغزو جديد اندفع إليها من الشمال الغربي في آسيا الصغرى حاملاً أحدث سلاح من أسلحة الحرب .. ذلك السلاح الفتاك ذا الكلمة الأخيرة والحاسمة والذي كان يُمثّل آخر اكتشاف جدير بأن يفرض أثره على حقب التاريخ التالية كلها حتى عصر الفولاذ .. ومن هنا نعلم أى الشعوب كان هذا الشعب الذى احتلّ لردح من الزمن « أرض كنعان » .. ذاك الذى اكتشف ذلك العنصر فى مناجمه الجبلية وطرقه سريعاً على أساس من معادلات استطاعت أن تمنح قوة فذة لكل من يملك سيفاً أو خنجرًا من حديد .. وعلى هذا النحو من التسامح انطلق « الحيثيون » واستولوا على معظم الأراضى التى كانت تحتلها البلاد المجاورة لبلادهم أو بعبارة أوضح البلاد التى كانت تحتلها « ميتانى » .. ومنذ ذلك الحين الذى نُحيت فيه دولة « ميتانى » من صفحة الوجود وطواها جفن الزمن كذكرى التفتت الحيثيون نحو الجنوب وواصلوا زحفهم يُؤازرهم النصر المستمد من هذا السلاح الجديد فاستولوا على سوريا استيلاءً كاملاً شاملاً كان بمثابة التعميد إلى « أرض كنعان » التى ما لبثوا أن استولوا عليها ذلك الاستيلاء الذى غدا به الحكم المسيطر على مفرق الطرق هذا لعالم الشرق الأوسط القديم « حيثياً » وليكون من أخطر العوامل التى أدّت إلى ارهاص « الوعى الإسرائيلى » فى مصر إلى فكرة « الأرض الموعودة » خلال هذا الحكم الحيثى لأرض كنعان وخاصةً خلال حكم أشهر أباطرة مصر « رع موسى » الكبير ..

وهنا ..

هنا عند ذكر « رع موسى » الثانى يجب علينا أن نتمهّل قليلاً ونستعرض على صفحة الزمن مجريات الأحداث فى ذلك العهد

لإرتباطها بأخطر الأحداث في تاريخ بني إسرائيل !. فلقد كان عهد «رع موسى» الثاني ، على الرغم مما أنجز داخل البلاد من أعمال وماسار عليه من سياسة خارجية قوية استرد بها كثيراً من مجد الوادى وسلطانه السياسى ، يحمل في تضاعيفه عند نهايته بذور الضعف والوهن والركود ولا غرابة في ذلك فقد كان «رع موسى» الثاني في أواخر حكمه الطويل قد أسرف في أموال الدولة ومواردها إلى حدٍّ بمسئد بافراطه في إقامة العماثر الدينية ونحت التماثيل الضخمة لنفسه ولمن يعبد مما أفضى إلى نضوب أموال الدولة في مغرب حكمه بصورة بارزة محسنة يمكن أن يشاهدها المؤرخ ويلمسها إذا وازن بين ما تمَّ في باكورة حكمه وبين ما أنجزه في أخريات أيامه من الأعمال التي تأتينا دليلاً على التدهور الاقتصادي الذي حلَّ بالوادى والذي كان له أثره في التاريخ السياسى المصرى غداة شعرت به البلاد المجاورة وفطنت له الممتلكات المصرية في آسيا وغير وغير آسيا.. ومن ثمَّ كان نصيب الوادى في مغرب حكم «رع موسى» الكبير تماماً كنصيب الفرد إذا ما زال عنه مظهر الثراء المادى مما كان سبباً في اندلاع لهب الثورات في أنحاء الامبراطورية «المصرية الآسيوية» كما كان سبباً في طمع اللوبيين فبدأوا بغاراتهم على الحدود المصرية الغربية يناصرهم أولئك الأقوام الذين تسميهم المتون المصرية «أقوام البحار» . .

ويقيناً إن التاريخ في الفترة الأخيرة من عهد «رع موسى» الكبير كان قد استجمع قواه وقام بمجهود جديد فاذا به يتنفّس عن الأحداث التي غيّرت تغييراً كلياً وجه العالم القديم المحيط بالبحر الأبيض المتوسط فلقد ظهرت في الفترة الأخيرة من حكم «رع موسى» حركة هجرة في إقليم بلاد البلقان والهجر الأسود قام بها عدة أقوام هم هؤلاء الذين تسميهم المتون المصرية «أقوام

البحار» وكان لهذه الهجرة التي انبعثت من الشمال الغربى أعمق الأثر فى الشرق الأدنى.. فقد كان هجوم «الإيليريين» الذين كانوا قد استوطنوا هذا الشمال الغربى من شبه جزيرة البلقان سبباً فى هجرة «الدوريين» الذين راحوا يؤلفون جزءاً من سكان بلاد «البلوبونيز» ويستوطنون جزر «سيكليد» ويعتصمون جزيرة كريت حتى طغت مدينتهم على «المدينة المسيانية» التي كانت قد حلت محل الثقافة النوانية أو ثقافة كريت وفى نفس الوقت كانت قبائل «تراقيا» قد وصلت إلى آسيا الصغرى عن طريق البوسفور بينما أخذت أقوام «ماسا» و «دردانيا» وغيرها تنضم إلى حركة هذه الهجرة التي لم تكن إلا كاسيل الجارف إذ انتشرت فى آسيا الصغرى وفى جزر البحر الإيجه وفى بلاد الإغريق حتى وصلت إلى لوبيا حيث تحالفت ولوبيا أو بالأصح حالقتهم لوبيا مستهدفةً الهجوم على مصر.

وهكذا نرى أن الوادى كان فى مغرب حياة «رع موسى»
الكبير مهدداً بالخطر من كل جانب وخاصة من ناحيتين ؛

الأول ؛ من جهة بلاد لوبيا
الآخر ؛ من جهة أقوام البحار .

لا جدال فى أن الخطر اللبوني كان موجوداً على حدود الوادى منذ زمن بعيد . بيد أن ما قد كان لـ «رع موسى» من هيبة وسلطان قد عاق حملات اللبيين وأقوام البحار من حلقائهم عن الإغارة على التخوم المصرية إغارة إيجابية . غير أنه بمرور الأيام خلال السنين الأخيرة من حكم «رع موسى» الكبير بدأت فترة تدهور مستمر كانت حافزاً لهذه القبائل القاطنة على حدود مصر الشرقية على انتهاز هذه الفرصة فدفعت بجنودها يزحفون على الأرض الواقعة

على حافة الصحراء حتى وصلوا في زحفهم إلى جانب النيل حيث مكثوا هناك عدة أشهر واحتلوا الواحة البحرية وخربوا « واحة القرافة » .. فلقد ازداد الأمر شدةً بذلك الحلف الذى أقامه اللاويون مع أقوام البحر الأبيض المتوسط الذين أخذوا ينقضون على الدلتا من « سردينيا » ومن الجهات الغربية من آسيا الصغرى على الشرق ، وحالفهم ، لفترة قصيرة ، الحظ غداة طوت راحة الزمن « رع موسى » الكبير ونشرت « منفتاح » ثم « منفتاح الثانى » .. فليس إلاً بعد فترة وجيزة من وفاة « رع موسى » شاهد العاصفة وقد هبت على البلاد من الغرب ومن الشمال ! .

وفى الواقع أن « رع موسى » الكبير قد ترك لإبنه « منفتاح » إرثاً ثقيلاً بالأثقال أترعته المتاعب والمصاعب داخل البلاد وخارجها . ولذلك كان من نصيب « منفتاح » منازلة هؤلاء الأقوام . الأول ؛ دفع الخطر اللبى الذى كان يتكاثف من جهة الغرب والآخر ؛ صد هؤلاء الأقوام الذين اجتاحوا الشرق من البر والبحر وتضخم بهم نطاق مفرق الطرق الرئيسى لعالم الشرق الأوسط .. فأبعد إلى الغرب والشمال زحفت فلول البلقان والبحر الأسود إلى بلاد الإغريق حيث امتطى المغامرون متن البحر وعبروا طريق البوسفور وهاجوا الفريقيين فى « طروادة » .. ثم ، من الجزر الواقعة فى المتوسط الشرقى انطلق الملاحون ونشروا أشراعتهم وأعملوا مجاديفهم فاجتاحت زوارقهم البحرية جميع تلك السواحل حتى الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الأبيض المتوسط وتحالفوا ولوبيا أو بالأحرى حالفهم لوبيا ابتغاء الهجوم على مصر . وقد ترك لنا « منفتاح » نقشاً على جدران « معبد الكرنك » صور لنا فيه هذا الخطر الذى كان يحوم حول البلاد كما مثل أمامنا المعدات التى أعدها لصد هذا العدو الذى تحالف لغزو مصر مع هؤلاء الأقوام ، « أقوام البحار » ، الذين يُعدّ

ذكرهم في الوثائق التي تركها لنا « منفتاح » أقدم ما عُرف عن ظهور الأوروبيين في النقوش المصرية . .

وهكذا بدأت مصر تواجه في عهد الأسرة التاسعة عشرة خطراً يُعدّ أخطر الصعاب في صدّ الهجوم اللبوني الذي كان يسير جنباً إلى جنب مع هجرة « أقوام البحر الأبيض المتوسط » وهجومهم على بلاد الشرق من كل حذب وصوب . غير أن « منفتاح » الذي كان قد أعدّ لهذا الخطر عدته تمكن من وقف هؤلاء الغزاة عند تخوم بلاده بعد أن صدّهم خارجها في معركة فاصلة ليرثم في أعقابها بأنشودة مازالت سطورها على جدران « معبد الكرنك » منقوشة يصف لنا فيها الهزيمة الساحقة التي أنزلها بهؤلاء اللبوبيين الذين بدأوا توّتهم على الحدود المصرية من ناحية « أرض غوشن » من الجهة الشرقية للوادي ومن حيث بثّوا عيونهم ودسّوا الجواسيس على الوادي في أرجاء الوادي نفسه ! . .

هذه الفترة من عمر الزمن هي نفس الفترة التي يُحدثنا عنها مؤلّف « سفر التكوين » مسجّلاً ؛

طرد « بني إسرائيل » من مصر

في تلك الفترة التي كانت اليد المصرية تصلح ما قد تدعى وتقوم ما قد انهار وفي ذلك الوقت بالذات الذي كانت تنهوى فيه « طروادة » وهذه مصادفة غريبة قلما يلقى إليها المؤرخون ببال ، طرد هؤلاء الذين كانوا يسكنون « أرض غوشن » من شرقيّ الوادي ومن حيث أقبل الغزو اللبوني

طرداً راحوا على أثره يُولون وجوههم شطر سيناء . وعلى هذا الحدّث
تتلاقى الأضواء التاريخية تلاقياً يُرشدنا إلى أن « بنى إسرائيل » قد خرجوا من
مصر طرداً ، حوالى سنة ١٢٢٤ ق. م ، وأنهم قد يمّوا وجوههم شطر سيناء
حيث تمّ لهم ، حوالى سنة ١١٨٤ ق. م ، غزو بعض بقاع من « أرض
كنعان » ..

وهنا .. هنا وعند هذا الحدّ من القول يجب علينا أن نتمهل قليلاً
لنقول ؛ إننا فى معرض بحثٍ يُحتم علينا المرور بسيرة موسى ، عليه السلام ، من
الزاوية اليهودية البحتة .. وكينما نستجلى تمام الاستجلاء النظرة اليهودية إلى
هذا الرسول الكريم ينبغى بفا أن نترك لمؤلف « سفر الخروج » الحديث
وأن نصغى إلى هذا المؤلف اليهودى الذى يستهل حديثه بعبارات هى ولئن
جاءت مُشوَّشة وفى خلطٍ للأحداث إلاّ أن فيها ذكراً لتلك الأحداث التى
جرت فى مغرب حكم « رع موسى » الكبير ومشرق عهد « منفتاح » بل
وفيهما الإلماح إلى ذلك الخطر الحربى الذى كان يهدد البلاد . فالمؤلف اليهودى
يستهل حديثه قائلاً ؛

« قام ملك جديد على مصر فقال لشعبه ؛

هو ذا بنو إسرائيل .. فيكون إذا حدثت حرب أنهم
ينضمون إلى أعدائنا ويُحاربوننا ! ..

فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالمهم . فبنوا

لفرعون مدينتى مخازن فيثوم ورعسيس ! . » ^(١)

والآن ..

الآن ، إذا كنّا نعرف أن باى الـ « بيتوم » ومُشيد

(١) الاصحاح الأول « سفر الخروج »

المعبد الجنائزى المسمى الـ «رعسيوم» هو «رع موسى» الكبير فان
الأضواء التاريخية تأبى إلا أن تجعل عهد «رع موتى» الكبير مهداً لمولد
موسى ، عليه السلام ، والذي حمل اسماً مصرياً يشير مؤلف «سفر الخروج» إلى
مصريته البحتة ، فى إصحاحه الثانى ، وهو فى هذا لا يقول إلا الحقيقة لأنَّه ، فى
الواقع ، اسم مصرى صميم عرفناه لأباطرة عصر الأمبراطورية . . عرفناه
فى «أحمس» أو «أح موسى» وفى «تخوتس» أو «تخوت موسى» وفى
«رعسيس» أو «رع موسى» ! . وعرفنا فى بعض من تسمى به من الأسماء .
فينحن نجد هذا الاسم فى «مقبره موسى» كاتب الخزانة والمشرى على ضياع
«تى» . . ومن هنا نرى أن هذا الاسم كان اسماً شائعاً فى عصر الامبراطورية
المصرية وأن به قد عُرف أكثر من واحد من أبناء ذلك العصر الذى عاش فى
غضونه موسى ، عليه السلام ، والذي نترك الحديث عنه فى معرض هذا البحث
لمؤلف السفر الثانى من «الأسفار الخمسة» المنسوبة ، زوراً ، إلى هذا الرسول
الكريم . .

يُصورُّ لنا مؤلف «سفر الخروج» موسى ، عليه السلام ،
بصورة غريبة كل الغرابة إلاَّ عن المعتقد اليهودى ! . . فهو يُصورُّ لنا هذه
الشخصية الكريمة وكأنَّما إليها تعود باستتبابها «عقيدة الأرض الموعودة»
بل وكأنَّما هذه الشخصية نفسها هى التى عقدت فى الطوية اليهودية هذه العقيدة
وحوَّلتها من أمنية يتوالى عليها مدُّ الأمل وجذر اليأس إلى عقيدة دينية تأبى
إلاَّ الإستيفاء ! . فالمؤلف اليهودى يُغمس بمداد الافتراء قلمه ويُصورُّ لنا هذه
الشخصية باعثة لهذه «العقيدة» التى كنا قد رأيناها بريشة مؤلف «سفر
التكوين» قد هجعت بين جوانح «بيوت إسرائيل» كذكرى حلم
غامض بعيد كان قد طوف على جبين الآباء ! .

ومن هنا نكرر قولنا فنقول إننا إذا أردنا استجلاء النظرة اليهودية إلى موسى تمام الاستجلاء فعلينا أن نلقى بسمعنا عبر الزمن إلى هذا المؤلف وهو بخياله يشطح هذه الشطحات مُدعيًا أنه إنما يسطر لموسى حياة ويُروى لهذه الحياة أحداثًا وما جاء به صاحبها من أعمال . . . فليُعرف للسمع منّا إليه وهو يبدأ روايته عن موسى منذ اللحظة التي استهلّ خلالها موسى بروزه على صفحة التاريخ كفردٍ أحاطه الحيطُ المصرى وإلى « بيت لآوى » بنسبه يعود بينما بين جوانبه تلهب، في تأجج، مشاعر المفضّل لرويته الدرجة الاجتماعية التي هوى إليها قومه وعيشهم عيشة العبودية في الحقل وفي البناء . . . فأكتافهم هي التي حملت الأحجار التي بنت معبد الـ « رعسيوم » وسواعدهم هي التي أقامت أعمدة الـ « بيتوم » . . . فلشدّ ما ؛

« استعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ! ومروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللين وفي كل عمل في الحقل !.. » (١)

هذا نص من النصوص الدالة على المرتبة الاجتماعية التي هوت إليها هذه الجماعة من « بيوت إسرائيل » في عصر الإمبراطورية المصرية . وفي هذا الصدد لم يُقرّر مؤلف « سفر الخروج » إلا الحقيقة . . . فان بين أوراق البردى التي تزخر بها متاحف العصر الحاضر توجد برديتان تعودان بتاريخيهما إلى عهد « رع موسى » الكبير وتلقيان الضوء على البيئة التي كان سلالة العبريين يعيشون فيها في ذلك العهد . فلقد ورد في الواحدة منها رسالة من « كويسر » إلى « بكنفتاح » وفيها يقول ؛

« أعط الجفود قوتهم وأعط أيضاً العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رع موسى . . . والذين وُكِّل أمرهم إلى رئيس الشرطة

(١) الاصحاح الأول « سفر الخروج »

علنيان فأنا أجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الأوامر السامية .
وأما البردية الأخرى فهي رسالة من « كينا » إلى « كجاناهو »
وفيها يقول :

« أطعت ما أمرني به سيدي قائلاً ؛ أعط الجنود أرزاقهم
والعبريو أيضاً الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذي انصرفت إليه عناية
رع موسى . . »

لا جدال في أن لهاتين الرسالتين أهمية بالغة . لا لأنه قد
ورد فيهما اسم «عبريو» فحسب وإنما لأن ما جاء فيهما يتفق مع ما ذكره مؤلف
« سفر الخروج » في الإصحاح الأول من « سفره » بأن هذه الجماعة من سلالة
العبريين قد عملوا عمالاً في بناء الرعمسيوم والبيتوم وهذا بالإضافة إلى أن الرسالة
الأخيرة تؤكد بأنهم قد عملوا في عهد « رع موسى » الكبير في أعلى النيل . .
ومن هنا يستمد هذا المؤلف اليهودي المدد ليحدثنا بأنهم قد عاشوا في مصر
. عيشة العبودية تغلهم أغلال العمل في الحقل وفي البناء بينما بين ضلوع كل
فرد منهم كان قد سكن ذلك الحلم الحالم بامتلاك « أرض » هي له قد منحت
منحة أبدية كما جاء بها « وعد قدسي » ! . فهي « أرض » سيعيش فيها سيداً
يطرح عنه للعبودية أثقالاً كما أن له فيها ، إذا ما وفى الوعد ، عيشة رغدة تنسيه
ما قد مرَّ عليه عبر الأيام من مرارة الذلة ومرير الإذلال في بلد يعلم أنه عنها
غريب ولم تعد له فيها عزة كانت لأبائه فيها في غابر الأيام وهو بقدر ما
تحتلج بهذا الشعور منه للمشاعر بقدر ما يتوثب إلى حياة فيها من ألوان سيادة
العصر بعض الألوان ! .

بين جوانج كل فرد من « بيوت إسرائيل » ، كما يحدثنا هذا

المؤلف اليهودى ، كان قد استقرّ هذا الشعور كعقيدة دينية متوارثة يبعثها التذاكر وتلهمها الذكرى وتُسعرها الذكريات .. ولا غرابة في أن يحدثنا هذا المؤلف اليهودى هذا الحديث فهو يراها فكرة أجيال قد أودعتها الأجيال وديعة غالية في أعماق النفس الإسرائيلية . ومن ثمّ فلا غرو أن يرى أن إلى تحقيقها قد اشتد التلهف بهذا الجيل الذى أقام « الرعمسيوم » و « البيتوم » والذى يقول عنه إنه قد عاصر تلك الأعاصير السياسية التى حوّمت من حول الوادى قبيل مغرب حكم « رع موسى » الكبير غداة أدكنت الآفاق من جهة لوبيا ! .

والكن ! . مؤلف « سفر الخروج » يأبى أن يستخذ ، لهذا التلهف الذى يرويه ، إلاّ من موسى ، عليه السلام ، محوراً .. فهو يحدثنا بأن . فى « تلك الأيام » برز موسى على التاريخ بهذا الحدث :

« وحدث فى تلك الأيام لمّا كبر موسى أنه خرج إلى أخوته . لينظر فى أئقالمهم . فرأى رجلاً مصرى يضرب رجلاً عبرانياً من أخوته . فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصرى وطمره فى الرمل »^(١)

ثمّ ؟ ..

« ثمّ خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان . فقال للمذب ؛ لماذا تضرب صاحبك ؟ فقال ؛ من جعلك رئيساً وقاضياً علينا ؟ أمفتسكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى ؟ »^(٢)

نخاف موسى وقال ؛ حقاً قد عُرف الأمر !

فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى . فهرب موسى . من وجه فرعون »^(٢) .

(١) الاصحاح ٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢ « سفر الخروج »

إلى أين « هرب موسى » ؟ ..

هذا سؤال يتولّى الإجابة عنه مؤلف « سفر الخروج » .. ولكن !.. هنا يجب أن ننبّه إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يُروى لنا روايته عن هذا « الهرب » ... فهو لا يروى روايته هذه إلاّ من زاوية سياسية تتنافر كل التنافر وما ترويه مصادر أخرى عن هذا الحدث ، إذ يصوّر موسى هارباً لا يحمل معه شيئاً إلاّ هذه « العقيدة » ، عقيدة « الأرض الموعودة » ، وإلاّ عُقْدة الخوف من القتل ! . .

ويقيناً إنها لمُعْدة نفسية ١ . ولكنها عقدة نفسية في نفس هذا المؤلف اليهودى الذى راح تحت تأثيرها يروى كل ما تضمّنه « سفره » من روايات نجحت في تحويل فكرة « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية بالمعنى الكامل من المفهوم اللغوى لهذه الكلمة . . فلولا هذه العُقْدة النفسية في نفس هذا المؤلف الذى حفّ « سفره » بقدسية رأت فيها الجماعة اليهودية تدعيماً لوجودها فراحت بهذه « القدسية الوهمية » تثبت لما كان قد تعقّد في جبهة الحاضر عن هذه المشكلة ، « مشكلة فلسطين » ، التى لم تستمدّ وجودها ، حتى الآن ، إلاّ من إلصاق عقيدة « الأرض الموعودة » بموسى إلصاقاً برىء منه موسى براءته من هذا الدين الذى يدعى « مؤلف سفر الخروج » انتماء إليه ! . وليس ذلك إلاّ لكي يتخذ من موسى وسيلة لهدف تفصح عنه ماقد اختلقته مخيلة هذا المؤلف عن موسى من بدع لا تمت ، في واقعها التاريخى ، إلاّ إلى مؤلف « سفر الخروج » الذى كما يعطى أقواله صبغة قدسية ، اتخذ من موسى مادة لها وأبى أن يستهل حديثه عنه إلاّ منذ اللحظة التى دفعته فيها العصبية القومية إلى قتل مصرى . .

من اليقين أن مقتل ذاك المصرى كان نقطة البداية في مطلع موسى في أفق التاريخ الدينى ولكن الصورة التى يُصوِّرُها مؤلف «سفر الخروج» إنما هى صورة مُشوَّهة ملطخة رسمتها ريشة ملطخة بالدماء !. فإنَّ هذا المؤلف لا يتحدث عن موسى كنبىٍّ وكرسولٍ وإنما هو يتحدث عنه كرجل قَتَلَ !. ثمَّ استشعر النتائج من هذا الحدث فكاد القلب منه ينخلع هلعاً من قصاصٍ يراه وشيك الوقوع فقرَّ هارباً . . وأما إلى أين ؟. فهذا هو السؤال الذى تأتى الإجابة عنه من هذا المؤلف اليهودى الذى يأبى إلاَّ أن يجعله «الوطن الموعود» وحيث كان مازال هناك من سلالة العمومة أبناء ، ليقول لنا إن فى حِمَى الحمى من أبناء العمومة يطيب الجوار ويمكن الاحتماء فلقد اختار موسى من «أرض كنعان» تلك البقعة حيث ؛

«سكن فى أرض مديان» (١)

وهنا ..

هنا تبدأ النصوص فى التنفُّس عن نفسية مؤلِّفها فى نفس الوقت الذى تُفصح فيه عن الدرجة العقلية التى كان عليها هذا المؤلف وهو يُسطِّر هذه النصوص التى يبدأها منذ اللحظة التى هبط خلالها موسى تلك البقعة من أرض «كنعان» ويقول ؛

«وصار إلى أرض مدين وقعد عند البئر .

وكان لساكني مدين سبع بنات . فجئن واستقين وكلاّن المساقى ليسقين غنم أبيهن . فجاء الرعاة وطردهن فقام موسى ونجدهن وسقى غنمهن .

(١) الإصحاح ٢ «سفر الخروج»

فلما جئن رعوثيل أباهن قال ؛ ما بالسكن أسرعتن في الحىء
اليوم ؟

فقلن ؛ إن رجلاً مصرياً خلصنا من أيدي الرعاة وأيضاً استقى لنا
وسقى الغنم .

فقال لبناته ؛ وأين هو ؟ لم تركتن الرجل ؟ أدعونه لينا كل طعاماً .
فارتضى موسى أن يقيم عند الرجل فوزجه صفسورة ابنته .
فولدت ابناً فسماه جرشوم لأنه قال ؛ كنت نزيراً في أرض غريبة !
ثم ولدت ابناً ثانياً فسماه اليعازار وقال لأن إله أبى ناصرى
وأنتقذنى من يد فرعون ! .. »^(١)

نظرة عابرة نلقيها على هذه السطور ندرك من ورائها أن
هذا المؤلف اليهودى لم يعن بهذه « الأرض الغريبة » إلا مصر . وأما من
كان هذا « الفرعون » الذى لا يذكر مؤلف « سفر الخروج » اسمه فإن مجريات
الأحداث التى سيذكرها ستزيدنا يقيناً بأنه كان « رخ موسى » الكبير وخاصة
عندما ينتهى نفس هذا المؤلف روايته هذه ويستجمع قواه لغيرها ويتخذ لذلك
مدداً حياة موسى في بيت « كاهن مدين » الذى كفل لإيواءه مقابل تكلفته برعى
أغنام له في المراعى الحيطية بسفوح ذلك الجبل المسمى « جبل الله » والمعروف
باسم « حوريب »

وهكذا . . عن هذا اللون الرتيب من الحياة ، على حدِّ تصوير
مؤلف « سفر الخروج » ، انصرفت الأيام بموسى وتجمعت بانفراطها من حوله
إلى شهور ثم دارت في مدار الزمن إلى سنين حتى انحسرت عنه شيئاً وهو لم يزل

مُحتجب الظل في ظلال حوريب تُغيّبه عن أنظار عالمه لهذه السفوح معارج ومنحنيات لا عمل له إلاّ رعى أغنام « كاهن مدين » وإلاّ الهشّ عليها بعصاه وإلاّ توجيهها ، بهذه العصى ، أُنّى وجهة لها أراد . . وكأنّما هي شبيهة بالجماعات البشرية والمشبّهة في مصر بـ « قطع القطعان » ! . تسوقهم العصا وتُوجههم أُنّى وجهة إليها الرأى بها يشير !

هذه هي الصورة التخطيطية التي يُقدّمها لنا مؤلف « سفر الخروج » وهو من شريط الماضي يحسب أنه يسحبها سحباً وكسفا يضع عليها ألوانه الصارخة راح بطرف خفي يشير إلى الأعوام المضنية المميّزة التي مرت بموسى وبها مرّ موسى عبر عُمر مديد الأيام والعين منه عالقة بهذا الجبل الذي يُصا بجمه ويماسيه والذي تشمخ قمته المحتجبة بالغمام تحتذب من ثنايا البروق النظر وتطلق من خلال قصف الرعود للخيال العنان بينما تتراجع عن الارتقاء عليه الأقدام من كل انسان لأنه جبل ليس ككلّ الجبال . . كما بذلك يحدثنا مؤلف « سفر الخروج » في الإصحاح الثالث من « سفره » قائلاً بأن الجبل ، وهو جبل حوريب ، أنّما هو « جبل الله » .

وفي الواقع إن مؤلّف « سفر الخروج » لم يقرّر بهذا القول إلاّ حقيقة وهي أن هذا الجبل كان عند « مدين » مقدساً ، وكان لديها يعرف تحت اسم « جبل الله » وذلك لمعتقداتها القائل بأن « إيل — شداى » ، ومن معناه الإله ذو الشدة ، قد اختاره مكاناً للهبوط عليه من السماء . ونحن إذا تتبعنا تاريخ التفكيك الإلهي عند كل شعوب العالم القديم على حدة لوجدنا أن هذه المنظمة الجبلية لم تشذ عن هذه القاعدة عندما عبدت معبودها على هذا النحو

كإله يهبط على هذا الجبل بين وميض البروق وقصف الرعود .. كلا ، لم تشذ
« مدين » عن سائر شعوب العالم القديم عندما جعلت إلهها إلهاً جبلياً ووصفته
بنفس ما اتصفت به هي من صفات . فوصفته بالشدة وطبعته بنفس طبيعة أهل
الجبال بل وتصوّرتة رجلاً كرجالها حتى جرى فيما بينها عنه التعريف بأنه ؛
« رجل حرب » ! .

ولكن ! .

هنا يبدأ مؤلف « سفر الخروج » في إطلاق العنان
لخياله اعتاد التحليق في مواطن الشطحات ! . فهو ، وهو الذي قد أبى
إلا أن يتخذ من موسى وسيلة إلى غاية رعى إليها من وراء كتابته هذا « السفر » ،
يُصوّر موسى ، وهو الذي انحسرت عنه الأعوام راعياً يعيش في تلك المنطقة
الجبالية من الأرض ، وقد خضّبه هذا اللون من ألوان التفكير الإلهي المتخذ
محوراً « إيل — شداى » أو هذا الربّ الذى أسكنته مدين قم حوريب ..

ولكن ! .

هنا يتنبّه هذا المؤلف اليهودى إلى نفسه فيرى أن « إيل
— شداى » لم يكن إلهاً ربّاً خاصاً لمدين وأن « مدين » قد ماثلت بذلك
سائر الشعوب وأمّا هذه الجماعة من « بيوت إسرائيل » فلم يكن لها فى ذاك
العهد الذى يتحدث عنه هذا المؤلف ربّاً بها خاصاً يمكن لها أن ترتفع ،
باسمه ، إلى مصاف الشعوب ! .

هنا يطرق مؤلف « سفر الخروج » مُفكراً فيتذكّر
ما قد سطره ، من قبل ، مؤلف « سفر التكوين » وما قد ذكره من اسم
هو ذاك الذى كان قد وضعه ، افتراءً ، بين شفقي إبراهيم لحظة جعل يده تراجع

عن ذبح اسحاق . . ومن ثمّ فليس هناك أنسب من اسم «يهوه» ليكون رباً خاصاً لبني إسرائيل ! .

وهذا يُشْمَرُّ مؤلف « سفر الخروج » عن ساعديه ليجرى قلمه بالجدید من الافتراءات . . فلقد رأى هذا المؤلف في هذا الاسم ، الذى رواه زميله ، مدداً يستطيع أن يحيك به رواية جديدة فجعله اسماً يأتى إلى موسى من قسم حوريب وليجعله يعلن له عن نفسه بأنه : هو « يهوه » ، قد اختار « بنى إسرائيل » ليكون لهم إلهاً وليكونوا له شعباً . ، وإذا كان لم يكن لموسى معرفة به من قبل قط ، فأنما هو الذى كان إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب أو إسرائيل من قبل ! . .

كلاً . لن نقسأ ما الذى جعل مؤلف « سفر الخروج » يصب هذا الاسم في مسمع الزمن صباً بينما كان يطوى بخياله ذرعاً فسحات هذه السفوح من حوريب التى جعل موسى يقضى عليها أربعين عاماً منذ ترك مصر ؟ . . كلاً ، لن نقسأ . فحسبنا أن نصغى إلى هذا المؤلف اليهودى وهو بصور لنا موسى رائحاً وغادياً بين أرجاء هذه المنطقة الجبلية راعياً الغنم نهراً ومساهاً النجم ليلاً يستعرض الأحداث الجارية من حوله ومن بعيد ويتنسم الأخبار الدافقة من بلدٍ هو إلى العودة إليها يتوق ولا يحول بينه وبين هذه الأمنية إلا غروب حكم ومشرق حكم آخر ودون تحقيقه قد امتدت الآماد حتى ليبدو وكأنما ليس له شروق فالجالس على عرش النيل قد امتد به الأجل إلى حكم طويل طوى هذه الأربعين سنة التى قضاها موسى في ظلال حوريب حتى ليبدو وكأنما العمر لحكم هذا « الفرعون » الكبير ليس له غروب ! .

ولكن ..

فجأة تغيّرت في مصر مجريات الأحداث وعن الدنيا طوت راحة الزمن هذا « الفرعون » الذي تتضافر الأدلة على أنه كان « رع موسى » الكبير فليس هناك بين ملوك مصر من امتد به الأجل كل هذا القدر من السنين وتباهى حكمه إلى أكثر من ستين سنة سوى هذا الفرعون الذي لم تطلوه راحة الزمن إلاّ ونشرت « منفتاح » في نفس الوقت الذي تأهبت فيه لنشر « منفتاح » آخر جديد .. ومن ثمّ فقد زال حكم قديم وجاء حكم جديد نُسى في خضمّ ما قد استجدّ فيه من أحداث كل ما قد فات !. فانما الأيام التي مرت بعد زوال « حكم رع موسى » الكبير حتى استقام الحكم !. « منفتاح » قد شُحنت بالخطير من الأحداث التي غيّرت وبدلت الأوضاع في داخل البلاد وخارجها ولم يعد ما يحول بين موسى وبين العودة إلى مصر ..

ولكن ! .. هنا يتخذ مؤلف « سفر الخروج » من هذه الأحداث نلياله مدداً ومن ثمّ تبدأ النصوص في الانحسار عن ما يكنّته من هذا المؤلف اليهودي الضمير .. فهو يحدثنا ؛

« وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن مات ملك مصر ميتاً وتنهّد بنو إسرائيل وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله
فتذكّر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب !. » (١)

لا جدال في أن ما يقصده هذا المؤلف بكلمة « الله » ليس إلا « يهوه » ولسكننا لا يسعنا، وقد ذكر اسم « الله » إلا أن نقول استغفر الله !.

(١) الإصحاح ٢ « سفر الخروج »

أينسى الله حتى يتذكّر !؟ .

بقينا أنهما لنصوص تُفصح بنفسها عن نفسها وإلى المزيد من التعليق بأكثر من الاستغفار هي في غير حاجة . . .

والآن ؟ . الآن علينا أن يرهف السمع منا إلى هذا المؤلف الذى لا يربط بين موت ملك مصر واستصراخ بنى اسرائيل و « تذكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحاق ويعقوب » أو « اسرائيل » نفسه ، إلاّ ليجدنا قائلًا ؛
« وكان موسى يرعى غنم يثرو حميه كاهن مدين ، فساق الغنم الى ماوراء البرية حتى أفضى الى جبل الله »^(١)
وهناك ..

هناك في « جبل الله » وبينما كان موسى يرعى الغنم ؛
« تجلّى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط العليقة فنظر
فاذا العليقة تتوقّد بالنار وهى لا تحترق .
فقال موسى ؛ أميل وأنظر هذا المنظر العظيم ما بال العليقة لا
تحترق ؟

ورأى الرب أنه قد مال لينظر فناداه الله من وسط العليقة وقال ؛
موسى . موسى ! . »^(٢) .

نظرة عابرة ، ولا أقول سابرة ، نلقينا على هذه النصوص
تريفا أن مؤلف « سفر الخروج » قد جاء برواية مشوهة عن حدث قدسى ،
إذ قد خلط خلطًا بسيناء هو ، حتمًا ، له لم يفته وإلا لكان له قد صحّح ! . فهو

(١) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

يجعل المتجلى من وسط العليقة ، بادىء ذى بدى ، « ملاك الرب » ثم يجعله « الرب » نفسه حتى ليختلط علينا أيهما قد قصد هذا المؤلف بهذا المتجلى .. بينما فى انصراف عن خطأه هذا يسير شوطاً آخر فى نفس الوقت الذى لا يسعنا فيه إلاّ الإستمرار فى الإصغاء اليه وهو يواصل حديثه قائلاً بأن عند ذلك أجاب موسى و ؛

« قال هاأنذا ! » (١)

وحينذاك ، كما يقول هذا المؤلف اليهودى ، تكلم الرب و ؛
« قال أنا إله أبائك إله إبراهيم وآله اسحق وآله يعقوب ... ! » (٢)
نعم أنا « يهوه » !
وإنى أنا ؛

« إله العبرانيين ! » (٣)

أمام هذه الفقرات ، حتماً ، للفكر منا أن يتمهل للحظة .. كلاً ! بل للحظات يستعين خلالها بأضواء « علم النفس » على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهودى الذى جعل للعبريين إلهاً بهم خاصاً ونهج منهج زميله مؤلف « سفر التكوين » فأطلق عليه اسم « يهوه » وذلك لينتهى به إلى « بنى إسرائيل » بينما تستعيد الذاكرة منّا تاريخ هذا الاسم فى سجل التفكير الإلهى والدينى لتلك العصور .. لحظات ، تفرغ نفسها فى لحظات أخرى من التأمل أمام فقرات أخرى من هذه النصوص التى تسترسل قائلة بأن « المتكلم » قد واصل الكلام يزيد مُكَلِّمه بنفسه تعريفاً إذ ؛

(١) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٣) الأصحاح ٣ « سفر الخروج »

« قال له ؛ أنا الرب ! وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب ... وأما اسمي يهوه فلم أعرف عندهم ! .. » (١)

لا جدال في أن المعنى من وراء هذه النصوص لواضح كل الوضوح فإن هذا المؤلف اليهودي يريد أن يقول إن « يهوه » كان إله العبريين وأنه قد تفرّد من بين الأرباب الأخرى بأنه إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب ، وذلك ليجمعه ربّاً خاصاً لبني إسرائيل فإما « يهوه » إذا كان إله يعقوب أو إسرائيل فهو قطعاً إله « بني إسرائيل » . . وأما وإن اسحاق ويعقوب لم يعرفا اسمه فهذا قول لم يتنبّه هذا المؤلف اليهودي الى مجافاته لأبسط قواعد المنطق في نفس الوقت الذي نسي فيه أن زميله مؤلف « سفر التكوين » كان قد نسبته الى إبراهيم ! . ولكنه يُوالى الحديث مؤكّداً بأن « يهوه » هو هذا الربّ الذي قد ظهر لموسى وقال ؛

« أنا الربّ وأنا ظهرت لإبراهيم واسحاق ويعقوب . . وأيضاً أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغرّبوا فيها ! . » (١)

يقيناً لقد شدّ المؤلف اليهودي عن كل قاعدة من قواعد المنطق بهذه النصوص التي تجعل هذا الربّ قد قطع على نفسه عهداً وبه لم يف ! .

أى ربّ كان هذا « الربّ » ؟ .. وأى ربّ هو « يهوه » ؟

عن هذه الأسئلة ستفصح من بعد النصوص التي سيوافينا بها هذا المؤلف الذي نهج منهج زميله مؤلف « سفر التكوين » وابتعث من سجلّ أرباب ليل الإنسانية وطفولة العقل البشرى هذا الربّ المسمّى « يهوه »

وليُجعلهُ « إله بني إسرائيل » جعلهُ « إله العبرانيين » وكأنَّنا اللاَّوعى من هذا المؤلِّف قد احتفظ بما كانت عليه مرتبة « يهوه » بين الأرباب فلم يضرهُ أن يصفهُ بالنسيان بل ولم يجد غضاضة في أن يقول إنه قد نسى عهداً كان قد قطعهُ للأبناء وعفى عليه كثر الدهور ومرور الأزمان ولكنه عندما سمع أنبن الأبناء تذكَّر هذا « العهد » وابتعثته منه الذَّاكرة من لجة النسيان ومن ثمَّ فهو يقول ؛

« قد سمعت أنبن بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون

وتذكَّرت عهدي .. » (١)

أوَ غرابة في ذلك ؟

كلاً ، لا غرابة في ذلك على « يهوه » وإلَّا فما الغرابة إلَّا بتذكُّر « يهوه » عهده هذا إلَّا عندما ترامت من مصر الأنباء بأن حكم الوادى قد انتقل من حاكم إلى حاكم آخر وأن كل من كان يطلب الثَّار قد مات .. فنحن نسمع هذا المؤلِّف يقول بأنهُ ليس إلَّا وقتذاك ؛

« قال الرب لموسى ؛ .. امضى فارجع إلى مصر فإنَّه قد

مات جميع القوم الذين يطلبون نفسك ! » (٢)

من ثمَّ فاذهب إلى هناك .. وهناك ؛

« قل لبني إسرائيل ..

اتَّخذكم لى شعباً وأكون لكم إلهاً .. وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت يدى أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب .

وأُعطيكم إياها ميراثاً ! .. » (٣)

(٢) الاصحاح ٤ « سفر الخروج »

(١) الاصحاح ٦ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٦ « سفر الخروج »

وهكذا ..

هكذا يبدأ القلم في يد هذا المؤلف اليهودي بمقدمة عقدة « الأرض الموعودة » كما تطلع علينا هذه الحقيقة هادرة من نصوص هذا السفر الثاني من « الأسفار الخمسة » للنسوبة باطلاً إلى موسى .. فنحن إذ نمرّ على السطور من هذا « السفر » لا يسعنا إلاّ أن نتمهل عند الفقرات التي تمثّل الخيوط في عقدة « الأرض الموعودة » وذلك لأن هذا المؤلف اليهودي قد تجنّى على موسى ، عليه السلام ، لجعله نفسه يعقد عقدة هذه « العقيدة » في نفس الوقت الذي راح فيه يصبغ قصة موسى بصباغ الأساطير ويحسب أنه بذلك قد أزاح عن « الأرض الموعودة » ركام السنين !. وأما كيف تجدد « العهد » بإعطائها لبني إسرائيل ميراً ؟ .. وأما كيف تحولت من عقيدة مستقرة في طيات الطوية الإسرائيلية يتناوبها مدّ الذكرى وجذر النسيان إلى عقدة مستعرة تستذلّ الصعاب فأمر يمكننا أن نستجليه تمام الاستجلاء إذا استعنا بأضواء « علم النفس » على التغلغل إلى نفسية هذا المؤلف اليهودي الذي يأتينا بنصوص لا نضعها في موازين الفكر ونزنها بمعايير المنطق إلاّ ونقف حيارى أمام هذه الجماعة التي ما زالت ، حتى اليوم ، لها تردّد وبالقدسية لها تحفّ في غير تذبّبه الى ما تحتويه هذه النصوص من خلط وما عليه تشتمل من أغلاط تسجلّها بنفسها على نفسها ، لا لقولها بألوهية « يهوه » فحسب وإنما لأنها تجعل هذا « الوعد » يأتي من هذا الرب الذي وقع عليه ، من قبل ، هوى مؤلف « سفر التكوين » ثم وافق الهوى من مؤلف « سفر الخروج » فاختره للعبرانيين إلهاً كما يكون « لبني إسرائيل » إلهاً ويكونون له شعباً يصارعون باسمه الشعوب وأما جزاؤه منهم مقابل انتصارهم على شعوب الكون فتخصّيبه إلهاً للكون !.

لا جدال في أن لهذه الفكرة نظير بل ونظائر في تاريخ التفكير الإلهي عند سائر الشعوب ولكنها هنا هي التي تسجل تاريخ تسييج فكرة «الأرض الموعودة» بسياج القدسية ، هذه القدسية المستمدة من الإيمان بصحة هذه النصوص التي لا تقف عند هذا الحد من الشطط وإنما هي تسترسل قائلة بأن موسى قد أجاب مُكَلِّمَه قائلا ؛

« .. ها أنا آتي الى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم

أرسلني إليكم فاذا قالوا الى ما اسمه ؟

فماذا أقول لهم ؟ .. ! » (١)

ومن قم حوريب جاء ، كما يدعى هذا المؤلف اليهودي ،

الجواب ؛

« .. هكذا تقول لبني اسرائيل ؛

يهوه إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب

أرسلني إليكم .

هذا اسمي الى الأبد ! . » (٢)

ومن ثم ..

« فالآن هلمّ فأرسلك الى فرعون ومُخرج شعبي بني إسرائيل

من مصر ! . » (٣)

من ثمّ فاذهب ..

(١) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٣ « سفر الخروج »

« اذهب واجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم ؛ الرب إله آباءكم ، إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ، ظهر لي قائلاً ؛
إني قد افتقدتكم ! . فقلتُ أُصعدكم من مذلة مصر الى
أرض الكنعانيين ! .. الى أرض تفيض لبناً وعسلاً .
فاذا سمعوا لقولك تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل الى
ملك مصر وتقولون له ؛ الرب إله العبرانيين التقانا .
فالآن نمضى سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا ! . » (١)
ولكن ! .

« يكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين !
بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة
فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون
المصريين ! » (٢)

ما هذا الهراء ؟ وما هذه الترهات ؟ !
يقيناً لقد تبادى مؤلف « سفر الخروج » وعن الصواب حاد
بل وخرج عليه خروجاً بيتناً بإمعانه في افتراءه على موسى ! . فمن اليقين أنه
لهراء وأنها لترهات إنما هي هذه النصوص التي تجعل « يهوه » إله موسى ! .
غفرانك يا الله ! .

بيد أن هذا المؤلف اليهودي يأبى إلا أن يعود إلى ترهاته
من جديد كما يستلها بهذه الصيغة من النصوص التي تحدثنا بأن عند ذاك ؛

(١) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٣ « سفر الخروج »

« قال موسى للرب : »

استمع أيها السيد . لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .

استمع أيها السيد . ارسل بيد من ترسل ! .

فخمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هرون اللاوى أخاك ؟ فتكلمه وتضع الكلمات في فمه .. وأعلمكما ماذا تصنعان .
هو يكون لك فمًا وأنت تكون له إلهًا ! . » (١)

وهكذا يمضي هذا المؤلف اليهودي في افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، قائلا بأنه خرج مستصحبا ابنه وصفشورة امرأته ، بنت كاهن مدين ، راجعا إلى مصر اثمارا بأمر « يهوه » .. بل ويسير هذا المؤلف شوطا آخر في شطحاته فيقول ، ولكن :

« لما كان في الطريق في المبيت التقاء الرب فطلب قتله ! فأخذت صفشورة صوآنة فقطعت قلقة ابنها ومست رجله وقالت : إنك لى عروس دم ! فكف عنه ، عند ما قالت عروس دم ، من أجل الختان ! . » (٢)

ما هذا المنطق الشاذ بل والشاذ كل الشذوذ ؟ وإلا فلماذا كان الأمر بالعودة إلى مصر إذا كان القتل مطلبا في الطريق ؟ ! .
ثم .. ثم ما هذا الوصف الذي وصمه السفه والذي يجعل « الرب » قد كف عن قتل موسى عندما رأى دم الختان ؟ ! .
أف ! .

يقينا أن الاعتقاد بقدسية هذه النصوص ونسبتها إلى موسى

يصم صاحبه بوصمة الكفر ! . بل ويصمه بنفس لون هذا الكفر الذى وصم به مؤلف « سفر الخروج » نفسه ويده تبادى فى عبثها وتمتد لتحديثنا عن تلك الفترة التى سجل الزمن خلالها انحسار سجل التاريخ الدينى عن موسى فى مصر ..
يحدثنا مؤلف « سفر الخروج » بأن موسى قد عاد إلى مصر شيخاً تدفعه للعودة إلى أهل له فيها صُور على الجبين منه تطوف وأمانى بين الضلوع به تعصف وإنه لم يستقر به وهرون المقام إلا ؛

« .. وجما جميع شيوخ بنى إسرائيل . فتكلم هرون بجميع الكلام الذى كلم الرب موسى به » (١) .

وهنا ، كان حتماً أن يسير هذا المؤلف اليهودى فى روايته هذه فيكملها ويحيك منها هذا المشهد الذى صور به الرؤوس من شيوخ « بنى إسرائيل » مطرقة والمسامع منهم مرهفة تنصت فى شوق لهيف ، كما يدعى ، إلى صوت هرون مُردداً ما قد سرى به إليه الصوت من موسى يقول إنه قد نودى من وسط العليقة من إله الآباء الثلاثة ، إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ، مما جعل الرؤوس من شيوخ « بنى إسرائيل » ، على حد تصوير هذا المؤلف ، تتدانى وفى صوتٍ خفيض تسأل ؛

و « ما اسمه ؟ ... »

ومن نفس المصدر ، كما يدعى هذا المؤلف ، جاءهم الجواب

يقول إن اسمه ؛

« يهوه . ! »

« يهوه » ؟ .

« يهوه » ؟ ! .

(١) الأصحاح ٤ « سفر الخروج »

اسم، تجاوب في ترديد بين شفاه شيوخ إسرائيل لحظة إليهم أتى ،
كما يدعى مؤلف « سفر الخروج » ، بمن عاينه افترى نفس هذا المؤلف كل
هذه الافتراءات !.. وأما لماذا جاء « يهوه » فليس إلا ليعددهم إيفاء « العهد »
ويذكرهم بأن إله الآباء قد تذكر عهده للآباء فاقد انطاق الصوت منه يقول ؛
« أنا الرب » . . . قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبددهم
المصريون وتذكرت عهدي !

لذلك قل لبني إسرائيل ! أنا الرب وأنا أخرجكم من
من تحت أثقال المصريين وأُنقذكم من عبوديتهم . . واتخذكم لي شعباً وأكون
لكم إلهاً !

فتعلمون أنني أنا الرب إلهكم الذى يخرجكم من تحت أثقال
المصريين وأدخلكم إلى الأرض التى رفعت، يدى أن أعطيها لإبراهيم
وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثاً (١) .

كيف ؟ . .

عن هذا السؤال يأتينا من مؤلف « سفر الخروج » الجواب قائلاً

لقد ؛

« قال الرب لموسى ؛ الآن تنظر ما أنا فاعل بفرعون !

فإنه بيد قوية يطلقهم وبيد قوية يطردهم من أرضه . » (٢)

ما هذا ؟ . ما هذا الخلط فى القول وفى المعنى وما هذا الإسفاف

الواضح فى التفكير ؟ . .

لا جدال فى أن هذه النصوص تنفى بنفسها عن نفسها ، القدسية

(١) الأصحاح ٦ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ٦ « سفر الخروج »

التي ألحقها بنفسها لا لأن هذا المؤلف اليهودي باعترافه هذا بأن خروج « بنى إسرائيل » من مصر كان عن طريق الطرد وبذلك ينقض كل قصة أخرى من قصصه التي تتعلق بهذا الخروج فحسب وإنما لأنه بهذه النصوص قد اعترف بأن الدين اليهودي الحالى قد اتخذ مبدأ وجوده من تأليه رب محلى ! .

أو شك ؟ ! .

أن الدين اليهودي الحالى لا يعترف إلا بالوهة « يهوه » كرب أعلنه مؤلف « سفر الخروج » خاصاً بالعبريين ثم جعله من دون سائر آلهة ذلك العصر إلهاً خاصاً لبنى إسرائيل وكأنما هذا المؤلف يريد أن يقول إنه إذا كان « آمن » لمصر إلهاً وإذا كان « مردوق » لبابل إلهاً وإذا كان « آشور » لأشور إلهاً فإنما لإسرائيل قد غدا أيضاً إلهاً .. بل وإذا كان المصريين هم من « آمن » « الشعب المختار » فإنما بنو إسرائيل ، أيضاً هم من « يهوه » « الشعب المختار » .. !

يقيناً لقد خاض مؤلف « سفر الخروج » فى خضم الترهات خوضاً عجيباً لا لأنه قد انتزع من وهاد الربوبة القبلية هذا الرب انتزاعاً وجعله لإسرائيل إلهاً فحسب وإنما لأنه قد افترى على موسى ، عليه السلام ، إذ نسب إليه هذه الافتراءات وقال عنه إنه بهذا الرب آتى وجعله لإسرائيل إلهاً غداة إلى مصر عاد يعدم باسمه امتلاك « أرض كنعان » ميراثاً .. فنحن نسمع من نصوص هذا « السفر » ما يؤكد محلية « يهوه » عبر هذا القول الزور الذى وضعه هذا المؤلف اليهودي بين شفقى موسى لحظة ازداد تجدياً عليه وتطاولاً وقال بأنه ، كما يخوض غمار القتال ، راح يترنم بصفة « يهوه » رباً كالأرباب قائلًا :

« الرب رجل الحرب !

من مثلك بين الآلهة يارب ١٩ . »^(١)

بهذا الاعتراف الرسمي الذي يجيء إلينا من هذا المؤلف اليهودي صريحاً يقول بأن « يهوه » بالآلوهية لم يتفرّد وأنه لم يكن إلاّ بين أرباب المصريين وأنه لم يكن إلاّ لإسرائيل إلهاً جاء بعدهم « أرض كنعان » ماسكاً وميراثاً ، نضع يداً على موطن الضعف في تاريخ « عقيدة الأرض الموعودة » عند اليهود أنفسهم وإلى مدى هذا الضعف حرى بنا أن نلفت الأنظار منهم فنقول ؛

إن « الوعد » بمنح « أرض كنعان » إلى « بني إسرائيل » لم يجيء إلاّ على لسان « يهوه » وإذا كان « يهوه » هو المانح وليس بالآلوهية هو المتفرّد فما نصيب هذا « الوعد » في معايير الحقيقة والتفكير السليم ١٩ .

والآن ..

الآن لنواصل الإصغاء إلى مؤلف « سفر الخروج » ، وهو يواصل حديثه وفي افتراءاته على موسى يتمادى فيصوره لنا وقد امتدت منه اليد تجمع جماعة إسرائيل في مصر وتُخضع ، باسم « يهوه » ، إلى كلمته منهم الرقاب وتحولها ناحية حوريب وذلك ليقول لنا بأن هذه اللحظة كانت نفسها تلك اللحظة التي سجلت تحول فكرة « الأرض الموعودة » من عقيدة متوارثة إلى عقيدة دينية !

ويعيناً إنها للحظة من عمر الزمن كانت تلك اللحظة التي

(١) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »

وفي الواقع أن التاريخ السياسي المصري القديم يهديننا إلى أن هناك تمرداً قد حدث في عهد « منفتاح » ممّا أدّى إلى تنسكيل « منفتاح » بالإسرائيليين في جملة من نكل بهم ممن شقوا عصا الطاعة على السلطان المصري. وهذا يتسق مع سير أحداث « بنى إسرائيل » وسير مجريات الأحداث أيضاً في مصر القديمة في ذلك العهد ، ودليل على ذلك تلك النقوش التي ستصادفنا بعد قليل .. ولكن .. حتى يحين الحين لاستعراض هذه النقوش نقول بأن هذا المؤلف اليهودي إذ يجعل هذا السؤال ينطلق من الجانب المصري فليس إلاّ ليسترسل في روايته هذه ويقول بأن الأمر قد صدر من الجانب المصري أيضاً بتشديد العمل على هؤلاء العمال من « بنى إسرائيل » ؛

« يُثقل العمل على القوم حتى يشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى كلام الكذب ! .. » ^(١)

« كلام الكذب » ؟ !

من الواضح أن « كلام الكذب » هذا لا يعنى إلا ذلك الكلام الذى افتراه مؤلف « سفر الخروج » على موسى وقال عنه إنه كلام « إله العبرانيين » إليه والذى ، كما يدعى هذا المؤلف ، قد واصل الكلام و؛ « قال الرب لموسى ؛

قد بقيت ضربة واحدة أنزلها على فرعون والمصريين

وبعد ذلك يُطلقكم من ههنا .

وعند إطلاقه لكم جملة يطردكم من ههنا طرداً . » ^(٢)

(١) الإصحاح ٥ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١١ « سفر الخروج » .

هذه نصوص أخرى صريحة تدلّ على أن « الخروج » من مصر كان طرداً وليس هذا فحسب وإنما هي تؤكد أن هذا الطرد قد حدث في فترة قلقة غير مستقرة في داخل البلاد تتفق وسير الأحداث التي كان الوادي يعانيها خلال الفترة الأولى من حكم « منفتاح » بل إن الأدلة لتتالى على أن هذا الطرد قد حدث في فترة صاخبة من تاريخ الوادي وإن كان مؤلف « سفر الخروج » يصف هذا الحدث وصفاً غير تاريخيٍّ إذ يقول ؛

« وقال موسى كذا قال الرب ؛

إنّى نحو نصف الليل أجتاز في وسط مصر . فيموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون .. إلى .. جميع أبكار البهائم .
ويكون صراخ عظيم في جميع أرض مصر لم يكن مثله ولن يكون مثله !. »^(١)

وهنا ، نتمهّل للحظة معاًملين ..

كلا ، لن نساءل في خلال ذلك قائلين ؛

ماهي البواعث التي حتمت هذا الطرد الذي يذكره مؤلف « سفر الخروج » بل وحددت له موعداً كان في تلك « الليلة » التي يتحدث عنها هذا المؤلف اليهودي قائلاً ؛

« وكلم الرب موسى وهرون في أرض مصر قائلاً ؛

هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم أول

شهور السنة .

كلّاً جماعة إسرائيل وقولاً لهم ؛

(١) الاصطاح ١١ « سفر الخروج »

ليتخذوا لهم في العاشر من هذا الشهر كل واحد حَمَلاً بحسب
بيوت الآباء لكل بيت حَمَلاً.

حَمَلٌ صحيح ذَكَرٌ حَوْلَى يكون لكم من الضأن ، أو
المعز ، تأخذونه . ويكون عندكم محفوظاً إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر .
فيذبحه كل جمهور جماعة إسرائيل بين الغُرويين . ويأخذون من دَمِهِ
ويجعلون على قائمَتَي الباب وعتبته المُسَلِيَا على البيوت التي يأكلونه فيها .
وَيَأْكُلُونَ لَحْمَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ شَوَاءً نَارٌ بِفَطِيرٍ ! .. مع

رأسه وأكارعه وجوفه ...

وهكذا تأكلونه ؛

تكون أحقاؤكم مشدودة ونعالكم في أرجلكم وعصيكم
في أيديكم وكلوه بعجلة ! ..

وأنا أجتاز في أرض مصر في تلك الليلة وأقتل كل بكر في

أرض مصر من الناس والبهائم ...

فيكون الدم لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى
الدم وأعبر عنكم ولا تحل بكم ضربة دلاك إذا ضربت أرض مصر !

ويكون هذا اليوم لكم ذكراً فتعيّدونه ...

سبعة أيام تأكلون فطيراً . في اليوم الأول تخلون منازلكم

من الخمر فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تنقرض

تلك النفس من إسرائيل ! .. » (١)

وهنا يكمل هذا المؤلف اليهودي روايته هذه قائلاً :

« فدعا موسى جميع شيوخ إسرائيل وقال لهم :

انهضوا ! . . . وخذوا طاقة زوفى واغمسوها فى الدم الذى

فى الطست ولا يخرج أحد منكم من باب منزله إلى الغداة .

فيجوز الربُّ ليضرب المصريين فإذا رأى الدمُّ على العتبة

العليا وقائمتى الباب عبّر الربُّ عن الباب ولم يدع المهلك يدخل بيوتكم

ضارباً . ا . » (١)

ومن ثمَّ ؛

« مضى بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الربُّ موسى وهرون

بحسب ذلك عملوا . فلما كان نصف الليل ضرب الربُّ كلَّ بكرٍ فى جميع أرض

مصر . فقام فرعون ليلاً هو وجميع عبيده وسائر المصريين وكان صراخ

عظيم فى مصر حيث لم يكن بيت إلا وفيه ميت .

فدعا موسى وهرون ليلاً وقال ؛ قُوما واخرجا من بين شعبي

أنتم وبنو إسرائيل ! .. غنمكم وبقركم خذوها .. وانهضوا ! . » (٢)

بهذه الصورة التى يُصوّرها هذا المؤلف اليهودى جاء

طرد « بنى إسرائيل » من مصر ليلاً . وأمّا ما الذى قد حدث حقيقة فى تلك

« الليلة » فهذا أمر ينطوى فى غضون السّفة الخامسة من حكم « منفتاح »

وينتشر غداة أُخذت العاصفة التى كانت قد هبّت من لوبيا وحاولت اقتحام

الوادى من ناحية « أرض غوشن » حيث كان يسكن بنو إسرائيل . . .

(١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

وإذن ! .

فليطرد « بنو إسرائيل » من مصر ! .

ليطردون ! . . ليطردون فوراً وفي هذه الليلة بالذات حتى

قبل أن يُسفر الصباح ! . .

فلقد ؛

« ألح المصريون على الشعب ليُجِّبوا اطلاقهم ! . »^(١)

وأُسرع « بنو إسرائيل » يجمعون حاجياتهم ولما كان الأمر

قد صَدَرَ بطردهم فوراً فقد ؛

« حمل الشعبُ عجينهم قبل أن يختمر ! فكانت معاجنهم

مشدودة في ثيابهم على مناكبهم . . »^(٢)

هذه هي الصورة التي يقدمها لنا مؤلفُ « سفر الخروج »

عن خروج « بنو إسرائيل » من مصر .. حملوا عجينهم قبل أن يختمر وشدوا

معاجنهم في ثيابهم على مناكبهم وما حلّوا في أول مرحلة من مراحل

الطريق إلا ؛

« وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبزاً مَلَّةً فطيراً إذ

كان لم يختمر .

لأنهم طُردوا من مصر ، ولم يقدروا أن يتأخروا ! . »^(٣)

وهنا . .

(١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

هنا أمام هذا اللوث من ألوان الارتجال ، حمًا ، تتغير
معايير التاريخ العبرى طالما أن هذا « الخروج » لم يكن إلا طرداً وطرذاً
بعد إقامة في مصر يُحددها مؤلف « سفر الخروج » ، قائلًا بأن :

« إقامة بنى إسرائيل التى أقاموها فى مصر فكانت أربع مائة
وثلاثين سنة . » ^(١)

ومن ثم ..

إذا كانت إقامة « بنى إسرائيل » فى مصر قد حُددت
هذا التحديد بيد مؤلف يهودى نفسه من بنى إسرائيل وعالم بتاريخ رحلات
آباء له وأجداد فنستطيع أن نقول إن هذا التحديد نفسه يهديننا إلى أن هذا
« الطرد » قد حدث فى عهد « منفتاح » . فنحن نعلم أن العصر الهكسوسى
قد بدأ حوالى سنة ١٧٩٠ ق م وبالتالى ، نعلم أن « منفتاح » قد حكم مصر
عشر سنوات انتهت بوفاة سنة ١٢٢٥ ق م ومن هنا نضع يدنا على فترة
زمنية تبدأ منذ بداية العصر الهكسوسى حتى نهاية عهد « منفتاح » وهذه تربو
على الخمسمائة سنة بأكثر من نصف قرن من الزمن على حكم الهكسوس مصر ،
فيجب علينا أن نطرح ذلك القدر من السنين الذى يذكره المؤلف اليهودى من
تلك المجموعة وبذلك نحصل على نفس الفترة الزمنية التى حددها مؤلف « سفر
الخروج » على إقامة « بنى إسرائيل » فى مصر . ثم بالإضافة إلى ما لدينا من
الوثائق المصرية القديمة التى تدلنا على أن الإسرائيليين قد طردوا من مصر فى
عهد « منفتاح » فإننا نستطيع أن نضع يدنا على الخيوط التاريخية الصحيحة لهذا
الحدث الذى لا يمكن بحال إلا أن يكون قد حدث فى السنة الخامسة من حكم

(١) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

« منفتح » وعلى ذلك يأتي البرهان في « قصيدة النصر »^(١) التي ألفت بمناسبة انتصار « منفتح » على لوبيا .

إن هذه القصيدة ، « قصيدة النصر » ، التي أرخت بتاريخ يوم الانتصار على اللوبيين ، وهو اليوم الثالث من الشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم « منفتح » ، ١٤٣٠ ق م ، والتي تتألف من ثمانية وعشرين سطراً سجلت نقشاً على لوحة من الجرانيت الأسود مازالت تقوم في المعبد الجنائزى لمنفتح والمسماة « لوحة إسرائيل » ، لأن في نهاية السطرين الأخيرين جاء ذكر استئصال شأفة بنى إسرائيل ، إنما هي سجل قائم على أن طرد « بنى إسرائيل » من مصر إنما حدث مقرونًا بالانتصار على اللوبيين ..

لا جدال في أن هذه القصيدة كانت ذات أهمية كبيرة لدى « منفتح » فهي في مجموعها فخار بالنصر العظيم الذى أحرزه الملك على اللوبيين في تلك السنة الخامسة من حكمه والتي نجت مصر في خلالها من الأخطار التى أهدت بها . والقصيدة تزخر بالاستعارات والتشبيهات مما أسبغ عليها صورة شعرية لأن كاتبها قد وصف فيها هزيمة الاعداء بأسلوب أخاذ .. وفي ختام هذه القصيدة التى صاغت المحامد لمنفتح ، بصفته الحاكم الذى زاد عن حياض بلاده وخلصها من غارات اللوبيين وكسر شوكتهم ، يصف لما الكاتب حالة السلام والطمأنينة التى سادت الوادى بعد هذا الانتصار ويعدد لنا أسماء القبائل والبلاد والأقاليم التى أخضعها « منفتح » ، ويستهلها بلوبيا وينهيها بجماعة « بنى

(١) سجلت هذه القصيدة نقشاً على لوحين تذكاريين ، قامت الواحدة في معبد الكرنك كما يستدل على ذلك بقطعة وجدت هناك ومازالت اللوحة الأخرى قائمة في المعبد الجنائزى لهذا الملك .

إسرائيل « مما يدل دلالة تامة على أن خروجهم من مصر كان في عهد هذا
« الفرعون » ...

والآن ..

الآن نقف أمام « مدونة منفتاح » ونقرأ :

« إن « تحنو » ^(١) قد خُربت .

« فأتى « أمست مسالمة .

« عسقلان » أُزيلت .

« جيزر » قُبض عليها .

« بنوم » أصبحت لا شئ .

وإسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت ! . »

أمام هذه المتون التي وُجدت بين أنقاض « معبد منفتاح » في
طيبة ^(٢) نقف للحظةٍ يعود بنا خلالها الفكرُ إلى الوراء يستعرض تلك اللحظة
الزمنية من اليوم الثالث للشهر الحادى عشر من السنة الخامسة لحكم « منفتاح »
وليستعرض من خلالها تلك الأحداث التي سبقتها حينما تألف بقيادة العاهل
الأسبى « مريى بن دد » حلف معاد لمصر ثم أقبل يزحف من جهة « أرض
غوشن » على الوادى ليعود إلى بلاده مدحوراً يسعى فى ركابه الفشل ... نرى
أن هذا الفشل الأسبى يتسق وتاريخ خروج « بنى إسرائيل » لما جاء من
ترابط فى الذكر عند ذكر هذين الحدثين

وفى الواقع أن أهم ما يلفت النظر فى أفق التاريخ من هذه القصيدة
التي نقشت تحليداً لذكرى انتصار منفتاح على بلاد لوبيا وأقوام البحار ووصف

(١) « لوبيا » (٢) كشفت عنها « فلندرز بى » سنة ١٨٩٦ م .

فيها حالة الأمن الشامل الذى ساد الوادى بعد أن أُبعد خطر الغزو عنه وأخطار
العيون والأعوان هو ذكر جماعة « بنى إسرائيل » وبخاصة هذه العبارة التى قد
مررنا بها من قبل وهى الفاتلة بأن « إسرائيل قد أقفرت وبذرتها قد انقطعت » .
فإنه على الرغم من وجود هذه العبارة فى اللغة المصرية القديمة فى غير هذا المكان
فإن استعمالها بالذات هنا ، بالنسبة لبنى إسرائيل ، يشتمل على أهمية عظيمة فى
بحث موضوع خروجهم من مصر والأسباب التى أدت إليه والذى كان ، بالتالى
، كما يتضح ، يههم^١ الحكومة المصرية وقتذاك . . فإن^٢ الإسرائيليين أنفسهم
كانوا يسكنون « أرض غوشن » ، وهى التى يسميها مؤلف « سفر الخروج »
أرض « جاسان » والتى نسميها اليوم « وادى طميلات » . . . ولم يكن لهم
فى عهد الامبراطورية المصرية مكانة اجتماعية ولا مرتبة سياسية حتى^٣ تذكر
ومن ذلك نفهم أنهم وإن كانوا محل انتباه فإنهم لم يكونوا بأية حال من
هؤلاء الناس الذين كانت الحكومة المصرية تهتم بذكرهم أو بتدوين أعمالهم فى
السجلات الرسمية غير أن القلم المصرى وجد حادثة واحدة تتصل
بإقامتهم فى مصر كان لها من الوجهة المصرية أهمية سياسية وذلك أن خروجهم
جملة من الديار المصرية كان يههم^٤ الحكومة وقتئذ وعلى ذلك جاءت الإشارة
إليه فى السجلات الحكومية الخاصة بهذا العصر .

ومن ثم . .

لا جدال فى أن هذه الحادثة التى جاء ذكر « بنى
إسرائيل » فيها فى القرون المصرية كانت من الأهمية بحيث استرعت اهتمام
المؤرخ المصرى القديم وفضلا عن ذلك فإنها لما كانت آخر ما ذكر عنهم فى
ذلك العهد مما يسجل لنا انقطاع علاقة هذه الجماعة بمصر فإننا نستطيع أن نستقطن

من ذلك كله أنه إذا كان هناك ذكر للإسرائيليين في تلك النقوش المعاصرة لإقامتهم في مصر فإن ذلك لا بدّ يشير إلى خروجهم وعلى صحة هذا الاستنباط يمكن الوصول بسبر أمرين هامين :

الأول — العلاقة بين تاريخ الخروج وتاريخ نقوش اللوحة .

الآخر — معنى الجملة التي جاءت في النقوش خاصة إسرائيل .

أمّا تاريخ النقوش فليس لدينا فيه أدنى شك إذ قد وُجد في متن اللوحة ذكرى السنة الخامسة من حكم « منفتاح » .

وأما تاريخ خروج بني إسرائيل فانه وإن كان لا يمكن تحديد اليوم بصفة قاطعة إلا أن الآثار المصرية تحصر هذه الحادثة في السنة الخامسة من حكم « منفتاح » ... وأما أنها كانت عهد هذا الملك فالدليل على ذلك يأتي مما لدينا ، بين الأوراق البردية ، من وثيقة تُعرف بـ « ورقة أنسطاسي السادسة »^(١) وتشمل خطاباً من كاتب الملك منفتاح جاء فيه ما يأتي :

« إن بسض بدو « شاسو » و « أيتام »^(٢) قد سُمح لهم ، على حسب التعليمات ، أن يجتازوا حصن إقليم « سكوت »^(٣) ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من بلدة « بتوم » في ضياع الفرعون العظيم . :

وهذا الخطاب كُتب في السنة الثامنة من حكم « منفتاح » ويتضح منه أن هؤلاء « شاسو » قد سمح لهم بالمرور ببعض أرض التاج في « غوشن » ، وادى الطميلات . . ومن البديهي أن هذه الحالة لا يمكن أن تحدث إذا كان الإسرائيليون لا يزالون يقيمون في « أرض غوشن » في السنة الثامنة من حكم

(١) في المتحف «البريطاني» (٢) « أدوم »

(٣) « تل المسخوطة » في وادى طميلات .

« منفتح » ! . ومن ثمَّ فلا بدَّ أن تكون حادثة الخروج قد وقعت في وقت ما قبل هذا التاريخ وهذا البرهان كاف بتحديد الفترة الزمنية التي كان فيها هذا الخروج ليحصره في نفس تاريخ نقش اللوحة ..

والواقع أن ما جاء في متن اللوحة المشار إليها آنفاً يُعدّ سجلاً معاصراً لخروج « بنى إسرائيل » كما يدل دلالة واضحة على أنه قد وقع في السنة الخامسة من حكم « منفتح » لأن الغزو اللبني لمصر في تلك السنة كان ، حتماً ، أن يحدث أموراً في شرق الوادي حيث توجد « أرض غوشن » وحيث كان الإسرائيليون يقيمون . وبالإضافة إلى ذلك كانت الأحوال وقتئذٍ تتطلب أن تُسحب الحاميات التي على الحدود الشرقية لتقوية الجيش الذي كان يقوم بصدّ الغزيرين من جهة غربي الدلتا وشمالها وبذلك لا تترك إلاّ قوة قليلة لحماية الحدود . وهذا برهان آخر يعضد البرهان الأول على أن الحادثين ، قهر لوبيا وطرده إسرائيل ، قد وقعتا في زمن واحد ! .

ثمَّ أن هناك برهاناً آخر يأتي إلينا من متون هذه اللوحة نفسها وهو ما نلاحظه من تفصيل في كتابة كلمة « إسرائيل » في الأصل المصري ..

يُلاحظ أن في الأصل المصري تفصيلاً في كتابة كلمة « إسرائيل » له أهميته . فنحن حينما نجد في كتابة اسم قوم من الأقوام الذين ذُكروا مع « إسرائيل » مُخصّصاً في نهاية الاسم دل ذلك على البلاد الأجنبية وهذا المُخصّص في كلمة « إسرائيل » غير موجود ، بل كُتب بدلاً منه مُخصّص آخر يدل على أنهم قوم أجانب لا وطن لهم وأنهم ليسوا من أصحاب هذه البلاد أو تلك . ومن هنا نعلم أن عناصر النقش نفسه تُؤيّد وقت الخروج .. وإذا علمنا ذلك ، بالإضافة إلى علمنا بأهمية الرموز المختلفة المُخصّصة التي استعملت في الأقوام المختلفين الذين

ذكروا في النقوش ، فانه من الحتم علينا أن نقول إن النقش يشير هنا إلى خروج « بنى إسرائيل » وأما ما يعنيه فهو أنه قد طُرد من مصر عنصر أجنبي. يُدعى « إسرائيل » ومعهم أولادهم وكل ما يتبعهم ومن ثم أصبح لا وجود لهم بالنسبة لمصر . .

وهنا نستطيع أن نقول إن النقوش التي على اللوحة إذ قصدت ذكر « بنى إسرائيل » بمناسبة تسهيل الانتصار على الأوبيين فليس إلا لأن حادث طردهم من مصر كان من الأهمية بمكان حتى أصبح من الطبيعي أن يحتل مكاناً في سجل هذه اللوحة . ولكن .. نحن إذا نظرنا إلى هذا الموضوع من حيث الأسلوب المصرى القديم نجد أن خروجهم من مصر يتمثل في صورة طرد جماعة بارادة « الفرعون » لا هرباً منه . والواقع أن المؤلف المصرى لهذه الأنشودة قد كتبها بوجهة نظر غير وجهة نظر المؤلف اليهودى لهذه الرواية التي جاءت في « سفر الخروج » ... وعلى الرغم من ذلك فاننا إذا سلمنا بصحة النتائج التي استنبطناها مما سبق فإن الأجزاء المختلفة من تاريخ « إسرائيل » في مصر تتألف بعضها مع البعض الآخر ظاهراً وتصبح متحدة تماماً مع ما جاء في « سفر الخروج » ومع ما جاء على الآثار المصرية القديمة . .

وفي الواقع ليس هناك مجال لشك أى مؤرخ غاص إلى أعماق الحقيقة في أن الإسرائيليين كانوا في مصر في وقت ما وإنهم قد خرجوا منها جملة وذلك لسببين .. أولاً ، مصادر التاريخ المصرى القديم . والآخر ، لأن هناك قصة قوية تمثل لنا الأحوال الأولى لقوم في أوائل الأسرة التاسعة عشرة في صورة إليها تشير نصوصهم إشارة كافية ولا يمكن إلا أن تكون انعكاساً لضوء حوادث حقيقية قد وقعت بالفعل مهما كانت الصورة التي

وصالت إلينا عنها مشوهة !. ولذلك فنبين نستبعد القول بأن كل قصة الخروج خرافية كما رمتها بذلك بعض أقلام وإنّما نقول بأن القول بكذب القصة شيء وكون تفاصيلها شيء آخر . .

لا جدال ، أن الصورة التي يُصوّرُها مؤلف « سفر الخروج » عن هذا الخروج ويذكرها بأساليب متنوعة مؤلفو « الأسفار » التالية من بعد إنّما هي صورة مهزوزة كل الاهتزاز اختلط فيها الغلو بالكثير من الخيال ممّا يدلّنا على أنّها صورة حديثة صوّرت بيد مؤلف « سفر الخروج » في غضون الأسر البابلي ثم ألفت عليها الألوان في الأسفار التالية . ولكن .. هذا لا يمنع من أن يكون فيها حقائق تاريخية ممّا كان من خروجهم في النهاية من مصر وهذا شيء كما تؤكده المتون المصرية قد وقع بالفعل . ولكن لما كان هذا الحدث ، وإن كان لم يكن إلّا طرداً ، لم ينسب بنو إسرائيل لأنهم قد وجدوا فيه تحريراً من نير التسخير وأملأ في احتلال « أرض كنعان » فقد راحوا يُرصّعون هذه الحقيقة التاريخية ببريق الأساطير الذي جعلها تبدو نفسها أسطورة من وحي الخيال ..!

ومن ثمّ فإذا كانت تفاصيل القصة أسطورية فإنّما القصة نفسها ليست في جوهرها بأسطورة كما يصرّ على ذلك أكثر من قلم في يد أكثر من مؤرخ .. لأنّها قصة تعكس لنا في مجموعها صورة حادثة تاريخية معيّنة نحسب وإنّما لأن معلوماتنا « الطبوغرافية » عن شرق الدلتا تؤكد صحة هذه الرواية التي جاء ذكرها في بداية « سفر الخروج » وهي التي تحدّثنا بأن بنى إسرائيل قد أُجبروا على السخرة في إقامة مباني « بيتوم » و « رمسيس » .. وعن وجود هاتين قد دلت الحفائر .. فليست « تل رطابة » اليوم إلّا « بيتوم »

الأمس التي أعيد بناؤها في عهد «رع موسى الكبير» وليست «قنتير» الحالية إلا «بر رع موسى»، كما كان يسميها المصريون والتي أقيمت في عهد «رع موسى» الكبير، أو «رعسيس» كما سماها الإسرائيليون وهي التي منها، كما يحدثنا مؤلف «سفر الخروج»، كانت بداية الطريق لخروجهم من مصر ولذلك يجب أن تتبع، خطوة خطوة، الأماكن المصرية التي سلكها «بنو إسرائيل» عند طردهم من مصر.

لزاماً علينا ونحن في صدد استعراض الطريق التي سلكها بنو إسرائيل عند خروجهم من مصر أن نقول إن الآراء العلمية قد تضاربت من حول هذا الموضوع الذي ظهر أنه أكثر تعقيداً من تحديد تاريخ الخروج^١. ومن أجل ذلك أصبح هذا الموضوع الشائك هدفاً لبحوث طويلة ونظريات عديدة طرحها الباحثون على مختلف أنواعهم وساهم فيها الكثيرون من رجال الدين وعلماء طبقات الأرض. يبدو أن أحدث من تناول هذا الموضوع بالبحث الدقيق كان العلامة «علي شافعي» وخرج منه بنتيجة تُعَدُّ، حتى اليوم، أعمق ما وصل إليه البحث في هذه المسألة المعقدة وقد وضع لذلك خريطة تهيئنا إلى خطط هذا المسير والطرق التي سلكوها عند مغادرتهم الوادي حتى مشارف «أرض كنعان» راعى فيها أن تكون «طوبوغرافية» البلاد متمشية مع قصة الخروج لأن هذه القصة قد قُصت في وقت لم تكن الأحوال الجغرافية قد تغيرت في مصر فيه.. فأسماء البلاد المصرية كانت عند خروج «بنو إسرائيل» كما هي حتى أننا لنجد التفاصيل الصغيرة، التي جاء ذكرها في سياق الكلام، مثل الطوار الذي كان بجانب حصن «دفنة»، أدفينا اليوم، وهو الذي جاء ذكره على لسان المؤلف اليهودي، هو نفسه الذي كشفت عنه أعمال الحفر^(١).

(١) فلند «ريز بيري»

وهذه هي أسماء المدن والأماكن كما ذكرت في « سفر الخروج » ؛

رعسيس — سكوت — ايثام — قم الخيروث بين مجدل
والبحر أمام بعل صفون عند بحر سوف — برية شور — مارة — ايليم —
برية سين التي بين ايليم وسيناء — رفيديم في مدين عند جبل الله حوريب —
سيناء .

كل هذه الأماكن قد حُصِّت ووُضع مُصوِّرها الجغرافيّ
الذي يتفق مع الأحوال التي كانت سائدة زمن « الخروج » بقدر المستطاع .
ولكن .. لا يهمننا من كل هذه الأماكن إلا ما كان داخل
الحدود المصرية وذلك من « رعسيس » حتى « بحر سوف » .

أولاً — « رعسيس » .

برهنت البحوث الحديثة على أن هذه البلدة هي « بر رع
موسى » التي وجدت بقاياها في « قنتير » الحالية وأن « رع موسى الكبير » قد
أنشأها واتخذها مقراً لحكمه في شمال الدلتا وقد كانت المقر الصيفي للملك
الأسرة التاسعة عشرة ومن بعد للأسرة العشرين . ومن ثم فهي ليست
« تانيس » كما كان قد أخطأ أكثر من قلم في يد أكثر من مؤرخ . . (١)

ثانياً — « سكوت » .

برهنت « ورقة أنسطاسي » ، هذه البردية العائدة بتاريخها
إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، على أن عند « الصاحية » وبين الأطلال
المجاورة لها يجب أن نبحت عن موقع بلدة « سكوت » . فإن البردية المشار
إليها تصف لنا « سكوت » بأنها أرض متاخمة لبلدة « بر رع موسى » وأنها

(١) منهم « أولبرايت »

لا تبعد عنها إلا مسيرة يوم واحد وأنها في اتّجاه الصحراء وأن فيها قلعة تُدعى « ختم سكّوت » ومستنقعات تعرف باسم بحيرات « بتوم مفتاح » . ومن ثمّ ، لمّا كنّا نعلم أن هذه الجهة كانت مُخصصة لفراعة الرعامسة الذين كانوا مغرمين بالصيد والقنص في أعشاب هذه المستنقعات والذين كانوا يسكنون قنطير على مسافة يمكن تحديدها بخمسة عشر كيلومتراً من الشمال الغربيّ لهذه الجهة علمنا أن هذه البحيرات لا تخرج عن كونها بحيرة « مهبشر » ومستنقعات « سعدة » و « أكباد » .. وأمّا إنّها كانت عهد ذاك تحمل اسم « مفتاح » فهذا دليل آخر يشير إلى أن « الخروج » كان في « عهد مفتاح » .

ثالثاً — « إيثام » .

إن إيثام هي « أدوم » وهذه ليست بلدة بل بيداء كان يسكنها العرب البدو الذين كان المصريون يسمونهم « شاسو » لأن هؤلاء كانوا ينزحون وراء الكلاّ عندما تشعّ بالغيث السماء . وأمّا مسير « بنى إسرائيل » في هذه البيداء فهذا وحده برهان على أنهم لم يسلّكوا المنطقة الرملية ذات العيون المائية المتعدّدة المتكوّنة من مياه المطر الساقط على الساحل وعلى أنهم قد ساروا جنوباً مؤولين وجوههم شطر « مدين » .

رابعاً — « فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون عند

بحر سوف » .

فأمّا « فم الحيروث » فهو مصبّ فرع من النيل بين بحيرات البلح في الجزء الجنوبيّ الشرقيّ لبحيرة المنزلة وكان هذا الفرع من النيل يُصبّ فيها وهذه تقع غربيّ « تارو » الأمس وبلدة « تل أبو صيفة » اليوم .. ولمّا كان « حور » الربّ الحليّ لهذه البلدة وكان هذا الفرع من

النيل ينتهى إليها فقد دُعِيَ باسم « يَمَّ حور » بمعنى « ماء حور » أو « بحيرة حور ». ثمَّ تُرجمت هذه الكلمة عن اليونانية بعبارة « فَم حور » وهذه التسمية لا تختلف كثيراً عن تسمية « فَم الحيروث » التى جاء بها الذين قاموا بترجمة « الأسفار العبرية » فى القرن العاشر الميلادى عن الترجمة اليونانية العائدة بتاريخها إلى القرن الثالث ق . م . وإلى العهد الأول للبطالسة .
وأما « مَجْدَل » .

مجدل بلدة تقع فى شرق « تارو » كما يشير إليها المصوِّر الذى وضعه لنا « سيقى الأول » وقد جعل مكانها على مجرى أحاطت به التماسيح إشارة لنا على أنها عند نهاية الملاحة النيلية . وأما فى عهد الرعامسة فقد كانت معروفة بأنها أول بلد مصرية على الطريق المؤدى إلى فلسطين أى أنها على حافة الدلتا . ومن ثمَّ فإن « مجدل » الأمس ليست ، اليوم ، إلا « تل الهر » .

وأما « بعل صفون » .

لروح من الزمن غير قصير بقى هذا الاسم سراً غامضاً على أولئك الكتّاب الذين تناولوا بالبحث الدقيق قصة هذا « الخروج » إلى أن كُشف فى سقارة عن ورقة فينيقية^(١) فى إحدى الآبار الأثرية ومعها أوراق ديموطيقية . ولما كانت إحدى هذه الأوراق الديوطيقية تدل على أنها خطاب شخصي يتضرع فيه كاتبه إلى « بعل صفون » باعتباره الإله الرئيسى لبلدة « دافنى » نعلم أن المقصود فى هذا الصدد بـ « بعل صفون » هو بلدة دافنى نفسها ، أدينا اليوم .

(١) عام ١٩٤٠ « جيرون »

والآن ؟ الآن وأخيراً نجىء إلى « بحر سوف » .

اعتقد الكثيرون وما زال الكثيرون يعتقدون أن « بحر سوف » هذا الذى ورد ذكره فى النسخة البروتستانتية من « العهد القديم » هو البحر الأحمر اعتماداً على تسميته ببحر القلزم فى النسخة الكاثوليكية من « العهد العتيق » .. بيد أن الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة قد تكشفنا عن غير ذلك إذ دللت على أن المقصود بالبحر هنا ليس البحر الأحمر وليس ببحر على الإطلاق وإنما هو جزء من بحيرة وأن هذه البحيرة هى بالتحديد « بحيرة المنزلة » ... وأما الخطأ فقد جاء من الذين قاموا بترجمة هذا « السفر » عن اللغة اليونانية إلى اللغات الشرقية والغربية ووضعوا بدلاً من كلمة « يَم » التى كانت فيه ، فى أصله العبرى ، كلمة « بحر » ... ثمّ بينما راعى الفريقُ البروتستانتيّ كلمة « سوف » فى الأصل العبرى القديم فألحقها بكلمة بحر أبى الفريقُ الكاثوليكيّ إلاّ أن يتصرّف فى ترجمته فألحق بكلمة « بحر » كلمة « القلزم » عبارة عن البحر الأحمر ومن هنا كان التخبّط ! .. فقد حاول المؤرخون ، ارتكازاً على هذه الترجمة ، إيجاد حلٍّ مرضٍ فساروا زمناً طويلاً فى هذا السبيل قبل أن يأتيتهم حل هذه المشكلة بطريقة علمية ومنطقية مقنعة وهو أن هذا « السفر » لما كان قد كُتب فى الأصل باللغة العبرية ثمّ ، بالتالى ، لما كان قد تُرجم خلال القرن الثالث ق . م . إلى اللغة اليونانية وتُعرف هذه الترجمة بالترجمة السبعينية^(١) فإن الموازنة بين النسخة اليونانية والنسخة العبرية يمكن استجلاء الحقيقة .. حقيقةً أن أقدم نسخة لدينا بالعبرية لا يرجع عهدها إلاّ إلى القرن العاشر الميلادى إلاّ أنه بالموازنة الدقيقة بين النسختين ، اليونانية والعبرية ،

(١) نسبة إلى السكينة السبعين الذين قاموا بهذه الترجمة بأمر بطليموس الثالث

وُجِدَ أَنَّهُ لم تحدث اختلافات . فإيس هناك أى اختلاف بين نسخة القرن الثالث ق . م . المترجمة إلى اليونانية عن الأصل العبرى القديم وبين نسخة القرن العاشر هذه غير المترجمة ، ففي كليهما لا توجد كلمة « بحر سوف » ولا كلمة « بحر القلزم » وإنما « يمّ سوف » ! . ومن هنا اتضحت الحقيقة وهى أن الخطأ جاء عن طريق المترجمين الذين لم يتبعوا الترجمة الصحيحة وأهملوا المعنى من كلمة « يمّ » والمقصود به من كلمة « سوف » ...

فأما كلمة « يمّ » .. فهى كلمة مازالت حتى اليوم تعيش في لغتنا العربية ونفهم أن من معناها « الماء » وأما قديماً فكانت تُطابق على فروع النيل . وأما كلمة « سوف » .. فهذه كلمة دخلت اللغة العبرية من اللغة المصرية القديمة وتعنى « البوص » .. وهذا نبات يكثر وجوده في المياه الضحلة عند مصبات الترع والمصارف عامة وفي بحيرة المنزلة ، قبالة قنطرة ، بصفة خاصة . ولما كان هذا النبات الذى تمتد فروعه كالسيوف ينمو بكثرة في هذه الجهة وبارتفاع عظيم وكانت بلاد مصر ولاسيماً بلدة « برع موسى » تأخذ منه حاجتها وكانت كلمة « البردى » التى أطلقت عليه من بعد لم تعرف بعد ، لأنها لم تظهر في اللغة المصرية القديمة إلا في عهد متأخر من عصر الرعامسة ، فقد عرفت مصر القديمة هذه البحيرة باسم « يمّ سوف » .

وهكذا يتضح لنا المعنى من كلمة « يمّ سوف » التى جاءت في الأصل العبرى وترجمت في « العهد القديم » إلى « بحر سوف » فإن معناها العبرى هو « بحيرة البوص » وهذه تشغل منخفضاً قد بقى حتى الآن تحت مستوى البحر ولما كان منسوب الماء لايزال حتى الآن ، كما كان ، يتأثر بدرجة عظيمة بالرياح في بحيرة المنزلة والبرلس فإننا نلاحظ أن الطريق من الحليم حتى

برج البراس يُغطى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافاً عندما يهب الريح من الشرق حتى يجعل هذا « البحر » جفافاً يابساً مما يمكن للإنسان أن يسير عليه فإذا ما عاد الهواء يهب غرباً عادت الأرض بحراً وإن كان هذا « البحر » ليس إلا ماء ضحضاحاً لا يزيد عمقه على قدمين ولا يتجاوز بأى حال ثلاثة أقدام .

ومن ثم فإذا كانت كل النظريات المتضاربة قد تلاشت أمام الكشف الحديث الذي أثبت أن « بر رع موسى » أو « رعسيس » هي قنطرة الحالية وليست « تانيس » فليس إلا لنعلم أن « بحر سوف » هذا ليس إلا « بحيرة المنزلة » إن لم يكن جزءاً من بحيرة المنزلة ..

هذه هي الأماكن المصرية التي اجتازها « بنو إسرائيل » في طريقهم إلى « حوريب » ثم من حوريب إلى « سيناء » وهذا يدفع بنا إلى استعراض المدة الزمنية التي اقتطعوها من مصر حتى سيناء .

يحدثنا مؤلف « سفر الخروج » الحديث الفيّاض عن المدة الزمنية التي اقتطعوها أبناء إسرائيل في ترحالهم من مصر إلى سيناء ويستمله قائلنا ؟

« وصنع بنو إسرائيل كما أمر موسى فطلبوا من المصريين أمتعة فضّة وأمتعة ذهب وثياباً .

وآتى الربّ الشعبَ حظوة في عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين !

ثم ارتحل بنو إسرائيل من رعسيس إلى سكّوت بنحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال خلا الأطفال ...

طُردوا من مصر ! »^(١)

للمرة تلو المرة يُؤكد لنا مؤلفُ « سفر الخروج » بأن « بنى إسرائيل » قد طُردوا من مصر طرداً !. ولكن هذا المؤلف الذى غمس بمداد البهتان قلمه وأجراه ينسب إلى موسى ، عليه السلام ، ما أقترفه بنو إسرائيل فى حق المصريين من سلب حلىّ وثياب ، ماذا يستهدف من وراء ذلك ؟ .
يقينى أنه لا يستهدف إلا تمجيد عملٍ هو فى طبيعة بنى إسرائيل غريزة فطرية ثمّ ، كَمَا يصبغه بالصبغة الشرعية عاد به إلى مَنْ هو منه براء .. فأستغفر الله ! ..

ثمّ .. هذه الجملة الخاصة بهذا التعداد والمترجمة هنا باللفظة « ست مئة » و « ألف » قد استبهم معناها على الكثيرين فأخذوها على علائقها وحسبوها ستمائة ألف رجل خلا الأطفال والنساء ، غير ملتفتين إلى أن هذا العدد قد تجاوز حدود المعقول لأننا إذا أضفنا إلى هذا الرقم امرأة واحدة وطفلين لحصلنا على مجموع يتجاوز تعداد المصريين أنفسهم فى ذلك الحين ! . وهذا ، حمأً ، خطأ آخر يعود بأسبابه إلى المترجمين الذين وضعوا كلمة « ألف » بعد « ست مئة » وقد كان الأصحُّ أن تُوضع « ألف وست مئة ماش من الرجال ... » وهذا رقم لا يمكن رفضه ، منطقياً ، لأنه يضع نفسه فى إطار المعقول .

ولكن .. المسمع منّا يأبى إلّا مواصلة الإصغاء إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا عن هذا الترحال الذى اتخذ مجراه فى ليلة سحب فيها رجالُ بنى إسرائيل معهم نساءهم وأطفالهم وغنمهم وبقرهم ومواشيهم إلى حيث بدأ

(١) الإصحاح ١٢ « سفر الخروج »

تفسحهم في الأرض .. فلقد أبى هذا المؤلف اليهودى إلا أن يجعل من ذكرى ليلة الارتحال هذه عيداً أسماه « عيد الفصح » .. ثم راح يحدثنا عنها قائلاً ؛
« هي ليلة تُحفظ للرب لإخراجهم من أرض مصر !

هذه الليلة تحفظ للرب من جميع بنى إسرائيل مدى أجيالهم ! » (١)
وأما إذا سألنا هذا المؤلف اليهودى قائلين ؛ كيف تحفظ هذه الليلة وأى لون من ألوان التعبّد فيها يقام ؟ .. فالجواب سيكون ، إنها ليلة تحفظ للرب بأكل اللحم ! . فلقد ؛

« قال الرب لموسى وهرون ؛

هذا رسم الفصح ؛
كل أجنبي لا يأكل منه ! وكل عبد مشترى بفضة فأختنه ثم
يأكل منه . والضيف والأجير لا يأكلان منه !
في بيت واحد يؤكل لا تخرج من البيت من اللحم شيئاً ! .
وإذا نزل بكم غريب وأراد أن يصنع فصعاً للرب فليختن
كل ذكر له ثم يتقدم .. وكل أقلف لا يأكل منه ! . »

وأما ما هو نوع هذا اللحم الذى يؤكل أو بالأحرى ما هو هذا
الذى يأكله بنو إسرائيل وحدهم ولا يأكل منه الضيف والأجير خلا الغريب
الذى لا يأكل منه أيضاً إلا إذا اختن ؟ .. فإن المؤلف اليهودى يتولى الشرح
ويحاول إلقاء المآخذ فيجعل هذا اللون من المأكول فريضة بل وعبادة ويحدثنا
قائلاً ؛

(١) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٢ « سفر الخروج »

« وكلم الرب موسى قائلاً ؛ قدس لي كل بكر كل فاتح رحم
من إسرائيل من الناس والبهائم أنه لي !
فقال موسى للشعب ؛ اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من

مصر ..

لا يؤكل خمير !

اليوم أنتم خارجون في شهر الأسبال . فاذا أدخلك الرب أرض
السكنعانيين والحيثيين والأموريين والحويين واليبوسيين التي أقسم عليها الرب
لأبائك أن يعطيك أرضاً تدر لبناً وعسلاً فاصنع هذه العبادة في هذا الشهر ؛

سبعة أيام تأكل فطيراً وفي اليوم السابع عيد للرب .

فطير يؤكل في السبعة الأيام فلا يرى لك خمير ولا شيء مختمر
في جميع تخمك ! . . .

واحفظ هذه الفريضة في وقتها سنة فسنة . ! » ^(١)

نظرة عابرة نلقيها على هذه النصوص التي تعطلع علينا بأول لون من
ألوان التعمد في الدين اليهودي الحالي تولّد فينا اليقين بأنه دين هو إلى الروحيات
يشتمد به الافتقار ! فهو يحافى تمام المجافاة أبسط لون من ألوان الروحيات ! . فلا
ثمت تسبيحة هناك أو صلاة شكر أو دعاء إلا فطير يؤكل خلال سبعة أيام
كذكرى أيوم خرجوا فيه في مصر مرتحلين من رعمسيس إلى سكوت .

ثم ؛

« ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بايتام في طرف البرية » ^(٢)

(١) الأصحاح ١٣ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ١٣ « سفر الخروج »

وأما إذا سألنا هذا المؤلف اليهودي قائلين : من كان دليلهم في هذا الطريق ؟ .. فالجواب يأتي من شفتيه سخياً يقول :

« وكان الرب يسير أمامهم نهراً في عمودٍ من غمام ليهديهم الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم ليسيروا نهراً وليلاً . ولم يبرح عمود الغمام نهراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب ! » . (١)

غفرانك يا الله ! ..

لا يسمعنا أمام هذه النصوص الجديدة التي تجعل الرب يسير على هذه الصورة أمام بني إسرائيل ، يستبدل نفسه من عمود غمام بعمود نار مرة ومن عمود نار بعمود غمام مرة أخرى ، إلا الاستغفار ! .. بل ورائنا نواصل الاستغفار طالما أن المسمع منا يواصل الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودي الذي يسترسل يحدثنا عن هذا الترحال ويقول بأن فجأة تغير اتجاه المسير فلقد :

« كلم الرب موسى قائلاً : مُر بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الخيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون تنزلون تجاهه على البحر » . (٢)

لماذا ؟ . . .

« لأن الله قال : لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف » (٣)

ولكن ! .

هذا التحول عن الطريق المستقيم الذي كان مُقدَّراً للمسير حتى « مدين » والذي اتخذ للتمويه والتضليل وإن كان لم يزل في دلتا النيل

(١) الاصحاح ١٣ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ١٣ « سفر الخروج »

قد جعل المصريين ، كما نفهم من تعبير مؤلف « سفر الخروج » ، يتوجسون من الإسرائيليين إلا أننا لا نفهم أبداً الملتقى اليهودى فى هذا النص القائل ؛ « وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بنى اسرائيل . فسعى المصريون وراءهم وأدركوهم ، جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه ، وهم نازلون عند البحر عند فم الحبروت أمام بعل صفون ! » (١)

ألم يفتن هذا المؤلف اليهودى وهو يسطر هذه النصوص إلى ما يحمله قوله من التناقض فى المنطق والغرابة ؟ . ولكننا لن نناقشه . . . كلا ، فحسبنا الإلتفات إلى هذه النصوص فى قولها هذا بأن المصريين قد أدركوا الإسرائيليين عند « فم الحبروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون » . ونحن إذا كنا قد علمنا أن « مجدل » إنما هى بلدة تقع على حافة الدلتا وأنها ليست إلا « تل الحر » اليوم ، وبالتالى ، نحن إذا كنا قد علمنا أن « بعل صفون » هى « أدفينا » اليوم وأن « فم الحبروت » هو مصب فرع من النيل بين بحيرات البلح فى الجزء الجنوبى الشرقى لبحرية المنزلة وأن هذا الفرع من النيل كان يصب فيها وأن « بحر سوف » هذا هو بحيرة المنزلة أو جزء منها ، لعلمنا أى « بحر » هذا الذى يعنيه مؤلف « سفر الخروج » بينما المسمع منا يواصل إليه الإصغاء وهو يسترسل قائلاً ؛

« فأدركهم وهم نازلون عند البحر ، جميع خيل مراكب فرعون وفرسانه وجنوده ، عند فم الحبروت أمام بعل صفون !

فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففرزوا جداً وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى ؛

هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟»^(١)

وفي الواقع أن الإسرائيليين قد أصبحوا بهذا الموقف في مأزق حرج فقد كانت « بحيرة البوص » على يمينهم وحسن مجدل بمن فيه يحجز أمامهم الطريق من جهة الشمال وعلى يسارهم مستنقعات فرع النيل البلوزى بينما كان خلفهم ، كما يقول المؤلف اليهودى ، الفرعون وجنوده فلم يكن لديهم وسيلة إلا الاستسلام وإلا أن تحدث معجزة قهقريه ، كما دعتها ، الريح الشرقية وتجفف الأرض وتمسكهم من المسير عليها وعبور هذا الماء قبل أن يعود الهواء ويهب غرباً وتعود المياه إلى ما كانت عليه بجرأ ..

وهنا نعود إلى المؤلف اليهودى ونصفى إليه وهو يواصل حديثه قائلا : بأن عند ذاك ؛

« قال موسى للشعب ؛ لا تخافوا !

قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم فانكم كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيا إلى الأبد . »^(٢) وأما كيف ؟..

فلقد ؛

« انتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل . وسار وراءهم . وانتقل عمود الغمام من أمامهم ووقف وراءهم . فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل ... فكان من هنا غماماً مظلماً وكان من هناك ينير الليل فلم يقترب أحد الفريقين من الآخر طول الليل . »^(٣)

(٢) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(١) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ١٤ « سفر الخروج »

عبرنا نبحث في البرديات عن هذه القصة ، قصة هذا
« العامود » الذى وقف حائلاً بين المصريين والإسرائيليين طوال ليلة كاملة ،
فلا نجد لها في الوثائق المصرية أثراً فلا يأتينا عنها الذكر إلا من هذا المؤلف
اليهودى الذى نراه قد نسى أنه قبل هنيهة قال إن في « العامود » كان « رب
إسرائيل » فعاد يقول بأنه « ملاك الله » بينما راح مسترسلاً يواصل حديثه
قائلاً ؛

« ومدّ موسى يده على البحر .

فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر
يابسة ! ... فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة ! ...

وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون
ومركباته وفرسانه إلى وسط البحر ! ...

فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى
دخل وراءهم في البحر ولم يبق منهم ولا واحد ! ... » (١)
من ثمّ لحقاً أن ؛

« الربّ رجل الحرب ! ... »

مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر فغرق أفضل جنوده
المركبية في بحر سوف ! ... » (٢)

حقاً ! . حقاً يا « يهوه » ...

« من مثلك بين الآلهة ؟ .. » (٣)

(١) الأصحاح ١٤ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ١٥ « سفر الخروج »

(٣) الأصحاح ١٥ « سفر الخروج »

وهنا . . هنا لنا كلمة هي بالطبع من حول هذه الريح الشرقية التي ظلت تهب عاتية طوال الليل في الاتجاه الصحيح وفي الوقت المناسب حتى جعلت « بحر سوف » جفافاً ومكشّت « بنى إسرائيل » من العبور إلى الطرف الآخر . . فنحن إذا تذكرنا أن منسوب الماء لا يزال حتى الآن متأثراً بدرجة عظيمة بالريح في بحيرة المنزلة والبرلس ولاحتفظنا أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلس يُغطى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم يصبح جافاً عندما يهب الهواء من الشرق مما يمكن للإنسان أن يسير عليها ، نفهم كيف كان عبور البحر هذا ، بحر سوف الأمس وبحيرة المنزلة اليوم ، الذي يتحدث عنه مؤلف « سفر الخروج » ..

كلاً ١ .

نحن لا ننكر أن ذلك كان معجزة وهو أن تجيء هذه الريح في الوقت المناسب وأن تهب في الاتجاه المطلوب وإنما نستنكر الصيغة التي يتحدث بها مؤلف « سفر الخروج » عن هذا الحدث الذي كان لا بد له أن يتسق وقوانين الطبيعة ولا يخيد عن الأحكام الكونية التي وضعها سيد الكون .

وأما موضوع غرق « الفرعون » الذي يتحدث عنه هذا المؤلف اليهودي بهذه الصيغة فهو أمر إن لم يكن قد فهم خطأ فقد مازجه ولا شك عنصر التهويل لأن الواقع أنه لا يمكن لإنسان أن يتصور غرق إنسان وعربته ومن معه في ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة . وليس هذا فحسب وإنما غرق فرعون وجنده معه كان لا بد أن يحدث هزة في أرجاء البلاد وأن تسجله البرديات وليس في الوثائق المصرية ما يشير إلى ذلك ويُدعم هذا وجود مومياء فراعنة هذا العهد ولا دليل هناك على الموت

بأسفكسيا الفرق .. ولعل هذا التهويل قد جاء من جرّة قلم دفعتها شطحاتُ خيال
هذا المؤلف الذى استغرقه وصف عبور أسلافه هذه البحيرة بالسكيفية التى رواها
بينما يروح منعطفاً من عندها مواصلاً الحديث فيقول بأنهم بعد ذلك ارتحلوا ؛
« من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور . فساروا ثلاثة
أيام فى البرية ولم يجدوا ماء ! فجاءوا إلى مارة .

ولم يقدروا أن يشربوا ماء لأنه مُرٌّ » . (١)

هذه رواية لم يتدخل فيها خيال هذا المؤلف اليهودى تدخلا
كبيراً لأن البيداء التى تقع شرق « يم يوسف » كانت تُسمى بالمهرية القديمة
« شيحور » أى بحيرة حور .. ولما كنا نعلم أن مياه حور هذه التى ذكرت فى
خطاب « ييبس » هى التى كان يُستخرج منها الملح ولا تصلح مياهها للشرب
نعلم لماذا لم تجد جماعة إسرائيل خلال اقتطاعها هذه البيداء ماء صالحاً للارواء ..
ومن ثم :

« جاءوا إلى إيليم وهناك اثنتا عشرة عين ماء وسبعون
نخلة . فنزلوا هناك عند الماء . » (٢)

ثم ؟ ..

« ثم ارتحلوا من إيليم وأتى كل جماعة بنى إسرائيل
إلى برية سين التى بين إيليم وسيناء فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثانى
بعد خروجهم من أرض مصر » . (٣)

(١) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٥ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ١٦ « سفر الخروج »

ثم ١٩ .

« ارتحل كل جماعة بنى إسرائيل من برية سين .. ونزلوا في

رفيديم ..

في حوريب ! . » (١)

ثم ١٠ .

« ارتحلوا من رفيديم وجاءوا إلى برية سيناء ..

ههنا نزل إسرائيل مقابل الجبل ! . » (٢)

وأخيراً ! .

وأخيراً بلغت جماعة إسرائيل سفوح سيناء .. وأمّا كم

كانت المدة الزمنية التي استغرقها هذا الترحال من مصر إلى سيناء ! فسؤال ،
تتولى الإجابة عنه نفس هذه النصوص التي تصرّح قائلة ؛

« في الشهر الثالث لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر في

ذلك اليوم جاؤا إلى برية سيناء ! . » (٣)

هذه هي المدة الزمنية التي اقتطعها بنو إسرائيل من مصر حتى

سفوح سيناء .. مدة لم تتجاوز الشهر الثالث لطردهم من مصر . وهي فترة مرّت
بهم وهم يمرّون على جهات ، كلها ، معمورة وآهلة بالناس .. وهذه هي قصة طرد
بنى إسرائيل كما حدّثنا به مؤلّف هذا « السفر » وكما تقبعناها على الآثار الباقية
بقدر المستطاع ونريد هنا أن نؤكد أن حادث هذا « الخروج » كان ثانوياً

(١) الاصحاح ١٧ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

بالنسبة للمصريين حيويًا عند الإسرائيليين ولذلك لم نجده في النقوش المصرية إلا عرضًا على حين دُوت أحداثه في النصوص اليهودية تدوينًا سخيفًا ، وهو وإن كانت الأحوال كلها تدلّ على أنه حادث قد وقع فعلا غير أن كل الدلائل أيضا تشير إلى أن تفاصيله قد دونت على حسب الدرجة العقلية التي كان عليها هذا المؤلف اليهودي مما يمكننا من القول بأن القفار التي يذكرها لم تكن ، قطّ ، بمتاهات لأنها جهات ليست بعيدة عن جنوبي فلسطين ، وليس جبل سيناء إلا بجوار هذا الجنوب . فإننا نعلم أن القوافل منذ سحّر التاريخ كانت تخترق الطريق الجارى بالقرب من شواطئ فلسطين في ارتحالها عن مصر وفي الترحال إليها وهذا مما يجعلنا نطرق أمام هذه النصوص ونفكر . وأما عدد السفين الأربعين التي راجت ترويتها الشفاه اليهودية فأمر يحتاج إلى تحقيق لأننا إذا نظرنا إلى ذلك من الوجهة التاريخية واقتربنا إليه من الطريقة العلمية لتبحثم علينا أن نقول إن ذلك كان من مؤلف « سفر الخروج » جهلا ذريعا بالتاريخ ..! والآن !..

الآن يطيب للمسمع منا الاسترسال في إصغائه إلى هذا المؤلف اليهودي الذي راح يشخذ قلمه من جديد ويطلق على جناح الهوى للاخيلال منه العنان ليعود إلينا محدثا عن تاريخ « بنى إسرائيل » في سيناء غير أنه يأبى إلا أن يبدأ هذا التاريخ من « حوريب » . . ومن ثمّ فهو يستهل حديثه قائلا بأن جماعة إسرائيل لم تحلّ في حوريب إلا ؛

« وأتى يثرون هو موسى وإبناه وامرأته إلى موسى إلى البرية حيث كان نازلا عند جبل الله .

فقال اوسى ؛ أنا حوك يثرون آت إليك وامرأتك وابناها معها .

نخرج موسى لاستقبال حميه وسجّد وقبّله . وسأل كل واحد صاحبه عن سلامته . ثمّ دخلوا إلى الخيمة . » (١)

وهنا يكمل مؤلف « سفر الخروج » روايته المفتراة هذه فيقول بأن إلى كاهن مدين ، داخل الخيمة ، خلا موسى ؛

« فقصّ موسى على حميه كل ما صنع الربّ بفرعون والمصريين من أجل إسرائيل ...

وقال يثرون ؛ مبارك الربّ الذى أنقذكم من أيدي المصريين ومن يد فرعون ! ... الآن علمت أن الربّ أعظم من جميع الآلهة ! » (٢)

لا جدال ، أن المؤلف اليهودي يريد أن يقول إن كاهن « إيل شدّاي » قد تحقّق الآن بأن « يهوه » فوق جميع الآلهة وأنه بذلك قد أقرّ في تلك الليلة التي مرّت على تلك « الخيمة » من عمر الزمن وكان صباحها ذلك الغد الذى يتحدث عنه هذا المؤلف قائلاً ؛

« لما كان الغد جلس موسى ليقضى للشعب فوقف الشعب أمامه من الغداة إلى العشيّ .

فلما رأى حمو موسى جميع ما يصنع للشعب قال ؛ ما هذا الذى أنت تصنعه للشعب ؟ وما بالك جالساً وحدك وجميع الشعب واقفون أمامك من الغداة إلى العشيّ ؟

فقال موسى لحبيه ؛ إن الشعب يأتوننى فيتلمّسوا أمر الله ، إذا كانت لهم دعوى يأتوننى فأقضى بين الرجل وصاحبه وأعرّفهم فرائض الله وشرائعه .

(١) الإصحاح ١٨ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ١٨ « سفر الخروج »

فقال لموسى حموه ؛ ليس ما تهينه بحسن ! . » (١)

وفى الواقع أن التاريخ الدينى لهذه الجماعة الفطرية ليدلنا على أنها لم تكن فى مُستهل حياتها تدرى أى عمل اغضب الرب جلاب وأى الأعمال لمرضاته جاذب .. فلم تكن لها شريعة تعرف فى لائحة أحكامها وقوانينها الفرائض والعبادات .. لهذا السبب كما يقول هذا المؤلف اليهودى ؛

« قال حو موسى له ؛ ليس جيداً الأمر الذى أنت صانع ؛ إنك تكيل ! ... »

الآن اسمع لصوتى فأنصعك ..

كُنْ أنت للشعب أمام الله وقدّم أنت الدعاوى إلى الله .
وعلمهم الفرائض والشرائع وعرفهم الطريق الذى يسلكونه والعمل الذى يعملونه وأنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة .. وتقيمهم عليهم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ورؤساء عشرات . فيقضون للشعب كل حين . ويكون أن كل الدعاوى الكبيرة يحينون بها إليك ..

إن فعلت هذا الأمر .. تستطيع القيام ! .

فسمع موسى لصوت حميه وفعل كل ما قال . » (٢)

وهنا ..

هنا يجب علينا أن نتمهل قليلاً أمام هذه النصوص التى سمّت الأجيالُ بها مروراً عابراً غافلة عن ما تحمل فى ثناياها من جرثومة خطيرة هى بهذا التنظيم الجديد ، تُكوّن نواة « دولة » رعى إليها هذا المؤلف بنظره

(١) الاصحاح ١٠٨ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٨ « سفر الخروج »

بينما كان على شاطئ الفرات يرسف في قيود الأسر البابلي ويمهد لها بهذه السطور التي مَنَحَ بها نفسه مُطلق الحرية في أن يتحدث عن موسى ، عليه السلام ، وفق هواه ويسترسل في حديثه من حيث حلَّت جماعة إسرائيل في «حوريب» ليقول إنها لم تحلّ هناك إلاّ لَرَدِّح من الزمن قصير ثم غادرته إلى سفوح سيناء .

والآن .. الآن وقد وصل مؤلف «سفر الخروج» إلى سيناء نراه يُشَمِّر عن ساعديه ويبدأ في صياغة رواية جديدة يستهلها من حيث قال :
« في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر ... جاؤا إلى برية سيناء .. وهناك نزل إسرائيل مُقابل الجبل وأما موسى فصعد إلى الله : »^(١)

وهنا ، يجب أن ننبّه إلى أن هذا المؤلف اليهودي إذ يستعمل في نصوصه كلمة « الله » فليس المقصود بهذه الألوهية إلاّ « يهوه » .. وليس إلاّ عن « يهوه » هذا يتحدث هذا المؤلف اليهودي ويُكمل روايته هذه قائلا و :

« صعد موسى إلى الله فناداه الربُّ من الجبل قائلا :

كذا تقول لآل يعقوب وتُخبر بني إسرائيل ؛ أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين .. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب ... وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة . »^(٢)

(١) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

مملكة ؟ .. وأمة ؟ !

لا جدال في أن الأسس التي ألقاها هذا المؤلف اليهودي في حوريب بتنصيبه على الجماعات رؤساء ينقسمون إلى عدة مراتب هي التي قد بدأ يشيد عليها البناء في سيناء حيث راح يُسطَّر بأن هناك قد سجَّل الزمنُ تكون « الكهنوت الإسرائيلي » وقيام « مملكة كهنة » ونشأة « أمة مقدسة » و « شعب مختار » ..

يُحدثنا مؤلف « سفر الخروج » بأن الكهانة قد بدأت لدى هذه الجماعة قبل أن يبدأ عندها الدين وإيمانها إلى « أمة » قد تحولت في ذلك اليوم الذي كان عهداً فيه بالخروج من مصر غير بعيد يوم شاهدت فيه ، لأول مرة ، جبل سيناء فوقفت أمامه مبهورة بينما راح يهز الأعطاف منها شوقاً إلى « يهوه » مُلِحُّ يَأْبَى إلّا الرؤية ! .

إن هذه الجماعة تريد أن ترى ربّها ! .

وهنا نصغى إلى رواية المؤلف اليهودي وهو يحدثنا عن هذا

الحدث قائلاً بأن عند ذاك ؛

« ردَّ موسى كلام الشعب إلى الرب . فقال الرب لموسى ؛

ها أنا آتٍ اليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينئذ

أنتكلم معك فيؤمنوا بك ..

اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً . واينسلوا ثيابهم ..

ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون

جميع الشعب على جبل سيناء ! . » (١)

(١) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

غفرانك يا الله ! .

مرة أخرى لا يسعنا إلاَّ الاستغفار أمام هذه النصوص التي وإن كانت لا تعنى بالربِّ هذا إلاَّ « يهوه » إلا أنها قد راحت تتجاوز المدى في افتراءها على موسى ، عليه السلام ، بقولها هذا عنه وهو أنه قال إن الربَّ سينزل أمام عيون بني إسرائيل وذلك ليؤمنوا بصدقه فيما قال وإن ذلك سيكون بعد ثلاثة أيام وإن عليهم الاستعداد ، خلال هذه الأيام المحددة ، للقاء الربَّ نازلاً في ظلام السحاب إلى قمة سيناء . عليهم أن يغسلوا ثيابهم ويتهيأوا . ولكن .. حذار ! ..

« احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسّوا طرفه !
كل من يمسّ الجبل يُقتل قتلًا ! .. »

يُرجم رجلاً أو يُرمى رمياً ! بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش ! » (١)

ولكن :

« عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل ! » (٢)

واستعدَّ بنو إسرائيل ، على حدِّ رواية هذا المؤلف اليهودي ، وغسلوا ثيابهم وارتدوها نظيفة وبدأوا يزحفون نحو سفوح الجبل بينما أُرفعت منهم المسامع تنفخ سماع دوى البوق من أعلى يُعلن نزول الرب على الجبل .

حدث في اليوم الثالث لما كان الصبح أنه صارت

(١) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً فارتعد كل الشعب الذى فى الحملة ! .» (١)

ارتعد كل فردٍ كان فى هذه الحملة ثم مذعوراً ، على حد قول هذا المؤلف ، تراجع عن مطالبه الأفراد من هذه الجماعات ولكن ؛
« أخرج موسى الشعب من الحملة للملاقاة الله ! . » (٢)

« الله » ! ؟ .

كلا ؟ . إننا لم ننس أن هذا المؤلف اليهودى إذ يتكلم عن « يهوه » بصيغة الألوهية فإنه لا يعنى فى واقع القول إلا إله إسرائيل هذا الذى يحدثنا عنه قائلا بأن « شعبه » قد خرج بمجموعه للملاقاة وأنهم فى انتظار نزوله على الجبل تراصوا ؛

« ووقفوا فى أسفل الجبل .. » (٣)

ثم !

ثم ماذا حدث ! .

سؤالٌ نلقيه إلى مؤلف هذا « السفر » بينما تلقى إليه المسمع منّا ونحن نسمعه يحدثنا قائلا بأن سرعان ما جاءت اللحظة المرتقبة ! . فلقد تلبّدت سماء سيناء بالغيوم وجاججت جوانبها بالرعود .. وما برقت فى الأفق البروق إلا وانطلق بوق من مستجب مصدر يُعلن أنه قد ؛

« نزل الرب على جبل سيناء ! » (٤)

(١) الإصحاح ١٩ سفر الخروج (٢) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج » (٤) الإصحاح ١٩ « سفر الخروج »

« كان جبلُ سيناء كله يُدَخِّنُ من أجل أن الربَّ نزل

عليه بالنار. (١)

بالنار ؟ ! .

سؤالٌ نلقيه عبْرَ الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودي وبالشرح
لا يضمنّ علينا هذا المؤلف الذي يكمل روايته هذه قائلاً بأن إله إسرائيل قد
نزل ، للإلقاء بأبناء إسرائيل ، بالنار وأن لهذا قد دخّن جبل سيناء كله ؛

« وصعد دخانه كدخان الآتون ! . (٢)

وهكذا يروح مؤلف « سفر الخروج » يُصوِّر لنا على
شريط الماضي هذا المشهد الذي استوحاه من وحى خياله العجيب بينما يستطرد في
حديثه مسترسلاً يقول بأن أمام دخان متكاثف أخذ يزداد تكاثفاً وأمام
بوق منطلق أخذ يزايد دويه على دوى دويّاً أشد الفزع بهذه الجماعة ، فلقد ؛
« كان صوتُ البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم
واللهُ يجيبه بصوت ! . . » (٣)

صورةٌ صارخةُ الألوان من صُور الأساطير إنما هي هذه
الصورة التي يُصوِّرها هذا المؤلف اليهودي للسفر الثاني من « الأسفار الخمسة »
المنسوبة افتراءً إلى موسى !.. بل وإنها لصورة استنفدت من هذا المؤلف جهداً
في تصويرها حتى أنه غفل عن اختلاق صيغة يحدّثنا بها عن لون ذلك الحديث
الذي دار بين المُستكلم ، كما يدعى ، والحجيب بينما كان بنو إسرائيل في سفح

(١) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج » (٢) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٣) الأصحاح ١٩ « سفر الخروج »

الجليل يسمعون .. وكأنا قد شجنت قريحته فاكتفى بأن يقول بأن عند ذاك ؛

« دعا الله موسى إلى رأس الجبل . فصعد موسى .. » (١)

ولسكن ، هذا المؤلف قد نسي ما قد سطر قبل قليل حينما قال بأن على هذه الجماعة عند سماعها البوق أن تصعد الجبل ، كما بذلك جاءت التعليمات من قبل ، فراح يُسطر بأن عند ذاك ؛

« قال الرب لموسى ؛ انحدر حذر الشعب لثلاثا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون ! وليتقدس أيضاً الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لثلاثا يبطش بهم الرب ! .. »

اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهرون معك . » (٢)

وهنا .. يُشمر هذا المؤلف اليهودي عن ساعديه مُستجمعاً قواه من جديد ويسترسل محدثاً بأن موسى قد انحدر من حيث كان الدخان يتصاعد حاملاً إليهم هذه الشريعة وكلمهم قائلاً ؛

لقد ؛

« تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً ؛

أنا الرب إلهك ! ..

لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .

لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض .

لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور

(١) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ١٩ « سفر الخروج »

افترقت ذنوب الآباء في الجيل الثالث والرابع من مبعضى . واصنع إحساناً إلى
أولف من محبى وحافظى وصاىى .

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا . لأن الرب لا يبرئ
من نطق باسمه باطلاً .

اذكر يوم السبت لتقدسّه !

سبعة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه
سببت للرب إلهك . لا تصنع عملاً ما أنت وإبنك وإبنك وعبدك وأمتك
وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء
والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب
يوم السبت وقدسه .

أكرم أباك وأمك لى تطول أيامك على الأرض التى
يُعطيك الرب إلهك .

لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة
زور . لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره
ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك .» (١)

لا جدال فى أن فى بعض ما تتضمنه هذه النصوص نواحى
أخلاقية رفيعة إلا أننا لن نقبّين أبداً ماهية هذه القيم الأخلاقية ومرتبها بين
القوانين الوضعية لعالم الشرق القديم إلا تحت أضواء العصور السبّاقة على وجود
« بنى إسرائيل » ، وذلك مكانه بعد صفحات .. وأما الآن فحسبنا أن نتابع
مؤلف « سفر الخروج » وهو يخرج بنا من هذا المشهد محاولاً اقناعنا بأن

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

« الصوت » عن أعالى سيناء جاء رهيباً أنزع الجوانب عن هذه الجماعة بالفرع حتى أنهم قد ؛

« ارتعدوا ووقفوا من بعيد وقالوا لموسى ؛ تكلم أنت معنا

فنسمع ولا يتكلم الله معنا لئلا نموت !

فقال موسى للشعب ؛ لا تخافوا ! . » (١)

لا تخافوا ! .

« لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون

مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا .

فوقف الشعب من بعيد .

وأما موسى فاقرب من الضباب حيث كان الله .. » (٢)

وفي الضباب حدث أن ؛

« قال الرب لموسى ، هكذا تقول لبني إسرائيل ؛

أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم .

لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب .

مذبحاً من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك

وبقرتك . في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمى ذكرأ آتى إليك وأباركتك .

وإن صنعت لي مذبحاً من حجارة فلا تبلنه منها منهوتة .

إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها . ولا تصعد بدرج إلى مذبحي كيئلا تنكشف

عورتك عليه ! . » (٣)

(١) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٢٠ « سفر الخروج »

وهنا .. هنا يريد هذا المؤلف اليهودى أن يقول بأنّ في ذلك « اليوم » قد سُجِّلَ في سَجَلِ الأديان قيام الدين اليهودى ..

إن الدين اليهودى ، هذا الدين الذى يدين به يهود العالم اليوم والذى يعود بوجوده المباشر إلى خادم موسى ، يشوع بن نون ، كما سيتجلى ذلك بعد قليل ، ليس هو ، كما يدعى مؤلف « سفر الخروج » ، بدين إلى موسى يعود .. ثمّ إنه دين لن نستطيع أن نستجليه تمام الاستجلاء ما لم نستعرض الأحكام التى كونته وهذه تضم الشّئن التى أسننها والتكاليف التى فرضها على أتباعه من تلك المجموعة من الناس التى كانت لا تؤلفها إلاّ وحدة الأرومة وإلاّ مجموعة تقاليد وبعض قيم ورثتها عن أصول مختلفة من أمم الشرق القديم فلا دين هناك بين أفراد هذه الجماعة كان يُوحّد ولا شريعة هناك كانت على قوانينها هذه الجماعة تسير حتى ، كما يحدثنا المؤلف اليهودى ، كان ذلك « اليوم » الذى كلمهم فيه إلههم من أعلى الجبل وجاءهم بتلك الشريعة التى كونتها القسّم الأخلاقية التى بسردها قد مررنا والتى على أثرها جاءت « الأحكام » . وهنا نستطيع أن نقول إنه لما كان الحكم على أية شريعة يأتى من نفس الأحكام التى تأتى بها وبالتالى لما كان الحكم على أية جماعة دينية يأتى من نفس ما تتقبله هذه الجماعة من أحكام فلا بدّ لنا من مواصلة الإصغاء الى هذا المؤلف وهو يواصل الحديث مُسجلاً تلك الأحكام التى يقول عنها بأنها جاءت فى سيناء ، مقتطفين منها ما فيه الكفاية للدلالة على مكانة هذه الجماعة البدائية فى درجات الاجتماع .. فالمؤلف اليهودى يحدثنا بأن فى ضباب سيناء ، أيضاً ، حدث أن « قال الربّ لموسى » :

« وهذه هى الأحكام التى تضع أمامهم :

إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرّاً ...

من ضرب إنساناً فمات يُقتل قتلاً ولا يكن ! الذى لم يتعمد
بل أوقع الله فى يده فأنا أجعل مكاناً يهرب إليه ...

إذا نطح ثورٌ رجلاً أو امرأة فمات يُرجم الثور ! . وأما
صاحب الثور فيكون بريئاً ..

إن نطح الثور عبداً أو أمةً يُعطى سيده ثلاثين شافل فضة
والثور يُرجم ! ..

وإذا نطح ثورٌ إنساناً ثورٌ صاحبه فمات يبيعان الثور الحى
ويقتسمان ثمنه والميت أيضاً يقتسمانه لكن ! إذا علم أنه ثور نطّاح من
قبل ولم يظبطه صاحبه يعوّض عن انثور بشور والميت يكون له .»^(١)

ثم ؟ .. ثم ؟

« كل من اضطجع مع بهيمة يُقتل قتلاً !

من ذبح لآلهة غير الرب يهلك ...

لا تسب الله . لا تاعن رئيساً فى شعبك ! ..

وأبكار بنيك تُعطيني ! كذلك تفعل ببقرك وغنمك . سبعة

أيام مع أمه وفى اليوم الثامن تعطيني إياه ! .»^(٢)

ثم ؟ .. ثم ؟

« ثلاث صرات تُعيّد لى فى السنة .

تحفظ عيد الفطر تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك فى وقت

شهر أيبب لأنه فيه خرجت من مصر . ولا يظهروا أماهى فارغين !

(١) الإصحاح ٢١ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٢٢ « سفر الخروج »

وعيد الحصاد أبكار غلاتك التي تزرع في الحقل .

وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل .

ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب .
لا تذبح على خمر دم ذبيحتي . ولا يبت شحم عيدي الى الغدا !
أول أبكار أرضك تحضره الى بيت الرب إلهك .

لا تطبخ جدياً بلبن أمه . . . » (١)

هذا هو اللشون الجوهري من هذه « الأحكام » التي يرويها هذا المؤلف اليهودي ويقول إنها جاءت إلى جماعة ما حلت في سفح سيناء إلا واستعر بين ضلوعها اللهيبة المتأجج شوقاً إلى بلوغ « الأرض الموعودة » . ثم ليتخذ هذا المؤلف من هذه الرغبة مادة يستهل بها مرحلة جديدة خطيرة في تاريخ عقيدة « الأرض الموعودة » إذ يجعل الصفحات منها تبدأ على سفوح سيناء في الانتشار . .

وبقينا . . إن مؤلف « سفر الخروج » ليتخذ من سفوح سيناء صفحة يُسطر عليها تاريخ « بيوت إسرائيل » أو هذه الجماعة التي يُحدثنا عنها قائلاً بأنها ما حلت سفوح سيناء إلا وألهبت فكرة « الأرض الموعودة » . منها الخيلة حتى المدى الذي بدأت به هذه « البيوت » تطالب بامتلاك « الأرض الموعودة » . . .

ولكن . . ها هي ذى الأيام من حولها تنصرف رتيبة .
والأمل بامتلاك « الأرض الموعودة » يتباعد حتى ليبدو في مدى التفكير سراباً يدفع بها إلى التملل فالملل .

أين « الوعد » ؟..

تَهْمَمَةٌ أَطَاقَهَا مُؤَاف « سفر الخروج » على سفوح سيناء
وجعل رياح الشك تدفعها من كل جانب بينما سكن إلى نفسه يتساءل ؛ علام
الآن ؟ . صبراً ، فماذا لو أن « يهوه » لإسرائيل يقول ؛

« ها أنا مُرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق
وليُجِئ بك إلى المكان الذي أعدته .. فان ملاكاً يسير أمامك ويُجِئ بك إلى
الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم ! ..
أرسل هييتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم
وأعطيك جميع أعدائك مدبرين . وأرسل أمامك الزنابير فتطارد الحويين
والكنعانيين والحيثيين من أمامك ! . (١)

ولكن !..

« لا أطردكم من أمامك في سنة واحدة لثلا تصير الأرض
خرابة فتكثر عليك وحوش البرية ! قليلاً قليلاً أطردكم من أمامك إلى أن تُثَمَر
وتملك الأرض . واجمل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن
البرية إلى النهر !

فإني أدفع إلى أيديكم سُكَّانَ الأرض فتطردكم من أمامك !

لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً !

لا يسكنوا في أرضك لثلا يجعلوك تخطىء إلى ! . » (٢)

ومن هنا يتعطف مؤلف « سفر الخروج » ناحية العاطفة ويقول ..

وهكذا ؛

(١) الإصحاح ٢٣ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

« جاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام . فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا ؛ كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل . »

فكتب موسى جميع أقوال الرب .

وبكر في الصباح وبني مذبحاً في أسفل الجبل وإثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الإثني عشر . وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران . فأخذ موسى نصف الدم ووضع في الطسوس . ونصف الدم رشه على المذبح . .

وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال ؛
هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال ! . » (١)

ثم إن الرب ؛

« قال لموسى ؛ اصعد إلى الرب أنت وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد .
ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون . وأما الشعب فلا يصعد معه . » (٢)

ثم ؟ . .

« ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا ملكه إسرائيل ! » (٣)

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٢٤ سفر « الخروج »

(٣) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

« رأوا إله إسرائيل » ١٠١٩

سؤال ، نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودي ، وهو علينا لا يضمن

بالجواب . بل يجيبنا بالإيجاب قائلا ؛

« رأوا إله إسرائيل ! وتحت رجله شبه صنعة من العقيق

الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة .

ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل . (١)

أمام هذه الرواية التي تسجلها نصوص من هذا « السفر »

تُصرِّح كل الصراحة في قولها بأن أشراف إسرائيل رأوا « إله إسرائيل »

رأى العين ورأوا رجله ورأوا يده لا يسع الفكر منّا إلا أن يطرق للحظة !

لاسيما والنصوص في هذه الرواية قد تجاوزت المدى إذ استرست تقول بأن

أشراف إسرائيل قد عادوا يقولون للجماعة المنتظرة في أسفل الجبل بأنهم قد

رأوا إله إسرائيل وأنه وإن كان لم يمد لهم يده فانما هم معه قد ؛

« .. أكلوا وشربوا ! .. » (٢)

والآن ؟

الآن يحق لنا أن نتساءل ؛ أية الصلات كانت الصلة التي

يجعلها هذا المؤلف اليهودي قائمة بين « يهوه » وبين « جماعة يهوه » ؟ !

لا جدال في أن « مشكلة الصلة » تعتبر في الدوائر الفكرية

أهم ناحية في مشكلة التفكير الإلهي وأعمق مشكلات الألوهية إطلافاً ولكننا

إذ تلقى في هذا الصدد هذا السؤال فليس إلّا لتترك الإجابة عنه لهذه النصوص

(١) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

التي تأتينا بصورة عن هذه « الصلة » ساذجة كل السذاجة ، نابعة من نفس ، تفكيرها عن « يهوه » نفسه وآتية من خلال تصويرها لألوهية «يهوه» ولماهية . هذه الألوهية !.. ولما كان العقل في هذه الجماعة لم يتعرض لمشكلة ما من مشكلات ، التفكير الإلهي فقد أخذت هذه الجماعة هذا ، العقيدة عن هذه النصوص وكما صورها لها هذا المؤلف اليهودي الذي يأتي إلّا أن يكمل تصويره لهذه الصورة . فيستمرسل محدثاً بأنه بينما كان أشراف إسرائيل يحدثون الجماعة عن رؤيتهم في أعلى لإله إسرائيل وكيف رأوا رجليه وكيف أكلوا معه وشربوا إلّا وأعقب ذلك أن :

« قال الرب لموسى ؛ اصعد إلىّ إلى الجبل وكُنْ هناك .
فأعطيك لوحيّ الحجارة والشرعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم .

فقام موسى ويشموع خادمه . وأما الشيوخ فقال لهم ؛
اجلسوا ههنا حتى نرجع اليكم وهو ذا هرون وحور معكم .. فغطى السحاب الجبل .. ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل .

وكان موسى في الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة .^(١)

وهناك .. هناك « في وسط السحاب » ؛

« كلم الرب موسى قائلاً ؛

كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي مقدمة ! من كل من يحب قلبه تأخذون تقدمتي . وهذه هي المقدمة التي تأخذونها منهم ؛

ذهب وفضة ونحاس !

واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وجلود كباش

(١) الإصحاح ٢٤ « سفر الخروج »

محمرة وجلود تحسر، وخشب سنط وزيت العنارة وأطياب لدهن المسحة
وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة . فيصنعون
لى مقدساً لأسكن فى وسطهم . . » (١)

كيف ؟ ...

لا حاجة بنا إلى القاء هذا السؤال فأنما بالتفصيل يجىء من
هذا المؤلف اليهودى الإيضاح بأن « إله إسرائيل » قد واصل الكلام واضعاً
شروط المسكن وفى سط بنى إسرائيل فلقد ؛
« كلم الرب موسى قائلاً .. ؛ بحسب جميع ما أنا أريك
من مثال المسكن ومثال جميع آيئته هكذا تصنعون ؛

فيصنعون تابوتاً من خشب السنط طوله ذراعان ونصف
وارتفاعه ذراع ونصف . وتغشيه بذهب نقي . من داخل وخارج تغشيه !
وتصنع عليه أكليلاً من ذهب حواليه وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها
على قوائم الأربع . على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثانى حلقتان . .
وتضع فى التابوت الشهادة التى أعطيك .

وتصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه
ذراع ونصف ، وتصنع كرويين من ذهب . صنعة خراطة تصنعهما على طرفي
الغطاء .

فاصنع كروياً واحداً على الطرف من هنا وكروياً آخر على الطرف
من هناك . . . ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق مظللين
بأجنحتهما على الغطاء ووجههما كل واحد إلى الآخر . نحو الغطاء يكون

وجها الكرويين وتجعل الغطاء على التابوت من فوق ...

وأنا أجتمع بك ههنا !

واتكلم معك من على الغطاء ، من بين الكرويين

الذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل ! « (١)

ثم ؟ ! ثم ؛

« تصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وارتفاعها
ذراع ونصف . وتُغشَّيها بذهب نقي . وتصنع لها إكليلا من ذهب حوالها .
وتصنع لها حاجبا على شبر حوالها . وتصنع لحاجبها إكليلا من ذهب حوالها ..
وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التي يسكب بها
من ذهب نقي ! ..

وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامي دائما ! .. » (٢)

ثم ؟ ! ثم ؛

« تصنع منارة من ذهب نقي !

تكون كاساتها وعجرها وأزهارها منها . وست الشعب
خارجة من جانبيها ...

في الشعبة الواحدة ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر . وفي
الشعبة الثانية ثلاث كاسات لوزية بعجره وزهر . وهكذا إلى الست الشعب
الخارجة من المنارة ..

جميعها خراطة واحدة من ذهب نقي !

وتصنع سرجها سبعة . فتصعد سرجها اتضئ إلى مقابلها .

وملاقطها ومنافضها من ذهب نقي . من وزنة ذهب

نقى تصنع مع جميع هذه الأواني ! »^(١)

إن هذه لإنارة « المسكن » . وأما « المسكن » ؟ ...

« وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم
وأسمانجوني وأرجوان وقرمز .

بكروبيم صنعة حائك حاذق تصنعها !
طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعاً وعرض الشقة
الواحدة أربع أذرع .

قياساً واحداً لجميع الشقق !

تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض وخمس شقق
بعضها موصول ببعض . وتصنع عرى من أسمانجوني على حاشية الشقة
الواحدة في الطرف ومن الموصّل الواحد . وكذلك تصنع في حاشية الشقة
الطرفية من الموصّل الثاني .

خمس عروة تصنع في الشقة الواحدة وخمس عروة تصنع
في طرف الشقة الذي في الموصّل الثاني . تكون العرى بعضها مُقابل لبعض .
وتصنع خمس شظاظاً من ذهب . وتصل الشقتين بعضها ببعض .
بالأشظة فيصير المسكن واحداً .

وتصنع شققاً من شعر معزى خيمة على المسكن . إحدى عشرة شقة .
تصنعها ، طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعاً وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع .

قياساً واحداً للإحدى عشرة شقة !

وتصل خمساً من الشقق وحدها وستاً من الشقق وحدها
وتثنى الشقة السادسة في وجه الخيمة

وتصنع غطاء للخيمة من جلود كباش محمّرة . وغطاء من جلود
خميس من فوق ا. » (١)

ثم ، ماذا بعد ذلك ! .. بعد ذلك ؛
« تصنع الألواح للمسكن من خشب السنط . .

طول اللوح عشرة أذرع وعرض اللوح الواحد ذراع ونصف ...
وتصنع الألواح للمسكن عشرين لوحاً إلى جهة الجنوب نحو
التيه ...

ولجانِب المسكن الثاني إلى جهة الشمال عشرين لوحاً ... ولتؤخر المسكن
نحو الغرب تصنع ستة ألواح . . .

وتصنع عوارض من خشب السنط . خمساً لألواح جانب
المسكن الواحد . وخمس عوارض لألواح جانب المسكن الثاني . وخمس
عوارض لألواح جانب المسكن في المؤخر نحو الغرب . والعارضة الوسطى في
وسط الألواح تنفذ من الطرف إلى الطرف . وتغشى الألواح بذهب . وتصنع
حائقاتها من ذهب . وتغشى العوارض بذهب .

وتقيم المسكن كرسمة الذي أظهر لك في الجبل ! » (٢)

ثم ، ماذا بعد ذلك ! .. بعد ذلك ؛

« تصنع حجاباً من أسمانجونى وأرجوان وقرمز وبوص

مبروم . صنعة حائك حاذق يصنعه بكروبيم !

وتجعل على أربعة أعمدة من سنط مغشاة بذهب . رزرها

من ذهب ا ..

(٢) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

(١) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

وتجعل الحجاب تحت الأشفة . وتدخل إلى هناك داخل الحجاب
تابوت الشهادة فيفصل لكم الحجاب بين القدس وقدس الأقداس .
وتجعل النطاء على تابوت الشهادة في قدس الأقداس . وتضع
المائدة خارج الحجاب . والمئذنة مقابل المائدة على جانب المسكن نحو
اليمين . وتجعل المائدة على جانب الشمال .
وتصنع سُجُفًا لمدخل الخيمة من أسمانجوني وأرجوان
وقرمز وبوص مبروم صنعة الطراز !
وتصنع للسجف خمسة أعمدة من سنط وتغشيها بذهب ،
ررزها من ذهب ! .. » ^(١)

ثمَّ ، ماذا بعد ذلك !. بعد ذلك ؛
« تصنع المذبح من خشب السنط ! طوله خمس أذرع
وعرضه خمس أذرع مُرَبَّعًا يكون المذبح . وارتفاعه ثلاث أذرع ..
وتصنع قدوره لرفع رماده ورفوشه وسراكه ومذابحه
ومجامره جميع آنيته تصنعها من نحاس ..
كما أظهر لك في الجبل هكذا يصنعونه !. » ^(٢)
ثمَّ !. ثمَّ ؛

« تصنع دار المسكن !..
طول الدار مئة ذراع وعرضها خمسون نخمسون وارتفاعها
خمس أذرع من بوص مبروم وقواعدها من نحاس .

(١) الاصحاح ٢٦ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

جميع أواني المسكن في كل خدمته وجميع أوتاده وجميع أوتاد
الدار من نحاس !

وأنت تأمر بني إسرائيل أن يُقدّموا إليك زيت زيتون
مريض نقياً للضوء لإضاءة السرج دائماً . (١)
ثم . . . ثم بعد ذلك ؛

« قَرِّبْ إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل
ليُكهن لي !

هرون ناداب وأيهو اليعازار وإيثامار بني هرون .
واصنع ثياباً مقدّسة لهرون أخيك للمجد والبهاء !
وتكلم جميع حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة أن يصنعوا
ثياب هرون لتقدّسه ليُكهن لي .
وهذه هي الثياب التي يصنعونها ؛

صدره ورداء وجبة وقميص مخرّم ، وعمامة ومنطقة ..
فيصنعون الرداء من ذهب واسمانجوني وأرجوان وقرمز
ووص مبروم صنعة حائك حاذق ! ..

وتصنع طوقين من ذهب . وسلسلتين من ذهب نقيّ .
مجدولتين تصنعهما صنعة الضفر وتجعل سلسلتى الضفائر في الطوقين .

وتصنع صدره قضاء . . . تكون مربعة مثنيّة طولها شبر
وعرضها شبر . وترصّع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة . صف عقيق
أحمر وباقوت أصفر وزمرد الصف الأول . والصف الثاني بهرمان وباقوت

أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث عين الهرّ وبشم وجهشت . والصف الرابع زبرجد وجزع وبشب .

تكون مطوّقة بذهب في ترصيعها ..

وتصنع على الصدر سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نقيّ ...
وتصنع جبّة الرداء كلها من أسمانجوني وتكون فتحة رأسها في وسطها ... وتصنع على أذيلها رُمّانات من أسمانجوني وأرجوان وقرمز على أذيلها حوالياها . وجلاجل ذهب بينها حوالياها .

جلاجل ذهب ورمانة جلاجل ذهب ورمانة على أذيل الجبّة حوالياها . فتكون على هرون للخدمة ليُسمع صوتها عند دخوله إلى القدس أمام الرب وعند خروجه لئلا يموت ! ...

ولبنى هرون تصنع أقمصه وتصنع لهم مناطق وتصنع لهم قلانس للمجد والبهاء .

وتلبس هرون أخاك إياها وبنيه معه وتمسحهم وتملأ أياديهم وتقديسهم ليكهنوا إلى .

وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة .^(١)

وأما ماذا تصنعه لهم لتقدّسهم ليكهنوا إلى « فأنما ؛
« هذا ما تصنعه لهم لتقدّسهم ليكهنوا إلى ؛

خذ ثوراً واحداً ابن بقر وكبشين صبيحين . وخبز فطير وأقراص فطير ملتوتة بزيت . من دقيق حنطة تصنعها . وتجعلها في سلة واحدة وتقديّمها في السلة مع الثور والكبشين .

(١) الإصحاح ٢٧ « سفر الخروج »

وتُقدّم هرون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء .

وتأخذ الثياب وتلبس هرون القميص وجهته الرداء والرداء والصدرة وتشده بزئار الرداء . وتضع العمامة على رأسه وتجعل الإكليل المقدّس على العمامة . وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه ..

وتُقدّم الثور إلى قدام خيمة الاجتماع . فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الثور .

فتذبح الثور أمام الربّ عند باب خيمة الاجتماع . وتأخذ من دم الثور وتجعله على قرون المذبح بأصبعك وسائر الدم تصبّه إلى أسفل المذبح .

وتأخذ كل الشحم الذى يُغشّى الجوف وزيادة الكبد والكليتين والشحم الذى عليهما وتوقدها على المذبح .

وأما لحم الثور وجلده وفرثه فنحرقها بنار خارج المحلّة .

هو ذبيحة خطيّة .

وتأخذ الكبش الواحد فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس الكبش .

فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية . وتقطع الكبش إلى قطعه . وتغسل جوفه وأكارعه وتجعلها على قطعه وعلى رأسه . وتوقد كل الكبش على المذبح .

هو محرقة للربّ . رائحة سرور ! وقود هو للربّ !

وتأخذ الكبش الثانى فيضع هرون وبنوه أيديهم على رأس

الكبش .

فتذبح الكبش وتأخذ من دمه وتجعل على شحمة أذن

هرون وعلى شحم أذان بنيهِ اليمى . وعلى أباهِم أيديهِم اليمى . وعلى أباهِم أرجلِهِم

اليمى . وترش الدم على المذبح من كل ناحية !

وتأخذ من الدم الذى على المذبح ومن دهن المسحة وتنضح

على هرون وثيابه وعلى بنيهِ وثياب بنيهِ معه .

ثم تأخذ من الكبش الشحم والأليّة والشحم الذى يُغسّى

الجوف وزيادة السكبذ والسكيتين والشحم الذى عليهما والساق اليمى . فإنه

كبش ملىء . ورغيفاً واحداً من الخبز وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة

واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب . وتضع الجميع فى يدي هرون وبنيهِ

تردّها ترديداً أمام الرب . ثم تأخذها من أيديهِم وتوقدها على المذبح فوق

الحرقه .

رائحة سرور أمام الرب . وقود هو الرب !

ثم

تأخذ الفصّ من كبش الملىء الذى لهرون وتردّه ترديداً أمام

الرب فيكون لك نصيباً ! وتقدّس فص التريد وساق الرفيعة الذى ردد والذى

رفع من كبش الملىء ممّا لهرون وبنيهِ . فيكونان لهرون وبنيهِ ...

وأما كبش الملىء فتأخذه وتطبخ لحمه فى مكان مقدس .

فيأكل هرون وبغوه لحم الكبش والخبز الذى فى السلة عند باب خيمة

الاجتماع ..

وإن بقى شيء من لحم الملىء أو من الخبز إلى الصباح تحرق الباقي

بالنار . لا يؤكل لأنه مقدّس !

وتصنع لهرود وبنيه هكذا بحسب كل ما أمرتك . سبعة أيام
تملاً أيديهم .

وتُقدّم ثور خطية كل يوم لأجل الكفارة .
وتطهر المذبح بتكفيرك عليه وتمسحه لتقديسه . سبعة
أيام تكفر على المذبح وتقدسه فيكون المذبح قدس الأقداس .^(١)
وأما ما ذا سيقدّم على المذبح ؟ . فسؤال ناقيه إلى هذا
المؤلف اليهودي وليأتينا منه هذا الجواب ؛
« هذا ما تُقدّمه على المذبح ؛

خروفان حوليان كل يوم دائماً
والخروف الواحد تُقدمه صباحاً
والخروف الثاني تقدمه في العشيّة .
وعُشُر من دقيق ملتوت برع الهين من زيت الرض .
وسكيب ربع الهين من الخمر للخروف الواحد .
والخروف الثاني تقدمه في العشيّة مثل تقدمة الصباح وسكيبه
تصنع له .

رائحة سرور وقود الرب !
مُحرقة دائمة في أجبالكم عند باب خيمة الاجتماع ... حيثُ
اجتمع بكم لأكله هناك ! .^(٢)
ثم ١٩ .

(١) الأصحاح ٢٩ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ٢٩ « سفر الخروج »

ثمَّ ؛

كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً ؛
وَأَنْتَ تَأْخُذُكَ أَنْخِرُ الْأَطْيَابِ !

مُرّاً قَاطِراً خَمْسَ مِئَةِ شَاوِلٍ
وَقَرْفَةِ عِطْرَةٍ نِصْفَ ذَلِكَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ
وَقَصَبِ الذَّرِيرَةِ مِئَتَيْنِ وَخَمْسِينَ
وَسَلِيخَةِ خَمْسَ مِئَةٍ ، بِشَاوِلِ الْقُدُسِ . وَمِنْ زَيْتِ الزَيْتُونِ هَيْمًا .
وَتَصْنَعُهُ دَدْنًا مُقَدَّسًا لِلْمَسْحَةِ ! .. » (١)

لا يسعنا أمام هذه النصوص إلا أن نتوقف قليلاً لأنَّ هذا المؤلف اليهودي يحمل إلينا بها نعمة هي على بني إسرائيل جديدة كل الجدة لا لأنه لا عهد لإسرائيل بها في تلك الفترة الزمنية التي يتحدث عنها هذا المؤلف فحسب وإنما لأن هذه العناصر التي تجمع هذا الجمع و « بالزيت المقدس » تبرز وتعد « للمسحة » لم نعرفها إلا لمصر القديمة وكانت قاصرة على الموك يوم كانت قبضتهم تمتلك السُّلْطَةَ الدِّينِيَّةَ إلى جانب المَدِينِيَّةِ فأى هدفٍ ، من ثمَّ ، يستهدفه مؤلف « سفر الخروج » من وراء هذه النصوص ؟

أريد هذا المؤلف اليهودي أن يُشير لنا بهذا القول إشارة لا نكون مخطئين إذا قلنا إنها إشارة مباشرة بأن موسى كان يريد أن يصبح ، بهذه « المسحة » ، في بني إسرائيل مَلِكًا ؟

لا شك في أن هذا ما يدعيه هذا المؤلف وأنه بهذا القول ليغيب لموسى ، عليه السلام ، رسالة هو عنها لا يجهل الحديث الذي يجعله صادراً

عن «إله إسرائيل» إلى موسى والذي يختتمه بهذا النص؛

«ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء.

لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله ا.» (١)

ولكن ...

هنا يطالع علينا مؤلف «سفر الخروج» برواية جديدة عن حدثٍ.

آخر جديد . . فهو يُحدثنا عن لوافح ذلك الشك العاصف الذي عصف بالقلب

من إسرائيل وأحاط بموسى في خلال تلك الليالي التي غابها في معارج سيناء ..

وليّة قول لنا بأن هذا الشك قد اتخذ مظهر الحنين اللاّ عج إلى ما قد ترك «بيوت.

إسرائيل» في مصر من ألوان عبادة شعبية رمزت إلى معبودها بتمثال عجل ..

ومن ثم فليؤا الى المسمع منا إلى هذا المؤلف الإصغاء وهو

بواصل الحديث قائلاً؛

«ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع

الشعب على هرون وقالوا له ؛ قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّ هذا

موسى ، الرجل الذي أصدنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه ا

فقال لهم هرون ؛ انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نساتكم وبناتكم.

وأتوني بها .

فنزّع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى

هرون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكة ...

فلما نظر هرون بنّى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال ؛

غداً عيد للرب ا

فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدّموا ذبائح سلامة
وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب !» (١)
كيف ؟!.

نحن لا نستطيع أن نمر بهذه النصوص مروراً عابراً
ولا يسعنا إلا أن نقف أمامها متسائلين :

كيف يمكن أن يحدث هذا وهذا المؤلف نفسه كان قد ذكر ،
من قبل ، بأن شيوخ إسرائيل وعلى رأسهم هرون قد رأوا رأى العين «إله
إسرائيل» وأنهم قد عادوا من أعلى الجبل مقتنعين بما رأوا وبه مؤمنين ؟ ! .
ثمّ فى غضون غيبة موسى فى طوايا سيناء يصنع هرون سجلاً مسبوكتاً من ذهب
ويبنى له مذبحاً ثم يسعى إليه « بنو إسرائيل » بالذبائح للأكل والشرب ! وما
فرغوا من ذلك إلا وقاموا يلعبون ناسين « يهوه » إله إسرائيل ؟ !.

سؤال يتذف بنفسه إلى الخاطر بينما المسمع يواصل الإصغاء
إلى هذا المؤلف اليهودى وهو يواصل الحديث قائلاً بأنّه ما طاب لبني إسرائيل
اللهو وما استطابوه ومارحوا يلعبون ويقدمون الذبائح : لا إلى « يهوه » وإنّما
إلى الرب الذى صورّه هرون على شبه عجل ، إلاّ ونجاة ، بصحبة يشوع بن
نون ، هبط ؛

« موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده ! لوحان
مكتوبان على جانبيهما . من هنا ومن هنا كانا مكتوبين .
واللوحان هما صنعة الله ! والكتابة كتابة الله منقوشة على
اللوحين ! » (٢)

(١) الاسحاح ٣٢ « سفر الخروج » (٢) الاسحاح ٣٢ « سفر الخروج »

وحدث أن ؛

« سمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى ؛ صوت قتال في
الحلّة ؟ فقال ؛ ليس صوت صياح النصره ولا صوت صياح الكسرة .
بل صوت غناء أنا سامع !

وكان عندما اقترب من الحلّة أنه أبصر العجل والرقص ! » (١)

أبصر موسى عجلاً مسبوكاً من ذهب حوله تمرح جماعة
إسرائيل راقصة ويذهب بها المرح من حوله كل مذهب كما أبصر هرون واقفاً
أمام هذا العجل وله يسكنهن ؛

« فغضب موسى وطرح اللوحين من يده وكسرها ! » (٢)

حتمًا كان أن ترتج لمراى موسى جماعة إسرائيل وعلى رأسها
هرون وأن ترسم على الوجوه علامة استفهام غريبة كما كان حتمًا أن يرتد
الواحد تلو الآخر جفلاً أمام قطع متناثرة من « لوحى حجر مكتوبين بأصبع
الله ونفسها صنعة الله » ..

لا جدال في أن الألواح لم تكن بالشىء الجديد فالزمنا إنما
زمن سجلاته ألواح وقوانينه وأحكامه وعقائده كانت على الألواح تُحفر وتُسطر
ومتاحف عصرنا الحاضر مترعة بهذه الألواح . . وإنما الجديد في هذين اللوحين
هو أنهما « صنعة الله » والكتابة عليهما « كتابة الله » وبنفس « أصبع الله »
ومن ثم فهما لوحان لا كالألواح ! ..

وأما كيف كسر موسى هذين « اللوحين » فلم يكن ذلك

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

إلا أثر انتفاضة غضب من هذه الجماعة المرتدة وأما كيف عادت هذه الجماعة إلى حظيرة « الرب » فسؤال جوابه عند هذا المؤلف الذى تابع روايته وفي غير تورّع راح يُصوّر موسى مقبلاً على هذه الجماعة يحدثها قائلاً بأنه وهو فى أعلى الجبل حدث أن ؛

« قال الرب لموسى ؛

اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصدعته
من أرض مصر . زاغوا سريعاً عن الطريق الذى أوصيتهم به صنعوا لهم
عجلاً مسبوكة وسجدوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل !
فالآن اتركنى ليحمرى غضبى عليهم وأفنيهم .. !
فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال ؛

لماذا يارب يحمرى غضبك على شعبك الذى أخرجته من
أرض مصر ؟ ! .

لماذا يتكلم المصريون قائلين ؛ أخرجهم بجهنم ليقتلهم فى الجبال
ويفنيهم عن وجه الأرض ؟ !

ارجع عن حموى غضبك واندم على الشرِّ بشعبك ! اذكر
إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ! عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت
لهم ؛ أعطي نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيمملكونها إلى
الأبد !

فندم الرب على الشرِّ الذى قال إنه يفعله بشعبه ! . (١)

لو استطعنا تصوّر هذه اللحظة من التاريخ اليهودى لانحسرت

أمامنا جليلة في ضوء التحليل النفسي الشخصية التي كتبت هذه السطور واتحلت في يدنا العناصر التي كوَّنت الدين اليهودي الحالي . . وهذا يُحتم علينا أن نزدان اقتراباً من هذا المؤلف اليهودي لارتباط هذا الدين به أتمَّ ارتباط وأن نصلي إليه وهو يُكمل روايته هذه قائلاً بأن موسى كسر اللوحين :

« ثمَّ أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل ! . » (١)

ثمَّ ؟ . . ثمَّ إلى هرون ، كما يحدثنا هذا المؤلف اليهودي ، خلا موسى :

« وقال موسى لهرون : ماذا صنع بك هذا الشعب ! ؟ . .

فقال هرون : لا يحم غضب سيدي ! أنت تعرف الشعب

أنه في شرٍّ ! فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ؟ فقلت لهم : من له ذهب فلينزعه ويعطني ! فطرحته في النار فخرج هذا العجل ! . » (٢)

وهنا . . هنا يأتي مؤلف « سفر الخروج » إلا أن يسير بروايته

هذه حتى النهاية فيقول بأن عند ذاك :

« وقف موسى في باب المحلّة وقال : مَنْ الربُّ فإليَّ !

فاجتمع إليه جميع بني لاوى فقال لهم : هكذا قال الربُّ

إله إسرائيل :

ضعوا كل واحد سيفه على نَحْذِهِ ومُسرُّوا وارجعوا من باب

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد

قريبه .

ففعّل بنو لاوى بحسب قول موسى . ووقع من الشعب
في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل !

وقال موسى ؛ املاؤا أيديكم اليوم للرب حتى كل واحد
بإبنه وبأخيه ! فيعطىكم اليوم بركة ! . » ^(١)

والآن . . الآن وقد أنهى هذا المؤلف هذه المجزرة البشرية
ولطّخ كل واحد بدم أخيه وإبنه وصاحبه وقريبه ، فليس إلّا ليتحول بخياله
طاوياً به ليلة من عمر التاريخ الإسرائيلى مرت على هذا الحدث ليسرع بعد
ذلك يُشمر عن ساعده ويسطر ؛

« وكان في الغد أن موسى قال للشعب ! أنتم قد أخطأتم
خطية عظيمة . فأصعد الآن إلى الرب لعلّي أكفر خطيتكم .

فرجع موسى إلى الرب وقال ؛ آه . قد أخطأ هذا الشعب خطية
عظيمة ، وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب ، والآن . إن غفرت خطيتهم
وإلّا فأعني من كتابك الذي كتبت ؛

فقال الرب لموسى ؛ من أخطأ إلى محوه من كتابي . والآن
اذهب أهد الشعب إلى حيث كلمتك . . . » ^(٢)

اذهب . . ؛

« اذهب إصعد من هنا أنت والشعب ! . . إلى الأرض

(١) الأصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

(٢) الأصحاح ٣٢ « سفر الخروج »

التي حلفت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها! . . أرض تفيض
لبناً وعسلاً! « (١)

وهكذا . . . هكذا يعود بنا هذا المؤلف اليهودي وينعطف
ناحية « الأرض الموعودة » . . . هذه « الأرض » التي لذكورها، كما تحمل
إليها منه النصوص، اهتزت الأعطاف من بني إسرائيل طرباً انعطفت به نفوسهم
ناحية « يهو » من جديد . . .

ولكن . . . هنا يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي برواية أخرى
جديدة محورها « إله إسرائيل » هذا الذي هبط به بعد هذا الحدث مباشرة من
قم الجبل إلى وسط بني إسرائيل حتى لا تغيب العين منه لحظة عن هذه الجماعة
التي اختارها لنفسه « شعباً » ويستهل هذه الرواية قائلاً إن؛

« الرب قد قال لموسى؛ قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب
الرقبة . إن صعدت لحظة في وسطكم أفنيتكم. » (٢)

ولذلك؛

« لا أصعد في وسطك! » (٣)

رأى مؤلف « سفر الخروج » أن إسكان « إله إسرائيل » في
وسط إسرائيل أفضل من سكناه الجبل . . ففي سكناه في وسط « شعبه »
خير ضمان كي لا تعود هذه الجماعة إلى ما صنعت يوم طلبت من هرون أن يصنع
لها عجلاً مسبوكة وراحت أمامه ترقص! . . فلوم يكن « يهو » في الجبل

(١) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٢) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

وقتذاك لما استطاعت إسرائيل أن تصنع ما صنعت . . . ومن ثمّ فلتُنصب له بين خيام جماعة إسرائيل خيمة . . . أبى هذا المؤلف إلا أن يتمادى في بهتانه فينسب ذلك إلى موسى قائلا بأن عند ذاك .

« أخذ موسى الخيمة ونصبها له .. ودعاها خيمة الاجتماع . . »

وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة . . فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة . ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد في باب خيمته . . » (١)

فإنما في هذه « الخيمة » ؛

« يتكلم الرب مع موسى .. وجهاً لوجه كما يُسكّم الرجل صاحبه ! . » (٢)

ولكن ! .. هذه « الخيمة » لم تكن لتترك وحدها قطّ فإنما إذا تركها موسى لأمر ؛

« كان خادمه يشوع بن نون .. لا يبرح من داخل الخيمة . » (٣)

وهنا . . هنا نرانا نتمهل ، لحظة ، لفقول ؛

ما هذا الخلط الذي يأتيه مؤلف « سفر الخروج » وهو عن تلك « المسكالة القدسية » يتحدث هذا الحديث قائلاً بأن إلى هذه « الخيمة » إذا ما أراد الرب موسى أو أراد موسى الرب « ينزل الرب » وفي « عامود سحاب » يقف بالباب ! ؟ .

(١) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

(٣) الإصحاح ٣٣ « سفر الخروج »

ترهات ! . .

لا جدال أنها لترهات يضيف بها هذا المؤلف إلى أضاليله أضالولة جديدة لاسيما وأنه بعد أن نصب لإله إسرائيل خيمة واسكنه في وسط إسرائيل وجعل العين من « يشوع بن نون » عليها أبداً ساهرة تلفت فرأى أنه لم يضيف على مسكن إله إسرائيل مهابة تليق بمرتبة ألوهيته . . ومن ثم شمر عن ساعده من جديد ليطلع علينا يحدثننا قائلاً بأن بعد أيام من نصب « الخيمة » :

« كلم موسى كل جماعة بني إسرائيل قائلاً : هذا هو الشيء الذي أمر به الرب قائلاً : خذوا من عندكم مقدمة للرب . . ذهباً وفضة . ونحاساً وأسمانجونيا وأرجونا وقرمزاً وبوصاً وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تخس وخشب سنط وزيتاً للضوء وأطياباً لدهن المسحة والبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة .

وكل حكيم القلب بينكم فليأت ويصنع كل ما أمر به الرب !
المسكن ، وخيمته وغطاؤه وأشظته وألواحه وعوارضه وأعمدته وقواعده .
والتابوت ، وعصويه والغطاء وحجاب السجف .
والمائدة ، وعصوبها وكل آئيتها وخبز الوجوه .
ومنارة الضوء ، وآئيتها وبسرجها وزيت الضوء .
ومذبح البخور ، وعصويه ودهن المسحة والبخور العطر
وسجف الباب لمدخل المسكن .
ومذبح المحرقة ، وشباكة النحاس التي له وعصويه وكل آئيته والمرحضة
وقاعدتها .

وأستار الدار ، وأعمدتها وقواعدها وسجف باب الدار .

وأوتاد المسكن وأوتاد الدار ، وأطنايبها .

والثياب المنسوجة ، للخدمة في المقدس .

والثياب المقدسة لهرون الكاهن وثياب بنيه للكهانة ! . . . »^(١)

ومن ثم :

« خرج كل جماعة بني إسرائيل من بين يدي موسى »

وأتى كل من حرّكه قلبه وكل من سخّط نفسه فجاءوا بتقديمه للرب . . أتى

الرجال والنساء . فجاءوا بأسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من

الذهب ! . . .

وكل من وجد عنده أسمنجوني وأرجوان وصمغ قرمز وبزّ وشعر

معزى وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية آتى بها . وكل من كان

عنده تقدمة من فضة ونحاس آتى بتقديمه للرب .

وكل من وجد عنده خشب سنط لصنعة ما من العمل آتى به .

وكل امرأة حازقة غزلت بيدها وأتت بغزل من السمنجوني والأرجوان وصمغ

القرمز والبز . . . والأشراف أتوا بحجارة الجزع وحجارة الترصيع . .

وبالطيب والزيت . كل رجل أو امرأة من بني إسرائيل سخّط نفسه أن

يأتى بشيء لجميع العمل الذى أمر الرب بأن يعمل على يد موسى ، أتى به تطوعاً

للرب ! . . . »^(٢)

(١) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٥ « سفر الخروج »

وهنا :

« قال موسى لبني إسرائيل : انظروا إن الرب قد دعا بصلائييل بن أوري بن حور من سبط يهوذا . . . لإختراع أمثلة تصنع من الذهب والفضة والنحاس ولتحت الجواهر لاترصيع ولتجارة الخشب . . وأنتى فى قلبه أن يعلم هو وأهليآب بن أحيساماك من سبط دان . . . وملاً قلوبهما حكمة ليصنعا كل صنعة نجار ونساج حاذق ومطرز فى السمنجونى والأرجوان وصبغ القرمز والبز وكل صنعة حائك من صانعى كل صنعة . . . » (١)

ومن ثم :

« نادى موسى بصلائييل وأهليآب وكل ذى حكمة .. فتسلّموا من بين يدى موسى جميع التقدمة التى جاء بها بنو إسرائيل لأعمال خدمة القدس ليصنعوها . فأقبل جميع الحكماء الذين يصنعون كل أعمال القدس كل امرئ منهم من عمله الذى يصنعه . . .

فصنع المسكن وكل ذى حكمة من صانعى العمل . . » (٢)

وأما ما ذا صنعوا ؟ . . فقد :

« صنعوا عشر شقق من بزّ مشرور وسمنجونى وأرجوان وصبغ قرمز . طول كل شقة ثمان وعشرون ذراعاً فى عرض أربع أذرع . . ولفقوا خمساً من الشقق الواحدة إلى الأخرى وخمساً من الشقق الواحدة إلى الأخرى . وعلوا عرى . . صنعوا خمسين عروة . . وعلوا خمسين شظاظاً

(١) الامحاح ٣٥ « سفر الخروج »

(٢) الامحاح ٣٦ « سفر الخروج »

من الذهب . . . وصنعوا خمسين شظائلاً من نحاس . . . وعملوا غطاءً للخباء من
جلود كباش مصبوغة بالحمرة . . . وصنعوا ألواحاً للمسكن من خشب السنط. « (١)
هذا بعض ما عملوا . . .

وهنا ؛

« صنع بصليلى التابوت . . . وغشاه بذهب نقيٍّ من داخل
ومن خارج ! . . .

وصنع المائدة . . . وغشاه بذهب نقيٍّ . . . وصنع الأواني التي على
المائدة صحافها وصحونها وجاماتها وكأساتها التي يسكب بها من ذهب نقيٍّ .
وصنع للمائدة من ذهب نقيٍّ . . . وصنع مذبح البخور . . . وغشاه بذهب نقيٍّ . . .
وصنع دهن المسبحة مقدساً . . . والبخور العطر نقياً صنعة
العطار ! . . . » (٢)

ثم ؛

« صنع مذبح المحرقة من خشب السنط . . . وصنع المرحضة من
نحاس وقاعدتها من نحاس . . . وصنع الدار . . . أستار الدار من بوص
مبروم ! . . . صنع كل ما أمر به الرب موسى . . . ومعه أهوليا ب . . . نقاش
وموش وطرّاز ! . . . » (٣)

ولذلك ؛

(١) الاصحاح ٣٦ « سفر الخروج »

(٢) الاصحاح ٣٧ « سفر الخروج »

(٣) الاصحاح ٣٨ « سفر الخروج »

« من الأسمانجوني والأرجوان والقرمز ، صنعوا ثياباً منسوجة
للخدمة في المقدس . وصنعوا الثياب المقدسة التي لهرون . . . الرداء من ذهب
واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم .
مدشوا الذهب صفائح وقدوها خيوطاً ليصنعوها . . كما أمر
الربُّ موسى ...

وصنعوا حجري الجزع محاطين بطوقين من ذهب . . وصنعوا
الصدرية .. رصعوا فيها أربعة صفوف حجارة . صف عقيق أحمر وياقوت أصفر
وزمرد .. والصف الثاني بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض . والصف الثالث
عين المر ويشم وجست . والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب . . .
وصنع جبة الرداء صنعة النساج كلها من أسمانجوني . .
وصنعوا جلالجل من ذهب نقي . وجعلوا الجلالجل في وسط الرمائنات على
أذبال الجبسة . . .

وصنعوا الأقصة من بوص صنعة النساج ، لهرون وبنيه .
والعمامة من بوص ! .. » (١)

وهكذا :

« فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب . هكذا فعل !
وكان في الشهر الأول من السنة الثانية في أول الشهر أن المسكن أُقيم . » (٢)
وعند ذلك ؛

« غطت السحابةُ خيمةَ الاجتماع . وملاً بهاء الربُّ المسكن ! .. »

(١) الإصحاح ٣٩ « سفر الخروج » (٢) الإصحاح ٤٠ « سفر الخروج »

سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت فيها نار ليلاً
أمام عيون كل بيت إسرائيل !» (١)

والآن ؟ ... الآن وقد أقيم « المسكن » على الصورة التي
ارتضاها « إله إسرائيل » ... الآن « وقد سكن إله إسرائيل » وسط
إسرائيل وعن قمة سيناء اتخذ خيمة الاجتماع بدلا ، وذلك لتقرب عينه
عن قرب تحركات إسرائيل ، فليس إلا نتساءل ؛ أى لون من ألوان
العبادات والتعبد ستؤديه إسرائيل إلى « إله إسرائيل ؟ ... »

سؤال ، نلقيه إلى مؤلف « سفر الخروج » . . . ولكن . . .
كفّت يد مؤلف « سفر الخروج » عن التسطير وتراخت وهنا من شطحات
خيالٍ تمادى وفي مدى الترهات قطع شوطاً بعيداً ، غير أن اللاجابة عن هذا
السؤال يهب مؤلف يهودى آخر يتناول قلمه ويجريه لتؤلف منه سطور السفر
الثالث من « الأسفار الخمسة » وذلك ليحدثنا قائلاً ؛ بأنه ما أقيم « المسكن »
وما أقيمت « خيمة الاجتماع » المسماة « خباء الخضر » إلا لتقوم عبادة
منظمة ! . . . فلقد قامت نظام طقسية تُنظّم هذه العبادة كما جاءت بذلك ،
في سفوح سيناء ؛

« الشريعة » و « الوصايا »

إن الشريعة كلمة ، كما يحمل مدلولها ، تعنى الأحكام الدينية
والأحوال الشخصية والمدنية والجنائية . فالشريعة هى التى تُنظّم شعائر العبادة
وطقوسها وهى التى تعيّن احتفالات العبادة وتعين الأعياد . ومن ثم ففى الشريعة

(١) الأصحاح ٤ « سفر الخروج »

تأتى المشكلات الدينية قاطبة ومن أهمها نظرية الخير والشر ومشكلة الجريمة والعقاب وهذه تقود إلى مشكلة النفس وتنتهى بدورها إلى استعراض القانون الأخلاقى والقيم الأخلاقية ..

ومن ثمّ حتما علينا الإصغاء إلى هذا المؤلف للسفر الثالث المسمى فى النسخة الكاثوليكية « سفر الأخبار » وفى النسخة البروتستانتية « سفر اللاويين » وهو يحدثنا عما تحمله هذه الشريعة عند بنى إسرائيل من وصايا وما تفص عليه من أحكام وما تسنه من قوانين .. يستهل مؤلف « سفر اللاويين » حديثه قائلاً ؛

« ودعا الرب موسى وكله من خيمة الاجتماع قائلاً ؛ كلم بنى إسرائيل وقل لهم ؛ إذا قرب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقرّبون قربانينكم ! إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحاً يُقرّبه .. » (١)

إلى أين يُقرّبه ؟ ..

« إلى باب خيمة الاجتماع يقدمه !
للرضا عنه أمام الرب ! .. » (٢)

وأما كيف يرفع ابن إسرائيل قربانه ؟ « للرضا عنه أمام الرب »
فمكذا ؛

« يضع يده على رأس المحرقة . . . ويذبح العجل أمام الرب » ،
ويُقرّب بنو هرون ، السكمنة ، الدّم . ويرشّون الدّم مستديرًا على المذبح الذى
لدى باب خيمة الاجتماع ! ويسلخ المحرقة ويقطّعها إلى قطعها . ويجعل

(١) الاصحاح الاول « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح الاول « سفر اللاويين »

بنوهرون الكاهن ناراً على المذبح ويُرتَّبون حطباً على النار
ويُرتَّب بنوهرون ، الكهنة ، القِطْع مع الرأس والشحم فوق
الحطب الذى على النار التى على المذبح . . » ^(١)

وأحشاء القربان وأكارعه . .
« وأما أحشاؤه وأكارعه فيفسلها بماء ويُوقد الكاهن
الجميع على المذبح . . رائحة سرور للرب ! . » ^(٢)

وإذا كان ابن إسرائيل قد قدّم قربانه من الغنم ؟
« إن كان قربانه من الغنم الضأن أو المعز . . فذَكَرْهُ
صحيحاً يُقرَّبُهُ . ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الرب .
ويرش بنوهرون ، الكهنة ، دَمَهُ على المذبح مستديراً ! . .
ويقطعُه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ويُرتَّبهن الكاهن فوق
الحطب الذى على النار التى على المذبح .

وأما الأحشاء والأكارع فيفسلها بماء ويُقرَّب الكاهن الجميع
ويُوقد على المذبح . لِمَ أنه محرقة وقود رائحة سرور للرب ! . » ^(٣)

ولكن ! . إذا كان لا قَبْلَ لغردٍ ما من أبناء إسرائيل بتقديم
الغنم فقدّم الطير ؟ . .

إن مؤلِّف « سفر اللاويين » لا يهتدِ علينا بالإرشاد فيقول :

(١) الإصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٢) الإصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٣) الإصحاح الأول « سفر اللاويين »

« يقرب قربانه من اليمام أو أفرانخ الحمام .
يقدمه الكاهن إلى المذبح ويحرث رأسه ويوقد على المذبح
ويعصر دمه على حائط المذبح . . » ^(١)
ثم ؛

« ينزع حوصلته بفَرثها ويطرحها إلى جانب المذبح شرقاً
إلى مكان الرماد . ويشقّه بين جناحيه لا يفصله ! ويُوقده الكاهن على
المذبح فوق الحطب الذى على النار .
إنه محرقة وقود رائحة سرور للرب ! » ^(٢)

بهذه التقديمات يشرح هذا المؤلف اليهودى الجديد صُور العبادة
التي فرضت من « إله إسرائيل » على بنى إسرائيل وينهج منهج زميليه في
الادّعاء والافتراء على موسى ، عليه السلام ، ولا يتورع من القول بأن هذا
ما أملاه « إله إسرائيل » على موسى للرضا عن إسرائيل وللتكفير ! . بل ولا
يقف مؤلف « سفر اللاويين » عند هذا المدى وإنما هو يتجاذى في شططه ويزيد
في افتراءاته على موسى فيقول بأن « إله إسرائيل » قد كلم موسى في « خيمة
الاجتماع » قائلاً ؛

« إذا قرب أحد قربان تقدمه للرب يكون قربانه من دقيق . . » ^(٣)

بيد أن حذار ! . لا يقرب أحد هذه التقدمة إلا بعد أن ؛

(١) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح الأول « سفر اللاويين »

(٣) الإصحاح ٢ « سفر اللاويين »

« يسكب عليها زيتاً ويجعل عليها لباناً . ويأتى بها إلى بى هرون ، الكهنة ، ويقبض منها ملء قبضته من دقيقها وزيتها مع كل لبانها ويوقد الكاهن تذكارها على المذبح . . .

والباقي من التقدمة هو لهرون وبنيه . » ^(١)

وهنا . . . هنا نسأل هذا المؤلف اليهودى الذى سجل ، عبر نصوصه ، على نفسه هذه الشراطة التى أملت عليه ، هذه النصوص المفتراة قائلين ؛ وإذا جاء أجد من أبناء إسرائيل بتقدمة من الدقيق الخبز . . . وبإجابة اتسمت بأفقع لون من ألوان العبادات البدائية ينجى إلينا الصوت من هذا المؤلف يقول ؛

« إذا قربت قربان تقدمة مخبوزة فى تنّور تكون أقراصاً من دقيق فطيراً ملتوتة بزيت ورقاقاً فطيراً مدهونة بزيت ! . . » ^(٢)

ثم فى استرسال بالغ بلغ من السذاجة أقصى مداه يُحدثنا هذا المؤلف اليهودى عن ما يمكن تقدمته من الطواجن فيقول ؛

« إن كان قربانك تقدمة من طاجن فمن دقيق بزيت عمله ! . فتأتى بالتقدمة التى تصطنع من هذه إلى الرب وتُقدّمها إلى الكاهن فيدنو بها إلى المذبح . ويأخذ الكاهن من التقدمة تذكارها . . . والباقي من التقدمة هو لهرون وبنيه ! . . » ^(٣)

(١) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

(٣) الأصحاح ٢ « سفر اللاويين »

وأما...أما؛

« إن كان قربانه ذبيحة سلامة فإن قرب من البقر ذكرًا أو أنثى فصحيحًا يُقرّبه أمام الرب ! .

يضع يده على رأس قربانه ويذبحه لدى باب خيمة الاجتماع . ويرش بنو هرون ، الكهنة ، الدم على المذبح مستديرًا .

ويقرب من ذبيحة السلامة وقودًا للرب ؛ الشحم الذي يُغشى الأحشاء وسائر الشحم الذي على الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين وزيادة الكبدة مع الكليتين ينزعها ويوقدها بنو إسرائيل على المذبح . . رائحة سرور للرب ! . »^(١)

وأيضًا ؛

« إن كان قربانه من النعم ذبيحة سلامة للرب ذكرًا أو أنثى فصحيحًا يُقرّبه .

« إن قرب قربانه من الضأن يقدمه أمام الرب يضع يده على رأس قربانه ويذبحه قدام خيمة الاجتماع

ويرش بنو هرون دمه على المذبح مستديرًا !

ويقرّب من ذبيحة السلامة شحمها وقودًا للرب ؛ الألية صحيحة من عند المعصم ينزعها والشحم الذي يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذي على الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين وزيادة

(١) الأصحاح ٣ « سفر اللاويين »

١١. سكب مع الكهاتين ينزعها ويوقدها الكاهن على المذبح طعام وقود
للرب...! »^(١)
وأيضاً ؛

« إن كان قربانه من المعز يقدمه أمام الرب . يضع يده على
رأسه ويذبحه قدام خيمة الاجتماع ويرش بنو هرون دمه على المذبح
مستديراً ويقرب معه قربانه وقوداً للرب الشحم الذى يفسى الأحشاء ..
كل الشحم للرب . ١ »^(٢)

كل الشحم للرب ١٠٠ ؟ واللحم ١٠ ؟ اللحم إلى من يذهب ١٠ ؟
سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى وإن كان لم يبدرفيقه في
الأضاليل فإثماً هو قد بذلها في الشراة تطفح بها هذه النصوص وكأثماً هو
الذى لم يستدر إلا من حول الطعام له تفكير ! . ولكنه عن هذا السؤال لن
يجيبنا إلا بعد قليل وبعد أن يسرد ألواناً أخرى من القرايين هى بمثابة
تكاليف دينية وهذه لا تشمل أفراد المجتمع الإسرائيلى فحسب وإنما أعضاء
هيئة الكهنوت أنفسهم فلقد :

« كلم الرب موسى قائلاً : إن كان الكاهن المسوح يُخطئ
لأثم الشعب يقرّب عن خطيته التى أخطأ ثوراً ابن بقر ! . . . يُقدّم الثور إلى
باب خيمة الاجتماع أمام الرب ويضع يده على رأس الثور ويذبح
الثور أمام الرب ! ويأخذ الكاهن المسوح من دم الثور ويدخل به
إلى خيمة الاجتماع ويغمس الكاهن إصبعه فى الدم وينضح من الدم .

(١) الاصحاح ٣ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر اللاويين »

سبع مرات أمام الربّ لدى حجاب القدس ! ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع أمام الرب . وسائر دم الثور يصبّه إلى أسفل مذبح الحرقه .. (١)

وأيضاً ، إذا أخطأت ؛

« كل جماعة إسرائيل .. ثم عرفت الخطيئة التى أخطأوا بها يُقرّب المجمع ثوراً ابن بقر ذبيحة خطية . يأتون به إلى قُدّام خيمة الاجتماع ويضع شيوخ الجماعة أيديهم على رأس الثور أمام الربّ ويذبح الثور أمام الربّ .. ويدخل الكاهن المسوح من دم الثور إلى خيمة الاجتماع .. ويفمس الكاهن أصبعه فى الدم وينضح سبع مرات أمام الربّ لدى الحجاب .. ويجعل من الدم على قرون المذبح .. وسائر الدم يصبّه إلى أسفل مذبح الحرقه .. يفعل بالثور كما فعل بثور الخطيئة . ويحرقه كما أحرق.

لثور الأول ! إنه ذبيحة خطية المجمع » (٢)

وأيضاً ؛

« إذا أخطأ رئيس .. يأتى بقربانه تيساً من المعز ذكرّاً صحيحاً . ويضع يده على رأس التيس ويذبحه .. ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح الحرقه ثم يصب دمه إلى أسفل مذبح الحرقه .. فيُصَفِّح عنه .. » (٣)

وأيضاً ؛

(١) الأصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(٣) الأصحاح ٤ « سفر اللاويين »

« إن أخطأ أحد من عامة الأرض .. يأتى بقربانه عنزاً من المعز أنثى صحيحة !.. ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية في موضع الحرقه . ويأخذ الكاهن من دمه بأصبعه ويجعل على قرون مذبح الحرقه ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح ... فيصّفح عنه .. » (١)

ولكن ؛

« إن أتى بقربانه من الضأن .. يأتى بها أنثى صحيحة ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبحها .. ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الخطية بأصبعه ويجعل على قرون مذبح الحرقه ويصب سائر الدم إلى أسفل المذبح .. فيصّفح عنه . » (٢)

ثم :

« إذا أخطأ أحد .. يأتى إلى الرب بذبيحة لإيمته عن خطيته التى أخطأ بها أنثى من الأغنام ، نعجة أو عنزاً من المعز .. وإن لم تنل يده كفاية لشاة فيأتى بذبيحة لإيمته الذى أخطأ به يمامتين أو فرخى حمام .. يأتى بهما إلى الكاهن فيقرب الذى للخطية أولاً يحز رأسه من قناه ولا يفصله ! وينضح من دم ذبيحة الخطية على حائط المذبح والباقي من الدم يعصر إلى أسفل المذبح .. وأما الثانى فيعمله محرقة كالعادة .. فيصّفح عنه ! » (٣)

وهكذا تسير النصوص من هذا السفر الثالث من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، افتراءً ، إلى موسى وتسترسل بيد مؤلفها تفرض الفرائض ..

(٢) الإصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(١) الإصحاح ٤ « سفر اللاويين »

(٣) الإصحاح ٥ « سفر اللاويين »

وَأَمَّا إِذَا أَعَدْنَا السُّؤَالَ السَّابِقَ وَقَلْنَا إِلَى مَنْ تَذْهَبُ لَحُومُ هَذِهِ التَّقْدِمَاتِ وَهَذِهِ الْقُرَابِينِ ؟ .. فَالْجَوَابُ يَا تَيْنَاهُنَا مِنْ هَذَا الْمُؤَلَّفِ صَرِيحًا يَقُولُ ؛
« يَا أَكْلَهُ هَرُونَ وَبَنُوهُ ! .. كُلْ ذَكَرَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
يَأْكُلُ مِنْهَا ! .. كُلْ ذَكَرَ مِنَ الْكَهَنَةِ يَا أَكْلَ مِنْهَا ! .. » ^(١)

أَجَل ؛

« كُلْ ذَكَرَ مِنَ الْكَهَنَةِ يَا أَكْلَ مِنْهَا ! .. شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ !
الْكَاهَنُ الَّذِي يَكْفُرُ بِهَا تَكُونُ لَهُ ! وَالْكَاهَنُ الَّذِي يَقْرُبُ مُحَرَّقَةً إِنْسَانًا لْخُلْدِ
الْمُحَرَّقَةِ الَّتِي يَقْرُبُ بِهَا يَكُونُ لَهُ . وَكُلُّ تَقْدِمَةٍ خُبِزَتْ فِي التَّنُّورِ وَكُلُّ مَا عُمِلَ
فِي طَاجِنٍ أَوْ عَلَى صَاجٍ يَكُونُ لِلْكَاهَنِ الَّذِي يَقْرِبُهُ ! وَكُلُّ تَقْدِمَةٍ مَتَلَوْتَةٍ
بَزَيْتٍ أَوْ نَاشِفَةٍ تَكُونُ لِلْجَمِيعِ بَنِي هَرُونَ ! ... »

أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ تُعْطِيَ لَهُمْ ، يَوْمَ مَسْحِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ...
أَمَرَ الرَّبُّ بِهَا مُوسَى فِي جَبَلِ سَيْنَاءِ ! .. » ^(٢)

يَقِينًا ...

لَقَدْ بَلَغَ مُؤَلَّفُ « سَفَرِ اللاَّوِيِّينَ » أَقْصَى الْمَدَى فِي
الْجُشْعِ .. ! وَفِي غَيْرِ تَفْرِيطٍ هُوَ فِيهِ قَدْ أَفْرَطَ وَهَذَا مِمَّا يَجْعَلُ الْفِكْرَ ، أَمَامَ هَذِهِ الصُّورَةِ
الَّتِي صَوَّرَهَا ، يَتَمَهَّلُ بِنَا قَلِيلًا سَابِجًا فِي لُجْجِ التَّأَمُّلِ يَدِينَا تَفْطُلُ الْخَيَالَةَ مِنْهَا تَتَصَوَّرُ ،
إِذَا أَخَذْنَا افْتِرَاضًا بِقَوْلِ هَذَا الْمُؤَلَّفِ ، يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي سَفْحِ
سَيْنَاءِ .. يَوْمًا لَا يَنْتَفِضِي إِلَّا بَيْنَ أَنْعَامٍ تُسَاقُ وَتَذْبَحُ وَدَمُ يُرَشُّ وَشَحْمٌ يُوقَدُ
وَكَهَنُوتٌ يَقِفُ بَبَابِ « خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ » يَسْتَقْبِلُ الْوُفُودَ الْوَافِدَةَ بِخَيْرِ آتَاهَا بِكُلِّ
مَا طَابَ وَلَدَتْ « لِإِكْلِهِ إِسْرَائِيلَ » نَظَرِيًّا وَلِكَهَنُوتِهِ عَمَلِيًّا يَبْنِي عَهْدًا تَرْهَفُ

(١) الأصْحَاحُ ٦ « سَفَرِ اللاَّوِيِّينَ » (٢) الأصْحَاحُ ٧ « سَفَرِ اللاَّوِيِّينَ »

الأذن منا كما تلتقط ورداً من الأوراد الدينية أو من الأناشيد نشيداً أو تسبيحة من صلاة . . . كلا . . . فليس هناك إلا نغير بقر وثيران ومائة ضأن وماعز وصفق أجنحة يمام وأفراخ حمام . . . ليس هناك إلا كهنوت استغرقت عملية الذبح ورش الدم وفصل الشحم عن اللحم . . . فأنما مؤلف « سفر اللاويين » قد جعل عمل الكهنوت الرسمي ينحصر في الاهتمام بأمر القرايين وما قد وضع لهذه القرايين من شرائع يقومون على رعايتها في صورة هذه الطقوس وكأنما هذا المؤلف اليهودي الآخر قد راعى تلك الطقوس التي كانت مرعية في بلاد ما بين النهرين ، المهّد التاريخي لإسرائيل . . . فنحن نعلم أن القربان في بلاد ما بين النهرين كان يتكوّن من طعام للمعبود يصحبه إراقة الدماء وتبطين ذلك من النقوش التي تركها الزمن على بعض اللوحات والاسطوانات . . . على لوح من الألواح البابلية نرى « لوجال زاجيس » ، ملك أوروك ، يقدم خبز التقدمة وماء نقياً لرب « نيبور » . . . ثم على إحدى الاسطوانات نرى قائمة لأنواع التضحيات التي تختلف تبعاً للغرض المراد ومن أبرز صور هذه القرايين : الثور والبقر والجدى والشاة والطيور . . . تذبح ويتقبل الرب نصيبه الرمزي منها وأما الباقي فكان هذا الذي يأكله أهل الكهنوت .

أجل !

منذ الألف الثالث ق . م . كانت الذبائح المضحاة في بلاد ما بين النهرين تُنظّم في عناية بالغة حتى أن « جوديا » ، ملك لاجاش ، قد حدد عدد الثيران والنعاج والحملان التي كانت تعد للتضحية بها في معابد « لاجاش » باسم المدينة لأعياد السنة . بل وقد بلغت عناية « دونجى » ، ملك أور ، هذه الفرائض غايةا حتى أنه فرض رواتب مادية لحافى المدن لهذا الغرض كما

يكفل تنظيم الذبائح الشهرية التي كانت تختلف في كل مدينة عن الأخرى تبعاً للموارد المادية التي كانت توضع تحت تصرف كل معبد ومن أهم هذه المعابد ومن أشهرها كان « معبد أنو » في « أوروك »

حيث كانت هناك وجبتان للرب تشكوتان من الشراب والخبز والفاكهة والاحوم التي تقدم كل صباح وكل مساء وذلك طبقاً لوثيقة أعيدت كتابتها في عهد « السلوكيين » ومنها نفهم أن الصحف الرئيسية كانت تقتضى وجود إحدى وعشرين خروفاً عمر الواحد منها سنتان علفت بالشعير ، وأربع نعاج أطعمت باللبن ، وخمساً وعشرين نعجة من المرتبة الثانية . وثورين . وعجل رضيع . وثمانية حملان وستين طيراً من نوعين مختلفتين . وثلاث دجاجات . وسبع بطات . وبيضاً . والخبز المعجون بالزيت . . . وتقدم كتب الطقوس الخاصة تفاصيل العمليات المتداولة التي تباشر خلال تقدمه هذه القرايين التي كان يسمح بدمائها حوائط المعبد وعلى المتعبدين ، بيد الكاهن ، ترش .

من هذه اللوحة يعرج بنا الخيال عائداً إلى مؤلف « سفر اللاويين » وإليه نعود فنصغى وهو يحدثنا عبر نصوصه هذه المفتراة على موسى قائلاً ؛

« وكلم الرب موسى قائلاً ؛ خذ هرون وبنيه معه والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع .

ففعل موسى كما أمره الرب ...

ثم قال موسى للجماعة ؛ هذا ما أمر الرب أن يفعل ! »^(١)

(١) الإصحاح ٨ « سفر اللاويين »

وأما ما هذا الذى يريد الرب أن يفعل؟ • فسؤال لا نلقيه إلى هذا المؤلف اليهودى إلا ونسمع منه الجواب الذى يُصور ، بهتاناً ، هذا المشهد ؛ « قدّم موسى هرونَ وبنيه وغسلهم بماء •

وجعل عليه القميص ونطقه بالمنطقة وألبسه الجبّة وجعل عايه الرداء ... ووضع العمامة على رأسه ووضع على العمامة إلى جهة وجهه صفيحة الذهب الإكليل المقدس !..

ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقده ونضح منه على المذبح سبع مرات ... وصبّ من دهن المسحة على رأس هرون ومسحه لتقدّسه !

ثم قدّم موسى بَنَى هرون وألبسهم أقمصه ونطقهم بمناطق وشدّ لهم قلانس »... (١)

أمام هذه الصورة التى يُصوّرها قلم مؤلف «سفر اللاويين» حتماً للفكر منّا أن يتمهل قليلاً ونطويه لجج التفكير فى أمر هذه « المسحة » التى جعل هذا المؤلف موسى يقتارها ويمسح بها هرون ليتناولها من بعد الإسرائيليون عبر عهودهم التاريخية مزيجاً لمسح الملوك ، بينما نتابع هذا المؤلف من حيث انفضّت يده من تغسيل هرون وبنيه وتعميم هرون بنفس العمامة التى ظهرت فى عصر « جوديا » فى بلاد ما بين النهرين ثم أصبحت لباس الرأس عند حورآبى ، فى نفس الوقت الذى يسترسل فيه هذا المؤلف ويقول بأنه ما « قدّم موسى بَنَى هرون وألبسهم أقمصه » إلّا و ؛

« قدّم ثور الخطيّة ووضع هرون وبنوه أيديهم على

رأس ثور الخطيّة •

فذبّحه وأخذ موسى الدّم وجعله على قرون المذبح
مستديراً بأصبعه !... ثم صبّ الدّم إلى أسفل المذبح !... وأخذ كل الشحم الذى
على الأحشاء وزيادة الكبِد والكليتين وشحمهما وأوقده موسى على
المذبح ...

كما أمر الربّ موسى !. « (١) »

ثمّ ؟.. ماذا هناك ، بعد ، من افتراءات يفترها مؤلف « سفر
اللاويين » على موسى وهو الذى قال عنه زوراً وبهتاناً أنه ذبح « ثور الخطية
ومسح بالدم قرون المذبح ثم إلى أسفل المذبح صبه صبّاً ؟!.. إن مؤلف « سفر
اللاويين » لا يرفع رأسه !. فإتّما هذا المؤلف الثالث لثالث « الأسفار »
يستترسل قائلاً ؛

« ثم قدّم كبشَ المُحرقة فوضع هرون وبنوه أيديهم
على رأس الكبش . فذبّحه ورشّ موسى الدّم على المذبح مستديراً . وقطع
الكبش إلى قطعه وأوقد موسى الرأس والقطع والشحم . وأمّا الأحشاء
والأكارع ففسلها بماء وأوقد موسى كل الكبش على المذبح ! أنه محرقة
لرائحة سرور . وقود هو الرب . كما أمر الربّ موسى !.. » (٢) »

ثمّ ؟!.. ثمّ ماذا هناك بعد من افتراءات على موسى ؟!..
إن هناك هذا الافتراء الجديد الذى ينجى به مؤلف « سفر
اللاويين » قائلاً بأنّ موسى بعد أن « قدّم كبشَ المحرقة » ؛
« قدّم الكبشَ الثانى . . فذبّحه . وأخذ موسى من دمه وجعل
على شحمة أذن هرون اليمنى وعلى أبهام يده اليمنى وعلى أبهام رجله اليمنى !

(١) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ٨ « سفر اللاويين »

ثم قدم موسى بنى هرون وجعل من الدم على شحم آذانهم
اليمنى وعلى أباهم أيديهم اليمنى وعلى أباهم أرجلهم اليمنى .
ثم رشَّ موسى الدم على المذبح مستديراً .

ثمَّ أخذ الشحم ، الأليّة وكل الشحم الذى على الأحشاء
وزيادة الكبد والسكيتين وشحمهما والساق اليمنى ، ومن سلّ الفطير الذى
أمام الربَّ أخذ قرصاً واحداً فطيراً وقرصاً واحداً من الخبز بزيت ورقاقة
واحدة ووضعها على الشحم وعلى الساق اليمنى . وجعل الجميع على كفّى هرون
وكفوف بنيهِ وردّدها ترديداً أمام الربِّ . . . وأوقدها على المذبح ! . . .
ثم أخذ موسى الصدر . . . لموسى كان نصيباً كما أمر
الربُّ ! . . . (١)

ثمَّ ؟ . . .

« ثمَّ قال موسى لهرون وبنيه ؛ اطبخوا اللحم لدى باب
خيمة الاجتماع وهناك تأكلونه والخبز الذى فى سلّ قربان الملء ! . » (٢)
والآن . . الآن وقد أتانا الجواب عن سؤال كئنا قد تساءلناه
من قبل وهو إلى من يذهب اللحم ، فقد آن لنا أن نسأل عما حدث فى « اليوم
الثامن » ؟ . وعن هذا السؤال يأتينا هذا الجواب ؛

« فى اليوم الثامن دعا موسى هرون وبنيه وشيوخ إسرائيل
وقال لهرون ؛ خذ لك عجلاً ابن بقر لذبيحة خطية وكبشاً محرقة صحيحين !
وقدّمهما أمام الرب . وكلّس بنى إسرائيل قائلين ؛ خذوا تيساً من المعز لذبيحة

(١) الأصحاح ٨ « سفر اللاويين »

(٢) الأصحاح ٨ « سفر اللاويين »

خطية وعجلاً وخروفاً حوامين صحيحين لحرقة وثوراً وكبشاً لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب . وتقدمة ملتوتة بزيت ! . . » (١)

لماذا ١٩ . لقد استعنا على مؤلف « سفر اللاويين » بمادة الصبر ونحن نوالى إلى تراهاته الإصغاء وإننا لنستعين بنفس هذه المادة ونحن نسأله هذا السؤال إذ يأتينا في كفر بين ، منه هذا الجواب ؛

« لأن الرب يترأى لكم ! . . » (٢)

ماذا ٢٠ . . أيسر مؤلف « سفر اللاويين » على منوال مؤلف « سفر الخروج » فيقول بترأى الرب ليقف بجماعة إسرائيل كما وقف بها زميله في أسفل جبل كان البرق من حناياه يدوى ومن فجوات فيه يدخل ٢١ . .

كلاً . . سرعان ما يستدرك هذا المؤلف اليهودى نفسه فتصرخ المعانى من سطوره تنادى بالآ فزع هناك ولا خوف فأنما « مجد الرب » فقط ، هو الذى سيترأى ! . ومن ثمّ راح يكمل روايته هذه قائلاً بأن بنى إسرائيل قد هرعوا :

« فأخذوا ما أمر به موسى إلى قُدم خيمة الاجتماع . وتقدّم كل الجماعة ووقفوا أمام الرب . فقال موسى : هذا ما أمر به الرب تعملونه فيترأى لكم مجد الرب .

ثم قال موسى لهرون : تقدّم إلى المذبح واعمل ذبيحة خطيتك ومُحرقتك وكفّر عن نفسك وعن الشعب . .

فتقدّم هرون إلى المذبح وذبح عجل الخاطية الذى له . وقدم بنو

هرون إليه الدم . فغمس أصبعه في الدم وجعل على قرون المذبح ثم صب الدم إلى أسفل المذبح .. » (١)

يقيناً ، لقد برز مؤلف « سفر اللاويين » زميليه في مضمار السفة .. وإذا كان مؤلف « سفر التكوين » قد وصمه بالأنحلال الخلقى وإذا كان مؤلف « سفر الخروج » قد وصمه بجنوح الخيال وشططه فأثما مؤلف « سفر اللاويين » قد فاق الإثنين في ميدان العته .. فلا شيء يشتمل « سفره » عليه إلا الذبح ورش الدم على حائط المعبد وصبه إلى أسفل المذبح وإلا غمس الأصابع به ونضحه على الثياب وعلى شحمة الأذن اليمنى وأباهم اليد اليمنى وأباهم الرجل اليمنى ... وليخرج من هذا كله بانتقاء ما لذ له من لحوم هذه الضحايا مُلقياً بمهام طهيها على هرون نفسه وبنيه ومن معه من طائفة الكهنة القاصرة على « بيت لاوى » ... وأما الشحم والكليتين وزيادة الكبد من هذه الذبائح فيناولها هذا المؤلف إلى هرون ويقول إنه قد :

« أوقدها على المذبح كما أمر الرب موسى ! » (٢)

ثم ؟! . ثم ماذا سيجعل مؤلف « سفر اللاويين » ، بعد ذلك ، هرون يفعل ؟! . لا جدال في أن هذا المؤلف اليهودي ما زال في ضلاله يسير إذ يسترسل في أفترائه على هرون قائلاً :

« ثم ذبح الحرقه ! فناولوه بنو هرون الدم فرشه على المذبح مستديراً . ثم ناولوه الحرقه بقطعها والرأس . فأوقدها على المذبح . ثم غسل الأحشاء والأكارح وأوقدها فوق الحرقه على المذبح .

(١) الاصحاح ٩ « سفر اللاويين »

(٢) ، الاصحاح ٩ « سفر اللاويين »

ثمَّ . . أخذ تيس الخطية الذى للشعب وذبحه وعمله للخطية
كالأول . . .

ثمَّ ذبح الثور والكبش ذبيحة السلامة التى للشعب وناولهُ
بنو هرون الدم فرشه على المذبح مستديراً . والشحم من الثور ومن الكبش
الآلية وما يغشى . والكليتين وزيادة الكبِد . ووضعوا الشحم على الصدرين
فأوقد الشحم على المذبح . وأما الصدران والساق اليمنى فردّها هرون ترديداً
أمام الرب .

كما أمرَ موسى ! . . » (١)

وهنا . . هنا يرسم مؤلف « سفر اللاويين » بنصوصه صورة
تحمّل الدليل الوافى على فطريته ومدى السذاجة التى كان عليها فى مضمار التفكير
المنطقي إذ يُحدِثنا عن كيف تراءى مجد الرب لهذه الجماعة التى جمعها حلقات
من حول « خيمة الاجتماع » وجعلها تجتمع مطأطئة الرأس تنتظر فى شوق هليف
ترأى مجد الرب الذى تراءى بالفعل ، على حدّ ادّعاء هذا المؤلف ، عندما :
« أخذ ابنا هرون ، ناداب وأبيهو ، كل منهما مجرته وجعلها
فيها ناراً ووضعها عليها بخوراً وقرّباً أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرها بها .
فخرجت نارٌ من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب ! . . » (٢)

هذا هو ، كما يُصوّر مؤلف « سفر اللاويين » ، مجد الرب ! . .
وأما كيف اندلعت هذه « النار » ومن أى مصدر خرجت ؟
ولماذا كانت ! . فهذه أسئلة لا يتركها هذا المؤلف إزاءها حيارى وهو فى

(١) الاصطاح ٩ « سفر اللاويين »

(٢) الاصطاح ١٠ « سفر اللاويين »

افتراءاته على موسى قد تبادى . ومن ثمّ فلا عجب أن يقطع شوطاً آخر في تباديه وتُصوّر لنا نصوصه هذه الصورة التي يريد أن يقول لنا بها إن هرون قد أقبل على موسى مستفسراً عن السبب الذي أدّى إلى مصرع ابنه على هذا النحو ؟ غير أنه عند ذاك ؛

« قال موسى لهرون ؛ هذا ما تكلم به الربّ قائلاً ؛ في القريين منى أتقدس وأمام جميع الشعب أتمجد .

فصمت هرون . . . » (١)

وهنا .. هنا حتّى يسبح بنا الفكرُ أمام هذا الحديث الذى يحدثنا به مؤلف « سفر اللاويين » عن تفجّر هذه « النار » داخل الخيمة تفجّراً لم يحىء عرضاً وإنما كان مدبراً من الربّ كيما يتمجّد بمصرع هذين الكاهنين ... بل وعلى لوالبه الفكرية يدور الفكرُ منّا أمام هذا الاستفسار الذى يشير إليه مؤلف « سفر اللاويين » ويجعله قد آتى من جانب هرون ليليه هذا الأمر من جانب موسى وليتلوه هذا الصمت من جانب هرون مرة أخرى حتى ليبدو لنا هذا الحديث وكأنّما هو معاول تلج بنا إلى الأغوار من النفسية التى كتبت هذا « السفر » .. هذه النفسية التى تتكشف عن جبروت عجيب هو موضع الدهول والتعجب نلمسه عبر افتراء جديد على موسى يقول بأنه عند ذاك ؛

« دعا موسى ميشائيل والصفان ، ابني عزيزيل عم هرون ،

وقال لهما ؛ تقدما ارفعا أخويكما من قدام القدس إلى خارج الحلة !
فتقدّما ورفعاهما فى قميصيهما إلى خارج الحلة ، كما قال موسى . » (٢)

كلا ! .. لا حاجة بنا إلى التعليق على هذه النصوص فهي تفصح
بنفسها عن نفسها ، لا عن مدى الافتراء على موسى ، عليه السلام ، فحسب وإنما
عن مدى القسوة التي بها قد اصطبغت وخاصة عندما يتمادى هذا المؤلف
اليهودى فى شططه ويسترسل فى حديثه قائلا بأن بعد ذلك اتّجه موسى إلى
هرون وإلى ابني هرون الباقين :

« وقال موسى لهرون واليعازر وإيثامار ابنيه : لا تكشفوا
رؤوسكم ولا تشقوا ثيابكم لئلا تموتوا ! .. ومن باب خيمة الاجتماع لا تخرجوا
لئلا تموتوا ! ... » (١)

لماذا ؟ ! ..

هذا سؤال آخر والجواب عنه عسير إذا أحطنا بالمعنى الذى
رمى إليه مؤلف « سفر اللاويين » من وراء إبقاء هرون وابنيه الباقين داخل
« الخيمة » فهو قد قدّر أن « الخيمة » ستحول بين هرون وابنيه من جهة وبين
الجماعة من جهة أخرى لفترة يهدأ فى خلالها الخاطر من هرون ومن ابنيه الآخرين
معاً وتنسى الجماعة هذا الحدث أو تنساها فى نفس الوقت الذى لم ينس هذا
المؤلف شرهه الذى تسجله هذه النصوص القائلة :

« وقال موسى لهرون والعاذار وإيثامار ابنيه الباقين :
خذوا التقدمة الباقية من وقائد الرب وكلوها ! .. كلوها فى مكان مقدس لأنها
فريضتك وفريضة بنيك من وقائد الرب . فإننى هكذا أمرت !
وأما صدر التريد وساق الربيعة فتأكلونها فى مكان طاهر
أنت وبنوك وبناتك معاً ! ... » (٢)

(١) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين » (٢) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

لم ينس هذا المؤلف اليهودى الاحتياج إلى المأكلى فى خلال تلك الفترة التى جعل هرون وابنيه يقضونها داخل « الخيمة » . بيد أنه عاد فقدّر بأن موقفًا كهذا لابد وأن تعاف النفس فيه المأكلى !.. ومن ثمّ راح يسطر بأن ابنى هرون قد تركا « تيس الخطية » يحترق ..

« وأما تيس الخطية فان موسى طلبه فاذا هو قد احترق فسخط على العازار وإيثامار ابنى هرون الباقيين وقال ؛ ما لكم لم تأكلا ذبيحة الخطية !؟ .. أكلًا تأكلانها فى القدس كما أمرت ! ... » (١)

ولكن !.. فجأة ومرة واحدة يتجاهل مؤلف «سفر اللاويين» هذا الحدث وينصرف فى حديثه إلى ما يحاول أن يصرف بنا عنه التفكير ، فيأتى بالجديد من النصوص التى تجرى بسيل من التشرييع الجديدة وكأنّما هو يريد أن يقول إنها قد استغرقت ، لا محالة ، التفكير من هذه الجماعة خلال هذه الفترة الزمنية وما بعدها ، وأما هذه التشرييع فيستهلها هذا المؤلف اليهودى قائلا ؛ « وكلمّ الربّ موسى وهرون قائلا ؛ كلّمّا بنى إسرائيل قائلين ؛ هذه هى الحيوانات التى تأكلونها من جميع البهائم التى على الأرض ؛ كلّ ماشقّ ظلفًا وقسمه ظلفين ويجتر من البهائم فايّاه تأكلون إلاّ هذه فلا تأكلوها مما يجتر وما يشقّ الظلف ؛ الجمل .. والوبر .. والأرنب .. والخنزير .. » (٢)

بهذه الصيغة تبدأ تشارييع الطعام وهى تشارييع استمدت أكثر موادها من التشرييع المصرية القديمة وخاصة فيما يختص بأكل الخنزير فقد كان أكله فى مصر القديمة محرّمًا .. ولكن ، ليس هذا كل ما ورد فى شريعة

(١) الإصحاح ١٠ « سفر اللاويين »

(٢) الإصحاح ١١ « سفر اللاويين »

والقرمز والزوفا ويغمسها مع العصفور الحىّ فى دم العصفور المذبوح
على الماء الحىّ وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات . . .
فيطهر . ! » (١)

بهذه الخرافات يجرى قلم مؤلف « سفر اللاويين » وعند
هذا المدى من التماهى لا يقف بل مستطياً لنفسه التحليق فى هذا الجو الخرافى
يزداد جنوحاً وإلى ترهاته يضيف ترهة جديدة تسجلها هذه النصوص التى
لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الإيمان بقدسيّتها هو ، بعينه ، الكفر الصريح ! ..
فنحن لا يسعنا إلاّ الإستغفار بينما المسمع منا يصنعى إلى هذا المؤلف وهو يحدثنا
هذا الحديث القائل :

« وكلم الربُّ موسى بعد موت ابنى هرون عندما اقتربا
أمام الربِّ وماتا وقال الربُّ لموسى : كسّم هرون أخاك أن لا يدخل كل وقت
إلى القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذى على التابوت لئلا يموت ! لأنى فى
السحاب أترأى على الغطاء . ! » (٢)

ولسكن ! . ! » بهذا يدخل هرون إلى القدس ؛ بشور ابن بقر لذبحة خطيّة

وكبش محرقة . . .

ومن جماعة بنى إسرائيل يأخذ تيسين من المعز الذبيحة خطيّة وكبشاً
واحداً محرقة .

ويُقرب هرون نور الخطيّة الذى له ويُكفّر عن نفسه وعن بيته .
ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع . ويلقى هرون على

(١) الاصحاح ١٤ « سفر اللاويين »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين »

التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل . . .

التيس الذى خرجت عليه القرعة للرب يعمل ذبيحة خطيئة
وأما التيس الذى خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حياً أمام الرب ليكفر
عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية .

ويقدم هرون ثور الخطيئة الذى له . . . ويذبح . . . ثم يأخذ من دم
الثور وينضح بأصبعه على وجه الغطاء إلى الشرق . . . وقدام الغطاء ينضح سبع
مرات من الدم بأصبعه !

ثم يذبح تيس الخطيئة الذى للشعب ويدخل بدمه إلى داخل
الحجاب ويفعل بدمه كما فعل بدم الثور وينضجه على الغطاء وقدام الغطاء
فيكفر عن القدس من نجاسات بنى إسرائيل ومن سيئاتهم مع كل خطاياهم .
وهكذا يفعل نخيمة الاجتماع القائمة بينهم فى وسط نجاساتهم ! . « (١) »
ثم ؟ !

« ثم يخرج إلى المذبح الذى أمام الرب ويكفر عنه .
يأخذ من دم الثور ومن دم التيس ويجعل على قرون المذبح مستديراً . وينضح
عليه من الدم بأصبعه سبع مرات ويطهره ويقدمه من نجاسات بنى
إسرائيل ففعل كما أمر الرب موسى » . (٢)
أو شك ؟ ! . كلا ! . يقيناً إن بدم الثور ودم
التيس يتطهر بنو إسرائيل . . . من نجاساتهم فلقد :

« كلم الرب موسى قائلاً : كلم هرون وبنيه وجميع بنى إسرائيل

(١) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين » (٢) الاصحاح ١٦ « سفر اللاويين »

وقل لهم : هذا هو الأمر الذى يوصى به الرب قائلاً : كل إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقرراً أو غنماً أو معزى ... وإلى باب خيمة الاجتماع لا يأتى به ليقرب قرباناً للرب أمام مسكن الرب .. يقطع ذلك الإنسان من شعبه ٠٠١ » (١)

وهنا . . هنا ينتهى مؤلف « سفر اللاويين » من تشريع هذه الشرائع ليبدأ فى فرض الضرائب والأحكام ، وعليها يشتمل الإصحاح الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون والحادى والعشرون والثانى والعشرون من نفس « سفره » هذا ، وكلها أو بالأحرى جلّسها ليست فى موادها ومادتها إلا رجوع الصدى لفرائض وأحكام عرفناها فى مصر القديمة وفى بلاد ما بين النهرين لآوجه اختلاف إلا فى أن الفرائض والأحكام كانت فى هاتين الحضارتين القديمتين وضعية وأما فى هذا « السفر » فبأبى مؤلفه إلا أن يجعلها منزلة وهو يسترسل فى حديثه ليحدثنا عما فرضه « إله إسرائيل » على بنى إسرائيل من « مواسم » و« محافل » حتى ينتهى بنا الإصحاح السابع والعشرون إلى القول بأن « هذه هى الوصايا التى أوصى الرب بها موسى إلى بنى إسرائيل فى جبل سيناء ! »

والآن ؟ . . الآن وقد استنفد مؤلف « سفر اللاويين » جهده فى سرد مواد يقول عنها بأنها « الفرائض والأحكام والشرائع التى وضعها الرب بينه وبين بنى إسرائيل فى جبل سيناء بيد موسى » ، تتراخى يده عن الامساك بالقلم بينما يبرز مؤلف آخر جديد تناول بدوره قلمه ليسطر السفر الرابع من « الكتاب المقدس » للدين اليهودى الحالى متخذاً لنصوصه محوراً « الأرض الموعودة » وليتخذ لحديثه نقطة بداية من حيث قال مؤلف « سفر اللاويين » بأن بناء « مسكن الرب قد تمّ فى الشهر الأول من السنة الثانية للخروج من

مصر » ومن ثم فإن الفترة الضرورية للتهيؤ للحرب قد اكتملت ومن هنا استهل نصوصه بهذا الافتراء ؛

« وكلم الرب موسى في برية سيناء في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثانی ، في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر ، قائلاً ؛ احصوا كل جماعة بني إسرائيل ! . . من ابن عشرين سنة فصاعداً كل خارج للحرب ! . . » (١)

كل « بيوت إسرائيل » خارجة للحرب إلا بيت « لاوى » . . فأتى الرب قد أعفى « بيت لاوى » من خوض غمار المقاتلة والقتال فلقد ؛

« كلم الرب موسى قائلاً ؛ أما سبط لاوى فلا تحسبه ولا تعدّه بين بني إسرائيل . بل وكلّ اللاويين على مسكن الشهادة وعلى جميع أمتعته وعلى كل ماله . هم يحملون المسكن وكل أمتعته وهم يخدمونه . وحول المسكن ينزلون فعند ارتحال المسكن ينزله اللاويون وعند نزول المسكن يقيمهم اللاويون والأجنهي الذي يقترب يقتل ! . » (١)

أوشك ؟ . . كلا ! . فلقد ؛

« كلم الرب موسى قائلاً ؛ وها إني قد أخذت اللاويين من بين بني إسرائيل ! . . فيكون اللاويون لي ! . . » (٢)

وهنا لم يجد مؤلف « سفر العدد » إلا أن ينهج منهج المؤلفين الثلاثة الذين سبقوه فينسب القدسية على ما يفتريه من كلام فراح يخوض في أودية الترهات وينسب إلى موسى ما هو ، عليه السلام ، منه برى فازداد

(١) الإصحاح الأول « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٣ « سفر العدد »

كفراً بازدياده عليه افتراءً إذ راج يسطر بأن عندذاك وقف موسى ينادى ؛
« إنا راحلون إلى المكان الذى قال الرب أعطيكم .

إياه ! . » (١)

ولما كان حتماً أن ترتفع الأبواق عند إعلان كل حرب فقد
أسرع هذا المؤلف اليهودى الرابع يقول ؛ ورفع ابننا هرون « البوقين
الفضيين » بالدوى المعلن ؛

الزحف الإسرائيلى صوب « الأرض الموعودة »

يصور لنا مؤلف « سفر العدد » هذا الزحف من وحي
خيال تصور فلول إسرائيلى تسير فى اتباع لسبابة موسى وهى تشير إلى الأرض
الدفاقة باللبن والعسل ثم ليضع هذه الصورة فى إطار فريية على موسى ، عليه
السلام ، جديدة راح يحدثنا بأن القوم قد ؛

« ارتحلوا من جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام وتابوت عهد الرب
راحل أمامهم مسيرة ثلاثة أيام ليلتمس لهم منزلاً

وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول ؛ قُم يارب ! . . .
وعند حلوله كان يقول ؛ ارجع يارب ! . » (٢)

هذا نص ينطوى على أصرخ ألوان التفكير الخرافى بكل
ما تشتمل عليه هذه الكلمة من المفهوم العلمى . فهو من الخرافات التى تنشأ
عن الترابط غير المنطوق ونجد له نظائر بالرجوع إلى تاريخ العقل الإنسانى، منذ

(١) الأصحاح ١٠ «سفر العدد»

(٢) الأصحاح ١٠ «سفر العدد»

عصور ما قبل التاريخ وبدراسة المجتمعات البشرية التي مازالت تعيش عيشة بدائية ولذلك كان من وجهة نظر هذا المؤلف منطقياً طالما أن الرب قد نقل سكناه من الجبل إلى الخيمة وأصبحت غرفته الخاصة هي هذا « التابوت » الذي ألقاه هذا المؤلف على أكتاف « بنى إسرائيل » وبدأ به زحفهم صوب « الأرض الموعودة » ! ..

ولكن ! ..

يأتى مؤلف « سفر العدد » إلا أن يحىء برواية من حول هذا الزحف الذى جعله يستجه صوب « الأرض الموعودة » فهو يحدثنا بأن هذا الزحف وإن كان قد استهلّ بحراه بالتضام بين سائر أفراد هذا « الجيش » الذى تسكون من أبناء إسرائيل بغية الاستيلاء على « أرض » عقد فى نفوسهم عنها اليقين بأنها قد منّحت لهم منحة أبدية وإنما سرعان ما توقف هذا « الجيش » وأحجم ، فى تمرّد ، عن مواصلة المسير ! . فقد حدث أن انتشرت روح التذمر عقب ترك القوم لسيدها فديب التفكك فى أواصر هذا الجيش ، ولم يكن هذا بالشىء الغريب . فلقد ارتحلت فلول إسرائيل وسارت وتابوت « عهد الرب » ، الحامل « إله إسرائيل » ، نفسه بينها ومعها راحل ولكنها فى اتجاهها صوب « الأرض الدفاقة بالابن والفياضة بالعسل » لم تستقبل إلا جرداء بعد جرداء ولم تسامها أرض جرداء إلا إلى أخرى جرداء حتى ولكأنما « الأرض الموعودة » ليست فى مدى الواقع إلا مجرد سراب ! ..

إن جماعة إسرائيل ، كما يحدثنا مؤلف هذا « السفر » ، لم تقاس قط الوحشة التى قاستها فى خلال هذه الفترة الزمنية التى يتحدث عنها وهى تسير فى أثر هذا « الجيش » الذى ما بدأ زحفه صوب « الأرض الموعودة »

إلاّ وتهافتت فيه الصبوة وإلا وتراجع فيه الجنوح وإلا وتثاقلت منه الخطى
تثاقلاً مصدره هذه الفياق التي توحى بالفرع من الآتى فزعاً يدفع بالنفس إلى
الماضى والعودة إلى ما قد خلت به الخوالى من الأيام ..

كلا ! لا إلى سيناء فقد كان العيش فى سيناء غير رغيد وإنما
إلى مصر فقد كان العيش فى مصر ، وإن لم يكن رهيئاً ، غير عسير !
إن إسرائيل لم تقاس فى أيام عبودتها فى مصر هذا الشظف
الذى تقاسيه الآن « كجاعة مقدسة » و « وكشعب مختار » ! فلقد تفشت
الجاعة وعضت بأنيابها هذه الجوع حتى المدى الذى دفعهم إلى أن يقفوا أمام
أبواب خيامهم يستصرخون ويصرخون وحتى ؛

« بكوا وقالوا : من يطعمنا لحماً ؟

قد تذكرنا السمك الذى كنّا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ
والكرث والبصل والثوم .

والآن قد يبست أنفسنا ! .. » (١)

وهكذا ..

هكذا يسير هذا المؤلف اليهودى بروايته ولا يرتضى لها

إكالا إلاّ بصوت له ينساب بين النصوص يصبح ؛

يا موسى !

ياموسى

أين « اللحم » ؟ أين « السمك الذى كنّا نأكله

فى مصر مجاناً » ؟

أين القثاء ؟ والبطيخ ؟ والكراث ؟ وأين البصل ؟ ...

يا موسى

« لقد يديست أنفسنا ! .. »

وفي الواقع أن هذه الصرخات التي يطلقها مؤلف « سفر العدد » قد تعالت من جماعة إسرائيل في خلال هذه الفترة الزمنية التي يتحدث عنها ولكن هذا المؤلف إذ يتحدثنا عنها فلا يتحدثنا إلاّ من خلال وحي خيال تمادى في الجنوح وعلى ذلك يأتينا الدليل من نفس استرساله هذا بهذه النصوص التي يريد أن تكتمل بها روايته بهذا القول :

« فلما سمع موسى الشعب يبكون بعشائرهم ، كل واحد في باب خيمته وحي غضب الرب جداً ساء ذلك في عيني موسى » .^(١)

وهنا .. هنا تتغير في يد هذا المؤلف اليهودي الألوان ويبدأ في رسم صورة جديدة لموسى ، هي في الواقع صورة ترسمها أضواء التحليل النفسى لهذا المؤلف الذى أراد أن يصور لموسى قدرة خارقة على الإحاطة بنفسية الجماعات وعلى تحويل دفة الأمور من الجرى الصعب إلى الجرى السهل فهو لا يجعله يرد بكلمة واحدة على هذه الصرخات وإنما يجعله يتجه بخطوات وثيدة التحرك ثابتة الحركات ناحية « خيمة الاجتماع » حيث يسكن « يهوه » لتسمعه جماعة إسرائيل شاكياً إياها إلى هذا الرب فلقد :

« قال موسى للرب :

لماذا أسأت إلى عبدك ؟ .. حتى أنك وضعت ثقل

جميع هذا الشعب على !

أولعى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المربى
الرضيع إلى الأرض التى حلفت لأبائه ؟ ! .

من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب ؟ ! .
لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقیل
على . . ! » (١)

يقيمناً لقد التوى المقصد على مؤلف « سفر العدد » فهو من
حيث أراد موسى تبجيلاً أمعن عليه فى الافتراءات . . لا لأنه قد جعله يتعامل
على نفسه بينما كانت مراحل الثورة تغلى فى صدور الجماعات ولا لأنه قد اتجه
به إلى « مسكن الرب » وجعله يتجه بصوته إلى الرب كيما يخفف من حدة
التهب المتقد فى الصدر من هذه الجماعات فحسب ، وإنما لأنه قال إن موسى
قد اتجه بعد ذلك إلى شيوخ هذه الجماعة وعرفائها محاولاً تذويب عناصر
الحقد التى دفعت بهم إلى محاولة زحزحة موسى نفسه عن منصب القيادة .
فنحن نسمع هذا المؤلف اليهودى يحدثنا قائلاً بأن عند ذلك ؟

« قال الرب لموسى ؛ اجمع لى سبعون رجلاً من شيوخ إسرائيل
الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيبقوا
هناك معك . فأنزل أنا وأتكلم معك هناك .

وأخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل
الشعب فلا تحمل أنت وحدك ! » (٢)

ثم ؛

(١) الأصحاح ١١ « سفر العدد » .

(٢) الأصحاح ١١ « سفر العدد »

« للشعب تقول ؛ تقدسوا للغد فتأكلوا لحمًا ! .. »

تأكلون لا يوماً واحداً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام
ولا عشرين يوماً ! بل شهراً من الزمان حتى يخرج من مناخركم ! ويصير لكم
كراهة لأنكم رفضتم الرب الذى فى وسطكم وبكيتم أمامه قائلين لماذا خرجنا
من مصر ؟ .. » (١)

من أين ! ..

من أين ستأكل هذه الجماعة ، وعلى رأسها شيوخها
ومن فى أيديهم أعنتها ، هذا اللحم ومن أى مصدر سيأتى كل ما يكفى هذه
الجموع من اللحم ؟ .. سؤال ، يأتى عنه الجواب من هذا المؤلف اليهودى الذى
قد راعى أن تكون الفترة الزمنية التى يتحدث عنها هى وقت هجرة طيور
الساوى من كل عام كما قدّر أن موسى ، وهو الذى كان قد عاش فى هذه
البرية سنين طويلة ، له معرفة بموعد هذه الهجرة فى هذا الوقت من كل
عام .. فجرى قلعه بالتسطير يقول بأن عندذاك تسأل موسى ، وللرب ؛

« قال موسى ؛ ست مئة ألف ماش هو الشعب الذى أنا فى
وسطه وأنت قد قلت أعطيهم لحمًا لياكلوا شهراً من الزمان أيزبح
لهم غنم وبقر ليكفيهم ؟ أم يجمع لهم سمك البحر ليكفيهم ؟ .. !
فتزل الرب فى سحابة وتسكلم معه .. »

فخرجت ريح من قبل الرب وسافت ساوى من البحر ...
فقام الشعب كل ذلك النهار وكل ذلك الليل وكل يوم الغد وجمع
الساوى .. » (٢)

(١) الأصحاح ١١ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ١١ « سفر العدد »

ولكن ! ..

« إذ كان اللحم بعد بين أسنانهم ، قبل أن يُقطع ، حتى غضب الرب على الشعب وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً ! »^(١)

وهكذا .. مات مشتهو اللحم واللحم بعد بين أسنانهم لم يقطع .. وذلك ولا شك ، كان عقاباً لهؤلاء المتمردين وأما للآخرين فكان ردعاً وإرهاباً .. ولكن ! كيف مات هؤلاء ؟ ... هذا سؤال آخر الجواب عنه مطوى في صدر هذا المؤلف الذى لم يكفه افتراء على موسى إلا وقال بأن الموتى لم يواروا التراب إلا وقام موسى ؛

« فدعا اسم ذلك الموضع «قبروت هتأوة» . لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتبهوا ! »^(٢)

ثم ؟ .. ثم عن «قبروت هتأوة» ، أو قبور الشهوة ، كان لابد من الارتحال السريع فالى أين سيزحف مؤلف هذا « السفر » بهذه الجموع وهو الذى قد أزمع أن يزحف بها صوب « الأرض الموعودة » ؟ .. وإذن ، فلا بد من أن يسطر قائلاً إن ؛

« من قبروت هتأوة ارتحل الشعب إلى حضيروت »^(٣)

ولكن ! . حدث فى حضيروت أن ؛
« تكلمت مريم وهرون على موسى .

(١) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١١ « سفر العدد »

فقالا ؛ هل كلم الرب موسى وحده ؟ ! .

ألم يكلمنا نحن أيضاً ؟ ... » (١)

ماذا يريد مؤلف « سفر العدد » أن يقول ؟ ! . أيريد هذا المؤلف اليهودي أن يقول إن هناك سُحُوباً كانت قد بدأت تتجمع بين موسى وبين هرون منذ وقف هرون يَكهن للعجل المسبوك ، ومنذ طلعت تلك « النار الغريبة » وأحرقت ابني هرون وإن هذه السحب قد تكاثفت الآن إلى غيوم في « حضيروت » ؟

أم يريد هذا المؤلف اليهودي أن يقول إن هناك مؤامرة كهنوتية يقف على رأسها رأس الكهنوت نفسه ، هرون ؟ ! ...
ولكن ..

هنا هز هذا المؤلف رأسه .. ورنث منه العين متألمة هذا الأخ والشريك الذي تجنّى عليه فجعله يتكاتف ومريم على إدارة السكتف لأخيه .. بيد أن سرعان ما أسعفت هذا المؤلف قريحته فرأى أن من الأوفق أن تصمت من موسى ، إزاء ذلك ، الشفاء فراح يسطر ؛
« فسمع الرب !

وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً . » (٢)

لا جدال في أن مؤلف « سفر العدد » قد أراد أن يتجلى الحلم الموسوي تجلياً يرتسم لنا مداه حينما جعل الشفاء منه تصمت إزاء هذا الحديث .. ولكن ، هذا المؤلف لم يراعوا فقد راح مسترسلاً

(١) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٢ « سفر العدد »

وراء شطحات خياله فتصور موسى يتناول بيد مريم وبالأخرى هرون
ويقودهما إلى « خيمة الاجتماع » ويسدل من ورائه على نفسه وعليهما لهذه
« الخيمة » استاراً... ومن هنا راح يسطر :

« قال الرب حالاً لموسى وهرون ومريم : اخرجوا أتم الثلاثة
إلى خيمة الاجتماع . فخرجوا هم الثلاثة .

فنزّل الرب في عمود سحاب ووقف في باب الخيمة ودعا
هرون ومريم فخرجا كلاهما .

فقال : اسمعا كلامي ! إن كان منكم نبي للرب فبالرؤية أستعملن له !
في الحلم أكله ! أما عبيد موسى فليس هكذا ! .. فما إلى فم وعياناً
أتكلم معه لا بالألغاز ! . « ١ »

هفوة كبرى يقع فيها هذا المؤلف تنتفي بها عنه المعرفة بأبسط
قواعد المنطق ! . لم يتنبّه هذا المؤلف وهو يسطر قائلاً بأن هرون ومريم
عندما تكلمتا على موسى وقالوا « هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا
نحن أيضاً » إلا أنه من حيث أراد دحض قوليهما قد أيدهما فيما
قالا ! .. إذ قال إن الرب قد اضطر إلى الظهور في عمود سحاب ووقف
في باب « خيمته » حيث دعاها وتحدث إليهما زاجراً وكلمهما قائلاً « اسمعا
كلامي » ! .. ؟

ولكن ! . مؤلف « سفر العدد » قد حرّر نفسه من
كل قيد من قيود المنطق ولم يرتض لفكره إلا على جناح الهوى انطلاقاً بشطح
به حسبما شاء وإلى حيثما شاء وكيفما شاء ! ... ومن ثم فهو لم يفرغ من

صياغة ماتقدم من نصوص الا ليني رواية هذه قائلا بأن بعد ذلك قد ؛
« حتى غضب الرب عليهما ومضى ! .. (١)

كلا ، لن نتساءل إلى أين مضى « رب إسرائيل » ؟ .. كلا. فان الذى.
يجيء فى عمود سحاب لا بد له أن يمضى فى عمود سحاب . . . وإنما نقول إن
هذه رواية بلغت من السخف المدى الذى لا يسمع الإنسان عند سماعها إلا أن.
يطاق ضحكة مججلة فهى قصة لاتصاح حتى أن تكون من قصص الأطفال ،
ولو كانت لكان مؤلفها موضع سخرية فكيف بها قصة من قصص « الكتاب
المقدس » للدين اليهودى الحالى وتعتبر ، فى نطاق التفكير الدينى اليهودى
الحالى « مقدسة » ؟

يقيناً إنه لعبث بالعقول وأى عبث أفدح من أن تعتبر هذه النصوص.
ذات مصدر قدسى !! ..

ولكن ... حتماً علينا أن نوالى الإصغاء إلى هذا المؤلف
اليهودى وأن ننتبه إليه وهو يزيج الأسرار عن « الخيمة » ويخرج بمریم
وبهرون . . . فلقد جابهت هذا المؤلف مشكلة وهى أنه ولا بد أن يأتى
بصورة جديدة يصور فيها « غضب الرب » .. ومن ثم راح من
جديد يسطر ؛

« فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا بمریم برصاء كالثلج ! » (٢)
كلا ! لا خوف على مریم فليس هذا بمرض قد أصابها ،

(١) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

كما يبدو لأول نظرة فالبرص إنما هو مرض لا يمكن قط أن يظهر فجأة .
ومن ثم فإن هذا اللون الذى كساها بخضابه لم يدم طويلا كما بذلك يحدثنا هذا
المؤلف اليهودى قائلا بأن عند ذاك :

« التفت هرون إلى مريم وإذا هى برصاء فقال هرون لموسى :

ياسيدى ! لاتجعل علينا الخطيئة التى حقمنا وأخطأنا بها ! »^(١)

ما هى هذه « الخطيئة » التى يدّعيها ولا يريد أن يفصح
عنها حتى الآن مؤلف « سفر العدد » ؟ . .

هذا سؤال ستجيب عنه من بعد الأحداث يوم يطوى هذا
المؤلف هرون فى « جبل هور » ومن أعلاه به ان يعود . وأما الآن فيحدثنا
قائلا بأن بعد ذلك :

« صرخ موسى إلى الرب قائلا : اللهم اشفها !

فقال الرب لموسى : لو بصق أبوها بصقاً فى وجهها أما كانت
تخجل سبعة أيام ؟ ! تخجل سبعة أيام ! »^(٢)

وبعد ذلك ماذا هناك فى جعبة هذا المؤلف ؟ . . ماذا هناك
بعد أن أوقع الحكم الموسوى على مريم بالحبس سبعة أيام ؟ . . .

« بعد ذلك ارتحل الشعب من حضيروت ونزلوا فى برية
فاران » .^(٣)

لماذا ؟ ! لأن الزحف صوب « الأرض الموعودة » سيبدأ

(١) الأصحاح ١٢ « سفر العدد » (٢) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

(٣) الأصحاح ١٢ « سفر العدد »

من « فاران » . . فان من هناك ؛

« كلمّ الربّ موسى قائلاً ؛ أرسل رجلاً ليتجسسوا
أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل . رجلاً واحداً لكل سبط من
آبائهم . كل واحد رئيس فيهم .

فأرسلهم موسى من برية فاران حسب قول الرب . كلهم
رجال هم رؤساء بني إسرائيل ... ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم ؛ اصعدوا
من هنا الى الجنوب واطلعوا الى الجبل وانظروا الأرض ما هي ؟ والشعب
الساکن فيها أقوى أم ضعيف ؟ قليل أم كثير ؟ . . . وما هي المدن التي هو
ساكن فيها ؟ أمخيمات أم حصون ؟ » (١)

بمدد الصبر نتذرع ونحن نوالى الإصغاء الى فحش افتراءات
هذا المؤلف الذي تمادى في تصويره لموسى بصورة هو برىء منها هذا الرسول
الكریم اذ جعله يرسل جواسيس يتجسسون « أرض كنعان » ويجوبون تلك
الأنحاء القريبة من منابع الأردن عند مدخل حماه حتى صعدوا الى الجنوب
وأتوا الى حبرون وليحدثنا بعد ذلك بأنهم قد ؛

« رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً فساروا حتى أتوا
الى موسى وهرون وكل جماعة بني إسرائيل الى برية فاران الى قادش وردوا
اليهم خبراً . . . وقالوا ؛ قد ذهبنا الى الأرض التي أرسلتنا اليها وحقاً إنها تفيض
لبناً وعسلاً ! . . غير أن الشعب الساكن في الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة
جداً ... المعالقة ساكنون في أرض الجنوب ، والحثيون واليبوسيون والأموريون

ساكنون في الجبل ، والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن .. » (١)

من اليقين أن هذه العبارة تدلنا دلالة كافية على كثافة السكان في « أرض كنعان » وقوتهم و ضخامة عمرانهم غرب الأردن عهد ذلك إزاء هذه الحفنة من بني إسرائيل وهذا ، ولا شك ، هو الذي دفع مؤلف « سفر العدد » الى أن يقول بأن هؤلاء الجواسيس قد أبوا إلا أن يسدوا النصح قائلين ؛ « لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشد منا . . » (٢)

ولكن ! . . هنا حتمت سياسة هذا المؤلف اليهودي أن يضيف الى أ كاذبيه أ كذوبة جديدة فهو لا يصور لنا موسى وقد أشاح بوجهه عن هذا النصح وأنه قد اتَّجَّه الى صوت له إليه يقول ؛ « بل نصعد ونملكها لأننا قادرون عليها » إلا ليقول بأن عند ذاك كان أن هبَّت العاصفة ! :

وهنا ..

هنا يبدأ مؤلف « سفر العدد » برواية جديدة يحدثنا بها عن تمرد كهنوتيٍّ على موسى وعن ثورة جماعية عليه مستهلا روايته هذه بقوله بأن العاصفة قد هبت إثر تأليب هؤلاء الجواسيس جماعة إسرائيل على موسى فقد اتَّجَّه هؤلاء الجواسيس إلى جماعة إسرائيل قائلين ؛ « الأرض التي مررنا بها نتجسسها هي أرض تأكل سكانها ! . . »

(١) الأصحاح ١٣ « سفر العدد »

(٢) المصدر نفسه

جميع الشعب الذى رأيناه فيها أناس طوال القامة ! .. فكنا فى أعيننا كالجراد
وهكذا كفا فى أعينهم ! .. »^(١)

وسريان النار فى الهشيم سرى قول هؤلاء الجواسيس فى جماعة
إسرائيل .. ؛

« فرفعت كل الجماعة صوته وصرخت ! وبكى الشعب تلك الليلة .
وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ؛
ليتنا متنا فى أرض مصر ! .. لماذا آتى بنا الرب إلى هذه الأرض ؟ لنسقط
بالسيف ؟ . تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ؟ ! . أليس خيراً لنا ان نرجع
الى مصر ؟ ! .

فقال بعضهم لبعض ، نقيم رئيساً ونرجع الى مصر ! .. »^(٢)

رئيس جديد ؟ . لا جدال فى أنه لتمرد جديد على موسى ! ..

ولكن ! ..

هذا التمرد على موسى ، عليه السلام ، من بنى إسرائيل ليس
بغريب وان كانت هذه النصوص تنبئ به تحت لون جديد فهو تمرد
لا يحمل فى ثناياه أشد التحامل على موسى فحسب وإنما هو يحمل فى نفس
الوقت نوايا خلعه كرئيس والمناداة برئيس جديد !

بهذه النصوص يطلع علينا مؤلف « سفر العدد » مجاهراً بهذا
التمرد الذى سجل انشقاق جماعة إسرائيل على موسى والآن كانت هذه العاصفة

(١) الاصحاح ١٣ (سفر العدد)

(٢) الاصحاح ١٤ (سفر العدد)

قد تركت ذكرها في تاريخ بني إسرائيل حتى جاءت تصورها هذه النصوص
قائلة بأن في محلة إسرائيل دوى هدير هذا التآمر وأنه ما انطلق وفي محلة
إسرائيل تجاوب إلا و؛

« سقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر
جماعة بني إسرائيل!... »^(١)

للخيال أن يتصور هذه الصورة التي صورها مؤلف
« سفر العدد » لموسى وهارون معاً بينما تصمت مع الشفاء ويسبح منا التفكير
في هذه الترهات التي جافت وتجاوى الصورة الموضوعية في الإطار الديني لهاتين
الشخصيتين الكريمتين.. ومن ثم فلا حاجة بنا إلى التعليق بأكثر من
ذلك على هذه النصوص التي لم تقف في تماديها عند هذا المدى وإنما استرسلت
جانحة لتحديثنا عن موقف جماعة إسرائيل من هذا المشهد الذي لم يتورع هذا
المؤلف عن أن يصوره على هذا النحو؛

« فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر
جماعة إسرائيل...
ولكن!

قال كل الجماعة ؛ أن يُرجم بالحجارة!... »^(٢)

وهنا .. هنا يقف مؤلف « سفر العدد » للحظة يحاول
خلالها جاهداً أن يأتي ببدعة أخرى يعيد بها بني إسرائيل إلى الصواب
فلا يسعفه الخيال إلا ببدعة تبتعث في الذاكرة منذ ذكرى ذلك المشهد الذي مر

(١) الاصحاح ١٤ «سفر العدد»

(٢) الاصحاح ١٤ «سفر العدد»

به علينا من قبل .. ذلك المشهد الذى ابتدعه خيال هذا المؤلف نفسه حينما صور موسى يهب فيجمع سبعين من عرفاء بنى إسرائيل وشيوخها ويشد إليه داخل « الخيمة » منهم الوثاق . فهو لاء كان حتماً أن يأتى بهم هذا المؤلف الآن لنجدته ويجهل من سواعدهم سياجاً يدفع من خلاله موسى ، آمناً ، إلى باب « الخيمة » حيث ؛ « ظهر مجد الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل ! »^(١)

وأما كيف « ظهر مجد الرب » فى هذه المرة ؟ .. فهذا سؤال الجواب عنه مطوى فى صدر يشوع بن نون حيث كان لا يترك « الخيمة » ، إذا خلت ، خالية منه أبداً .. هذه « الخيمة » التى اتجهت إليها سطور هذا المؤلف قائلة بأن « مجد الرب » قد « ظهر » فيها عندما من داخلها إلى الجماعة فى الخارج تكلم الصوت ؛

« وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب ؟ ..

وحتى متى لا يصدقوننى ؟ .. ! »^(٢)

ترانى ماذا أفعل بهم ؟ ..

هكذا يسير منطق « إله إسرائيل » عبر نصوص مؤلف « سفر العدد » التى تسير قائلة بأن الرب قد استطر دقائل لموسى ؛ « إني أضربهم بالوباء وأبيدهم ! وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم ! ... »^(٣)

كلا .. لا تعاقب لدينا على هذه النصوص التى تميل بين ثناياها البرهان القاطع على انتفاء القدسية عنها ، فحسبها منها التأمل فيما عليه تشتمل من أباطيل تؤكد ما سـ يتلوها من نصوص لاسيما ونحن نوالى إلى هذا

(١) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ١٤ « سفر العدد »

المؤلف الإصغاء ونسمعه يأتينا برواية أخرى يأتى بها كنهاية لهذه الرواية . . . ومن ثم شمر عن ساعده وراح يسطر قائلاً بأن هذه الجماعة التى كانت تحف بأطراف « الخيمة » تتسمع إلى صوت الرب الآتى من داخلها يقول بأنه سيكيل لهم الصاع بالصاع وأنهم لوتجاسروا واستبدلوا بموسى رئيساً آخر فسيضربهم بالوباء وسيبيدهم ويستبدلهم بشعب آخر يختاره لنفسه ولن يسلم إلا إلى موسى منه القياد، هذه الجماعة قد انتفضت فزعاً ولم تهدأ منها النفس إلا عند ما سمعت صوت موسى يرتفع مجيباً « الرب » يناشده بأن يحد من حدته ويعود بهذا كرتة إلى ما قد قطع على نفسه من عهود ووعود فلقد :

« قال موسى للرب ؛ فيسمع المصريون ! . . ويقولون لسكان هذه الأرض الذين قد سمعوا إنك يارب فى وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً فإن قتلت هذا الشعب كرجل واحد يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين ؛ لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التى حلف لهم قتلهم فى القفر ! فالآن لتعظم قدرة سيدى ! . . الرب طويل الروح . . اصفح عن ذنب هذا الشعب ! . . » (١)

لاجدال فى أن هذا المؤلف قد بلغ بهذه النصوص أقصى مداه فى العبث بالعقول ! . ومن هنا نرانا ، مرة أخرى ، نقرب من هذا المؤلف كيما نسلط عليه عن قرب أضواء « علم النفس » وهو يصور لنا هذه الصورة المفتراة عن موسى التى لا يجعله يتجه فيها إلى الجماعة بحرف واحد من عتاب وإنما يجعله

يتجه إلى « الخيمة » ويحجب الصوت المنطلق من داخلها بهذا الكلام المستدر من الجوانب عاطفة الحنان . فهو يجعله يخاطب « يهوه » مستعظفاً وله يصف بطول الأناة طالباً منه الصفح عن هذا « الشعب » الذى إذا صب عليه نعمته وأفناه فماذا ستقول الشعوب الأخرى عن هذا « الرب » وفى مقدمة هذه الشعوب ستكون مصر ؟ ! .

وكاللَّهب اللا فح ، كما يحدثنا هذا المؤلف ، راح هذا القول يلفح النفوس من هذه الجماعة بلفحات الندم فكان أن انقلب العصيان إلى خنوع وكان أن عاد التيار من جذر التمرد إلى مد الاستسلام حتى عادت كل الجماعة ، كما تدعى النصوص ، تستعطف موسى . .

لا ريب فى أن هذه النصوص تحمل لونا من التفكير عجيبا ! . فهو لون لا يتنافى وأبسط قواعد المطلق فحسب وإنما هو ينقضه نقضا من الأساس ! . فأى رب هذا الرب الذى يمكن أن يحاجه إنسان ولا سيما بهذه الصيغة من الحاجة ! ؟ . نعم ؛ أى إنسان كان هذا الإنسان الذى يستطيع أن يعزى هذا الحوار إلى مصدر قدسى ما خلا مؤلف « سفر العدد » هذا الذى لم ينته من سرد ما قد ابتدع من حوار إلاّ ووجد نفسه قد استشاط نعمة وغضباً حتى أبى إلا أن ينزل الانتقام بأولئك الذين أثاروا نائرة الجماعة بينما رأى أن الصفح عن الجماعة هو الأنسب فى هذا المجال . . . وإذن فليشمّر هذا المؤلف مرة أخرى عن ساعديه ويسطر قائلا بأن الجواب إلى موسى قد دلف يصفح عن الجماعة ويأمر بإعدام الثائرين . . فلقد ؛

« قال الرب ؛ قد صفحت حسب قولك ! .

ولكن ! حتى أنا ! . .

إن جميع الرجال الذين رأوا مجدى . . وجربوني إلى الآن عشر
مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض التى حلفت لأبائهم ! وجميع الذين
أهابوني لا يرونها . . !» (١)

ويقيناً ! « حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة

على . . !؟

قل لهم . . . : لأفعلن^٢ بكم كما تكلمتم فى أذني ! فى هذا القفر تسقط
جثثكم ! . . لن تدخلوا الأرض التى رفعت يدي لأسكنكم فيها . . !
لأفعلن^٣ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتفقة على ! فى هذا القفر يفنون وفيه
يموتون ! » (٢)

وهكذا أصدر مؤلف « سفر العدد » الحكم بالإعدام على الثائرين
حكمًا مشمولًا بالنفاذ إذ أسرع يقول و :

« مات الرجال الذين أشاعوا المذمة ! . . » (٣)

والآن . . الآن لنا أن نسأل هذا المؤلف قائلين من كان أولئك الرجال
« الذين أشاعوا المذمة . » ومن مؤلف هذا « السفر » يأتيها الجواب صريحاً
يقول بأنهم أولئك الجواسيس العشرة ! . . هؤلاء الجواسيس العشرة هم الذين
أثاروا التذمر وأشعلوا نار التمرد وأوغروا الصدر الجماعى على موسى ما خلا
اثنيان ، أحدهما « كالب بن يفتة » وأما الآخر فكان : « يشوع بن نون . . » (٤)

والآن ؟ الآن ، ليوالى المسمع الإصغاء إلى هذا المؤلف اليهودى

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العدد » (٢) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

الذى لم يحىء بقصته هذه ويكملها بمصرع الثأرين إلا ليصور لنا مدى ما أتى به من أكاذيب بهذا المشهد الجديد الذى يرسله نصوصاً تقول بأن ؛

« لَمَّا تَكَلَّمَ موسى بهذا الكلام إلى جميع بنى إسرائيل بكى الشعب جداً . ثم بكروا صباحاً وصعدوا إلى الجبل قائلين ؛ هوذا نحن نصعد إلى الموضع الذى قال الرب عنه فإننا قد أخطأنا ! » (١)
وهنا . . هنا نرانا نتساءل ؛ شُرى . . ؟

نُرى ماذا سيفعل مؤلف « سفر العدد » بهذه الجماعة التى صورها باكية نادمة وبخطئها قد اعترفت حتى أنها أرادت أن تتقدم فى السير صعوداً نحو « الأرض الموعودة » ، وهو فى نفس الوقت لم يزل يرى أن الفرصة بعد لم تسنح للأقدام على غزو « أرض كنعان » ؟ !

إذن ، فليخرج من هذه المشكلة التى تعترضه بأن يقول إن موسى قد وقف فى هذه الجماعة بينها عن التقدم نحو تلك الأرض الفيضة بالابن والعسل قائلًا ؛

« لا تصعدوا . . لأن العاقلة والكنعانيين هناك قدامكم ! » (٢)

ما هذا الخلط ؟ ! ما هذا الخلط فى التفكير الذى يأتى به مؤلف هذا « السفر » حتى المدى الذى تتناقض به نصوصه بعضها مع بعض ؟ . أليس هذا القول هو نفسه نفس ما جاء به أولئك الجواسيس العشرة من قبل وكان القتل عليه لهم عقاباً ؟ !

ولكن ! . إلى هذا الخلط لم يتنبه مؤلف « سفر العدد » ! فحسبه أنه قد راح بهذه النصوص يمهّد لما سيتلوها من نصوص أخرى سيحدثنا بها عن

(١) الأصحاح ١٤ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ١٤ « سفر العدد »

تلك الهزيمة التي حلت بهذه الجماعة في استهلاكها تاريخ الاعتداء . فإنما هذا المؤلف اليهودي لم يرم من وراء ما تقدم من نصوص إلا إلقاء تبعية الهزيمة على هذه الجماعة التي دفعها السغب إلى « أرض تفيض لبناً وعسلاً » فراحت تتدافع نحو الجبل تدافعاً سمته الفوضى وعدم التنظيم ومن ثم كان حتما الارتداد . ومن هنا راح يسطر قائلاً ؛

« تجبروا وصعدوا إلى رأس الجبل ... فنزل العاقلة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم ! » (١)

ولكن ! .. هنا يأتي هذا المؤلف اليهودي إلا أن يجعل لروايته هذه خاتمة مثيرة فاطرق وفكّر ... ثم خرج من تفكيره هذا بأن رأى أن هذه الهزيمة لابد وأن تكون باعثاً لقلق الرؤوس من هذه الجماعة .. ولما كان هؤلاء الرؤساء أعضاء الهيئة الكهنوتية ، فقد شجذ قومه وأجراه قائلاً ؛ بأن عند ذاك هبت في داخل الصرح الكهنوتي عاصفة قوية أشد من الأولى وأعنف أرسلت رياح التدمير ضد موسى ومن ثم راح يسطر قلمه ؛

التمرد الكهنوتي على موسى

يستهل مؤلف « سفر العدد » حديثه عن هذا التمرد الكهنوتي ضد موسى قائلاً ؛

« وأخذ قورح بن يصهار بن قهات بن لاوى ودانان وإيرام ابنا اليبيب وأبون بن قالت بنورأوبين يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل مئتين وخمسين رؤساء الجماعة ... فاجتمعوا على موسى وهرون وقالوا لهما ؛

(١) الاصحاح ١٤ « سفر العدد »

كفأ كما ! ..» (١)

أجل .. كل :

« رؤساء الجماعة ... اجتمعوا على موسى وهرون وقالوا :

وقالوا : كفأ كما ! إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب . فما

بالسكأ ترتفعان على جماعة الرب ؟ ..» (٢)

وهنا .. هنا رأى مؤلف « سفر العدد » ، وهو الذى جعل

هذا التمرد على موسى يأتى من « بيت لآوى » ، وهو بيت موسى نفسه ، أن يجعل

هذا لدى موسى موضع حسابان . فهذا بيت لئن رفعه موسى ، على حد قول

هذا المؤلف اليهودى ، إلى الصدارة بأن أسلم ليده زمام الكهانة فليس

ذلك إلا يستمد منه قوة وليس إلا ليتخذ لنفسه منه سياجاً وأما تمرده هذا فإنما

يحمل أخطر النتائج ! .

حقيقة أن هذا المؤلف كان ، من قبل ، قد أوغر الصدر من الجماعة

على موسى ودفعهم إلى التفكير فى إقامة رئيس جديد من بيت لآوى غير

موسى بيد أنه الآن وهو قد جعل بيت لآوى نفسه يتآمر ضد موسى

وجعل الجانب الكهنوتى يطلق صرخته مدوية فليس إلا ليسيير بنصوصه

المفتراة هذه إلى أقصى المدى حتى أنه لم يعد من العجيب ، بعد ، أن نسمعه

يحدثنا قائلاً :

« فلما سمع موسى سقط على وجهه ! ..» (٣)

غفرانك يا الله ! ..

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) المصدر نفسه

يقيناً لقد بلغ هذا المؤلف اليهودي أقصى أبعاد السفه بهذا القول غير أنه سرعان ما عاد يتماسل ويتجامل على نفسه فاستقام يسطر قائلاً بأن سرعان ما قام موسى بعد ذلك متجهاً إلى هذه الجموع من « بيت لاوى » صارخاً فيهم ؛

« كيفاً يا بني لاوى ! . . . اسمعوا يا بني لاوى . . . »

أقليل عليكم أن إله إسرائيل أفرزكم من جماعة بني إسرائيل ليقرّبكم إليه ؟ (١)

وأنت ! . أنت يا « قورح » أصغ . . إن موسى لك يقول ؛

« أنت وكل جماعتك متفقون على الرب . »

وأما هرون فما هو ؟ حقّ تتذمّروا عليه ؟ (٢)

هذه نصوص لما مغزاه ولا يسهل الفكر إلا أن يعمل فيها تفكيره لا سيما وهي تسترسل في كفر بيّن تقول بأنه بعد ذلك قد اتجه موسى يستدعى الزعيمين الآخرين ، دائان وأبيرام . . وهنا لفتك المسمع منا يصغى الى هذا المؤلف وهو يسترسل يحدثنا قائلاً ؛

« فأرسل موسى ليدعو دائان وأبيرام . . . »

فقالا . . . : أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً

لثيقتنا في البرية حتى تترأس علينا ؟ . . . كذلك لم تأت بنا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً . . . (٣)

وعند ذاك ؛

« اغتاض موسى جداً ! وقال للرب ؛ لا تلتفت إلى تقدمتهما . . . » (٤)

(١) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

ولكن .. حدث عند ذاك أن :
« كلم الرب موسى قائلاً : كلم الجماعة قائلاً ؛ اطلعوا من حوالى
مسكن قورح ودathan وأيرام .. اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم
البغاة ! »^(١)

لماذا ؟ ..

« لثلاثهكوا ! إن ابتدع الرب بدعة .. »^(٢)
يقينا إنها لبدعة إنما هى هذه البدعة التى تجعل الرب يبتدع « بدعة »
ولكن ! .. ماهى هذه البدعة ؟ .. !
سؤال نلقيه الى هذا المؤلف وبالإجابة هو غير ضنين إذ يحددنا قائلاً بأن :
« لما فرغ موسى من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض
التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهن ! .. فنزلوا وكل ما كان لهم .
أحياء إلى الهاوية ! .. فبادوا ! ... »^(٣)
وأيضاً ، كبتلك « النار الغريبة » التى خرجت من عند الرب
وأكلت ابني هرون
« خرجت نار من عند الرب وأكلت الميتين والخمسين رجلاً ! .. »^(٤)

لا جدال فى أنه لمشهد أخرجه مؤلف « سفر العدد » على مسرح
التاريخ العبرى عجيب ! .. ولكن لا تعليق يأتى منا على هذه المسرحية التى
أخرجها هذا المؤلف اليهودى بعد أن ألف فصولها من جنحات الخيال وشطحات
الهموى وإن كان التفكير منا يأتى ألا أن يتخذ فى رحاب المنطق متداه فى

(١) الأصحاح ١٦ « سفر العدد » (٢) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٣) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٤) الأصحاح ١٦ « سفر العدد »

هذه الفصول التي ما انتهى من تمثيلها وعليها أسدل الستار إلا وجعل سائر جماعة بني إسرائيل يهيمون هبة واحدة سجلتها هذه النصوص تسجيلًا يمكننا من أن نطلق عليه اسم :

الثورة الجماعية على موسى

يوالى مؤلف « سفر العدد » حديثه قائلًا بأنه لم تمر من عمر الزمن على مصرع زعماء الثورة الكهنوتية على موسى وعلى احتراق من تضامنوا معهم ليلة رم من عمر الزمن إلاّ وهبت في صبحها جماعة بني إسرائيل ترسل شرر الغضب ... فلقد :

« تدمر كل جماعة بني إسرائيل في الغد على موسى وهرون قائلين :

إنكما قد قتلتما شعب الرب ! » (١)

ومن هنا ينشئ هذا المؤلف فيصور لنا كيف انداع اللظى السكمن في الصدر الجماعي لهيبًا دفع بالجماعة على موسى وهرون حتى هموا بالهجوم عليهما هجومًا ألقاهما إلى « خيمة الاجتماع » حيث أسرع « مجد الرب » في الترائي كما يرد عن موسى وهرون معًا غضبة الجماهير فالمؤلف يحدثنا قائلًا بأنه :

« لما اجتمعت الجماعة على موسى وهرون انترفا إلى خيمة الاجتماع وإذا هي قد غطتها السحابة وتراءى مجد الرب ! » (٢)

ويقينا .. لطالما أنقذت هذه « السحابة » التي حاكها مؤلف « سفر العدد » مواقف عديدة شبيهة بهذا الموقف الذي سحب به بهذه « السحابة » سحب التذمر والتمرد والعصيان بعيداً عن موسى وجعله من خلالها يشق طريقه

(١) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٦ « سفر العدد »

إلى قلوب هذه الجماهير الهاشمية التي ما تراءت هذه « السجابة » لها إلاّ وعدلت عن عدوانها وعادت إلى الخطيرة منها الخطوات ..

بيد أنّ عند الحد لا يقف مؤلف « سفر العدد » وإنما هو قد ارتأى أن اختتام القصة بكارثة يكون أوقع في النفوس فشعر عن ساعده وقال إنه بينما كان « مجد الرب » يتراءى كانت الجماهير في غفلة عمّا كان قد أصاب الحلة من وباء .. وما بدأ هذا الوباء يحتاج بعض أفراد فيها إلا وكان ذلك بمثابة التيار الذي حوّل منها الأعناق مستنجدة بموسى حتى المدى الذي اخفض منها لإمرته الرؤوس وذلك بينما كان هرون ، على حد تصوير المؤلف ، يدور بجمرته بينها مطلقاً البخور ...

والآن ؟ .. الآن ومؤلف « سفر العدد » قد صور لنا جماهير قد ثارت ولم تهدأ الا باجتياح الوباء « الحلة » وعن الانصراف إلى الاسترسال في ثورتها قد صرفها الانشغال بموتاتها نرانا نقساءل ؛
تُرى ؟ .. كيف سيُنهي هذا المؤلف روايته هذه عن هذا التمرد وعن هذه الثورة ؟ ! ..

يقيناً ليس أمام هذا المؤلف إلا أن يرى أنه لو كان أمر الكهانة منحصرأ في هرون لما كان قد استطاع هذا الكهنوت من بيت لاوى أن يتمرد هذا التمرد ! . وإذن .. فليُنهي هذا المؤلف روايته بهذه النصوص قائلاً ؛

« وكلم الرب موسى قائلاً ؛ كلم بني إسرائيل وخذ منهم عصا لكل بيت أب من جميع رؤسائهم اثنتي عشرة عصا .

واسم كل واحد تكتبه على عصاه واسم هرون تكتبه على عصا لاوى . . . ليرأس بيت آبائهم عصا واحدة ! وضعها في خيمة

الاجتماع أمام الشهادة حيث أجمع بك . »^(١)

لماذا ؟ . « هذا سؤال لا يتولى الإجابة عنه إلا هذا المؤلف نفسه الذى استرسل فى شططه ليحدثنا قائلًا إن « إله إسرائيل » قد واصل الكلام قائلًا :

« فالرجل الذى اختاره تفرخ عصاه !

فأسكن عني تذمرات بنى إسرائيل التى يتذمرونها عليهما ! »^(٢)

حسب هذا المؤلف اليهودى أنه بهذا القول قد وجد لنفسه مخرجاً بل ووسيلة لإفراغ أمر الكهنة فى يد هرون وبذلك أضاف إلى افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، افتراء جديداً إذ ادعى أنه خرج من « خيمة الاجتماع » يقول ذلك لبنى إسرائيل . . وأنه بذلك قد :

« كلم موسى بنى إسرائيل فأعطاه جميع رؤسائهم عصا عصا . لكل رئيس حسب بيوت آبائهم اثنتى عشرة عصا . وعصا هرون بين عصيهم . فوضع موسى العصى أمام الرب فى خيمة الشهادة ! »^(٣)

تُرى ؟ ! . تُرى أى واحدة من هذه العصى هى التى سيجعلها هذا المؤلف تفرخ ؟ . . كلا ! . لن نسأل هذا المؤلف كيف يمكن لعصا أن تفرخ فحسبنا معرفتنا بما عليه تشتمل نصوصه من جنوح إذ أبى إلا أن يضرب موعداً لهذا التفريخ غد اليوم التالى . . ذاك « الغد » الذى جعله هذا المؤلف يوماً تم فيه ، على حد روايته :

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

حصص الكهانة في هارون ونسل هرون

يحدثنا مؤلف « سفر العدد » قائلاً : لقد جمع موسى العصي الاثنتي عشرة ومن بينها عصا هرون ووضعها في « الخيمة » أمام « الرب » وتركها لليلة . . وفي الغد : .

« وفي الغد دخل موسى إلى خيمة الشهادة وإذا عصا هرون . . قد أفرخت ! » ^(١)

« عصا هرون . . . أفرخت » ؟ !

سؤال ، نلقيه عبر الأجيال إلى هذا المؤلف اليهودي ليرسل إلينا عبر نصوصه الجواب مؤكداً بأن عصا هرون لم تفرخ دون سائر العصي لبيوت إسرائيل فتحسب وإمّا :

« أخرجت فروخاً ! وأزهرت زهراً ! وأنضجت لوزاً . . » ^(٢)

ما هذا المراء ؟ ! في ليلة واحدة تفرخ عصا وتخرج فروخاً وتزهر زهراً وتنضج لوزاً ؟ !

ولسكن ! . ما هو الهدف من وراء هذه الأكذوبة التي اختلقها هذا المؤلف ونسبها ، بهتاناً ، إلى موسى ؟ . . . يقيفاً إن ذلك لم يكن إلا لغاية يفصح عنها هذا المؤلف من خلال نصوصه القائلة بأن بعد ذلك خرج موسى من « الخيمة » ؟

« فأخرج . . جميع العصي من أمام الرب إلى جميع بني إسرائيل فنظروا وأخذ كل واحد عصاه . . . » ^(٣)

(١) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ١٧ « سفر العدد »

غير خفى أن مؤلف « سفر العدد » يريد أن يقول لنا بأن أصحاب العصي قد نظروا إلى عصيهم في صمت ثم تناول كل واحد منهم عصاه وراح في أرجاء الحشلة يضرب بها بلا عصيان وبدون أن تتحسس الأيدي منهم ما على عصاهرون من فروخ ومن زهر ومن لوز لأن هرون ، نفسه ، لم يتناول عصاه ، فقد ؛

« قال الرب لموسى ؛ رد عصاهرون إلى أمام الشهادة لأجل الحفظ علامة لبني التمرد ، فتسكف تذمراتهم عنى لكى لا يموتوا ! ! »^(١)

وهنا لا يتنبه هذا المؤلف اليهودى إلى ما يقول وهو يسترسل يحدثنا بأن عند ذلك هب سائر بنى إسرائيل يخاطبون ؛

« موسى قائلين ؛ إننا فنيينا وهلكنا ! ! كل من اقترب إلى مسكن الرب يموت ؟ ! »^(٢)

كلا ! ! لم يتنبه هذا المؤلف إلى ما قد أتى به من بهتان بهذا الحدث الذى اختلقه ، حدث تفريخ عصاهرون ، فلقد استغرقته هذه الرواية التى رعى من ورائها إلى حصر الكهانة فى هرون ونسل هرون وحدهم فنحن نسمعه يوالى بهتانه قائلاً بأن عند ذاك ؛

« قال الرب لهرون ؛ أنت وبنوك وبيت أهلك معك تحملون ذنب المقدس . وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم . وأيضاً إخوتك سبط لاوى سبط أهلك قريبتهم معك فيقتربوا بك ويؤازروك . وأنت وبنوك قدام خيمة الشهادة فيحفظون حراستك وحراسة الخيمة كلها واسكن ! ! »^(٣)

(٢) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ١٧ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

« ولكن » ماذا ؟ ! .

« ولكن إلى أمتعة القدس وإلى المذبح لا يقتربون ! .. » ^(١)

لماذا ؟ ..

« لئلا يموتوا ! .. » ^(٢)

وأما أنت أنت يا هرون ؛

« أنت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما للمذبح وما هو داخل

الحجاب ... عطية أعطيت كهنوتكم . » ^(٣)

فلقد ؛

« قال الرب لهرون ؛ وهأنذا قد أعطيتك حراسة وقائى مع جميع

أقداس بنى اسرائيل لك أعطيتها حق المسحة ولبنيك ! .. كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التى يردونها لى .. هى لك ولبنيك فى قدس الأقداس تأكلها ! .

الرفيعة من عطاياهم مع كل ترديدات بنى اسرائيل لك أعطيتها ولبنيك وبفانك معك ! .. كل دسم الزيت وكل دسم المسطار والحنطة ، أبكارهن التى يعطونها للرب ، لك أعطيتها ! أبكار كل ما فى أرضهم التى يقدمونها للرب لك تكون ! . كل محرم فى اسرائيل يكون لك ! كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك ! .. » ^(٤)

(١) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ١٨ « سفر العدد »

نعمة جديدة ولا تمت شك إنما هي هذه النعمة التي يجيئ بها
• مؤلف « سفر العدد » وبها يحصر أمر الكهانة في هرون ونسل هرون . .
لأن الرب قد بدأ يكلم هرون مباشرة وإنما لأن هذا المؤلف اليهودي يجعل
لهذه النصوص رنة خاصة يرهف إليها المسمع من سائر اللاويين فتهي
تقصيهم عن مناصبهم الكهنوتية وتعلن حرمانهم من مخصصاتهم السابقة في نفس
الوقت الذي تحمل إلى هرون عطية سخية تتلخص في تنازل الرب عن كل
ما تقدمه إسرائيل له من ضحايا لهرون ! . . وحقاً إنها لعطية بالغة السخاء حتى
لتبدو وكأنها هي قد منحت في لحظة رضا أو استرضاء وإن كانت في واقعها
ليست إلا وسيلة ابتدعها هذا المؤلف كيما يقيد هرون إلى « يهوه » فيكفل
بذلك انحرافه عن رب إسرائيل إلى رب سواه . . ولكن ، ثمة سؤال يرسم
هنا في أفق التفكير وهو ؛ ألم يقطن هذا المؤلف إلى ماذا سيفعل هرون وبيت
هرون بهذه المأكلة التي ولا بد أنها قد توفرت توفراً يزيد عن ما هم إليه في حاجة ؟ .

يبدو أن هذا المؤلف قد تنبه ! فلقد أعقبت هذه العطية السخية
لحظة استدراكية فراح مؤلف « سفر العدد » يستبدل بعض هذه اللحوم بالفضة
ومثاقيل الفضة . . فنحن نسمع النصوص تسترسل ولهرون بلسان إله
إسرائيل تقول ؛

« كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم
يكون لك غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة . .
وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة خمسة شواقل
من شاقل القدس ! ... »^(١)

حقاً إن مؤلف « سفر العدد » قد برز رفاقه في الشراقة بل وإنه لشره في غير هوادة ! ولا تفوق شراسته إلا افتراء آتته على هرون إذ صورّه تساق إليه التقدّمات فينتقى منها كل ما يشتهى ويطيب للمذاق بينما يقوم ما سوى ذلك بمثاقيل الفضة من مثاقيل القدس وإليه تحمل هذه الفضة ، طيبة صاغرة ، جماعة إسرائيل . . بيد أن وراء هذه الصورة تقف الغاية التي رمى إليها هذا المؤلف وهي من خلال سطورهم تنطق وكأنما هي تقول . . ما لهرون ، وله قد تنازل الرب له عن مخصصاته ، يمد ببصره إلى الرياسة في إسرائيل ؟ . . .

ولكن ! . . يأتي مؤلف « سفر العدد » الآن أن يجعل هرون يمد ببصره إلى مرتبة الرياسة . . ومن ثم فليأت بنصوص أخرى يُنحس بها هرون عن منصبه ويدفع إلى المقدمة بابنه « اليعازار » الذي لذكره لا نشم رائحة دخان يبعثها مؤلف هذا « السفر » من داخل « خيمة الاجتماع » وإنما نحن نرى بالفعل هذا الدخان الذي يطلقه هذا المؤلف ويرسم به حاجزاً بين الأخوين مما يجعلنا نتبين أن هذا المؤلف لا يستهدف بذلك إلا دفع هرون إلى المؤخرة ودفع « اليعازار » إلى المقدمة . فالنصوص تنطلق معبرة عن هذه الصرخة المكبوتة بصيحة شغواء تعلن :

« الرب يأمر بموت هرون »

من صدر مؤلف « سفر العدد » تنطلق هذه الصيحة في أعقاب ارتحال « بنى إسرائيل من « برية صين » في الشهر الأول ومن « قادش » إلى « جبل هور » .. فهناك ؛
« كلمّ الرب موسى . . قائلاً ؛ يُضمّ هرون إلى قومه لأنه لا يدخل بالأرض التي أعطيت لبني إسرائيل ! ..

خذ هرون واليعازار ابنيه واصعد بهما إلى جبل هور واخلع
عن هرون ثيابه وألبس اليعازار ابنه إياها .
فيضم هرون ويموت هناك !»^(١)

بمبدأً عن ضجة القوم وضجيج الجماعة رأى مؤلف « سفر
العدد » أن يصعد بموسى إلى قمة « جبل هور » فراح يصوره مصطحباً اليعازار
وصاعداً بهرون إلى قمة هذا الجبل ثم راح يضع اللسات الأخيرة لهذه الصورة
الشنعاء فشهر عن ساعده وأطلق خياله على جناح الجنوح يتخيّل ثلاثتهم وقد
غيبتهم عن عين الجماعة « قمة هور » ثم انحنى على القرطاس وأجرى قلمه يسطر:
« صعدوا إلى جبل هور أمام أعين كل الجماعة »^(٢)

ولكن ! .. سرعان ما عادت هذه الأعين تحماق سرّاعة وهى ، كما
يدعى هذا المؤلف زوراً وبهتاناً ، ترى موسى واليعازار يهبطان السفح بدون
هرون بينما قد أقيمت على اليعازار ثياب هرون ! ..
أين هرون ؟ !

كلا لا يسألن ، بعد ، سائل هذا السؤال ؛

« مات هرون !

هناك على رأس الجبل !»^(٣)

إذن .. هرون قد مات ! ..

بالإيجاب يأتى من هذا المؤلف اليهودى الجواب وفى غير ما خشية
من ضمير يصبح علامّ الحيرة وعلامّ العجب فلقد ؛

(١) الاصحاح ٢٠ ، سفر العدد «

(٢) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد «

(٣) الاصحاح ٢٠ « سفر العدد «

« فعل موسى كما أسر الرب ! . » (١)

حتى المدى امتدت ، في تناول ، افتراءات هذا المؤلف اليهودي على هذا الرسول الكريم ! . فأى عبث هذا الذى تعبثه بالعقول هذه المسرحية المشوشة الوضع والإخراج والتي لا يستعرضها الخيال منا إلا ويعوذ بالله منها طالباً لنفسه الرحمة من عناء اللحوق بشطحات هذا المؤلف الذى افترى على موسى ، عليه السلام ، كل هذا الافتراء بهذه النصوص التى صور به تحت هذه الصورة الشنعاء وأشرك فيها معه ابن هرون ، نفسه ، « اليعازر » ! . .

ولكن . .

هنا تزداد سجع التاريخ انحساراً عن مؤلف « سفر العدد » الذى ما انتهى من روايته هذه المفتراة إلاّ ليسدل عليها الستار قائلاً بأن صرخات العويل قد تعالت من أرجاء هذه « المحلة » مصدرها هذه المجموعة من « بنى إسرائيل » التى راحت تذرف الدمع سخيفاً ؛

« على هرون ثلاثين يوماً ! . » (٢)

إذن لابد لهذا المؤلف من الارتحال سريعاً ببني إسرائيل بعيداً عن « جبل هور » . . وسرعان ما قد فعل ! . فقد شمر مرة أخرى عن ساعديه وتناول في عصبية قلمه وراح يضيف إلى أكاذيبه أكذوبة جديدة بأن صوّر موسى واليعازر يبتعدان ببني إسرائيل عن « جبل هور » وليدورا بهم من حول « أرض أدوم » . . ثم التفت هذا المؤلف إلى هذه الجماعة فوجد أن الضيق الذى أصابها في « هور » لم يوارحها وليس هذا فحسب وإنما ازدادت النفس

(١) الإصحاح ٢٠ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢٠ « سفر العدد »

منهم ضيقاً في هذا الطريق الوعر الذى أنزعته الحيات السامة فن كل فجوة
ومن كل أخدود استقباتهم حتى لدغت وحتى أماتت منهم الكثيرين بينما كان
الهمس ، كما يقول هذا المؤلف ، يسرى من « خيمة الاجتماع » بأن ذلك لم يكن
إلا العقاب الذى حل بهم نتيجة على إطلاق ألسنتهم فى حق موسى إثر موت
هرون . . فكان أن سطر :

« فأتى الشعبُ إلى موسى وقالوا : قد أخطأنا إذ تكلمنا على
الربِّ وعليك ! .. »^(١)

وهنا . . هنا لم يجد مؤلف « سفر العدد » مخرجاً إلا أن يأتى
بنصوص جديدة يضاعف بها إساءته إلى هذا الرسول الكريم . . فهو يصور
موسى يقوم فيصنع حية نحاسية ويرفعها على سارية كيما ينظر إليها كل لدغ بغية
الإبراء . . ونحن إذا علمنا أن هذا لم يكن إلا تعويذة فى مصر القديمة مرعية
لعلمنا تحت أى تأثير كتب هذا المؤلف اليهودى هذه النصوص التى لم يفرغ من
تسطيرها إلا ورأى أن عليه بعد ذلك أن يجعل موسى يرتحل ببني إسرائيل
عن هذا المكان من مكائن الحيات فراح يصوره مرتحلاً حتى جعله يأتى بهم
إلى « الجواء التى فى صحراء موآب » . .

ومن الجواء رأى هذا المؤلف أن طريق هذه الجماعة إلى « الأرض
الموعودة » تعترضه تخوم ممالك أخرى ... وإذن ماذا عليه لو جعل موسى يرسل
رسلاً يستأذنون له بالمرور بهذا الطريق ! . وإذن فليسطر بأن موسى قد أرسل :
« رسلاً إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً : دعنى أتمر فى أرضك
لا نميل إلى حقول ولا إلى كرم ولا نشرب ماء بئر . فى طريق الملك نمشى حتى

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

نتجاوز تخومك ! »^(١)

ولكن ! . كان الرفض .. ؟

« فلم يسمح سيحون لإسرائيل بالمرور في تخومه بل جمع سيحون جميع قومه وخرج للقضاء إسرائيل إلى البرية فأتى إلى ياهص وحارب إسرائيل »^(٢)

وهنا تمتد يد مؤلف « سفر العدد » فتؤرخ ؛

« واقعة ياهص »

لا جدال في أن بهذه الواقعة قد تنفّس تاريخ بني إسرائيل عن حدث كان له في نفسية هذه الجماعة أثره فيما بعد . فإنما هذه المعركة التي يقول عنها مؤلف « سفر العدد » بأنها معركة قد دارت رحاها بين الإسرائيليين من جهة وبين العموريين من جهة أخرى لم تكن في واقعها التاريخي إلا بمثابة الانطلاقة الأولى صوب « الأرض الموعودة » لهذه الحفنة من الناس الذين يحدّثنا عنهم مؤلف « سفر العدد » بأنهم قد لقوا سيحون ؛

« فضر به إسرائيل بحد السيف وملك أرضه من أرفون إلى يهوق إلى بني عمون ... فأخذ إسرائيل كل هذه المدن وأقام إسرائيل في جميع مدن الأموريين في حشبون وفي كل قراها ! .. »^(٣)

لا غرو من ثم أن تنطلق، لأول مرة ، صرخة تكشف عن مدى ما يمكنه من إسرائيل الضمير ؛

« ويل لك يا موآب ! »

(١) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٢١ « سفر العدد »

هلكت يا أمة كموش !

قد صير بنيہ ہاربین وبنلته فی السبی ... هلكت حشبون
إلى دیبون ! . » (١)

وهكذا امتدت يد هذا المؤلف اليهودي تسجل بأن « واقعة
ياهمص » كانت أول انتصار حربي لإسرائيل .. وهذا في واقع الأمر ما قد حدث
فإن هذا « السفر » وإن كان ليس إلا كغيره من « الأسفار » قد أترعته المبالغات
والتهاويل وشطط الخيال فإن هذا لا يمنعنا من الانتصاف للحقيقة فنقول بأن
من مجريات الأحداث السياسية لذلك العصر في « أرض كنعان » يمكننا استخلاص
الحقيقة من أن هذا الانتصار الإسرائيلي على موآب كان حقيقة غير أن ما قد
أحاط بهذا الانتصار من مبالغات كان هو الشيء غير الحقيقي ! .. ونستبين
ذلك تماماً إذا أحطنا علماً بموقع حشبون الجغرافي . فإن حشبون لم تكن ،
يومذاك ، إلا قرية ! . وما زالت حتى اليوم قرية فانما حشبون الأمس ليست
إلا قرية « حشبان » القائمة اليوم في البلقاء من شرق الأردن !

ومن هنا ندرك أن هذا الانتصار الذي سجّله اليد اليهودية
كان حقيقة وأما مدى أهميته في ضوء الواقع فلم يكن إلا في امتداد الزحف
الإسرائيلي صوب ما يسمونه ، ادعاء ، « أرض الآباء » إذ ما أقام بنو إسرائيل
في أرض الأموريين إلا ردحاً قصيراً من الزمن أعقبته وثبة جديدة ألصقها مؤلف
« سفر العدد » بموسى حيث سطر :

« وأرسل موسى ليمتجسس ! » (٢)

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

وهنا رأى مؤلف «سفر العدد» أن الاستمرار في الزحف صوب
«الأرض الموعودة» قد غدا ممسكاً ، فراح يسطر بأن بنى إسرائيل قد تدافعوا
وتقدموا حتى ؛

« طردوا الأموريين الذين هناك ثم تحولوا وصعدوا في طريق
باشان . » ^(١)

ولكن ! ... هنا ؛

« خرج عوج ملك باشان للقائهم هو وجميع قومه إلى الحرب في
إذرعى . » ^(٢)

وهنا امتدت ، مرة أخرى ، يد مؤلف «سفر العدد» فأرخت ؛
« واقعة إذرعى »

عن هذه الواقعة الأخرى يحدثنا هذا المؤلف قائلاً بأن الدائرة
على عوج وقومه قد دارت أيضاً فلقد ؛

« قال الرب لموسى ؛ لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع
جميع أرضه وقومه فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الأموريين الساكن
في حشبون ! . . » ^(٣)

ومن ثم ؛

« فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شارد وملكوا
أرضه ! . » ^(٤)

(٢) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢١ « سفر العدد »

ومرة أخرى، أيضاً، امتدت يد هذا المؤلف اليهودي فسجلت أن « واقعة إذرعى » كانت انتصار حريباً آخر لإسرائيل . . ولنرى أن إلى « واقعة ياهص » ثم إلى « واقعة إذرعى » يعود بأسبابه التدافع الإسرائيلي صوب « الأرض الموعودة » تدافعاً إيجابياً فلقد تحول بعد هاتين الوقعتين التوثب إلى اللوثوب واستحال الإحجام إلى الإقدام، على حد تصوير مؤلف هذا « السفر »، إذ ليس إلا في أعقاب « واقعة إذرعى » كان ان؛

« ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا في عربات موآب من عبر أرض أريحا. »^(١)

وهناك.. هناك في صحراء موآب عبر أرض أريحا تنتشر صفحة أخرى جديدة يُجرى عليها هذا المؤلف قلمه وينشر بها الجديد من الأحداث... فان موآب وإن كانت قرية وشأنها في ذلك لم يكن الاكشان أدوم وحشبون من حيث المرتبة الجغرافية إلا أنها كانت تعتبر دويلة من الدويلات التي كانت عهد ذاك منتشرة على « أرض كنعان ». ولما كان لسكل دويلة ملك من رؤساء كنعان فقد؛

« كان بالآق بن صفور ملكاً لموآب في ذلك الزمان. »^(٢)

ومن هنا يبدأ هذا المؤلف اليهودي يروي رواية جديدة يستلها قائلها؛

« لما رأى بالآق بن صفور جميع ما فعل إسرائيل بالأموريين

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

فزع ! .. »^(١)

أما موآب فقد أطلقت ، فى ارتياح ، صرخة من خلالها ؛
« قال موآب لشيوخ مديان ؛ الآن يلحس الجمهور كل ما حولنا
كما يلحس الثور خضرة الحقل ! .. »^(٢)

وعند ذاك هبَّ ملك موآب ؛

« فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور .. »^(٣)

وأما من كان بلعام بن بعور ؟ .. فسؤال ، نلقيه إلى هذا المؤلف
ومنه يأتى إلينا الجواب ؛ بأن بلعام بن بعور كان يعتبر فى مديان وعند موآب
« نبياً » وكان فى اعتبار قومه ، وعلى حد تعبير ذلك العصر ، شأنه كشأن
الـ « الكلاماه » من فئة الكهنتوت البابلي وهذه فئة كان قد نيط بها أمر
« الكلام مع المعبود » . وهنا نترك نصوص هذا المؤلف ، نفسها ، تحدثنا
بينما نقف نحن بدون تعليق نتأمل هذه الصورة وهى فى إطار هذا « السفر »
موضوعة وفى معرض التاريخ الدينى اليهودى الحالى قائمة .. فالنصوص تسترسل
وفى سخاء عجيب تحدثنا قائلة بأن بالآق بن صفور قد ؛

« أرسل رسلا إلى بلعام بن بعور ... ليدعوه قائلاً ؛

هو ذا شعب قد خرج من مصر .. وهو مقيم مقابلى . فالآن تعال
والعن لى هذا الشعب ! ..

فانطلق شيوخ مديان ، وحلوان العرافة فى أيديهم ، وأتوا إلى
بلعام وكلوه بكلام بالآق .

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

فقال لهم ؛ يبتوا هنا الليلة فأرد عليكم جواباً كما يكلمني الرب . . » ^(١)

يقيناً لقد راعى مؤلف «سفر العدد» منطق العصر الذي يتحدث عنه فإن هذا النص يعود بالذاكرة منا إلى معتقد بابلي قديم حمله المرتحلة من بلاد ما بين النهرين إلى حيث رفَّ أيضاً على أرض كنعان وهو القائل بأن المعبود يتصل بالأتقياء عن طريق الأحلام . . . ومن هؤلاء كان « بعل فغور » وهو المعبود الذي يتحدث عنه أيضاً مؤلف هذا « السفر » بصيغة الألوهية ، ويحدثنا عنه وعن بلعام قائلًا ؛

« فأتى الله إلى بلعام وقال ؛ من هم هؤلاء الرجال الذين عندك ؟ فقال بلعام لله ؛ بالآق بن صفور ، ملك موآب ، قد أرسل إلى يقول هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشى وجه الأرض . تعالى ألعن لى إياه ! ... »

فقال الله لبلعام ؛ لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك ! ... » ^(٢)

ومن ثم ؛

« قام بلعام صباحاً وقال لرؤساء بالآق ؛ انطلقوا إلى أرضكم لأن الرب أبى أن يسمح لى بالذهاب معكم ... » ^(٣)

لماذا ! ؟ . ألم يجد بلعام فيما منحه بالآق له من مال ما يسكنى للقيام بهذه « اللعنة » ؟ .. يبدو أن الأمر كان كذلك ، إذ ؛

(١) الإصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٢٢ « سفر العدد »

« عاد بالآق وأرسل أيضاً رؤساء أكثر وأعظم من أولئك فأتوا إلى بلعام وقالوا له : هكذا قال بالآق بن صفور . لا تمتنع من الإتيان إلى لأنى أكرمك إكراماً عظيماً وكل ما تقول لى أفعله ! » ^(١)

وإذن فليرفع بلعام أسهمه ! . ومن هنا :

« أجاب بلعام وقال لعبيد بالآق : ولو أعطانى بالآق ملء بيته فضة وذهباً لا أقدر أن أتجاوز قول الرب إلهى .. » ^(٢)

ولسكن ! .

« اسكنوا هنا أنتم أيضاً هذه الليلة لأعلم ماذا يعود الرب يسكمنى به .. ! » ^(٣)

وأمام وعد باكرام جزل ووافر عطايا حدث أن :

« أتى الله إلى بلعام ليلاً وقال له : إن أتى الرجال ليدعوك فقم واذهب معهم ! .. فقام بلعام صباحاً وشد على أتانته وانطلق مع رؤساء مؤآب .. » ^(٤)

ولسكن ! .. ما كاد بلعام يشد على أتانته وفى رضوخ لأمر ربه « انطلق إلى بالآق إلآً وعليه :

« حتى غضب الله لأنه منطلق ! » ^(٥)

لماذا ١٩ .

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٥) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

أما لما إذا حتى غضب « بعـل ففور » إله بلعام على بلعام
لأنه انطلق وهو الذي ، على حد ترّاهات هذه النصوص ، كان قد أمره بهذا
الانطلاق فسؤال يقذف بنفسه إلى الخطر أمام هذه المتناقضات التي تتنافى وكل
معايير المنطق بينما تتولى النصوص اليهودية الإجابة عنه بحديث يطلق الخيال منا
إلى عالم سحري عجيب مادته قد صيغت من عنصر التهاويل وأما كل ما يجري
في رحابه فهو ، ولا جدال ، من صنع عقل وليد ! .

على جناح جانح من أوهام الطفولة الباكرة ينطلق هذا المؤلف
ويتجاوز حدود المنطق ويحدثنا من ورائه بأن غضب إله بلعام على بلعام لم يحم
إلا وأسرع « ملاك الرب » يمنع بلعام من الانطلاق بأتانه إلى حيث
يريد . . فلقد ؛

« وقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانته !
فأبصرت الأتانُ ملاك الرب واقفاً في الطريق وسيفه مسلول في
يده . فمالت الأتان عن الطريق ومشت في الحقل .

فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق ! » (١)
أبصرت الأتان « ملاك الرب » ، وفي يده سيفه المسلول ، فغادت
عن الطريق فضربها بلعام ليردها إلى الطريق ، ولكن ! . . ؛

« وقف ملاك الرب في خندق للسكرور له حائط من هنا وحائط
من هناك . فلما أبصرت الأتان ملاك الرب زحمت الحائط وضغعت رجل
بلعام بالحائط ! فضربها أيضاً ! .. » (٢)

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

ولسكن ! .

هل تستطيع أتان بلعام محاورة « ملاك الرب » ؟ ! . .
كلا ! . فلقد ؛

« اجتاز ملاك الرب أيضاً ووقف في مكان ضيق حيث ليس
سبيل للنكوب يميناً أو شمالاً ! .. » ^(١)

وأما ماذا فعلت الأتان عند ذلك ؟ .. فإنها ؛

« لما أبصرت الأتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام ! .. » ^(٢)
وهنا ؛

« حتى غضب بلعام وضرب الأتان بالقضيب ! .. » ^(٣)
وعندذاك ! .. عندذاك ؛

« فتح الرب فم الأتان ! ... » ^(٤)
ماذا ؟ ! ..

نعم ! . ؛

« فتح الرب فم الأتان ! وقالت لبلعام ؛ ماذا صنعت بك حتى
ضربتني الآن ثلاث دفعات ؟ !

فقال بلعامُ للأتان ؛ لأنك ازدريت بي ! لو كان في يدي سيف
لكنت الآن قد قتلتك !

فقالت الأتان لبلعام ؛ ألسنت أنا أتانك التي ركبت عليها منذ وجودك

(١) الاصطاح ٢٢ « سفر العدد » (٢) الاصطاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصطاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصطاح ٢٢ « سفر العدد »

إلى هذا اليوم ؟ هل تعودت أن أفعل لك هكذا ؟ .. »^(١)

وهنا نرنو إلى مؤلف « سفر العدد » بنظرة تخترق الأجيال إليه
في نفس الوقت الذي له نسأل ؛ وماذا كان جواب بلعام أمام هذا المعطق الذي
جاء من « الأتان » ؟ .

وفي ثقة ويسر يجيبنا هذا المؤلف اليهودي قائلا بأن عند ذاك أجاب
بلعام الأتان ؛

« فقال ؛ لا ! ! »^(٢)

ولكن .. حدث عند ذاك أن ؛

« كشف الرب عن عيني بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً في الطريق .. :
فقال له ملاك الرب ؛ لماذا ضربت أتانك ؟ ! .. ها أنذا قد خرجت للمقاومة ..
فأبصرني الأتان ومالت من قدامي .. ولو لم تمل من قدامي لكنت الآن قد
قتلتك واستبقيتها !

فقال بلعام لملاك الرب ؛ أخطأت ! إني لم أعلم أنك واقف
تلقائي في الطريق . والآن إن فجع في عينيك فإني أرجع ! .. »^(٣)
ولكن ؛

« قال ملاك الرب لبلعام ؛ اذهب مع الرجال وإنما تتكلم بالكلام
الذي أكلمك به فقط !

فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق .. »^(٤)

(٢) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

(٤) الاصحاح ٢٢ « سفر العدد »

حتى الآن لا نستطيع أن نفهم لماذا كان هذا كله ولكننا ، ولا جدال ، نفهم أن هذه الرواية ليست إلا محض خرافة حاكمها الخيال من هذا المؤلف وانطلق بها على أجنحة الهوى حتى إلى هاوية الخزعبلات بها هوى ! . فهي رواية لا يقبلها العقل وترفضها البداهة ويأبأها المنطق فحسب ، وإنما هي في واقعها ليست إلا امتداداً لتلك الأسطورة التي كانت معروفة في مصر القديمة وبالتحديد في عصر الرعامسة . . . فليست رواية الأنان التي تتكلم بصوت آدمي إلا رجوع الصدى من قصة الشعبان الذي يتكلم بصوت آدمي ! ...

وأما تلك الرواية الأخرى التي تقول بظهور « ملاك الرب » .. فهذه رواية ليست في واقعها ، أيضاً ، إلا امتداداً لمعتقد قديم عرفته بابل ومصر القديمة على سواء ، فإنَّما أساطير القدامى متزعة بالكثير من الروايات عن كائنات مجنحة بين الإلهية والبشرية ومن ثمَّ فالمؤلف اليهودي إذ يأتي بهذه الصورة فإنما هو قد راعى التفكير الديني للعصر الذي كان عنه يتحدث وهو بهذه النصوص يسترسل قائلاً :

« فلما سمع بالآق أن بلعام جاء خرج لاستقباله .. فقال بالآق لبلعام : ألم أرسل إليك لأدعوك ؟ .. أحقاً لا أقدر أن أكرمك ؟ ! . فقال بلعام لبالاق : ها أنذا قد جئت إليك .. الكلام الذي يضعه الله في فمي به اتكلم ! .. »

وفي الصباح أخذ بالآق بلعام وأصعده إلى مرتفعات بعل فرأى من هناك أقصى الشعب . » (١)

(١) الأصحاح ٢٢ « سفر العدد »

وأطرق بلعام للاحظة هب على أثرها ؛
« فقال بلعام لبالآق ؛ ابن لى هنا سبعة مذابح وهى لى
ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش .

ففعّل بالآق كما تكلم بلعام . وأصعد بالآق وبلعام ثوراً
وكبشاً على كل مذبح .

فقال بلعام لبالآق ؛ قف عند محرقك فأناطلى أنا لعل الرب يوفى
للقائى . فمهما أراى أخبرك به . . . » (١)

وهنا نترك للخيال منا حرية التفكير فى أن يتصور هذا المشهد الذى
ترسمه هذه النصوص وهى عن بلعام تحدثنا قائلة ؛

« ثم انطلى إلى رابية فوافى الله بلعام . » (٢)

أى عبث هذا العبث بالعقول ؟

وأى « إله » هذا الذى يوافى المرء عند الرابية ؟ !

نحن نعلم أن هذه النصوص لا تعنى بهذا الإله إلا « بعمل ففور »
إله مؤآب ولكن ذلك لا يمنعنا من التدليل على عدم شرعية هذه النصوص
التي تقول بأن « الله » قد وافى بلعام عند الرابية حيث هناك ؛

« وضع الرب كلاماً فى فم بلعام وقال ؛ ارجع إلى بالآق وتكلم
هكذا . . . من أرام آتى بى بالآق ملك مؤآب من جبال المشرق . تعال
السعن لى يعقوب وهلم اشم إسرائيل .

كيف ألعن من لم يلعنه الله ؟ وكيف أشم من لم يشمه الرب ؟ » (٣)

(١) الإصحاح ٢٣ « سفر العدد » (٢) الإصحاح ٢٣ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٢٣ « سفر العدد »

حقاً لقد حار الفكر منّا بين «يهوه» وبين «بعل فغور» هذين الربّين اللذين يتكلم عنهما هذا المؤلف بصيغة الألوهية وفي هذا اعتراف منه صريح بوجود آلهة أخرى غير إله إسرائيل ، وأن «يهوه» هذا ليس إلّا رباً خاصّاً بإسرائيل ! .. بيّـد أن تُرى أى شيء كان قد حدث ، في واقع الأمر ، عند تلك الراية ؟ ... ومن ذلك الذى كان قد وافى بلعام هناك حتى جعله ، بعد انقلاب إلى موآب ، على موآب ينقلب ؟ ! ..

إننا لن نستطيع انتزاع الجواب من صدر هذا المصدر اليهودي وإنّما لما لا نزاع فيه هو أنّنا نستطيع الادّعاء إليه من مجريات أحداث هذه الرواية نفسها . . فان بلعام كما يبدو من خلال هذه الرواية كان شخصية قد نيط بها حلّ ما يطرأ على القوم من ملات الأمور ومفاوضة أى عدو يريد اقتحام حرمة البلاد وإلا لما كان قد ناداه ملك موآب إليه وبذل له الفضة والعطايا ثمناً لهذا الانتقال . وأما كيف جاء هذا الميل عن موآب بعد الميل إليها فلم يكن إلّا بعد ذلك الحدث «عند الراية» والذى على أثره انطلقت صيحة بلعام في موآب تقول «كيف ألعن إسرائيل» . إنه ؛

« شعب يقوم كلبوة ! .. »

لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى ! .. »^(١)

وأما إذا سألنا هذا المؤلف لماذا كان هذا الوصف ! . فالجواب

يأتى يحدثنا بأنه قد حلّت «روح الله» على بلعام فانطلق يقول ، هذا :

« وحي بلعام بن بعور وحي الرجل المفتوح العينين وحي

الذى يسمع أفعال الله ! .. ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل ! .. »

(١) (١) الأصحاح ٣٣ « سفر العدد »

يأكل أمّا ! .. يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب ! »^(١)

لا جدال في أن هذا المشهد ليس إلا فصلا من رواية مُثبات على مسرح تاريخ هذه الجماعة التي وصفت نفسها بالقدسية وبأنها مباركة من الرب وأما النتيجة التي تفتقت عن هذا المشهد فاختلاط أبناء إسرائيل بالموآبيين في غير صدام وحتى المدى الذي يحدثنا عنه مؤلف هذا « السفر » قائلا لقد ؛

« أقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب ! »^(٢)

في « شطيم » ، « شط الیسوم » في منطقة بيان ، أقام إسرائيل ، وفي عبث بالقيم الأخلاقية تنهى مسداه ، كما نفهم من مؤلف « سفر العدد » ، أوغل « الشعب المختار » في انحلاله وانحرافه الخلقى ، بل ولقد بلغ الشطط بهذا « الشعب المقدس » في هوى بنات موآب أقصاه حتى أنه بغية استرضائهن قد انحرف إلى إلهه موآب عن « إله إسرائيل » وولى وجهه عن « يهوه » واتّجه يعبد « بعل فغور » ! .. فلقد ؛

« تعلق إسرائيل ببعل فغور ! »^(٣)

وهنا علقت عينا هذا المؤلف اليهودى بالأفق للحظة قدر خلالها بميزان النقد نتائج ميل هذه الجماعة عن « يهوه » إله إسرائيل إلى « بعل فغور »

(١) الاصحاح ٢٤ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٣) الاصحاح ٢٥ « سفر العدد »

إِلَهُ مَوَّابٍ فَكَانَ جَمًّا عَلَيْهِ أَنْ يُشْمَرَّ عَنْ سَاعِدِهِ مِنْ جَدِيدٍ وَيَسْطَرَّ
قَائِلًا بِأَنْ عِنْدَ ذَاكَ ؛

« حَىْ غَضَبَ إِسْرَائِيلَ ! . (١)

وَأَمَّا كَيْفَ يَعْبِرُ هَذَا الْمُؤَلِّفُ عَنْ هَذَا الْغَضَبِ ؟ فَلَيْسَ إِلَّا بِإِضَافَةِ
افْتِرَاءٍ جَدِيدٍ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ! . . . فَاَلْقَمَ فِي يَدِهِ قَدْ جَرَى يَقُولُ ؛ بِأَنْ
الرَّبُّ قَدْ وَافَى مُوسَى وَلَهُ مُنَادِيًّا قَالَ ؛

« يَا مُوسَى ! خُذْ جَمِيعَ رُؤُوسِ الشَّعْبِ وَعَلِّقْهُمْ لِلرَّبِّ مُقَابِلَ
الشَّمْسِ . فَيَرْتَدُّ حَمُو غَضَبِ الرَّبِّ عَنْ إِسْرَائِيلَ !
فَقَالَ مُوسَى لِقَضَاةِ إِسْرَائِيلَ ؛ اقْتُلُوا كُلَّ وَاحِدٍ قَوْمَهُ الْمُتَعَلِّقِينَ بِبَعْلِ
مَغُورٍ ! . . » (٢)

ثُمَّ ؟ ..

« ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا ؛ ضَايِقُوا الْمَدْيَانِيِّينَ وَاضْرِبُوهُمْ ! . » (٣)
اضْرِبُوهُمْ ؟ . بَلَى اضْرِبُوهُمْ فَلَقَدْ ؛

« كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا ؛ انْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . . .
فَكَلَّمَ مُوسَى الشَّعْبَ قَائِلًا ؛ جَرِدُوا مِنْكُمْ رِجَالًا لِلْجُنْدِ فَيَكُونُوا
عَلَى مَدْيَانَ لِيَجْعَلُوا نَقْمَةَ الرَّبِّ عَلَى مَدْيَانَ ! . » (٤)

وَارْتَفَعَتْ يَدُ مُؤَلِّفِ « سَفَرِ الْعَدَدِ » بِقَلَمِهِ تَشِيرُ لْجُنْدِ إِسْرَائِيلَ
بِالْمُهْجُومِ ثُمَّ عَادَتْ تَسْطَرُّ ؛

(١) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٢٥ « سفر العدد »

(٤) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

« أرسلهم موسى ألفاً من كل سبط إلى الحرب ! هم وفيئحاس
ابن اليعازار الكاهن إلى الحرب ! » ^(١)

وتحت إمرة فيئحاس وقيادته انحدرت إسرائيل على مديان ؛
« كما أمر الرب ! »

وقتلوا كل ذكر !

وملوك مديان اقتلواهم فوق قتلاهم ! .. خمسة ملوك ، صناوى
وراقم وصور وحوور ورابع .

وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف ! » ^(٢)

كلا إن نقساء قائلين كيف ، بعد انحراف عن قومه إلى إسرائيل
يقتل بلعام بسيف إسرائيل ؟ .. وإنما نقساء ؛ إذا كان كل ذكر في مديان قد
قُتل بسيف إسرائيل اثناراً بأمر « يهوه إله إسرائيل » فبماذا أمر « إله
إسرائيل » « شعبه » أن يفعل بنساء مديان وأطفال مديان ؟ ! ..

سؤال ، تأتي الإجابة عنه من هذه النصوص وهى تسترسل
صريحة تقول ؛

« سبي بنو إسرائيل نساء مديان ! . وأطفالهم ! ونهبوا جميع بهائمهم
ومواشيهم ! » ^(٣)

والمدن المديانية ؟ ... ماذا فعل بنو إسرائيل بمدن مديان ؟ ..

سؤال آخر تأتي الإجابة عنه من نفس هذه النصوص وهى فى
زهو وخيلاء تحدثننا عن توغل إسرائيل فى مدن مديان بل وفى تفاخر

(١) الأصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٢) الأصحاح ٣١ « سفر العدد »

تسجل عليهم بأنهم قد ؛

« أحرقوا جميع مساكنهم ومدنهم وجميع حصونهم بالنار !
وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم ! »^(١)

وأما ماذا فعل بنو إسرائيل بهذه الأسلاب والأنهاب ! .. فسؤال آخر يأتي الجواب عنه من نفس هذه النصوص الحاملة في ثناياها البرهان الدامغ على عدم شرعيتها وهي عن سؤالنا هذا تجيب ؛

« أتوا إلى موسى واليعازار الكاهن . . . بالنسبي والنهب والغنيمة . . .

نفرج موسى واليعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم . . »^(٢)

ولكن ! . هذا « الشعب المبارك » لم يكذب يطرح أمام موسى هذه الأسلاب والأنهاب بعد سبي الأطفال والنساء إلا ؛

« وسخط موسى على وكلاء الجيش ! .. »^(٣)

لماذا ؟ ! . هذا سؤال آخر يأتي الجواب عنه من نصوص استقت مدادها من مادة البهتان إذ تصور موسى وقد خرج على رؤساء الجيش ساخطاً ؛

« وقال لهم .. ، هل أبقيت كل أنثى حية ! ؟ ..

افتلوا كل ذكر من الأطفال !

وكل امرأة عرفت رجل بمضاجعة ذكر اقتلوها !

لكن . جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيّات ! .. »^(٤)

(١) الإصحاح ٣١ « سفر العدد » (٢) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٣) الإصحاح ٣١ « سفر العدد » (٤) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

ما هذا العبث الساخر بالقيم الأخلاقية وبالإديان ؟ ! يقيناً إنه لعبث لا يحتاج إلى تدليل على انتفاء القدسية عن هذه النصوص ! ..
ولكن . ! هنا لنا كلمة نقولها وإلى مؤلف « سفر العدد »
ناقمها عَبر الأجيال وهي ؛ أن هذه « العملية » التي قامت بقتل كل طفل ذكر وكل أنثى ثيب ولم تستبق إلا الإناث الأبقار متمعة لرجال إسرائيل ليست عملية هي العنف بعينه وتحمل في ثناياها أصرخ ألوان القسوة وأقسى ما بلغته القسوة من ألوان الإيذاء فحسب وإنما هي عملية كان الأجدر بهذا المؤلف ألا يجعلها تقع في « مديان » ! . . .

أَنسى مؤلف « سفر العدد » أن مديان كانت الملجأ الوحيد الذي لجأ إليه موسى ، عليه السلام ، في أعقاب ذلك الحدث في مصر ؟ أم غفل هذا المؤلف عن أن بمديان تربط هذا الرسول الكريم رابطة نسب ومصاهرة بابنين له فيها وزوجة أولى هي بنت كاهنها يثرون ؟ ! .

يقيناً لقد غاب عن ذاكرة مؤلف « سفر العدد » حديث زميله مؤلف « سفر الخروج » عندما تحدث عن استقبال يثرون لموسى وترحيبه به وببني إسرائيل وشكره للرب على خلاصهم ، وإلا فما الذي جعل مؤلف « سفر العدد » يفعل ذلك وليس هناك أى إصحاح فيما قد سبق فيه ما يشير إلى تبدل حالة الصداقة والسلم تلك إلى هذه الحالة من العداء ؟ ! ... ولكنه هو يطالع علينا فجأة بقصة هذا الغزو والفتك بالمديانيين وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم وإحراقها بهذه القسوة التي بلغت أقسى ما تبلغه القسوة من ألوان الإيذاء ليحمل إلينا الدليل الكافي على ما ينطوى في نفوس بني إسرائيل من غلّ وحقد وشرّ ضدّ غيرهم من الشعوب والتذرّع بأنفه الأسباب إلى حربهم كهذه الذريعة التي

ساقها هذا المؤلف ، نفسه ، من مادة تعلق إسرائيل ؛ « بعل فغور » وحملهم إليه نفس ما كانوا يحملونه إلى « يهوه » من الكباش والثيران ! وهذا مما يجعلنا نقول إن نسبة هذا « السفر » إلى موسى إنما هي من أفدح المآخذ التي تؤخذ على مؤلف هذا « السفر » ! . فإن هذه النصوص التي تجعل موسى ، عليه السلام ، يسخط على الرؤساء من إسرائيل لاستيقاظهم الأطفال وبعض النساء هو الذي يدفع بنا إلى أن نعلی الصوت قائلين بأن صفة القداسة تترد عن هذا « السفر » كل الارتداد والبرهان على ذلك هو نفس هذا المؤلف الذي لم يقورع من أن ينسب ، افتراء كما اعتاد وتعود ، هذا الفعل إلى موسى ! .. بل وفي تطاول يأتي بقرية جديدة عليه ، عليه السلام ، فيقول بأن يومئذك :

« كلم الرب موسى قائلاً : احص النهب المسبي ، من الناس والبهائم ، أنت واليعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة .. وارفع زكية للرب ! .. نفساً من كل خمسمائة من الناس ، والبقر والحير والغنم من نصفهم تأخذونها وتعطونها لأيعازار الكاهن ! .. ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحير والغنم من جميع البهائم وتعطيها لللاويين

ففعل موسى واليعازار الكاهن كما أمر الرب موسى ! . » (١)

والآن ؟ . أليس هناك حد يمكن أن يقف عنده مؤلف « سفر العدد » ؟ .. كلا ! .. إنما هو يمعن في الافتراء والأضاليل ويتوغل قائلاً بأن عند ذاك تقدم « الوكلاء » إلى موسى ؛

« .. فأخذ موسى وأيعازار الكاهن الذهب منهم ! .. » (٢)

(١) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

(٢) الإصحاح ٣١ « سفر العدد »

إلى أين سيذهب هذا المؤلف اليهودي بكل هذا « الذهب » ؟ .
 إن مؤلف « سفر العدد » قد سال في يده الذهب فتغير عن ذي
 قبل حتى إنه إلى داخل « خيمة الاجتماع » قد بدأ الآن يُدخل الذهب ! . فلا
 غرو من ثمَّ أن نراه يتوغل في تضليله ويوغل في ضلالته ويسطر بأرب اليد
 الموسوية قد بدأت تمفع المنح ، لا بالذهب فحسب وإنما بالممالك ! . فهو يجعلها
 تهب مملكتي « حشبون » و « باشان » لسبطي رأوبين وجاد وذلك عندما جاء
 يطلبان هذه المنحة بحجة أنهما أصحاب ماشية وأن تلك الأرض صالحة للرعى . .
 واسكن ! . هذا المؤلف اليهودي الذي أسرع بمنح هذين السبطين
 هذه المنحة قد وجد نفسه أنه بفعله هذا قد تسرع ! . فلقد تراجع هذان
 السبطان ، وبدلاً من أن يشد أزر باقي الأسباط راحا يصدان سائر إخوانهم
 عن مواصلة الترحال صوب الأردن . . ومن ثمَّ كان حتماً عليه أن يسطر ؛
 « قال موسى لبني جاد ورأوبين ؛ هل ينطلق إخوتكم إلى
 الحرب وأنتم تقعدون هنا ؟ لماذا تصدون قلوب بني إسرائيل عن العبور إلى
 الأرض التي أعطاها الرب ؟ ! .
 هكذا فعل آبائكم حين أرسلتهم من قادش فحصى غضب الرب
 في ذلك اليوم وأقسم قائلاً ؛ لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر ، من ابن
 عشرين سنة فصاعداً ، الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب لأنهم
 لم يتبعوني تماماً ! . .
 فحصى غضب الرب على إسرائيل وأتاهم في البرية أربعين سنة !
 حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب !
 فهو ذا أنتم قد أقمت عوضاً عن آبائكم .. أناس خطاة ! . » ^(١)

ما هذا المنطق المعكوس ؟ ! سؤال نلقيه إلى مؤلف هذا «السفر»
قائلين ؛ ألم يجد «يهوه» شعباً يختاره أصلح من هذا الشعب الذى يصفه بالشر
ويصف سلالته بأناس خطاة ؟ ! . أم أن ما فى الجماعة من صفات قد وافقت من
هو الهوى ؟ ! سؤال نلقيه إلى هذا المؤلف الذى منحه نفسه مطلق الحرية فى
التكلم بلسان موسى ، عليه السلام ، غير أننا نراه فى شاغل عن الجواب بحصر
عدد كل جماعة بنى إسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعداً ليكون جندياً
فى إسرائيل ! . . فلقد مضت أربعون سنة وجماعة إسرائيل تتحفز للانطلاق
صوب «الأرض التى أعطاها الرب» ومن ثم فلا غرو أن نراه يتناول قلبه
ويجريه راسماً هذه الصورة التى سجلت ؛

ارتسام رقعة «الأرض الموعودة» فى إطار الفرات والنيل

فى تطاول امتدت يد مؤلف «سفر العدد» ترسم على قماش الزمن
صورة «الأرض الموعودة» وفى تمامٍ نسبتها إلى موسى بل وفى افتراء سافر
على هذا الرسول الكريم راح القلم فى هذه اليد يسطر بأن موسى هو القائل ؛
«هذه هى الأرض التى تقع لكم نصيباً ؛

أرض كنعان بتخومها ! . إلى وادى مصر ا . » (١)

وهكذا فى إطار الفرات والنيل ارتسمت رقعة «الأرض الموعودة»
لوحةً وقف أمامها هذا المؤلف اليهودى يمنح نفسه مطلق الساطان فى تقسيمها
بين أسباط إسرائيل وكما يعطى قضيته صفة شرعية راح يقول إن موسى هو ،
نفسه ، قد تابع الكلام قائلاً لبنى إسرائيل ؛

(١) الاصحاح ٣٤ «سفر العدد»

« هذه هي الأرض التي تقسمونها بالقرعة ... هذان اسما الرجلين
الذين يقسمان لكم الأرض ؛ اليعازار الكاهن ويشوع بن نون . »^(١)
لقد عرفنا أن اليعازار هو ابن هرون وأما يشوع فلم يطلع علينا من
قبل وله هذه الصفة الرسمية التي خلصها عليه هذا المؤلف حتى أنه فوض إليه أمر
تقسيم هذه « الأرض » .. ثم إن اقتران اسمه باسم اليعازار يحمل في مضمونه
ارتفاعه إلى مرتبة خطيرة ذات شأن ، وهذا مما يجعل الفكر منا يتحوّل
بالانقباض إليه ! ..

ولكن ، حتى يطلع علينا يشوع بن نون تحت صورة واضحة نرانا ،
ونحن في صدد تقسيم هذه الأرض ، لا نقساءل ؟ ما هو نصيب اللاويين من
هذه « الأرض » إلا ليلتقط منا المسمع هذا الجواب ؛

« كلم الرب موسى في عربات موآب .. قائلا ؛ أوص بني اسرائيل
أن يعطوا اللاويين من نصيب ملكهم مدناً ! . ومسارح لمدن ! .
فتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تكون لبهائمهم .
ثماني وأربعين مدينة مع مسارحها ! »^(٢)
ولكن ...

« المدن التي تعطون للاويين تكون ست منها للملجأ ...
ثلاثاً من المدن تعطون في عبر الأردن . وثلاثاً تعطون في أرض كنعان » .^(٣)
لماذا ؟ !

« لكي يهرب اليها القاتل ... القاتل الذي قتل نفساً سهواً .. »^(٤)

(٢) الاصحاح ٣٥ « سفر العدد »

(١) الاصحاح ٣٤ « سفر العدد »

(٣ و ٤) المصدر نفسه

وهنا يطرق الفكر منا بينما تستعيد المخيلة صوراً باهتة في جبين الماضي.
البعيد ولا يقطع عليه هدأة هذه التأملات الا صوت هذا المؤلف اليهودي
وقد عاودته حتى امتلاك « الأرض الموعودة » فيصيح ؛
أى اسرائيل

« انكم عابرون الأردن الى أرض كنعان . . ! »^(١)

من ثم عليك ، أى اسرائيل ، أن تذكر ما قد سمعته من وصايا حينما ؛
« كلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً ؛
كلم بنى اسرائيل وقل لهم ؛ إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان .
فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم .. وتخربون جميع مرتفعاتهم !
تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنى قد أعطيتكم
الأرض لكي تملكوها .

وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يسكن الذين تستبقون .
منهم أشواكاً في أعينكم ، ومناخس في جوانبكم ، ويضايقونكم على الأرض
التي أنتم ساكنون فيها . فيكون إنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم . »^(٢)
أى اسرائيل !

إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان .
لتخرجوا أهلها منها وتملكوها .. وإذن .. دكوا مشارف كنعان . اطردوا
أهل البلاد من أرضهم ، خربوا بيوتهم ! أبيدوهم . اقتلوهم . إن إلهك ، يا اسرائيل ،
يأسرك بذلك ولك يقول إنك إذا لم تأتمر بهذا الأمر فسيصنع بكم ما قد انتوى

(١) الاصحاح ٣٣ « سفر العدد »

(٢) الاصحاح ٣٣ « سفر العدد »

صنعه بهم !..

وانتمرت إسرائيل بهذا الأمر كما تحدثنا بذلك هذه النصوص التي تحمل الإلماح الكافي لأثر الوقائع التي جرت فعلا عند زحف بني إسرائيل صوب «الأرض الموعودة».. فقد راحوا يشفون غلاً كان بين جوانبهم دفيناً وغيظاً كان في صدورهم كظيماً حتى ليكننا القول بأن هذه النصوص هي في واقعها رجع الصدى للوقائع التي جرت مع أهل البلاد من سكانها الأصليين... فلقد زحف أبناء إسرائيل على غرب الأردن وتغلبوا على مساحة كبيرة فيها وقتلوا من قتلوا من الرجال بعد الاطفال والنساء كما يحدثنا بذلك هذا المؤلف اليهودي الذي يضاعف افتراء آتة على موسى ، عاينه السلام ، قائلاً :

« هذه هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بني إسرائيل
عن يد موسى ! » (١)

ما هذا الهرء المبهوث على موسى عليه السلام !؟ .. يقيناً إنه لهرء مبهوث على هذا الرسول الكريم وهذا مما يجعل الإيمان بقدسية هذه النصوص هو ، بعينه ، الكُفر !. وكأننا هذا المؤلف قد أحس بأنه قد أفرط في كفره فتراخت يده وهنأ عن النسطير بينما قفز أماننا مؤلف يهودي آخر أبي إلا أن يلصق بموسى ما قد اقترفه رفاقه في حق هذا الرسول الكريم ، فهو يهب صائحاً بأن هذه هي حقاً :

« شريعة إسرائيل ! »

يطلع علينا هذا المؤلف اليهودي الجديد للسفر الخامس ، من الكتاب المقدس للدين اليهودي الحالي ، الحامل اسم « سفر التثنية » تارة واسم « سفر

تثنية الاشتراع « تارة أخرى ، مؤكداً بأن :

« هذا هو الكلام الذى كلم به موسى جميع إسرائيل فى عبر الأردن ...
فى السنة الأربعين .. كلم موسى بنى إسرائيل حسب كل ما أوصاه الرب
إلهمهم ! »^(١)

وأما ما هى هذه « الشريعة » ؟ .. وما الذى تحمله من قيم ومن معان ؟ .
فسؤال بعد آخر نلقيه إلى هذا المؤلف الجديد وإلينا منه يأتى الجواب عبر قلم
فى يده جرى فصور موسى ، عليه السلام ، بصورة بَرِّ فيما أتى بها من ألوان
الأضاليل من سبقوه من مؤلفى « الأسفار » إذ استرسل يقول :

« فى أرض مؤآب ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً : الرب
إلهمنا كلنا فى حوريب قائلاً : كفاكم قعود فى هذا الجبل ! تحولوا وارتحلوا !
وادخلوا جبل الأمورين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل
البحر ! . أرض الكنعانى ولبنان إلى النهر الكبير نهر الفرات ! .. »^(٢)

هذه هى « الشريعة » ! . وهذا ما تحمله هذه الشريعة من قيم ومن
معان لا تمثل إلا صرخة أطلقها هذا المؤلف اليهودى فى ذلك الزمن البعيد وما
زال منها الصدى يجلجل فى المسامع اليهودى حتى اليوم ! .. فلم تسكن هذه
النصوص إلا الصرخة التى احتفرت عقيدة امتلاك « الأرض الموعودة » فى الوعى
اليهودى غداة هب هذا المؤلف اليهودى يصيح :

أى إسرائيل ! . كفاكم قعود فلقد
استكفتم تقاعداً عن تحقيق حلم الآباء ! . ازحفوا صوب « الأرض الموعودة »

(١) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح الأول « سفر التثنية »

وامتلكوها اثماراً بما شرع لكم إلهكم من شريعة تقول ؛
« ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم
أن يعطيها لهم ! . » ^(١)

وأما إذا سأل سائل وقال ، ولماذا لم يعط الرب للأباء هذه « الأرض »
وهو بإعطائهم إياها كان لهم قد أقسم ؟ فإنما لذلك أسباب وهي أنكم كنتم
في ذلك الوقت قلة ، وأما الآن فإن ؛
« الرب إلهكم قد كثركم ! . » ^(٢)

ومن ثم فالآن يستطيع هذا المؤلف الجديد أن يرسل صرخته وبلسان
موسى ، في افتراء عليه ، يصيح ؛

أى إسرائيل ! .. لقد كنا حفنة مبعثرة في راحة الأيام وأما
اليوم قد كثرنا إلهنا و ؛

« جئنا إلى جبل الأموريين الذى أعطانا الرب إلهنا . انظر !
قد جعل الرب إلهك الأرض أمامك !

اصعد ! تتملك ، كما كلمك الرب ! ..

لا تخف ! ولا ترتعب ! » ^(٣)

وعلى هذا المنوال تجرى النصوص من هذا « السفر » وخاصة الاصحاحات
الثلاثة الأول وهى ليست إلا تكراراً لما كان من سيرة بنى إسرائيل في « برية
سيناء » ومجريات الأحداث التى جرت عليهم منذ اتجاهاهم نحو شرق الأردن
الى أن استولوا على دويلتى « حشبون » و « باشان » مما ورد ذكره من قبل

(١) الاصحاح الأول « سفر التثنية » (٢) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

(٣) الاصحاح الاول « سفر التثنية »

« اليوم الذى وقفت فيه أمام الرب إلهك فى حوريب حين
قال لى الرب اجمع لى الشعب فأسمعهم كلامى ... »^(١)

ألا تذكرون حينما ؛

« تقدمتم ووقتم فى أسفل الجبل والجبل
يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب ؟ فسلكم الرب من
وسط النار . . . »^(٢)

حقيقة إنكم ؛

« لم تروا صورة بل صوتاً »^(٣)

والكن ! .

« هل سمع شعب صوت الله وتكلم من وسط النار

كما سمعت أنت ؟ ! . »^(٤)

كلا ! . . هذا جواب لسؤالٍ ترتد عنه الشكوك ! . فمن اليقين
انه لم يسمع أحد « صوت الله » حتى ولا جماعة اسرائيل ! . ولكن هذا
المؤاف اليهودى كان يعلم تمام العلم أن هذا كان معتقد العصر الذى كان يعيش
فى خلاله ذلك الجيل من أبناء اسرائيل ومن هنا راعى ذلك عند ما غمس
بمداد الخرافات قلبه وأجراه مسطراً هذه النصوص التى نجد لها نظائر مسجلة على
الصحف الصلصالية التى ألقتها إلينا المعاول الأثرية بين الرافدين ، وبالتالى ، على
البرديات التى احتفظت لنا بها يد الزمن فى وادى النيل حيث ساد هذا المعتقد
الوادى خلال العصور التاريخية قاطبة وخاصة عصر الرعامسة ، وهو المعتقد
القائل بأن المعبود يتجلى من خلال النار ... فهناك بردية تعود بكتابتها إلى عهد

(١) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٣) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٤) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

« رع موسى » الثانى تقول ؛

« فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبة لا يقتربنَّ أحد من النار ...
لأنَّ الإله رع قد تجلى فى ذلك اليوم فى النار ! »

ومن ثم فبقيقنا إن هذا المؤلف اليهودى حينما سطر هذه السطور
قد راعى هذا الاعتبار لاسيما وقد كانت مصر القديمة تحتفل كل عام بذكرى هذا
التجلى للإله رع فى النار احتفالها بذكرى أخرى مماثلة وهى تجلى الرب «أوزير»
أيضاً ، من خلال النار ! ..

ومن هنا نفعل أن هذا المؤلف اليهودى وهو يحدث قومه بهذا
الحديث لم يأت بحديث على مسامعهم غريب ولذلك نراه وهو يسجل أضاليله
هذه قد تناولها الخيال منهم بالتجسيم ثم بمد يد من شطحات الخيلة جرت يده
فسطرتها نصوصاً «مقدسة» تتحدث عن أشياء وكأنما هى قد وقعت بالفعل ...
كما بذلك يطالع علينا ونحن نتابع إليه الإصغاء بينما يسترسل فى افتراءه ويقول إن
موسى هو ، نفسه ، الذى لإسرائيل قد قال ؛

أى إسرائيل ! . لقد اختارك الرب شعباً مقدساً ولذلك ؛

« من السماء أسمعك صوته ! . وعلى الأرض أراك ناره ! ..

وسمعت كلامه من وسط النار ! ... » ^(١)

أف ! .

أف لهذا المؤلف وأف من افتراءاته على موسى وهو عليه يتقوّل
ويؤمن فى تطاوله عليه فيقول إنه قد دعا جميع إسرائيل وقال لهم ؛ أولاً تذكرن
يوم ؛

(١) الأصحاح ٤ « سفر التثنية »

« .. سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار ؟ ١ . » (١)

في ذلك اليوم ؛

« تقدمتهم إلى وقتهم .. هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته
وسمعنا صوته من وسط النار ! ... فتقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب
إلهنا وكلنا . بكل ما يكلمك الرب إلهنا نسمع ونعمل .

فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتوني وقال الرب لي ؛ سمعت
صوت كلام هؤلاء الشعب الذي كلموك به . قد أحسنوا في كل ما تكلموا .
يا ليت قلبهم كان هكذا ! ..

إذهب وقل لهم ؛ ارجعوا إلى خيامكم ..

وأما أنت فقف هنا معي فأذكك بجميع الوصايا والفرائض والأحكام
التي تعلمهم فيعملونها في الأرض التي أنا أعطيهم ليمتلكوها ! . » (٢)
هراء ! ..

هراء عجيب هذا الهراء لليهودي الحامل في نفسه البرهان على أنه
الإفتراء بعينه على موسى عليه السلام ولذلك فكل تعليق في هذا الصدد إنما هو
قاصر على عمل العقل وإعمال الفكر .. وأما ما هي هذه « الوصايا والفرائض
والأحكام » التي يعلمها « إله إسرائيل » لموسى ، على حد افتراء هذا المؤلف ،
ليعلمها موسى بدوره لإسرائيل وليعمل بها هذا « الشعب » الذي أحسن فيما
تكلم وليت قلبه كان مثل لسانه ؟ . فذلك افتراء آخر على موسى يأتي به
هذا المؤلف القائل بأن موسى لإسرائيل قد قال ؛

« هذه هي الوصايا والفرائض والأحكام التي أمس الرب إلهكم

(١) الاصحاح ٥ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٥ « سفر التثنية »

أن أعلمكم في الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها ! .

اسمع يا إسرائيل ! ..

متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لأبائك ، إبراهيم

واسحاق ويعقوب ، أن يعطيك . إلى مدن عظيمة وجيدة لم تبناها

وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وآبار محفورة لم تحفرها وكروم

وزيتون لم تفرسها

وأكلت وشبعت .

فاحتزروا ! .. لا تسروا آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم

لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم لئلا يحى غضب الرب إلهكم

عليكم فيبيدكم عن وجه الأرض ! ..

احفظوا وصايا الرب إلهكم ^(١)

بقينا أن هذه لنصوص أخرى هي ، أيضاً ، إلى التعليق في غير

حاجة ! . فهي بما تحمله من منطق معكوس تقدم البرهان الدامغ على انتفاء القدسية

عنها . . . غير أن فيها بما تحمله من وصف لأرض كنعان تنويه بما كانت عليه

هذه « الأرض الموعودة » من عمران وخاصة غرب الأردن الذي كان يومذاك

الهدف الرئيسي لإسرائيل . ولكن : ماهي « وصايا إله إسرائيل لإسرائيل » ؟ .

من شغنى هذا المؤلف اليهودي يأتينا الجواب فيأتينا بافتراء آخر

على موسى جديد إذ يقول عليه قائلاباًه قام في إسرائيل ينادى ؛

يا إسرائيل ! ..

« متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها

(١) الاصحاح ٦ « سفر التثنية »

لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك .. وضربتهم فانك تحرمتهم !
لا تقطع لهم عهداً !
ولا تشفق عليهم ! .. » (١)

اسمع ؛

« اسمع يا إسرائيل ! أنت اليوم عابر الأردن اسكن تدخل
وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك ... فتطردوهم وتهلكوهم سريعاً كما كلك
الرب ! .. » (٢)

ولكن ! ..

« لا تقل في قلبك : .. لأجل أني برى أدخاني
الرب لأمتلك هذه الأرض ! .. ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك
أرضهم ! بل اسكني بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائك ! ..
ليس لأجل برك يعطيك الرب إهلك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها
لأنك شعب صلب الرقبة ! .. » (٣)

لا شك ، يا إسرائيل ، إنك « صلب الرقبة » ! لا برّاً في طبيعتك
ولا عدالة في قلبك ! .

أو لا تذكر ، يا إسرائيل ، ماذا قد فعلت ؟ ! .

« اذكر ! لا تنس كيف أسخطت الرب إهلك في البرية من
اليوم الذي خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيت إلى هذا المكان كنتم تقاومون
الرب ! .

حتى في حوريب أسخطتم الرب فغضب الرب عليكم ليبيدكم ! . » (٤)

(٢) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(١) الأصحاح ٧ « سفر التثنية »

(٣) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(٤) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

ما هذا الخلط ؟ .. وما هذا العبث ؟ ! .. وما هذه الترهات التي ينتشر عنها هذا السفر الأخير من هذا الكتاب « المقدس » الذي يعتمد عليه يهود العالم كل الاعتماد في ادعائهم بملكية رقعة من الأرض يسمونها « أرض الآباء . ١ »

ثم أى كفر هذا الذى يتمرغ فيه مؤلف هذا « السفر » وهو يواصل التسطير في افتراء على موسى إذ يجعله هو المتحدث بهذه النصوص التي تحمل البيان الكافي للخطة الوحشية التي يجب على بني إسرائيل أن يسلكوها مع أهل البلاد من سكان هذه « الأرض الموعودة » ؟ ! .. ففي هذه النصوص بيان صارخ للخطة الإرهابية التي اعتزمتها إسرائيل نحو أهل البلاد من سكانها الأصليين واتجاه غادر نحو العدوان المباشر الهادف الى إبادة السكان في غرب الأردن والحوال ملهم بذريعة واحدة هي أنهم غير أصحاب « الأرض الموعودة » دون ما إنذار ولا دعوى الى سلم مما يسجل على إسرائيل قسوة جاححة مصدرها ، ولا شك ، الفكرة الإختصاصية وسياسة العزلة التي تأصلت فيهم وكانت من أسباب عقدهم النفسية والتي ، ولا جدال ، كانت أقوى مظاهر ما انبثق عن نفوسهم من عدا كظيم لغيرهم من الناس . . ونظرة واحدة نلقاها على هذه الفصوص تأتى إلنا باليقين على انتفاء القدسية عنها ودليلنا هو هذا المنطق المعكوس الذى يجعل هذا « الرب » يصف هذه الجماعة بقسوة القلب وعدم البر « وصلابة الرقبة » والشر ثم يختارها شعباً دون سائر الشعوب .

ما هذا السفه ؟ ! . . لا شك في أن مؤلف هذا « السفر » قد برز رفاهه في الافتراء على موسى لاسيما وهو يروح مؤكداً ما قد أتوا به من ترهات هي لا يستغنيها منطق فحسب وإنما لا يقبلها عقل طفل . ١ . وإلا فلنصغ

إليه وهو يوالى على موسى افتراء آتاه وانستعن بمدد الصبر عليه ونحن نسمعه
يحدثنا بأن موسى قد أتجه يخاطب إسرائيل قائلاً :

يا أيها القوم الخطاة ! ألا تذكرون ؟

« حين صعدت إلى الجبل لكي آخذ لوسى الحجر . . أقمت في
الجبل أربعين ليلة لا آكل خبزاً ولا أشرب ماء . . وفي نهاية الأربعين . . قال لي
الرب قم انزل عاجلاً من هنا لأنه قد فسد شعبك ! . هذا الشعب شعب صلب
الرقبة ! اتركى فأبيدهم ! .

فانصرفت ونزلت من الجبل . . فنظرت وإذا أنتم قد أخطأتم إلى الرب
إلهكم ! . . ثم سقطت أمام الرب ، كالأول ، أربعين ليلة لا أكل خبزاً
ولا أشرب ماء ! من أجل كل خطاياكم التي أخطأتم بها بعملكم الشر أمام
الرب لإغاظته ! » ^(١)

وأما لماذا « سقطت أمام الرب » ؟ فليس ذلك إلا :

« لأنى فزعت من الغضب والغليظ الذى سخطه الرب عليكم ليبيدكم !
وصليت للرب وقالت : يا سيد الرب لا تهلك شعبك وميراثك ! . .

لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وأثمه وخطيئته !

لئلا تقول الأرض التى أخرجتمنا منها إن الرب لم يقدر أن يدخلهم
الأرض التى كلمهم عنها ! . » ^(٢)

ولكن ! .

(١) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

(٢) الأصحاح ٩ « سفر التثنية »

« على هرون غضب الرب جداً ليبيده ! .. » ^(١)

أية فرية على موسى ، عليه السلام ، أشد فداحة من هذه الفرية التي يرتكبها هذا المؤلف في حق هذا الرسول الكريم إذ يصوره متجهاً إلى إسرائيل يحدثها بمثل هذه الخزعبلات التي ، ولا شك ، ليست إلا من أوهام هذا المؤلف الذي لم يكفه ، بعد ، كل ما قد افتراه على موسى وإنما هو يعضى في تقوله عليه ويقول إنه قد استرسل في حديثه لإسرائيل قائلاً ؛

« وسمع الرب لى تلك المرة أيضاً ولم يشأ الرب ان يهلكك . ثم قال لى الرب : قم اذهب للارتحال أمام الشعب ليدخلوا ويمتلكوا الأرض التي حلفت لأبائهم ان اعطيهم ! .

فالآن يا إسرائيل ماذا يطلب منك الرب إلهك ؟ » ^(٢)

أى إسرائيل !

ان الرب إلهك لا يطلب منكم الا أن ؛
« تدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أنتم عابرون اليها ...

فتأكل ... وتشبع ! .. » ^(٣)

من ثم تشددوا جميعاً وإلى « الأرض الموعودة » شدوا الرحال جميعاً فأنكم ؛
« تأكلون هناك ! .. وتفرحون بكل ما تمتد اليه أيديكم ! ..

(١) الاصحاح ٩ «سفرالتثنية»

(٢) الاصحاح ١٠ « سفر التثنية »

(٣) الاصحاح ١١ « سفرالتثنية »

« لأنك شعب مقدس ! . اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب ! . » ^(١)

كلا ! .

كلا ، لا نسل يا إسرائيل لماذا اختارك الرب واختصك بهذا التفضيل على الرغم من شرور في قلبك وانحرافات في طبيعتك وصلاية في العنق وانحلال في الخلق ! ! .

كلا ، لا تسأل يا إسرائيل لماذا ؟ . . . وأما إذا ألححت بالسؤال فاعلم بأن ذلك ليس إلا لكي تكونوا جهة قوية ضد كل الشعوب التي :
« . . إذا دفعها الرب إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بحمد السيف ! .

وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك !

« كذا تفعلون بجمع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما ! . . » ^(٢)

اسمع ! . . ؛

« اسمع يا إسرائيل ! أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم ! لا تضعف قلوبكم لا تخافوا ! . . .
حين تقرب من المدينة لكي تحاربها استدعها للصالح .

(١) الامحاح ١٤ « سفر التثنية »

(٢) الامحاح ٢٠ « سفر التثنية »

ما قد رواه ذلك المؤلف الآخر ، الذى سبق هذا المؤلف ، من ترهات يوم راح يروى لنا رواية صعود موسى بهرون إلى قمة « هور » .. بينما الفكر منا يواصل التأمل فى اصحاحات هذا « السفر » الذى يشتمل معظمه على تحذير من الأنبياء والرأئين الذين يدعون إلى عبادة رب آخر غير « يهوه » إله إسرائيل بل وإيجاب قتلهم حتى ولو ظهرت على أيديهم « معجزات » ! لذلك أصغ ، يا إسرائيل ، إلى هذا الحكم ؛

« إذا قام فى وسطك نبي أو حالم حلمًا وأعطاك آية أو أعجوبة . . . فلا تسمع . . . ذلك النبي أو الحالم يُقتل ! . . . » ^(١)

هذا النص هو سر سياسة العدوان التى لقي بها كل « نبي » لا يدعو إلى عبادة « يهوه » إله إسرائيل الجفوة من إسرائيل ومن أشهر ضحاياهم كان المسيح عليه السلام نفسه ! . . . فقتلا يقتل كل « نبي » وقتلا يقتل حتى الأخ إذا أغوى أخاه ، سرًّا ، إلى عبادة رب آخر غير « إله إسرائيل » . . . بل وحتى يا إسرائيل ؛

« إن سمعت عن احدى مدنك التى يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولاً . . . تذهب وتعبد آلهة اخرى . فضرباً تضرب سكان تلك المدينة وبحد السيف وتحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف ! تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة ! . . . » ^(٢)

لماذا ؟ . . . اليك الجواب ؛

(١) الإصحاح ١٣ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ١٣ « سفر التثنية »

فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك،
للتسخير ويُستعبد لك !

وإن لم تسألك . . فخاصرها وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك.
فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ! . » ^(١)

يقيناً إنه لنص رهيب إنما هو هذا النص الذي يأمر باستعباد جميع
شعوب المدن التي توافق على الاستسلام وهذا قاصر على المدن البعيدة أولاً
دون مدن « أرض كنعان » التي يقع على ذكورها الحكم قتلاً بحد السيف
وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة فيكون غنيمة لرجال إسرائيل ! .

هذا هو قانون الحرب عند إسرائيل وهذا هو دستور الذي
يتم عن مشاعر سفاحة عطشى إلى الدم مما يعطينا صورة واضحة بل وفكرة شاملة
عن نوايا « إسرائيل » في عصرنا الحاضر تجاهنا وتجاه سائر الشعوب من غير
اليهود في اتباع لخطى هؤلاء الذين راحوا يزحفون صوب « الأرض الموعودة »
وبين جوانبهم تصطلي نيران الغلّ والحقد وفي سمعهم يدوى هذا الصوت
الصارخ :

افعل ! . . :

افعل « كما أمرك الرب إلهك ! » فأنما هذه هي :

« كلمات العهد التي أمر الرب موسى أن يقطع مع بني إسرائيل في
أرض موآب فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب ! » ^(٢)

لا جدال في أن هذه السلطة التي يطلع بها علينا قانون الحرب في

(١) الأصحاح ٢٠ « سفر التثنية »

(٢) الأصحاح ٢٨ « سفر التثنية »

إسرائيل إنما هي سلطنة مطابقة كانت قاصرة عند ذاك على أصحاب العروش وأما موسى ، عليه السلام ، فلم يكن من أصحاب العروش حتى يستطيع هذا المؤلف الافتراء عليه فيقول بأنه قد أمر بإطاحة الرؤوس . . . بيد أن مؤلف « سفر التثنية » وهو الذى افترى على موسى كل هذه الافتراءات ، لم يضره أن يصور موسى متوثباً لاعتلاء عرش بل ويتمادى فيصوره مُهَيَّئاً الأُفُة من هذه الجماعة إلى هذا الأمر . . . ومن هنا راح يتقول عليه قائلاً بأنه قد اتجه إلى إسرائيل ، وقد شارفوا مشارف « الأرض الموعودة » ، يناديهم ؛

يا إسرائيل ! . . .

« متى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها فإن قلت أجبعل على ملكا كجميع الأمم الذين حولي فأنت تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب إلهك . وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة فى كتاب ! . . » (١)

بهذا النداء ، على حد ادعاء هذه الرواية المفتراة ، نادى موسى إسرائيل - بينما كانت يده قد انتهت من كتابة نسخة من هذه الشريعة فى كتاب هو هذه التوراة . . فلهذا ؛

« كتب موسى هذه التوراة ! . . » (٢)

حتى المدى امتد بهذا المؤلف اليهودى التمادى فى حق موسى ، عليه السلام ، فأبرزه فى صورة هو منها برى . . . ولكن ! . الذى قد دار بعد فى مخيلة هذا المؤلف فأمر مستتر إذ أننا نراه فجأة وبدون سابق مقدمات يتغير

(١) الإصحاح ١٧ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ٣٠ « سفر التثنية »

في يده الأسلوب وتغيير العبارة وبعد أن حاول اعلاء موسى على عرش عاد وعاودته شطحاته أشدّ عن ذى قبل وراح يلتف من حول شخصية أخرى بينما كان القلم في يده يجري مُسجلاً ؛

بروز يشوع بن نون في إطار التاريخ الإسرائيلي

مرة واحدة وفي تحول عجيب تحول مؤلف « سفر التثنية » عن موسى بن عمران إلى يشوع بن نون وبينما بدأ يُجلى عن يشوع سحب الزمن بدأ يحمها من حول موسى بل وإلى غيوم راح يحيك هذه السحب من حول موسى في تكتل رهيب ويجعل مصدرها هذا الذي كان من الجواسيس الذين استكشفوا مكان « أرض كنعان » ثم ارتفع إلى تلك المرتبة التي منحتة حق تقسيم هذه « الأرض » بين أسباط إسرائيل ولكن ، يأتي هذا المؤلف أن يستهل حديثه عن يشوع إلا بهتان جديد يضاعف به من افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، لا لأن هذا المؤلف جاء بنصوص تصور لنا يشوع في صورة أكثر اعجازاً وأقوى من موسى شخصية فحسب وإنما لأن هذه النصوص تشير إلى بروز يشوع في إطار التاريخ الإسرائيلي في أعقاب كتابة موسى هذه التوراة وأثر نظارة خفية انسدل على أثرها الجفن من يشوع قام بعدها فأقبل على موسى يوعز إليه بالانتقال إلى مداولة سريعة ؛

« فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع »^(١)
لماذا ؟! هذا سؤال يأتي الجواب عنه من النصوص التي يسرى من ثناياها فحجج التهامس بأن نهاية موسى قد أمتت وشيكة الوقوع !

(١) الأصحاح ٣١ « سفر التثنية »

كيف ؟ ..

هذا ما سيصوره لنا هذا المؤلف بعد أن يمهّد له بمقدمة يصور بها
اتجاه إسرائيل بكايتها إلى الصوت من موسى وهو ينطلق ، في تلك اللحظات ،
ينادى ؛

يا إسرائيل ؛

« اجمعوا لى كل شيوخ أسباطكم وعرفانكم لأنطق فى مسامعهم
بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ! »^(١)

وأما ما هى هذه « الكلمات » ؟ فهى ذى ؛

يا إسرائيل ! يا ؛

« جيل أعوج ملتو !

الرب تكافئون بهذا يا شعباً غيبياً غير حكيم ؟ ! .

أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم ! لو عقلوا لفظنوا ! .. »^(٢)

يقيناً إن يهود العالم أجمع لو عقلوا لفظنوا إلى مدى افتراءات هذا
المؤلف الذى جاء يُحدثهم هذا الحديث عن ذلك « اليوم » الذى جاء انقضاؤه
بعد غدا بعده موسى طيقاً فى أفق التاريخ ! .
أين موسى ؟ ! .

سؤال ، جعله مؤلف « سفر التثنية » يدوى فى أرجاء محلة إسرائيل
وجعل جوابه سبابة يشوع وهى إلى قمة « عباريم » فى جبل « نبو » تشير ؛

(١) الإصحاح ٣١ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

هناك ! .

هناك ، في قمة « عباريم » من جبل « نبو » موسى ! .

إذن . متى سيعود موسى ؟ ..

سؤال آخر جعله هذا المؤلف يدور في كل خيمة من خيام إسرائيل والعين من هذه الجماعة قد علقت بتلك القمة التي كانت السبابة من يد يشوع إليها تشير بينما انطلق الصوت منه بين هذه الجماعات يصيح ؛
إن موسى لن يعود ! ..

لماذا ! ؟ ..

سؤال آخر كان جوابه الصوت أيضاً من يشوع الذي ارتفع ،
لأول مرة ، جهورياً يقول لقد ؛
« كلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً ؛ إصعد إلى جبل عباريم .
هذا جبل نبو في أرض موآب الذي قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التي أنا
مُعطيها بني إسرائيل ملكاً .

ومت في الجبل ! .. » ^(١)

إذن ، لقد مات موسى ! ؟ ..

ولكن ! . كيف مات موسى ! ؟ ..

ومن شفتي يشوع بن نون جاء الجواب ؛ وعلام العجب وقذف
سؤال بعد سؤال ؟ ... فلقد مات موسى في جبل نبو تماماً ؛

« كلمات هرون في جبل هور ! .. » ^(٢)

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

وهنا ..

هنا يطرق الفكر منّا وأما الشفاه فتؤثر الصمت على الكلام
بينما يلتقط السمع منا من هذا « السفر » أصداء صرخة دوت في المحلة وأما رجع
صداها فكان أسئلة ترف من جديد على الشفاه انحصرت في كلمة واحدة وهى ؛
لماذا أمر « الرب » بموت موسى ؟ ! .

عن هذا السؤال يأتى الجواب من شفقتى هذا المؤلف الذى لم يكن
صريح قلمه إلا رجع الصدى من صوت يشوع القائل ؛ أنديرون لماذا أمر الرب
بموت موسى ؟ ! ... إنكم لاتديرون ماذا قد حدث ؟ ..
لقد ؛

« كلم الرب موسى قائلا ؛

مت فى الجبل ! . كما مات هرون أخوك فى جبل هور ..
لأنكم خنتماني ! . » ^(١)

أستغفر الله ! .. ولكن ، كيف ؟ .

كلاً ! .. لن نظفر من هذا المؤلف اليهودى بجواب ما لم نجاره مجازاً فى
منطقه المعكوس فنقول ؛ لقد قلتم إن هرون ، عندما صاغ العجل ، قد خان
مرة الرب وأما موسى ؟ ! متى خان موسى الرب ؟ ! ..

وفى كفر صارخ يأتينا الجواب من هذا « الكتاب المقدس » للدين
اليهودى الحالى الذى يحتتم روايته عن وفاة موسى رامياً إياه بالخيانة ومُسجلاً
على نفسه هذه النظرة إليه بصوت هذا المؤلف اليهودى الذى جاء بالجواب
المؤكد أن موسى قد خان الرب ؛

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

« عند ماء مريبة قادش ! في برية صين . . » ^(١)

يقيناً إن هذا المؤلف اليهودي إذ يعود بنا إلى « ماء مريبة »
فليس ذلك إلا ليذكرنا بما قد أتى به ، نفسه ، من افتراء آت لحظة تصور أن
العين من يشوع قد تنبّهت إلى اليد من موسى في نفس اللحظة التي انفضت من
كتابة « نسخة من التوراة » ! .

إلى تلك اللحظة التي استهل هذا المؤلف اليهودي نصوصه المفتراة
هذه فصور لنا موسى وقد وقف في خلالها وفي الخيلة منه ترسم رقعة « الأرض
الموعودة » والحلم بتحويلها من أرض موعودة إلى أرض لإسرائيل « مملوكة »
يقوم عليها لإسرائيل ملك يستهل أول خطوة إلى عرشه بكتابة « نسخة من
التوراة » يعود بنا هذا المؤلف فيصوّر لنا فيها العين من يشوع بن نون وقد
استقرت على موسى استقراراً كان له في خيلة هذا المؤلف نتيجة التي أضاف
بها إلى افتراء آت منه سبقت افتراء آخر تمثل في تصويره لموسى صاعداً إلى
حيث لم يعد من هناك أبداً بينما ارتفعت قبضة يشوع وأطبقت بمخالبها على
عنق إسرائيل وبينما كان في سمنح الجبل صوت ينطلق في جماعة إسرائيل
قائلاً بأن موسى كان قد قال :

« الرب ! آلهنا كلمنا في حوريب قائلاً : كفّاكم قعود في هذا الجبل
تحولوا ارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربية والجبل والسهل
والجنوب وساحل البحر . . أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير
نهر الفرات ! . . ادخلوا وتملكوا الأرض . . »

(١) الاصحاح ٣٢ « سفر التثنية »

لكم لم تشاؤا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب يا آلهكم .
وتمرتم في خيامكم . . .

وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلاً : لن يرى الناس
من هذا الجبل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لآبائكم ! . .
وعلى ، أيضاً ، غضب الرب بسببكم قائلاً : وأنت لا تدخل إلى هناك !
يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل إلى هناك ! .. ^(١)

ثم إن موسى قد واصل الكلام قائلاً ، ولقد ؛
« تضرعت إلى الرب في ذلك الوقت قائلاً : يا سيد الرب أنت
قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة ... دعني أعبّر وأرى الأرض
الجيدة التي في عبر الأردن هذا الجبل الجيد ولبنان .

ولكن !

الرب غضب على بسببكم ولم يسمع لي ! بل قال لي الرب
كفاك ! لا تعد تكلمني في هذا الأمر ! .. لا تعبر هذا الأردن وأما يشوع ..
هو يعبر ! . » ^(٢)

نعم ! .. لقد ؛

« غضب على الرب بسببكم وأقسم أني لا أعبّر الأردن ولا أدخل
الأرض الجيدة التي يعطيك إلهك نصيباً ! فأموت أنا في هذه الأرض لا أعبّر .

(١) الامتحان الاول « سفر التثنية »

(٢) الامتحان ٣ « سفر التثنية »

الأردن ! . » (٣)

ما هذا العبث بالعقول الذى يحىء به هذا المؤلف اليهودى بنصوص
يسيجها بالقدسية طالباً من العالم تصديق هذا المنطق المعكوس ؟ بل وما
هذه الافتراءات على موسى، عليه السلام ، التى تزداد عليه بهتاناً فتقول ؛
« قال الرب لموسى ؛ خذ يشوع بن نون . . وضع يدك عليه .
وأوقفه قدام اليعازار السكاهن . . لئكى يسمع له كل جماعة بنى إسرائيل . .
حسب قوله يخرجون وحسب قوله يدخلون ! . » (١)

ولسكن . . هذا نرانا نطرق ، للحظات ، أمام هذا الانقلاب الواضح
الذى جعل فيه مؤلف « سفر التثنية » اليد من يشوع بن نون بمؤازرة اليعازار
، ابن هرون ، السكاهن الأكبر تتناول مقاليد الحكم تناولاً مكنها من أن
تشير إلى قمة « جبل نبو » وبإسرائيل تصيح كقوا أسئلة فإنه كما من قبل قد
طوى « هور » هرون فقد طوى « نبو » موسى ! .

وهكذا طوت هذه التوراة المفتراة لموسى ، عليه السلام ، حياة ! .

ولسكن ! ؛

لئن طويت الحياة الموسوية تحت هذه الصورة التى
رسمتها شفتا يشوع بن نون وغدا موسى بعدها طيفاً فى أفق التاريخ فليس إلا
لتهب عن حوله للزمن أنفاس رفرقت عليه بقداسة خلّت منها هذه « الأسفار
الخمسة » المعروفة باسم التوراة ! . هذه التوراة التى تنسب إليه زوراً وبهتاناً
والتي تحمل البرهان القاطع على أن الدين اليهودى الحالى ، بنظرته هذه إلى

(١) الاصحاح ٤ « سفر التثنية »

(٢) الاصحاح ٢٧ « سفر التثنية »

موسى ، لا علاقة له بموسى على وجه الإطلاق ! ..

وكيف ؟ ! ..

إن هذا التوراة التى بين أيدينا ، وهى مصدر العقيدة للدين اليهودى ، الحالى ، تعتبر موسى خائناً غضب الرب عليه وأمر بموته جزاء خيانتته .. فكيف ، بعد ذلك ، يمكن أن ينسب هذا الدين اليهودى الحالى إلى موسى ؟ ! .
إذن ؟ ! .

إلى من ينسب هذا الدين اليهودى الحالى ؟ . . . إن هذا ما ستكتشف عنه هذه التوراة نفسها وستفصح بنصوصها عن أن هذا الدين اليهودى الحالى لا يعود بمصدره إلا إلى ذاك الذى تولى قيادة بنى إسرائيل أثر وفاة موسى عليه السلام . . . ذاك الذى اتخذ من موسى قاعدة بنى عليها له سلطان تحول بها موسى إلى مجرد رمز بينما أسلس العنق الإسرائيلى لقبضته العنان . . . ذاك الذى ببروزه على صفحة التاريخ اليهودى بدأ فى الواقع تاريخ هذا الدين وكان أن بدأت ، بالفعل ، حياة عقيدة « الأرض الموعودة » . . .

هذا هو ، فى واقع الأمر ، الأمر الصحيح ! ..

بوفاة موسى آل أمر بنى إسرائيل إلى يشوع وهذه حقيقة يحدثنا بها مؤلف يهودى آخر أبى إلا أن يطلق على كتابه اسم : « سفر يشوع » . . .
ففى هذا السفر ، المتصل بالتوراة اتصالاً وثيقاً والذى يكون معها وحدة مؤلفة مما حدا بكثير من العلماء إلى اعتبار التوراة ستة أسفار لا خمسة ، نتمسك بخيوط الأحداث التى عقدت فى جبين الزمن عقدة هذا الدين اليهودى الحالى وإيس ذلك لأننا نجد فيه المصادر المختلفة للتوراة فحسب ولا لأهمها قد مزجت

فيه مزجاً فحسب وإنما لأن الحقيقة تطلع علينا من ثناياه صارخة تقول ؛ إن بنى إسرائيل قد انحرفوا بعد وفاة موسى إلى يشوع انحرفاً كلياً أصبح فيه موسى ليس إلا مجرد رمز بينما أمسى يشوع هو القائد الحربى الحقيقى والزعيم الدينى لبنى إسرائيل والبرهان على ذلك هو هذا الاعتراف الصادق الذى يُسجله مؤلف « سفر يشوع » عند ما أبرز يشوع فى صورة أكثر إعجازاً وأقوى شخصية من موسى . . . فهو يقص علينا قائلاً :

« كان بعد وفاة موسى أن الرب كلم يشوع بن نون . . . قائلاً : موسى عبدى قد مات فالآن قم أعبّر هذا الأردن ، أنت وكل هذا الشعب ، إلى الأرض التى أعطيها لى لى إسرائيل ! . . . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات ! . . . »

ولا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك . . كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك فى كل ما تأمره يقتل ! »^(١)

إن مؤلف « سفر يشوع » يريد بنصوصه هذه أن يقول لنا إنه تماماً كما كلم الرب موسى من قبل كلم الرب يشوع من بعد وليتخذ من هذا القول نقطة بداية يسير بها حتى النهاية مرسلًا القول على عواهنه ليقول بأن الرب إذا كان قد أجرى على يد موسى معجزات فانه قد آثر يشوع بمعجزات أعظم ! . إذا كان موسى قد آثره الرب بمعجزة شق البحر فانما يشوع قد بزه بمعجزات أكبر ! . فلقد توقف ماء الأردن وانفلق لكى يمر عليه يشوع يقود بنى إسرائيل من ورائه ! . وهذا بالإضافة إلى المعجزة الكبرى عند مدينة جبعون

(١) الإصحاح الأول « سفر يشوع »

« إن الرب كلم يشوع بن نون . . . قائلًا ؛ موسى عهدي قد مات !
الآن قم اعبر هذا الأردن ! . كما كنت مع موسى أكون معك ! » (١)

بهذا النص تبدأ السُّجُف السياسية والدينية في الانحسار عن يشوع
ابن نون ، القائد الحربي والزعيم الديني الحقيقي لبني إسرائيل ، وعن دوره الفعَّال
في تاريخهم . . . هذا الدور الذي يفصح عنه هذا النص القائل ؛

« قال الرب ليشوع ؛ اليوم أبتديُّ أعظمك في أعين جميع إسرائيل
كي يعلموا أنني كما كنت مع موسى أكون معك ! ..

فقال يشوع لبني إسرائيل ؛ تقدموا إلى هنا واسمعوا كلام الرب
إلَّهكم . . » (٢)

تُرى ؟ ! .

تُرى أى صوت آخر كان هذا « الصوت » الذي سمعه بنو
إسرائيل ، على حد رواية هذا المؤلف اليهودي الجديد ؟ ! . .

يقينًا إن هذه النصوص لا تحتاج إلَّا لإعمال الفكر فيما تشتمل عليه من
معان !.. فهي ، أولاً ، تسوِّي يشوع بموسى مساواة قامة من حيث « المكلمة »
ثم هي ، بالتالي ، ترفع من مكانة يشوع كواسطة يُسمع كلام « الرب » إلى
« شعبه » من أفراد هذه الجماعة الذين كانوا ، بعد أن أسمعهم يشوع كلام الرب
إلَّههم ، قد ؛

« أجابوا يشوع قائلين ؛ كل ما أمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا
نذهب . . . كل إنسان يعصى قولك ولا يسمع كلامك في كل ما تأمره به

(١) الاصحاح الاول « سفر يشوع »

(٢) الاصحاح ٣ « سفر يشوع »

يقتل ! . » (١)

ومن هنا ننتزع الحقيقة من صدر التاريخ اليهودي نفسه وهى أن
يشوع هو الذى انتهز الجزر الكنعانى وعرف كيف يميل وميول بنى إسرائيل
رؤساء وجماعة ويهوى على أعناقهم بقبضته فى اللحظة التى اشتد فيها تمردهم على
ذلك الرسول الكريم .. وهذه المعرفة أو بالأحرى هذه الدراية بضائر ونفوس
جماعة إسرائيل هى التى مكنت يشوع من التمكن من ناصية بنى إسرائيل
فتزعم فيهم القيادة وانطلق بهم يسوقهم إلى ما وراء أريحا حتى عبر بهم الأردن إلى
ضفته الغربية وتم له الاستيلاء على هذا الجزء الغربى الذى قسمه بين « بيوت
إسرائيل » . . وتؤيد ذلك المعاول الأثرية التى تشير إلى آثار هذه الموجة العاتية
التي زحفت فدمرت « لاشيش » ثم أوغلت فأغرقت شمال « البحر الميت » واجترفت
« جريكو » ثم انحرفت فقوّضت « بيت إيل » . وهذا ما يجعلنا نقول بأن
يشوع، وليس الّا يشوع، قد امتد هذا المد الإسرائيلى سعيماً فأحرق بالنار المدن
الكنعانية الواحدة تلو الأخرى وقتل أهلها برمتهم من رجال ونساء وأطفال
بل وفى حصى لا واعية انطلق هذا المد مجنوناً فلم يسلم من التدمير من يده شيء
حتى السائمة !.. لم يستبق يشوع من البهائم واحدة ! البقر والغنم والحير أحرقها
يشوع أحياء ! كل ما استولى عليه يشوع دمره تدميراً وقتله قتلاً وأحرقه حياً ! .
أباد يشوع كل شيء باستثناء المعادن وسبائك الفضة والذهب ! .

وهكذا تنحسر سجف تاريخ الدين اليهودى الحالى عن يشوع
كصاحب هذا الدين وبأذر تلك السياسة العدوانية الحقيقية فى تاريخ بنى إسرائيل
والتي بلغت أقصى مداها من القسوة والوحشية ! . فإنه هو الذى قبض ، فى تلك

(١) الاصحاح الأول « سفر يشوع »

اللحظة التي انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى ، على زمام الأمور في إسرائيل فأعلن وفاة موسى وتولى هو فيهم الحكم بينما أسلس له أفراد إسرائيل الأعناق. إشباعاً لما في نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه في معاملة مَنْ سواهم من الناس .. ولسكن !.. لما كان في الالتصاق باسم موسى ما يمنحهم بين الشعوب حيثية وكياناً وبالتالي وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد أبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلا استقطاباً وإلا بطيفه تشبهاً فتنادوا بأنهم موسيون وأما واقع الأمر وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين ! . يشوعيين قلباً وقالباً وليس إلا كي يصبغوا أدواءهم السياسية بصبغة شرعية راحوا بإملاء من نزعاتهم هذه. يسطرون ما يتخيلون ويمعنون في أضاليلهم فينسبون هذه « الأسفار الخمسة » إلى موسى وإنما هو برىء من كل ما جاء في هذه « الأسفار » التي بلغت المدى في تطاولها عليه حتى رمته في نهايتها بالخيانة بقدر ما رفعت من شأن يشوع حتى صاغت باسمه سفرًا خاصاً هو هذا الذي سجّل ؛

تكوين الدين اليهودي الحالي وعودته بأصوله

إلى

يشوع بن نون

إن الأدلة التاريخية المنتزعة من نصوص « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي تتضافر وتقدم « يشوع بن نون » على أنه صاحب هذا الدين الذي يدين به اليهود منذ عصره حتى عصرنا الحاضر وهذا الرأي يتخذ دعامة له من أمرين ؛

الأول : أن موسى عليه السلام قد ثوى وهذه « الأسفار » التي تنسب إليه كانت لم تكتب بعد ! . وهذا ما يجعل موسى لا صلة له بهذا « الكتاب المقدس » إطلاقاً .

والآخر : أن يشوع هو الذى بدأ به تاريخ بني إسرائيل على صفحة التاريخ السياسى والدينى معاً . فاذا كان إلى ما أتى به يشوع من عدوان قد أثبتت المعاول الأثرية أدلته المادية هو السمة البارزة فى السياسة اليهودية حتى اليوم فائماً إلى ما أتى به يشوع من تعاليم يعود بتكوينه الدين اليهودى . . وبرهان ذلك أن الدين اليهودى الحالى لم يتسكون فيه يصبح نبى إسرائيل ديناً خاصاً بهم من بين الأديان إلا بعد استيلائهم على بعض الأجزاء من « أرض كنعان » واحتلالهم إياها ! .

من ثمّ فإذا كان لا صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا « الكتاب المقدس » الذى لم يتسكون الدين اليهودى الحالى إلا من نصوصه التى سارت وفقاً لسياسة يشوع وتعاليم يشوع . . . وإذا كان يهود انيوم ، بالتالى ، يتمسكون بهذا « الكتاب » ويدعون قدسيته ويعتبرون ما يحتويه من نصوص قد كوفت لهم هذا الدين الذى به يدينون فأية صلة هناك تربط اليهود بموسى ؟ ! .
ثمّ . . .

ثمّ إذا كان هذا « الكتاب المقدس » ، نفسه ، قد انتهى فى حديثه عن موسى إلى أن يتهمة بالخيانة وينصب الرب عليه فقال بأن « الأمر » بموته فى « جبل نبو » قد جاء لأنه قد « خان الرب » وهذا فى نفس الوقت الذى يعلى من شأن يشوع إعلاء عجيماً لا تنبيهه فحسب من النصوص التى تقول بأن بحر الأردن قد انفلق لأمره وأن حركة الزمن قد توقفت لإشارة من يده

وإنما من النصوص التي تجعله زعيماً دينياً كله الرب ومنحه سلطاناً مطلقاً على بني إسرائيل غداً به قائداً حربيّاً لهذه الفئة التي راح يعيش في أجزاء من « أرض كنعان » ويستئن لها هذه السياسة العدوانية ضد سائر الشعوب والتي ما استقر بها في تلك الأحياء المقام إلا وكوّنت سياسةً يشوع لها هذا الدين الذي تفصح عن مرتبته بين الأديان هذه النصوص نفسها التي تكونه والتي سارت وفقاً لتعاليم يشوع ، فإنّ هذا هو ، نفسه ، البرهان على قولنا بأنّ يهود اليوم ليسوا موسويين على الإطلاق وإنّما هم يشوعيون في الصميم !... والأفك كيف يمكن أن يكون اليهوديّ تّباع موسى وها هي ذي نظرة الدين اليهودي الحالي إلى موسى قد تكشفّت من خلال كتابهم هذا « المقدس » نفسه ؟ ! .

هاهوذا أمّاكم « الكتاب المقدس » انشروا صفحات « الأسفار الخمسة » تطالعكم الحقيقة الصارخة وتناديكم من ثناياها قائلة : بأن اليهود ليسوا أتباع موسى وإنّما هم أتباع يشوع ، ذاك الذي صعد مع موسى إلى قمة الجبل ثم عاذ بدونه وأعلن أن موسى من هناك لن يعود وما ذلك إلا لأنه قد خان الرب ففضّب عليه وقال له اصعد إلى الجبل ومِت هناك ! ... وإذن ؟ ! .

إذن ، أليس من واجب التاريخ الحاضر تصحيح اسم هذا الدين فيستبدله من الدين الموسوي إلى الدين اليشوعي ؟ ! .

وحقاً ! كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين اليهودي الحالي ، هذا الدين اليشوعي الذي تكونه هذه « الأسفار الخمسة » وهي التي ترميه بالخيانة وبفضب إله إسرائيل عليه وتأمّر بموته في الجبل عقاباً ؟ ! . ثم كيف يمكن أن تكون هناك صلة تربط موسى بالدين

اليهودى الحالى وهذه « الأسفار الخمسة » التى تكون هذا الدين نفسه لم تؤلف ولم تكتب ولم تبرز على صفحة التاريخ الدينى إلا بزمان طويل بعد موسى ! .
إذن ...

متى كتبت هذه « الأسفار » ولماذا كتبت ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال يُحتم علينا استعراض التاريخ السياسى لـ « بيوت إسرائيل » منذ احتل بهم يشوع بن نون تلك الأجزاء من « أرض كنعان » حيث هناك راحت تتوالى عليهم الأيام وتتدرج بهم من « عهد يشوع » إلى « عهد القضاة » إلى « عهد الملوك » الأول الذى بدأ بـ « شاول » وبرز ببيت يهوذا غداة امتلاك داود آخر حصون كنعان « صهيون » وانتهى بوفاة سليمان ..

فى خلال تلك العهد لم يؤلف « سفر » واحد من هذه « الأسفار » ! ..
ولكن ! ... بعد وفاة سليمان انقسمت مملكته إلى قسمين ؛ شمالا وجنوبا .. فأما الجزء الجنوبى بما فيه القدس فقد اقتطعه بيتا يهوذا وبنيامين وهؤلاء أقاموا عرشا اقتصر ولاته على سلالة سليمان وحفدة داود .. ولما كان « بيت داود » هذا من سلالة يهوذا وكان هو البيت المالك فقد عرفت هذه المنطقة باسم « اليهودية » أو « مملكة يهوذا » .. وأما الجزء الشمالى ، حول سامريا ، فقد اقتطعته « البيوت العشرة » وهذه آثرت أن تطلق على هذه المنطقة اسم جدها الأعلى ، ومن هنا عرف هذا الجزء الشمالى باسم « إسرائيل » أو « مملكة إسرائيل » .

بهذا الانقسام الذى قامت به فى الشمال « مملكة إسرائيل » وفى الجنوب « مملكة يهوذا » بدأ ديب الوهن يسرى فى أوصال تينك المنطقتين على

سواء وسرعان ما لحت ذلك « آشور » فأسرعت للانقضاض مستهدفة المنطقة الشمالية أى إسرائيل وقد جرد الآشوريون فى عهد « شالم نصر » الثالث ، « شاه نصر » ، جيشاً على « إسرائيل » هذه فهزمها عام ٨٤٣ ق . م ، فى موقعة « كركر » وهذه هى الموقعة التى قضت على التاريخ السياسى لإسرائيل إذ مسكنت الآشوريين بعد ذلك وفى عهد « سرجون » الثانى من ضم هذه المنطقة الشمالية ، نهائياً ، إلى « آشور » فاندجحت إسرائيل ، عام ٧٢٠ ق . م ، فى آشور وإلى ذلك كان قد مهد « سرجون » الثانى ، عام ٧٢١ ق . م ، نفسه عندما نال أفراد هذه « القبائل العشر » بالقتل فسحقهم سحقاً تاماً وأفناهم إفناءً كاملاً وحمل القلعة التى تبقّت منهم إلى بلاده أسرى ... وهكذا أذاب الغزو الآشورى سلالة « البيوت العشرة » من نسل إسرائيل وغيبهم التيار الزمنى تمام الغيب ومن ثم زال من التاريخ هذا القسم الشمالى المعروف باسم « إسرائيل » ومُحيت « مملكة إسرائيل » من خريطة الوجود . . .

ثم حلّ البابليون فى العراق محل الآشوريين وكما فعلت آشور من قبل بالقبائل العشر فى الشمال فعلت بابل بالقبيلتين الباقيتين فى الجنوب . . . فلقد ضم البابليون هذه المنطقة الجنوبية المعروفة باسم « اليهودية » إلى بابل ، عام ٥٨٥ ق . م ، وأمسّت فلسطين بأجمعها جزءاً من الدولة البابلية وإلى ذلك كان قد مهد « نبو خضر نزار » الثانى عندما أطاحت أسيافه ، سنة ٥٨٦ ق . م ، بأهل اليهودية ودمر الهيكل ثم حمل الرؤساء من قبيلتى يهوذا وبنيامين إلى بابل أسرى وفى مقدمتهم أفراد « بيت داود » من سلالة يهوذا وأعضاء « مملكة يهوذا » . . .

هؤلاء الأسرى من سلالة يهوذا الذين أبوا إلا الجلوس على شاطئ

الفرات يمكنون ويتباكون ويقذاكرون ملكا لهم كان في اورشليم قاعدته « حصن صهيون » هم الذين راحت هبات التذاكر عنه تعصف بأفئدتهم وتستحجن الشوق في صدورهم إلى تقيىء ظلال صهيون من جديد حتى أصبح الحنين إلى صهيون رمزاً للحنين إلى عودة المملكة الدائرة ! .

في غضون هذا المنفى ألقى أبناء يهوذا هؤلاء في تربة الزمن بذور الصهيونية بل كانوا هم الصهاينة الأول الذين بدأوا تاريخ الصهيونية غداة بدأت قرأتهم تبحث عن أجدى الوسائل لإعادة بيتهم ، « بيت داود » ، إلى مملكة يهوذا وعرش صهيون من جديد ! . فبدأت الأيدي منهم تنشر القراطيس لتجري عليها الأفلام مستهدفين من وراء ذلك شيئاً واحداً انحصر فيه تفكيرهم وهو عودة « دولتهم » الدائرة ... هذا التركيز في تعبيد الطريق نحو هذا الهدف المرسوم ، وهو العودة إلى عرش صهيون ، هو الذى صرفهم إلى استعمال معول واحد وهو هذا الذى جاء بهذه المشكلة التى تجابه جبهة الزمان إذ لم يكن هذا المعول إلا بدعة « الأرض الموعودة » ! .

هذا هو الواقع التاريخي ! .

وهذه هي الحقيقة ، فليس إلا لكي يضمن أبناء يهوذا لبيتهم ، بيت داود ، عودة إلى صهيون جرت أفلامهم على القراطيس فكونت هذه « الأسفار » المعتبرة على موسى والتي تدافعت بنصوص تنترى عن أن أرض فلسطين هي لهم كانت قد منحت منحة من إلههم ، نفسه « يهوه » ، إله إسرائيل ! . . وهذه حكمة سياسية تنم عن دراية تامة بالنفسية البشرية ومدى تأثير العاطفة الدينية في الجماعات إذ أن على المنحة الإلهية لا يمكن أبشراً الاعتراض ! . .

وأما كيف جاءت هذه « المنحة » ومتى كانت ؟ فهذا من الطبيعي لا بد وأن يكون سابقاً على العهد الذى كانوا فيه يسطرون هذه « البدعة » . . . ولكى يصبغوا قضيتهم بصبغة شرعية بدأوا بهذا « الوعد » بإبراهيم . .

هذه الأقلام التى جرت فى أيدي أبناء يهوذا وجاءت بهذه النصوص التى غلفتها بالقدسية هى فى الحقيقة السجلات التى تكشف من أمر هذا « الوعد » الذى لم يكن فى واقعه إلا وعداً تابعاً لما رآب السياسة والعبوة فى يد هؤلاء المؤلفين اليهوديين منذ بدأوا يكتبون « سفر التكوين » حتى « سفر التثنية » فآتموا بذلك هذه « الأسفار الخمسة » التى لم يكن إلا لإضفاء الصفة الشرعية عليها نسبوها إلى موسى متنادين بأنها هى هذه « التوراة » التى أنزلت على موسى ! .

وهكذا فى ذلك العهد وفى أسر الفرات كتبت هذه « الأسفار الخمسة » التى لم تألفها إلا تخيلات هذا السبط من يهوذا والتى عن مدى مرتبة مؤلفيها فى عالم الأخلاق تفصح نصوصها أبلغ الإفصاح . . . أولاً من خلال تصويرهم موسى ، عليه السلام ، شخصية غامضة مبهمه شريفة لا عمل له إلا فرض الأتوات وذبج الضحايا ورش الدماء على الحيطان وأباهم اليد اليمنى واليد الشمال وإلا الصعود إلى « يهو » والمهبوط من لدنه ثم إسكانه « خيمة » يطلق صوته من داخلها بهذه « الأوامر » من أمور الترهات وانتهائهم بهذه الشخصية الكريمة إلى اتهامها بخيانة الرب ! . ثم من خلال تصويرهم الفاحش للوط ، عليه السلام ، وابنتيه ! . ثم من خلال إسفافهم فى تصوير إبراهيم عليه السلام ، وأهله إسفافاً هوى يهؤلاء إلى الدرك

الأسفل من الأنهار الخلقى الذى لم يدر بخـلدهم ، وهم فى حى سعيهم هذا ، مدى عمق الهوة إلى تردّوا فيها ! . فلقد نسوا كل شىء إلا غاية واحدة مستهدفين من ورائها التمهيد لعودة « بيت داود » و « مملكة يهوذا » ولهذا كان حتماً ، كما رأينا ، أن يتحول هذا « الوعد » فى يدهم من شخص إلى آخر حتى يصلوا به إلى « ذرية داود » أى هم أنفسهم ، أما وأنهم قد بدأوا به بإبراهيم فإن ذلك لم يكن ، كما قلنا ، إلا حبكة سياسية كىما تكسب قضيتهم الصبغة الشرعية . . فلقد انبثق هذا « الوعد » عن مصالح السياسة وتحولات به « الوعود » تحولاً يتسق وهذه المصالح دون ما أدنى التفات إلى ماسطوره من إسفاف فى المنطق وطفولة فى التفكير فقد كان « الوعد » لإبراهيم فحولوه إلى إسحاق ليخرجوا منه إسماعيل ! . . ثم حولوه إلى إسحاق ليحولوه إلى يعقوب أى إسرائيل ويحصره فى سلالة إسرائيل ! . . ثم حولوه إلى ذرية داود لينحصر ، وهم من مملكة الجنوب ، فى مملكة الجنوب دون الشمال وتعود « اليهودية » إلى الوجود ! . .

هذا هو الهدف الحقيقى من وراء هذه المحاولات المتكررة فى صورة انتقال هذا « الوعد » من شخص إلى آخر حتى ينتهى إلى « يهوذا » ومنه إلى « بيت يهوذا » ... فإن هناك شرياناً واحداً يجرى فى هذه « الأسفار » يمجّد « يهوذا » و « بيت يهوذا » وهذا الشريان هو الذى ينبض بفكرة « الأرض الموعودة » وهو نفسه هؤلاء الصهاينة الأوّل من « بيت يهوذا » الذين تعهدوا بفكرة « الأرض الموعودة » بالإلناء وحولوها إلى عقيدة هى فى حقيقتها ليست إلا فكرة نابعة لقيام الدولة وسقوطها فى « بيت داود » متخذين حجة على هذا التحويل « الوعد » من فرد إلى آخر بأن « يهو » كان ينسى « وعده » فيجده ! .

وهذا هو الهدف نفسه الذى دفع بهذه الفئة من سبط يهوذا ، هؤلاء الصهاينة الأول الذين حملوا لواء العودة إلى « صهيون » ، إلى كتابة هذه « الأسفار » التى لا يقوم الدين اليهودى الحالى إلا عليها ولا يتخذ يهود العالم اليوم حجبتهم فى ادعائهم بأحقيتهم بفلسطين إلا مما تشتمل عليه من نصوص هى هذه التى مازالت تحرم من حولها أنفاس اليهوديين منذ اللحظة التى نفثت فيها القدسية فى ذلك العهد الذى أعادهم فيه الفتح الفارسى لبابل إلى أورشليم حيث هناك بدأ بروز هذه « الأسفار الخمسة » المكونة « التوراة » على صفحة التاريخ الدينى ! ..

هذه هى « التوراة » !.

هذه هى « توراة » اليوم التى لم تكتب إلا بأقلام هؤلاء الصهاينة الأول وفى إياها الأسر الطويل على شاطئ الفرات التى ليس إلا على وهم من الإيمان بقدسيها منذ ذاك العهد الذى عاد فيه اليهوديون من الأسر إلى أورشليم حتى هذا العهد الذى يعيش فيه اليهود فى عالمنا الحاضر ، كان أن قامت ، كامتداد من هذه الصهيونية القديمة ، الدعوى الصهيونية الحالية بملكية فلسطين وافتعلت « دولة إسرائيل » ..

وهكذا توأد وهم عن وهم وجاء من باطل باطل ! .. فلا سند للصهيونية الحالية إلا هذا ، « النصوص » التى افتعلتها الصهيونية القديمة بهذه « الأسفار » التى طلعت مسيجة بالقدسية غداة عاد أبناء يهوذا من أسر الفرات إلى ظلال صهيون من جديد وهذا مما يجعل الغزو الفارسى ودخول « كورش » بابل فاتحاً من أبرز الأحداث فى تاريخ اليهود إذ لم تمر سنتان بعد دخوله بابل إلا وبدأت الفصيلة الأولى من اليهود رحلتها إلى الأرض التى كانوا قد خرجوا

منها قبل ذلك الحين بنمسين عاماً وعلى الرغم من أن هذا الجيل الجديد من أبناء
يهوذا الذي جاء فلسطين لم يجد الترحيب الذي كان له يشد ، إذ أنه قد وجد
أقواماً آخرين من « الساميين » وعلى وجه التحديد من العرب الذين تدفقوا
إليها من الصحراء السورية ومن شبه الجزيرة العربية إلا أن تولى « دارا الأول »
الحكم جاء بالجديد فلقد أقام « دارا » هذا والياً على اليهودية فرداً من « بيت
داود » نفسه هو « زربابل بن شالتيثل » وسمح لليهود بإعادة بناء الهيكل
فبدأوا في بنائه في السنة الثانية من حكم « دارا » وأتموه في السنة السادسة من
هذا الحكم ، عام ٥١٨ ق . م ، ومن هنا عادت أورشليم ، شيئاً فشيئاً ، مدينة
يهودية من جديد ومن جديد ترددت في هيكلها حشرات الضحايا المذبوحة بيد
أهل الكهنوت ... بينما تسارعت الأيدي السكهنوتية في تدوين هذه « الأسفار »
في نسخ كثيرة حتى يتم تداولها بين هذا الجيل الجديد من أبناء يهوذا الذين
تناولوها مغلفة بالقدسية وليسيجوها بدورهم بالتقديس ثم راحوا يورثونها
لأبنائهم جيلاً بعد جيل ولتتشبث بها من هؤلاء الأيدي ضئيلة بها من التبدد .
فلقد عانقهم من الإيمان وهم بأن يدهم قد امتلكت من آلهم صكاً شرعياً على
تمليكهم فلسطين وكل الرقاع المترامية من الفرات إلى النيل ! ..

هذا هو تاريخ بروز هذه « التوراة » على صفحة التاريخ الديني
وهذا هو الأصل في إحكام عقد عقدة .. « الأرض الموعودة » في صدر هذه الجماعة
إحكاماً كان في واقع الأمر محنة لهم لا منحة بما أصابهم به هذه العقيدة من مرض
نفسي تظهر عليهم أعراضه في كل مظهر من مظاهر حياتهم الخاصة والعامة ، لافي
صورة هذا التعالي والاستعلاء عن الناس « كشعب مختار » ولا في صورة هذه
العزلة التي أساطوا بها أنفسهم منكشيين في قوقعة تخيلاتهم ففسب وإلما في
إضمحارهم الإضرار بكل من سواهم واستحلالهم إيذائهم حتى القتل كما عن ذلك

يتفتق تاريخهم منذ ذلك اليوم الذي تكونت فيه هذه الجرثومة السرطانية في جسم المجتمع البشرى حتى هذا اليوم كصفة طمعت الجماعات منهم والأفراد على سواء إلا من فرد بين هؤلاء الأفراد أو آخر شدّ عنهم بطبعه فنبذوه بطبيعتهم! . وفي مقدمة هذه الأمثال كان من قد ألحنا إليه قبل قليل ، والى اليهودية زربابل ابن شلتئيل .. وهنا نرانا نتمهل قليلا لنستعرض صفحة هامة من تاريخ اليهودية فى ذلك الحين لما كان لها من أثر على الأجيال فيما بعد ... فان أفراد « بيت داود » الذين عاهدوا إلى أورشليم معترمين أن يعيدوا دولتهم الدائلة من جديد بملك كان لا بد أن يكون من نسل داود فانما هم قد وجدوا أن اليد الكهنوتية لا تمتد . وأنها كما مسحت من قبل شاول وداود وسليمان بالزيت المقدس ملوكا مسحاء تنأبى أن تمسح « زربابل » بهذا الزيت المقدس ملكا مسيحاً .

والواقع أن تفكير « بيت داود » فى قيام ملك منهم وبالذات من نفس « نسل داود » كان قد جاء فى غضون الأسر البابلي وكان حتماً له أن يحى طالما أن هذا الأسر كان قد اجترف « بيت داود » نفسه فى المقدمة وغدت سلالة داود فى هذا الأسر تعيش كما كان طبيعياً أن يمد دعاة هذا « البيت » إلى ذلك السبيل . . وبالفعل بدأ هؤلاء يعبدون الطريق وتزعم هذا الأمر « حجي » وإلى جانبه « زكريا » ، النبي العاشر فى سجل أنبياء اليهودية الإثني عشر، كما بذلك تأتينا الأدلة تترى من خلال سفرهما ، آخر سفرين قبل السفر الأخير فى « العهد القديم » .. وأما الآن وقد أعادهم الفرس إلى أورشليم فعاد إلى أورشليم « بيت داود » وعلى رأسه سليل داود نفسه وأبرز فرد فيه « زربابل بن شلتئيل » وهذا قد عيّن من قبل الفرس والياً على يهوذا فإن الهدف أمام بيت داود ودعائه يلوح وشيك التحقيق ولا يتوقّفن ذلك إلا على مؤازرة الكهنوت وعلى رأسه الآن « يهوشع بن يهوه صادق » وليس على

هذا الكاهن الأكبر إلا إعداد « المسحة » لمسح زربابل وإشعار الساطان.
الفارسي بإعلان هذا الوالى ليهوذا ملكا على يهوذا لاسيما ودعاة بيت داود قد
أطلقوا أصواتهم من منطقة الجليل إلى حيث تجاوبت فى أورشليم ..
والكن !..

أهل الكهنوت الذين كانوا قد لبثوا ، منذ هوت أورشليم وهُدم
المعبد الأول عام ٥٨٦ ق . م ، يتخيلون هذا « الملك المسيح » صاحب عرش
يفتح بيت المقدس بالسيف ويعيد فيها الدولة الدائلة ، قد عادوا بعد العودة من
الأسر ، عام ٥٣٦ ق . م ، يطمعون هم أنفسهم فى هذا الملك ومشاركة بيت
داود فى الحكم وساعدهم على ذلك وداعة « زربابل » هذا الملك المنتظر والوالى
الحالى لليهودية الذى رآته أورشليم حاملا الحجارة على كتفيه لإعادة بناء المعبد
وتراه فى تنقلاته « راكباً على سحار تارة وتارة أخرى على جحش ابن أتان » كما
إلى ذلك يشير الإصحاح التاسع من « سفر زكريا » .. ومن ثم فإذا أراد بيت
داود لنفسه أن يعود فذلك أمر يعترضه شرط كهنوتى واحد وهو أن يكون
الحكم بين « زربابل » و « يهوشع » مشاركة ...

بيد أن هنا تميد هوة فى تاريخ اليهودية غاب فيها « زربابل » وكأنما
لم يكن له وجود على الإطلاق بينما راح يرفُّ عايتها صمت عجيب تحولت به
مرة واحدة ، عام ٥٢٠ ق ، عن « زربابل » سليل داود والجد الأعلى ليوסף
النجار ، دفة التاريخ ..

وهكذا أخفق « بيت داود » وانتصر « بيت صدوق » من
أهل الكهنوت الذين راحوا مع الأيام يدفعون بهذا البيت إلى التوارى فالانفمار
فى ركب الحياة وزحام المعاش بينما انتقل الحكم نهائياً إلى اليد الكهنوتية .

وهكذا هدمت اليد الكهنوتية « مُلك يهوذا » .. وفي غفلة عن أن عقيدة « الأرض الموعودة » لم تكن إلا لإعادة « بيت داود » امتدت هذه اليد مخومة تقبض في تشنج على « الأرض الموعودة » وتدير دفة المعتقد الديني إلى الناحية التي تماشى مالها من مصالح شخصية ، ومن هنا أخذ الكهنة في وضع حكم ديني قالوا إنه يقوم على المأثور من أقوال السلف وتقاليد الآباء وعلى « أوامر الرب » .. وتزعم « عزرا » هذا الأمر فدعا الجماعة اليهودية ، ٤٤٤ ق . م ، إلى ما أسماه « اجتماع خطير » وأخذ يقرأ عليهم ماسماه « شريعة موسى » التي لم تكن في واقعها إلا تلك « الأسفار الخمسة » التي دجها يراع أولئك المؤلفين اليهوديين الذين حسبوا أنهم قد مهدوا بها الطريق لإعادة « مُلك يهوذا » .. وعندما فرغ « عزرا » من قراءتها أقسم الجميع على أن يتخذوا من هذه « الشرائع » دستوراً يسرون وفقه .. وبهذا عملوا بالفعل فقد ظلت هذه « الشرائع » دستوراً يسرون وفقه حتى اليوم ، فهو المحور الذي تدور من حوله الحياة الخاصة والعامة لهذه الطائفة الدينية ولا يزال تقيدهم به من أهم الظواهر المستمرة في معاملاتهم مع من سواهم من الناس فمذ تلك اللحظة التي ناول بها « عزرا » المجتمع اليهودي هذه « الأسفار » كتاباً « مقدساً » وعلى هذا المجتمع قد خيَّمت ، بلونها القديم ، ألوهية « يهوه » ورف دين يشوع ابن نون ! .

هذا هو ما يسميه اليهودُ بالإصلاح الديني الذي جاء به هذه الشخصية الكهنوتية التي نراها واضحة من خلال سفرها ، « سفر عزرا » ، غداة غيبت اليد الكهنوتية « زربابل » وبدأت تدفع « بيت داود » إلى الخلف .. ولكن ! . هذه الشخصية الكهنوتية التي هبت تؤيد الحكم الكهنوتي قد تمهت إلى أن هذه الجماعات التي تخاطبها إنما هي قد وعت أحداث الماضي

الشعب الثلاث ؛

الشعبة الصدوقية . والشعبة الأسينية . والشعبة الفريسية .

فأما « الشعبة الصدوقية » فهي الجانب الكهنوتي المتمثل « في بيت صدوق » ويؤازر هذا الجانب العدد الأكبر من أصحاب الثراء المادى وفي ركبها تسير الجماعات . . هذه الشعبة ، التي أنشأت الـ « ساندهارين » وجعلت من هذا الجمع الدينى اليهودى مقراً لحكمها فى تمسكك بألوهية « يهوه » وتثبت بتعاليم يشوع ابن نون ، هى التى رفضت رفضاً حاسماً نسام الروح الهابة بعطر الخلود وحجبتها أن « توراتها » تتعارض وعقيدة الخلود .

وأما « الشعبة الأسينية » ومن هذه « الشعبة » سيكون « يوحنا المعمدان » فهى ليست إلا رجوع النصدى للمذهب الفيثاغورى والمذهب الغنوصى معاً ! . ومن هنا اعتنقت الحب ديناً ولفظت الطقوس الدموية ورش الدماء فنبذت التطهر بالدم إلى التطهر بالماء حتى أصبح الاغتسال شعيرة مرعية فى صلب مذهبهم وتخلت عن الممتلكات الشخصية وآمنت بخلود النفس فتخلت عن دين يشوع بن نون ! . .

وأما « الشعبة الفريسية » وهذه التى سيكون منها يوسف « النجار » حفيد « زربابل بن شلتئيل » ، فهى هذه الفاحية التى اعتنقت الأفلاطونية والرواقية معاً فذابت عنها مادية السلف ذوباً تاماً وبلغت من الشفافية المذى الذى أضفى عليها لوناً من الصفاء الروحى بلغ بها الذروة من طهارة الخلق ومكارم الأخلاق حتى أصبح « الطهر الفريسى » مثلاً وحتى غدا التفانى فى ضروب الأعمال الصالحة طابعاً مميزاً فيهم وأما الزهد فقد أمسى طابعهم الذى بدأ به انسلاخهم شيئاً فشيئاً عن « يهوه » إله إسرائيل إلى ألوهية إله غالى هو « الأب الرحيم » . . وواكبت هذه النزعة هذا الزهد الذى أخذ يشتد عليهم ظهوراً كلما اشتد

و « الأمثال » و « الجامعة » هو الذى اتخذ مظهره هذا فى الحد من طغيان الصدوقيين .. هذا الطغيان الذى استهل تاريخه منذ دُفع « زربابل » فى هوة التاريخ والذى ، بالتالى ، بلغ مداه منذ قام « عزرا » بتلو « الشريعة » ثم أسفر فى الأحوال السياسية والاجتماعية التى كانت تمر بها أورشليم وقت كتابة هذه الأسفار الرئيسية مما يجعل الزمن نفسه يرهص إلى ظهور « مخلص » ينشر على الأرض حكم السماء ..!

ملك ؟

إن المُمْلَكُ مورث التعاق بأهداب الماديات والأيدى التى جرت فسطرت هذه الأسفار وإنما هى أيدى قد سطرته بإملاء نفس تأملت هذه الدنيا فنفضت أيديها هذه من كل الماديات ..! ومن ثم فالخُلَصُ الذى تدفع لظهوره الأحداث لن يكون ملكاً يرفع يده بصولجان وإنما سيكون روحاً هى مرآة عاكسة لروح السماء ..! ومن ثم سيكون من صفاته التجرد عن هذا التكالب على جمع المال ..! لن يجمع الفضة والذهب ويكيلها بمتقال بعد متقال وإنما بيدٍ سيبدد هذا السراب وبالأخرى سيجمع البشر كافة فى رحاب أخوة عالية ويربط فيما بينهم برباط المحبة والسلام ويعلمهم إلقاء الأعمال الصالحة بذوراً ، لن تفسد أبداً ، فى تربة السماء ..! ومن ثم تصبح الأرض مملكة حكمها حكم السماء ، الكل فيها سواسية وصالح الأعمال فيها أنفس المقتنيات ..!

من ثم ...

فإن هذا « الخُلَص » لن يحتاج إلى مسحة من الكهنوت ..! لا لأن الذكريات عن « زربابل » جذوة ثاوية تحت رماد الأيام تلهب الخيال فحسب ولا لأن قيام « مملكة السماء » على الأرض لن يحتاج إلى تأييد كهنوتى فحسب

« يسوع » ا .

تلك هي الفترة الزمنية التي نرى من خلالها انقسام اليهودية إلى فئات من حول الحامل هذا الاسم . فئة تراه الابن الأكبر ليوسف ... ولما كان يوسف حفيد زربابل نئسه وسليم ببت داود وما لقَّب « النجار » الذي علق به إلا دلالة على احترافه صناعة النجارة وعلى ما آلت إليه حالة آل داود بعد زربابل فقد رأت أن يسوع ، وقد ثوى الآن يوسف ، هو الشخصية الجديدة بأن يكون « المسيح » . وفئة أخرى ، وهذه كانت طائفة الكهنوت من بيت صديق ، رأته متحدياً لسلطتها وليس هذا الخسب وإنما هو قد جاء ، في صورة التكميل ، ناقضاً لشرائع دين لم يتناوله التبديل منذ قننه عزرا على أساس كان قد وضعه يشوع ابن نون ! . ولهذا الطائفة الكهنوتية يؤازر « بيت ميرود » وهذا يراه ثائراً على العرش ! . وبين تكاتف هذه الفئات المناوئة عصفت عواصف السلطة الزمنية والدينية معاً ومرة واحدة اغبرت الآفاق بينما نرى يسوع من خلالها وقد أصبح روحاً في أفق الخلود ! .

إن المجال ليس بمجال التحدث عن المسيح والمسيحية إلا من الإلماح إلى ما لقيه المسيح ، عليه السلام ، من اضطهاد ومحاربة من اتباع يشوع ابن نون مما يجعل كل محاولة يقوم بها يهود اليوم لتبرئتهم مما يعتبره المسيحيون دماً قدسك محاولة ترفضها رفضاً باتاً ذمة التاريخ ! .

راجعوا « العهد الجديد » وتصفحوا بدقة وعناية صفحات « الأناجيل » تنتشر أمامكم قصة محنة السيد المسيح .. وبعد ذلك ستعلمون أن أى قرار يُبْرىء اليهود من « دم المسيح » ليس إلا مؤامرة استعمارية لاصلة لها

ولذلك ؛

« من الواجب الدينى أن يلعن اليهودى ، كل يوم ، ثلاث مرات
رؤساء المذهب المسيحى ! . »
بل إن ؛

« من الواجب الدينى على كل يهودى أن يلعن المسيحيين ، كل
يوم ، ثلاث مرات ويطلب من إلهه أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم ! . »
إن من الواجب ؛

« على اليهود أن يعاملوا المسيحيين كحيوانات دنيئة غير عاقلة ! . »
لذلك فإن ؛

« العهد مع المسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود به ! . »
ولذلك ، تُعتبر ؛

« كدائس المسيحيين كبيوت الضالين ومعابد الأصنام ، فيجب
على اليهود تخريبها ! . »
بل إن ؛

« قتل المسيحى من الأمور الواجب تنفيذها ! . »
اعلموا ؛

« أن كل مسيحى هو عدو لليهود واليهود ! وليس من العدل أن
يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم ! . »
ولكن ! .

هنا تنبهوا ! .

إن المسيحيين ليسوا هم وحدهم أعداءكم وإنما سائر الأمم ، يأياها
اليهود ، لكم أعداء ، لأنهم لا يدينون بدينكم ولذلك فإنه ؛

كيف ؟ ...

« إن حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ »

ومن ثم تنبهوا ! ..

« إذا احتاج غير اليهودى بعض النقود فعلى اليهودى أن يستعمل

معه الربا المرة بعد المرة حتى يعجز عن سداد ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله ! .. »

ولذلك ؛

« لليهودى أن يستحل فى معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ، كل

وسائل الغش والخداع ! . »

وإذن ! .. ؛

« إزاءء أمامك ، بدعوى ، يهودى وغير يهودى فإذا أمكنك أن

تجعل اليهودى راجحاً فافعل ! . »

كيف ؟ ! ..

« استعمل الغش والخداع فى حق غير اليهودى حتى تجعل الحق

لليهودى ! . »

ولذلك ؛

« مُصرِّح لك أن تحلف أيماناً كاذبة ! »

أجل ؛

« لليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يُعرِّض أحد إخوانه

اليهود لضرر ما ! .. »

بل .. ؛

« يجوز لليهودى أن يشهد زوراً وأن يقسم بحسب ما

تقتضيه مصاحته عند الزوم ويؤول ذلك في سره ! .. »

ثقوا ! .. ؛

« إن كل خير يصنعه يهودى مع غير يهودى هو خطيئة عظمى !

وكل شر يفعل معه هو قربان ليهوه يثيبه عليه ! .. »

كل شر يفعله اليهودى بغير اليهودى هو قربان ليهوه ، حتى السلام
غير جائز ! .. فامنا ؛

« محظور على اليهودى أن يُحيي غير اليهودى بالسلام ما لم يمش
ضرره أو عداوته والنفاق جائز في هذه الحالة ، فلا بأس من ادعاء محبة غير
اليهودى إلى غير اليهودى إذا خاف اليهودى من أذاه !

ولذلك مصرح لليهودى أن يوجه السلام إلى غير اليهودى ولكن
على شرط أن يستهزئ به سراً ! .. »

ولكن ! .. تنبهوا ! ..

« لليهودى أن يستحل في معاملة غيره ، فيما عدا اليهود ،
كل وسائل الغش والخداع ! .. »

بل والقتل أيضاً ! .. »

القتل ؟ ! .. نعم ، القتل بدون استثناء ! .. ؛

يا أيها اليهودى ! .. اقتل ! .. ؛

« حتى الصالح من غير اليهود

حلال قتله بيد اليهودى ! .. »

اقتل ! .. ؛

« اقتل الصالح من غير اليهود ! فإِنما محرّم على اليهودى أن ينجى أحداً
من غير اليهود من هلاك . »
كلا .

« لا يصح لليهودى أن ينقذ حياة أحد من غير اليهود . . »
لا تشفقنّ . .

« إن الشفقة ممنوعة بالنسبة لغير اليهودى !
إذا رأيته واقعاً فى نهر أو مهدداً بخطر فيحرم عليك أن تنقذه .
إذا رأيته واقعاً فى حفرة لا تنقذه بل عليك أن تسدها عليه بحجر . . »
هذا هو العدل . . فإِنما ؛

« من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل غير يهودى !
لأنّ من يسفك دم غير اليهودى يقربّ قرباناً إلى يهوه . . »
يا أيها اليهود . . لا تتوانوا ! ... فإِنما ؛
« على اليهودى أن يقتل من يتمسكّن من قتله فاذا لم يفعل
ذلك يخالف الشرع . ! »

هذه هى شريعتكم ، يا أيها اليهود ، وأنتم فى حال السلم وأما فى
حال الحرب فأعلموا أنه ؛
« إذا انتصر اليهود فى موقعة وجب عليهم استئصال أعدائهم عن بكرة أبيهم . . »
اعملوا بذلك ، يا يهود العالم ، فإن ؛
« من يخالف ذلك فقد خالف الشريعة . . »

يا يهود العالم . .
هذه شريعتكم شريعة إلهكم « يهوه » الذى اختاركم لنفسه

« شعباً مختاراً » .. لا يتخلفن أحد منكم عن العمل بأوامرها حتى يسرع الزمن
فيأتي ؛ « مسيحكم » فإنه ؛

« لا يأتي المسيح الحقيقي إلا بعد انقضاء حكم الأشرار هؤلاء
الخارجين على دين بني إسرائيل .. »

سارعوا إلى العمل بأوامر شريعتم حتى يسرع الزمن و ؛
« يأتي المسيح ... وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وكل
الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له ؛ وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان
وثمانمائة عبد يخدمونه ! . »

عند ذلك ،

« يتحقق أمل الأمة اليهودية .. وتكون هي الأمة المتسلطة على
باقي الأمم ! . »

وأما حتى ذلك الحين فإن ؛

« اليهود يعيشون في حرب عوان مع باقي الشعوب منتظرين
ذلك اليوم يوم يأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر المرتقب ويحكم اليهود
نهائياً باقي الأمم يوم يكون اليهود قد أصبحوا غاية في الإثراء لأنهم
يكونون قد حصلوا على جميع أموال العالم ! . »
يومذاك ! .

يومذاك ، يا يهود العالم ، ستكون أيامكم كلها أعياداً
كأيام هذين العيدين المقدسين ، عيد « البوريم » وعيد « الفصح » .. هذين

العبيدين الذين لا تتم لكم فيهما الفرحة إلاّ بأكلهم الفطير المزوج بالدماء البشرية ! .. (١)

نعم ! ...

« عندنا مناسبتان دمويتان "ترضيان إلهنا بهوه .. عبد الفخائر المزوجة بالدماء البشرية ! . »

والآن ؟ ..

الآن هذه هي خلاصة تعاليم التلمود وأصول الشرائع التلمودية التي جاءت تفرض هذا القدر المحتوم للذين يعيش اليهود بينهم أو تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وكان المقصود بذلك هم المسيحيون أولاً و بالتالي أصحاب الأديان الأخرى، قبل أن تشمل هذه التعاليم الإسلام ..

وأما الآن والتعاليم التلمودية لا تقتصر على حسب هذا القدر المحتوم على المسيحيين وحدهم وإنما على المساهين وعلى كل أصحاب دين من غير اليهود فإنّ الأمر ليس بالمهل البسيط ! .. أقول ذلك وأؤكد لأنّها الحقيقة التي يخفونها عنا والتي لا يستطيعون أن يتخافوا عنها ما لم يتخافوا عن دينهم نفسه ! .

إن نظرتهم إلى أنفسهم تفرض عليهم أنقلنا لأنّها هي صلب دينهم وصميمه وليس ذلك إلاّ لاعتبارهم أنفسهم « الشعب المختار » وأنهم وحدهم هم البشر الحقيقيون ومن عداهم فهم من نسل تلك الشيطانة التي اتصل بها آدم وأولئك الذكور من الشياطين الذين كانت تتصل بهم حواء ! . لذلك وضعوا من سواهم من أصحاب الأديان الأخرى في مرتبة السائمة ولذلك حاسب « التلمود » ذمتنا

(١) راجع الأسانيد الخاصة بهذه « الذبائح البشرية » تجددها في صفحة « المراجع » الخاصة بهذا البحث .

دون تمييز بين شيخ منّا أو طفل فالإبادة هي مصير البشرية من غير اليهود في شريعة « الأسفار الخمسة » و « التلمود » .. ومن ثمّ فالقتل هو نصيب أهل البلاد التي أهداها « يهوه » لشعبه « المختار » من نهر مصر إلى نهر الفرات أو لا ثم ، بالتالى ، كل العالم ! .

أجل ... هذه هي خلاصة الشرائع التلمودية التي جاءت تفرض هذا القدر المحتوم للذين تدوس أقدام اليهود أرض بلادهم وما ذلك إلا لأن « التلمود » هو تقنين الدين اليهودى فى جوهره وتفسيراً للصفة المادية التي تتصف بها « الأسفار الخمسة » ولذلك عرف بأنه « التوراة الشفوية » وليس ذلك إلا لأنه المرآة العاكسة لما فى « الأسفار الخمسة » من تعاليم تجمعها وإياها صنفون بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر وأنها يمثلان وجهين لعملة واحدة ! ..

أجل ! . هذه هي خلاصة الشرائع التلمودية التي تُمثّل أصدق تمثيل الدين اليهودى الحالى « دين الأسفار الخمسة » التي كتبها اليهوديون الذين أسسوا الصهيونية . فإنّما الصهيونية ، والصهيونية تعتبر الامتداد الطبيعى للدين اليهودى والتطور التاريخى لهذا الدين ، هي نفسها الامتداد الطبيعى للشرائع التلمودية .. وإذا كانت الصهيونية تستمد الركائز لدعوتها الإجرامية من « الأسفار الخمسة » فإنّها هي تستمد دستورها الرهيب من هذه « التوراة الشفوية » التي يتخذها يهود العالم ، لا الصهيينة وحدهم فحسب ، دساتير ساروا عليها حتى العصر الحاضر منذ ذلك العصر الذى انتهت فيه أيدي الحاخامات من كتابتها فى زمن كان تاريخه قبل مشرق الرسالة الإسلامية بقليل وكان فى خلاله قد عمّ انتشار هذا التلمود بين يهود العالم والعمل بها جاء فيه شاملاً تلك

البقعة من شبه الجزيرة العربية والتي كانت تسمى « يثرب ! . . » . وهذا لنا كلمة نقولها وهي ؛

إنَّ الإسلام حينما جاء ، جاء وهذه الشرائع التهودية كانت هي الدساتير المعمول بها عند يهود شبه الجزيرة العربية كما كان الدين اليهودي دين « الأسفار الخمسة » فيها مُمثلاً ومن هنا نفهم لماذا جاء القرآن الكريم مُرشداً إلى أن ما في أيدي اليهود من توراة هي توراة افتروها على موسى عليه السلام « يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ! »^(١) ومن هنا نفهم لماذا نسخ الإسلام ، مع اعترافه برسالة موسى ، لهم ديناً لا يعود بتكوينه إلا إلى هذه « الأسفار الخمسة » أو « التوراة المكتوبة » وإلا إلى هذا « التلمود » أو « التوراة الشفوية » والأولى قد ألفها اليهوديون مؤسسوا الصهيونية الأولى والآخر قد ألفه الحاخامات من رؤساء هذا الدين الذي يستحل ذبح من لا يدين به واستنزاف دمه قطرة بعد قطرة ! .

جاء الإسلام فوجدهم يعبدون رباً رمزاً هو للهِمجية والوحشية يسمونه « يهوه » ويدعونه إله إسرائيل ويلقبونه « رب الجنود » ويصورونه سفايحاً متعطشاً لسفك دماء البشرية من غير اليهود ، الشعب المختار هذا الذي عليه أن يقدم القرابين البشرية لإرضائه ومزج ما يستنزف من دماها بقطير كل عيد ! . ثم هم يحتكرون أنفسهم له ويحتكرونه لأنفسهم ويريدون إحلاله على عرش الألوهية مكان « الله » رب العالمين . . !

جاء الإسلام فوجدهم يقدسون « كتاباً » هو صورة للبهادة تكشف عن حقيقة تكوين هذا الدين بما نسبوه فيه للأنبياء والمرسلين من

(١) سورة البقرة .

ارتكاب المعاصي والذنابل والفجور ، وبما أباحوه فيه من ألوان الانحلال الخلقى والسرقة ، وبما انتهجوه فيه من أساليب فى الحياة ملتوية كل الاتواء تناولت نفس « الوصايا العشر » التى جاء بها موسى ، عليه السلام ، يوم جاء لهدايتهم فأبوا عليه إلاّ تمرداً وتأسراً وخيانة ! . . فان هذه الوصايا الزاهية عن القتل والسرقة والزنى لا تؤخذ لديهم إلاّ على معنى لا نقىل اليهودى ولا نسرق اليهودى ولا نزن باليهودية ! . .

جاء الإسلام فوجدهم يتداولون « تلموداً » مثلاً على الفحش والذيلة والانحلال يهاجمون فيه السيد المسيح ، هذا الذى سغه بدمائمه أحلامهم وشدّ عن خططهم الجهنمية رأساليهم الملتوية فى الحياة ، بأسلوب قذر وهم ينكرونه ولا يعترفون برسالته ولا يقتصرون على ذلك وإنما هم يتناولون إلى عرض مريم نفسها فيرمونها بأشنع رمية بينما جاء الإسلام يعترف بابن مريم مسيحاً وروحاً إلهياً و « كلمة الله » المتجسدة لهداية البشرية وأما مريم فيصون شرفها فى نظرة قدسية سامية ، وينعتها بأطهر نساء العالمين قاطبة . ثم هذه الصوامع مراكز الرهبان وهذه الكنائس مراكز القسيسين يعتبرها اليهود مكان قاذورات ، ولا يعتبرها الإسلام إلاّ مراكز لإشعاع الطهر والحب والسلام ! .

جاء الإسلام فوجدهم يعيشون على الربا ويتوصلون بواسطة هذه القاعده الأولى التى يتركز عليها كيانهم إلى خططهم الإجرامية المادفة إلى استعباد من سواهم من البشر ! . . وجدهم يستخدمون هذا السيف البتّار للنظام الاجتماعى فى تحقير من سواهم وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم ! . وجدهم يتخذون رائداً القتل الفردى والقتل الجماعى ، تارة عن طريق الذبح وتارة أخرى عن طريق تسميم الآبار فيخربون البلاد التى يعيشون فيها ولا

يحفظون لأهلها جواراً بل ويمعنون بين جنباتها تخريباً وفساداً مما يجعلهم
يكونون فيها بؤرة بغى وفساد ومنكر ! .

ومن ثم كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى مكارم الأخلاق
وبين دين يدعو إلى الفحشاء بنشر الرذيلة حيثما كان ويحارب الفضيلة في كل مكان
فإنما هم ؛

« لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ! . » ^(١)

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يدعو إلى التواضع والدعة
ولا يفرق بين عربي وغير عربي إلا بالتقوى وبين دين يدعى التعالى ويتزعمه
الغرور ويملاءه البغض والحقد والكراهية لسائر الشعوب ! .

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يحتم المساواة بين الناس
ويدعو إلى البذل والعطاء وعدم خزن الفضة والذهب وبين دين يرى سائر
الناس شياطين أو سائمة ويعتبد الفضة ويؤله الذهب ! .

كان طبيعياً أن يقع الصدام بين دين يرفع من شأن إبراهيم ولوط
وموسى ومسيح وابن مريم وبصفتهم بألوان من الحماد وبين دين ترميهم كتبهم
بأرجس الصفات فالتوراة تصف إبراهيم بالفسوق ولوطا بالفحشاء وموسى
بالخيانة ! . و « التلمود » يقدح في « كلمة الله » ويتناول عرض « البتول »
وينالها بالمثلث في تعريض صارخ ! .

هذا هو السر في التفرقة التي وضعها القرآن الكريم بين موسى
و « صحف موسى » وبين اليهود وصحفهم هذه من « توراة مكتوبة » ومن

« بوراة شفوية » ! أو هذه « الأسفار الخمسة » وهذا التلمود ! .

هذا هو السر في إلغاء الإسلام لهذا الدين اليهودي الذي كان وبأوه قد انتشر وداؤه قد استشرى لا في « يثرب » فحسب ولا فيما حول يثرب فحسب وإنما في أطراف شبه الجزيرة العربية عند مشرق الإسلام ! .

هذا هو السر في استئصال الإسلام لهذا السرطان من جسم المجتمع العربي والذي كان لا ينمو إلا على حساب الفتك به فتكا لا شفقة فيه ولا رحمة ! .

هذا هو السر في محاربة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ليهود شبه الجزيرة العربية وأما في استئصاله شأفة من هناك منهم فلم يكن ، عليه السلام ، إلا أول محارب لأسس الصهيونية والعامل الأول في حقل التاريخ الذي استطاع معوله اقتلاع جذور ذلك النبت الضار من هناك قبل أن يتفاقم نموه كما نما في غيرها من البلدان وأثمر هذه الأشواك السامة التي تلتفح سموها في عالم الشرق الأوسط الآن ! ! .

هذا هو الواقع التاريخي ..

ومن ثم فإنني إذا قلت إن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، كان أول محارب لأسس الصهيونية وأنه قد تمكن من اقتلاع نبتها من تربة شبه الجزيرة العربية فإنني بقولي هذا أكون قد قررت واقعاً تاريخياً وأما إذا قلت إنه ، عليه السلام ، قد حاربها محاربة إيجابية بأن ألغى إلغاء تاماً الدين اليهودي الحالي فإنني أكون قد قررت حقيقة تاريخية لأن الصهيونية هي اليهودية واليهودية هي الصهيونية ! . فما اليهودية والصهيونية إلا وجهان لجسم ممسوخ واحد يكتمان للتعمير عن داء واحد خبيث ! .

كيف ؟ .

هذا سؤال يشارف بنا الهدف من موضوع هذا البحث
ويجابهنا نفسه بهذا السؤال :

ما هي الصهيونية وما هي اليهودية ؟ .

وما هي الرابطة بين الصهيونية واليهودية ؟ .^(١)

في الواقع أن اليهودية كدين وأن الصهيونية كحركة سياسية
لا يختلفان . . فأنما اليهودية كدين ليس ديناً كسائر الأديان لأنه دين لا يعبر عن
طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر أيضاً عن حركة سياسية امتدت أصولها منذ أن
قُوض « بيت يهوذا » ودالت « دولة يهوذا » وزالت من خريطة الوجود . .
ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية منذ ذلك التاريخ . . منذ ذلك التاريخ
أصبحت اليهودية والصهيونية صنوين بمعنى أن أحدهما لا يفترق عن الآخر
وأصبحتا تمثلان وجهين لمشكلة واحدة ومن هنا يحىء مفهوم الصهيونية وهو
أنها الحركة اليهودية التي تسعى بكل قواها وبكل ما تستطيع اتخاذه من الوسائل
إلى إعادة « مملكة اليهودية » وبناء هيكل سليمان على أنقاض « المسجد الأقصى »
ومن ثم السيطرة على العالم وحكمه من القدس على يد ملك يهودى هو « المسيح
المنتظر » ومن هنا عرفت الصهيونية بأنها « الامتداد الطبيعي لليهودية والتطور
التاريخى لهذا الدين » وهذا هو الواقع التاريخى لأن الدين اليهودى
لا يعبر عن طائفة دينية فحسب وإنما هو يعبر عن حركة سياسية أيضاً بدأ عملها
الجدى منذ أдал البابليون من « مملكة يهوذا » .

(١) دائرة المعارف البريطانية (ZIONISM)

بقصد بناء الدولة الجديدة من الفاحية العمالية كأرض منفتحة من الإلته !
ومن ثمّ فلا يمكن تدمير الصهيونية إلا بتدمير اليهودية ..
« وايزمان »

هذه هي الحقيقة فإنه ؛

« حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشطين تكون اليهودية
حيّة فعّالة ! » (١)

« شختر »

هذا هو الواقع ولذلك وضح المؤتمر الصهيوني الأول هذه الحقيقة
بصورة صريحة أعلنت ؛

« إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية »
« هرتزل »

هذه هي الحقيقة . فإن بين اليهودية ، كدين ، وبين الصهيونية
كحركة سياسية ، صلة ليست بالوثيقة فحسب وإنما هي واحدة لأن الصهيونية
لا تستمد مبدأ وجودها إلا من اليهودية ... فالركّز التي تركز الصهيونية
عليها في دعوتها السياسية هي « الأسفار الخمسة » والدستور الذي تسير وفق
تعاليمه هو « التلمود » فإن ؛

« الشعور الديني هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامها هذا
الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات الدينية والمبنى على أقدم الذكريات للبلاد
التي نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى والتي مارس اليهود فيها حريتهم ! »
« هرتزل »

(١) سولومون شختر « ١٨٤٧ - ١٩١٥ »

ومن هنا كان ارتباط اليهودية بالصهيونية بمعنى أن اليهودية قد ظهرت على حقيقتها تحت هذا الطابع الصهيوني البحت . وأما لماذا نشأ في أذهان الكثيرين أن الصهيونية شيء واليهودية شيء آخر فليس ذلك إلا لأن مفكرى اليهود قد حرصوا ، منذ مستهل الدعوة الصهيونية الحديثة ، على ألا يكشفوا عن هذه الحقيقة بدافع من حرصهم على إخفاء نواياهم الحقيقية محاولين أن يخلعوا على إعلان « الحركة الصهيونية » وأهدافها ومبادئها وبرامجها ثوباً إنسانياً عاماً بأن راحوا يوهمون العالم بأن الهدف منها هو مد يد المساعدة إلى اليهود «المضطهدين» في أرجاء العالم والبحث لهم عن ملجأ يحميون فيه ويحيون فيه لغتهم ويمارسون فيه طقوسهم الدينية بحرية تكفل لهم الطمأنينة وأما أنهم يطلبون فلسطين ملجأ فليس ذلك إلا لأنها لبني إسرائيل «منحة إلهية» ! . هذا من ناحية وأما من ناحية أخرى فقد خشى اليهود أن يكون لإعلان الحركة الصهيونية رد فعل ضد اليهود في بعض الدول الغربية التي كانت قد اضطرت إلى التنكيل بهم بالفعل نتيجة حتمية لمخاربتهم الاقتصادية إياها في الخفاء ولاستنزاف دماء من كانت تقع عليه أيديهم من أهلها عملاً بشرائع التلمود .. ولذلك نفى الصهاينة كل صلة بين الحركة الصهيونية وبين مجموع اليهود في العالم زاعمين أن الحركة الصهيونية حركة مستقلة ، وخاصة بعدد قليل من المفكرين اليهود ولكن ! . الواقع التاريخي القديم يثبت بطلان هذا الزعم بشكل لا يقبل الجدل ويؤيده الواقع التاريخي الحديث وهذا مستمد ، نفسه ، منهم ! . فإنما هم أنفسهم الذين أعلنوا هذه الحقيقة الصارخة صريحة تقول :

« إن العقيدة الصهيونية ليست إلا الإيمان باليهودية وما تعنيه

من مفاهيم وتاريخ وعادات وتقاليد من ناحية الهجرة إلى فلسطين للإقامة ..

هذا هو مفهوم الصهيونية وأما الصهيونية في مبناها ومرماها فقد تبيننا أنها حركة تابعة لقيام الدولة وسقوطها في « بيت داود » وأما اسمها هذا فليس إلا كلمة اشتقت من اسم « صهيون » كانت كنعان قد أطلقتها على ذلك الجبل الواقع ناحية الشرق من مدينة « القدس القديمة » ، « أورشليم » ، بمعنى الصون والتحصين لأن المكان كان قعلا من حصون الروابي العالية . وأما المرحى من وراء اتساب الصهاينة إلى هذا الجبل فحجتهم الجوهرية هي هذه النصوص :

« وأخذ داود حصن صهيون وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود ! . » (١)

هكذا هو الأصل من هذه الكلمة وهذا هو مصدر النشأت بها ! . . . فإذا نأت « صهيون » هي « مدينة داود » فمبنى ذلك ، أن « صهيون » هي عاصمة ملكوتهم ورمز مجدهم ومن هنا بدأ تاريخ الصهيونية في الانتشار كحركة تبعت قيام الدولة وسقوطها في « بيت داود ! . » وهذه هي حقيقة الصهيونية في واقعها التاريخي ، حركة سياسية قديمة تعود بأصولها إلى أعقاب الغزو البابلي لأورشليم . . . فإن أولئك اليهود الذين كانوا قد سيقوا إلى بابل أسرى ، عام ٦٠٦ ق . م ، كانوا هم أنفسهم بذور الصهيونية . . . أولئك هم أول من ترنم باسم صهيون ذلك الترنيمة الذي ولد فكرة « العودة » إلى صهيون . . . فلقد ارتسمت هذه « الفكرة » في عقولهم عن طريق التباكي والبكاء والمرثى والرثاء والنواح على دولة دالت وأرض انقطعت بينهم وبينها الصلات فلم تعد إلا ذكرى تتردد

(١) الأصحاح ٥ « سفر صموئيل »

وترانيم تنغني وآهات تنفس عن صدور كليلة لجسد بال يريدون أن يبعثوا فيه الروح من جديد . . . هذه هي حقيقة الصهيونية في واقعها التاريخي ، وهذا هو أصل هذه « الفكرة » التي بدأت منذ ذلك العهد تمر بمراحل كان لها تأثيرها النفسى في تاريخ هذه الجماعة الدينية . . . ومن أبرز هذه الحركات على التاريخ ظهوراً كانت حركة « يهوذا المكابى » في عهد أنطيوخوس الرابع ، أيفانوس ، الذى بدأ حكمه عام ١٧٤ ق . م . وكانت هذه الحركة من أشد الحركات عنفاً وعتواً حتى أنها تمكنت من ترديد اسم صهيون من جديد ومن ترميم الهيكل وبناء المعبد وحتى أصبح تاريخ يوم تدشينه عيداً عند اليهود يحتفلون به ثمانية أيام من كل عام ابتداء من يوم ٢٥ ديسمبر . . . وأما آخر مراحل هذه الحركة الصهيونية القديمة فكانت حركة « باركوشباس » في عهد « هادريان » ، ١١٧ — ١٢٨ م ، وهى التى حثت اليهود على السعى للتجمع في فلسطين وإعادة بناء المعبد الذى كانت قد هوت عليه المعاول الرومانية مرة أخرى من سنة ٦٦ إلى سنة ٧٠ م ، كما عملت على تأسيس « دولة يهودية » وتنصيب ملك عليها من « بيت داود » حتى أمست هذه « الفكرة » تعبر عن حقيقة قائمة في نفوسهم وحتى تأصلت في أعماقهم بتوالى القرون التى تلت انهيار « دولة يهوذا » على أيدي الرومان سنة ١٣٥ م . انهياراً كاملاً بينما بدأ يتراكم على ذكراها ركام السنين . .

أجل . .

لروح من الزمن ظلت هذه « الفكرة » ، فكرة العودة إلى صهيون ، في مرحلة ركود لا تحتل من الخيلة اليهودية إلا كما يحتل الخيال أى حلم بعيد المنال لا تخطر على خواطرم إلا خواطر تبعثها أناشيدهم الدينية فتستعيد

ذكرها في نفوسهم وتذكرى في هذه النفوس لها لظى بينما كانت ذكريات المذابح الرومانية لم تزل عالقة في نفوسهم وتدفع بهذه « الفكرة » إلى التوارى وراء غيم دامن كان قد تسكتل في آفاق الذاكرة ولا سيما عند دخول فلسطين في حوزة الدولة العربية عقب ظهور الإسلام . فقد بدأ كل أمل لليهود في العودة بالثلاشي كما أن سياسة الكنيسة الكاثوليكية التي بادلتهم العداء وموجات الانتقام التي عرضوا أنفسهم لها والحملات التي أثاروها على أنفسهم فنارت ضدهم في معظم البلاد العربية قد جعلتهم ينطوون على أنفسهم ، غير أن الفرصة لم تسكد تسنح أمامهم من جديد إلا وكانت حركة صهيونية أخرى مشابهة لحركة « باركوشباس » ومثلها في المصير وتلك كانت حركة « موزس الكريتي » .. غير أنه مع مرور الأيام بدأت فكرة « العودة إلى صهيون » في الظهور على مسرح التاريخ الحديث ، فقد ظهرت ببعض المحاولات الفردية بين حين وآخر في صورة دعوى تدعو الجماعة اليهودية إلى الأرض الممنوحة لهم من إلههم .. ولكن لما كانت هذه العودة قد ارتبطت في أذهانهم بظهور « المسيح الحقيقي » الذي سيقم « دولة يهوذا بن إسرائيل » فقد ارتبطت هذه الفكرة الدينية بالفكرة السياسية وكان مظهر هذا الارتباط أكثر من حدث ؛

الأول ؛ ظهور « دافيد رويني » ، خلال القرن السادس عشر ، يؤازره تلميذه سولومون مولوخ ، ١٥٠١ — ١٥٣٢ ، موجهاً الدعوة إلى زعماء اليهود لغزو فلسطين وتأسيس « دولة يهودية » في أرضها الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتلمود ! .

الثاني ؛ ظهور « منشة بن إسرائيل » ، ١٦٠٤ — ١٦٥٧ ، داعياً إلى

توطين اليهود في بريطانيا توطئة لإعادتهم إلى فلسطين ١

الثالث والأخير ؛ ظهور « شبتاي زيفي » خلال القرن السابع عشر ، ١٦٢٦ — ١٦٧٦ ، ومناداته بنفسه « المسيح المنتظر » المختار من « إله إسرائيل » لإعادة « مملكة يهوذا » والعودة به « أبناء إسرائيل » إلى « أرضهم » الممنوحة لهم حسب نصوص التوراة والتامود ١ .

فأما الحدث الأول فقد نبه الأذهان اليهودية إلى إخراج فكرة « العودة إلى صهيون » من حيز الأمل إلى حيز العمل .

وأما الحدث الثاني فقد كان النواة الأولى للصهيونية الحديثة التي وجدت لها أرضاً خصبة في بريطانيا ترعرعت فيها ونمت .. فلقد استطلعت بعد ذلك وفي مدى ثلاثة قرون من الزمن أن تسخر القوى البريطانية من أجل تحقيق أهداف الصهيونية خاصة واليهود عامة ١ .

وأما الحدث الثالث والأخير فقد كان إخفاقه في دائرة العصر الذي نبت فيه ، والذي نجد سيرته في كتب التاريخ الحديث ، هو السبب المباشر في يقظة السلالة الخزرية وفي ؛

انتقال سقيفة « الأرض الموعودة »

من المجال العاطفي إلى المجال السياسي

نبه فشل « شبتاي » الأذهان من مفكرى اليهود بين شعوب الغرب ، وهم السلالة الخزرية التي كانت قد وزعت على الدول المختلفة في شرق أوروبا ، إلى إمكان الاتحاد مرة أخرى ليكونوا « دولة يهودية » على غرار مملكتهم تلك « مملكة الخزر » التي كانت تتحكم في شرق أوروبا .. نبههم

الى ذلك علمهم بأن انتظار « مسيح منتظر » لن يكون إلا انتظاراً فاشلاً ! . فإذا كان الأمل في العودة إلى صهيون عن طريق « مسيح منتظر » ان يتحقق أبداً فإننا في المجال السياسي عوضاً عن هذا المجال العاطفي .. ومن هنا بدأ الاتجاه السياسي يبرز على الاتجاه العاطفي حتى أصبح عملاً إيجابياً له دوره الفعال غداة استهل نشاطه ، في فرنسا منذ سنة ١٧٩٨ ، بأولئك الكتّاب الغربيين الحزبيين الأصل الذين انطلقوا يثيرون حماسة اليهود لإعادة دولتهم الدائلة في فلسطين ومن أخطر ما جرت به الأفلام اليهودية عام ١٧٩٨ كان ذلك النداء الذي نقتطف منه الفقرات التالية ؛

« أيها الاخوان ! ... »

لشدّ ما رزحتم تحت أثقال الجور والاضطهاد فهلا تفوون أن تتخلصوا نهائياً من هذه الحالة المقرونة بالإذلال والانحطاط التي وضعكم فيها أناس من المهيج ؟ ..

إننا نرى الازدراء مرافقاً لنا في كل مكان فالبدار البدار ! ..

ثم !

قد آن الأوان لهوضنا واحتلال المركز اللائق بنا بين الأمم فهياً بنا أيها الإخوان لتجديد هيكل أورشليم ! ...

إن عددنا يبلغ ستة ملايين مفتشرين في أقطار العالم . وفي حوزتنا ثروات طائلة واسعة وممتلكات عظيمة شاسعة فيجب أن نتدفع بكل ما لدينا من الوسائل لاستعادة بلادنا وإن الفرصة لسانحة ومن واجبنا اغتنامها !
يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس وهي ؛

إقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في الخمسة عشر بلداً التالية وهي
إيطاليا وسويسرا والمجر وبولونيا وروسيا وبلاد الشمال وبريطانيا العظمى وإسبانيا
وبلاد ويلز والسويد وألمانيا وتركيا وآسيا وأفريقيا .

إن اللجنة الممثلة لليهود المقيمين في هذه البلدان كلها يمكنها
أن تبحث في مهمتها وتتخذ من القرارات ما تراه نافعا في صدها ويكون من
الواجب على جميع اليهود قبول هذه القرارات وأن يجعلوها بمثابة قانون لا مندوحة
لهم من الخضوع له . أما البلاد التي تنوى قبولها باتفاق مع فرنسا فهي ؛ إقليم
الوجه البحري من مصر مع حفظ منطقة واسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا
إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر . فهذا المركز هو الملائم
أكثر من أى مركز آخر في العالم يجعلنا قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد
العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية ! . ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل
تجارنا وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة
مع فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وغيرها من بلدان أورو . ولما كانت بلادنا في
موقع متوسط من العالم فإنها ستصبح كستودع لجميع الحاصلات التي تنتجها البلاد
الغنية ..

أيها الإخوان ؛

يجب ألا تدخروا وسيلة أو تضحية في سبيل الوصول إلى هذه
الغاية أى الرجوع إلى بلادنا ! ..

يا أيها الإسرائيليون ! ..

إن الفرصة الآن سانحة فخذروا أن تفلت من أيديكم !»^(١)

(١) بقعة العالم اليهودي ايلي ليفي أوبريسل « مطبعة النظام مصر ١٩٢٤ »

هذا النداء الذى جاء فى صورة خطاب والذى قد مهد الطريق أمام المرحلة التالية للصهيونية العالمية هو نفسه الذى أشعل حماس اليهود فى فرنسا بادية ذى بدء ودفع بهم إلى « نابايون » يحملون إليه المال سلاحاً ويطرحونه بين يديه مساعداً فى امتلاك الشرق العربى مقابل وعده بإيهم بمنحهم فلسطين .. ولعب المال اليهودى دوره وسجل التاريخ بأنه بناء على دعوة من نابليون قد تمّ اجتماع المجلس اليهودى الأعلى الـ « ساندهارين » !

فى نفس اللحظة التى عُقد فيها الـ « ساندهارين » بدأت الصهيونية القديمة فى التنفس ! . بدأت الجراثومة القديمة التى تكونت فى غصن —ون الأمر البائلى فى التحرك إذناً بأن الحياة قد بعثت فيها من جديد ! . فلقد مضى على ذلك النداء قرن كامل من الزمن كانت المعاول اليهودية خلاله قد عملت كادحة فى تعبيد الطريق إلى ما كانت قد أشارت إليه من أطماع تطاولت إلى الوجه البحرى من مصر حاملة باغتصاب مياه النيل لإرواء صحراء القصب ونقل الوعد النظرى بـ « الأرض الموعودة » إلى حقيقة واقعة ! . .

وكانت المعاول اليهودية هى الذهب . . .

فى الحقل البريطانى

عملت هذه المعاول أول ما عملت فى بذر السموم فيه فى صورة الاسترلىنى والذهب مفرغة بذلك ما فى جعبتها من نقمة كانت مكبوتة فى الصدر منذ خرجت من هذه البلاد طرداً فى عهد إدوارد الأوّل عام ١٢٩٠ حتى عادت إليها ، عام ١٦٥٦ ، تدفع ثمناً لهذه العودة تأييدها المادى الواسع لثورة « كرومويل » . .

وحذا اليهود العائدون إلى بريطانيا حذو هذين الممولين ، منشئة بين أسرائيل وموزس كارفاجال ، اللذين مولّا بسخاء ثورة « كرومويل » فتدفق

المال اليهودي على بريطانيا تدفقاً على أسس مدروسة رُوعى في بذله توطيد جسم هذا السرطان في البلاد حتى لا يتعرض إلى ما قد تعرض له من قبل !.

وأمام سياسة التسامح التي كان لا بدّ على « كرومويل » أن يفرضها على أهل البلاد من المسيحيين مقابل هذا العون الماديّ أُخلّ اليهود في استغلال النفوس وإذلالها بالمال عن طريق تساطعهم على ميادين الاقتصاد والسياسة . ففي مجال الصحافة سيطر اليهود على دور النشر حتى امتلأ كواها وفي مجال الاقتصاد أصبحوا القوة الجبارة المتحكمة في اقتصاديات البلاد وفي المجال السياسي وصلوا إلى أعلى المناصب حتى تمكن هذا الأخطبوط من نشر أذرعه الفتاكة على الجزيرة البريطانية ! . ومن أبرز مظاهره الحديثة كانت مذكرة « اللورد شافنسبري » إلى وزير خارجية بريطانيا في خلال مؤتمر لندن ، الذي عقد عام ١٨٤٠ ، وكانت ثمرة ذلك أن أعلنت بريطانيا حمايتها لليهود في فلسطين وفقاً للرسالة التي بعث بها « بالمروستون » رئيس وزراء بريطانيا حين ذاك إلى القنصل البريطاني في القدس ، ولم تكن هذه الحماية إلّاّ المقدّمة لذلك الوعد الذي أصدرته بريطانيا فيما بعد وسمي « وعد بلفور » ! . وهو هذا الوعد الذي مكّن هذا الأخطبوط من نشر أذرعه الفتاكة أيضاً في سائر الأقطار الأوروبية ولم ينج بلد من بلدان هذه القارة القديمة من قبضاته العاتية التي ما أطبقت عليه من أطرافه إلّا وامتدت بأذرع أخرى راحت تعتصر عصرّاً القارة الجديدة وإلّا لتبدأ هذه اليهودية التي أصبحت الآن عالمية تسفر عن حقيقتها مطالبة أولئك الساسة الذين كانت قد ابتاعت نفوسهم وأذلّتها مادياً بأن لها حقّاً عليهم هو مساعدتها على العودة إلى « أرضها » . . فقد آن الآن لكي تعود إلى « صهيون » وتستقرّ في « أرضها الموعودة » ! .

واستجمع الأخطبوط اليهودي قواه وتحرك الافتراس فكانت
حركته هذه هي التي سجلت ؛

انبثاق « الصهيونية »

استهلت الصهيونية العالمية تاريخها الحديث بطابع فردي في أوّل
الأمر مثليته إمّا شخصيات بارزة أو منظمات متناثرة في مناطق شتى من العالم
كانت تقوم على تمويل أساطين المال من أمثال « مونتفيوري » و « روتشيلد » .
ولكن جهودها لم تلتق كلها في حركة واحدة ويبدأ ستار التاريخ في الانحسار
ليشهد العالم ميلاد الفكر اليهودي الحديث وأسس العمل المنظم لإنشاء
« الدولة اليهودية » في الظاهر و « مملكة الخزر » في الواقع إلاّ إثر مذبحه اليهود
في روسيا حيث شعر سلالة الخزر بأنه لم يعد في إمكانهم إعادة مملكة الخزر
اليهودية في نفس الرقعة التي كانت تحكمها فنقلوها إلى صعيد الشرق الأوسط
ووجدوا في عقيدة « الأرض الموعودة » وسيلة لتحقيق أهدافهم وهذا
هو الذي أدّى إلى ظهور « ثيودور هرتزل » ، ١٨٦٠ — ١٩٠٤ ، على
مسرح التاريخ وعقده أول مؤتمر صهيوني ونشره كتابه « الدولة اليهودية » .
لأوّل مرة ارتفع الصوت اليهودي جهيراً ينادى العالم بأنه تبعاً
لنصوص « التوراة » والتلمود يتحتم تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه بنفسه
في فلسطين كأرض هي لليهود قد منحت من إله إسرائيل وبرهان ذلك هذه
« الأسفار » وهذا « التلمود » . . ومن هنا نفهم الصهيونية بمعناها الخاص
كفكرة نابعة من عقائد « الأسفار الخمسة » و « التلمود » كما نفهم محتواها الفكري
من « هرتزل » نفسه الذي كان أوّل من رفع صوته بهذا القول ؛

« إن هدف الحركة الصهيونية هو ؛

تنفيذ شريعة التلمود القائمة على أسس الأسفار الخمسة بإنشاء

وطن قومي يهودي في فلسطين ! .. »

« فلسطين — بين ١٩٠٠ .. »

أجل .. !

« إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لن ننساه ! .. »

أنسى هذا الصوت الخرزى الأصل أن وطنه التاريخي لم يكن قط ، فلسطين ! ؟ . كلا ! لم ينس ولكنه تناسى واستطاع أن يُوهم العالم بأن صرخته إنما هي صرخة نابغة من أعماق التاريخ ! ..

وهكذا كان المؤتمر الصهيوني الأول ، الذي عقد عام ١٨٩٧ ، بزعامة سليل الخزر هذا بمثابة حجر الأساس في بناء هذه الحركة على أسس سياسية تستهدف إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يكفل قيامه القانون الدولي ! ..

وأما كيف ؟ .. فلقد عرف هرتزل ، بنفسه ، في هذا المؤتمر الحركة الصهيونية بأنها :

« حركة الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين ! . »

وهكذا أعطى « هرتزل » لليهودية معنى جديداً إذ أخرجها من النطاق المعلق إلى المسرح السياسي الدولي . . وبهذا الاتجاه نحو إثبات أن اليهودية دين وشعب وقومية وأن فلسطين هي وطن هذه القومية اليهودية ثم التحول البام بعقيدة « الأرض الموعودة » من المجال العاطفي إلى المجال السياسي

وأصبحت هذه العقيدة النفسية مشكلة دولية معقدة لاستمدادها أصولها من الفكر الصهيوني النابع ، نفسه ، من عقائد « الأسفار الخمسة » وشرائع « التلمود » ولاستمدادها حيويتها من ارتباط الفكر الجماعي اليهودي بما جاء في هذه التوراة وفي هذا التلمود ! .

لا جدال في أن « هرتزل » قد لجأ إلى طريق الأسطورة يؤيد سياسته بينما كانت يده تسيطر صنفحات مؤلفه « الدولة اليهودية » الذي أشار من الاهتمام والحماسة ما قد شجع اليهود على عقد أول مؤتمر لهم هو الذي عقد في ٢٩ أغسطس من عام ١٨٩٧ متوخين أن يستعيدوا به ذكرى ذلك اليوم الذي أذال فيه الرومان « دولتهم » من فلسطين نهائياً ، ٢٩ أغسطس من عام ٧٠ م إلهاباً للمشاعر وإرساء لحجر الأساس في بناء هذه « القومية » التي أعطاها « هرتزل » طابعها عندما قام هو نفسه يفتتح جلسة هذا المؤتمر الأول بهذا القول :

« إننا هنا لنضع حجر الأساس لبناء المأوى الذي يأوى الشعب اليهودي ... إن الصهيونية هي عودة اليهود إلى اليهودية حتى قبل عودتهم إلى الأرض اليهودية .. ! »

إن الصهيونية هي القومية الجديدة للشعب اليهودي ! . «

في المؤتمر الصهيوني الأول أطلقت هذه الصرخة لتكون الزعامة من قرارات هذا المؤتمر التي تلخص فيما يلي :

استعادة « أرض مملكة إسرائيل » بمحدوداتها التاريخية .

إعادة تكوين « الشعب اليهودي » في وطنه القديم .

إيقاظ « الوعي القومي » بين يهود العالم .. !

ومن ثمَّ وُضع في هذا المؤتمر شعار العلم اليهودي ، وهو المكون من اللونين الأزرق والأبيض ، لون رداء الصلاة إلى «يهوه» كما وضع الشيد القومي اليهودي «الأمل» ، كما وضعوا رمزاً لأنفسهم يتمثل في «الأفعى» .. كما وُضعت أسس الهيئات الصهيونية العالمية .. ليفرض على كل يهودي الاكتتاب سنوياً بمقدار « شيكيل واحد » ، وهوما يعادل نصف دولار ، لبناء « دولة إسرائيل » ! .. وهكذا خرجت الصهيونية العالمية إلى الوجود واغتمرت كل فرد يهودي كقضية بالغة القِدَم متصلة بالدين اليهودي نفسه وأصبحت جزءاً من تفكير كل يهودي ! ..

هذا هو الواقع ... فمن اليقين الذي لا شك فيه ؛ أن القلب اليهودي ، حينما كان مكانه من الأرض ، لا بدَّ وأن يعتنق مبادئ هذا المؤتمر كعقيدة لاتصالها بالدين اليهودي نفسه حتى لقد أصبحت محور تفكير كل يهودي مهما أخفاها ، خوفاً ، وتستر فنفهاها عن نفسه ! .. من ثمَّ ! ..

لا تصدِّقوا يهودياً يقول لكم إنه غير صهيوني ! .. وأنى يمكن لأى يهودي ، مهما كانت جنسيته ، رفض هذه المبادئ الصهيونية وهى دعامه دينه وقوام كيانه ، ولو رفضها لرفض يهوديته ودينه وكيانه نفسه ؟ ! .. من ثمَّ ! ..

لا تصدِّقوا يهودياً يقول لكم إن الصهيونية شىء واليهودية شىء آخر .. كلا ! .. فإنَّ الصهيونية مستصلة بالدين اليهودي نفسه كعقيدة بالغة القدم وضاربة بأعراقها في أعماق تاريخية ولم تتخذ لها شكلاً بارزاً إلا في أعقاب هذا المؤتمر الذى كان ، بالفعل ، نقطة بدء ونقطة تحوُّل هامة في تاريخ اليهود للأسباب الآتية ؛

أولاً ؛ أضفى هذا المؤتمر على العقيدة اليهودية القديمة ثوباً جديداً حين أكد أن الصهيونية هي القومية الجديدة « للشعب اليهودي » على اعتبار أن هذه الطائفة المبعثرة الأفراد بين الشعوب تُؤلف « شعباً واحداً » وبالتالي لتحديده هدفاً واحداً وهو إعادة « مجد إسرائيل » عن طريق إقامة « دولة » خاصة بهذا « الشعب » وهذا هو الهدف الذى يتطلع ، نحوه ، كل يهودى . . .

ثانياً ؛ وضع خطة عملية مدروسة لتحقيق هذا الهدف عن طريق تشجيع برنامج الإستعمار واحتلال أرض العرب بشراء الأراضى من العرب من ناحية وعن طريق تشجيع هجرة اليهود من ، ناحية أخرى ، إلى فلسطين كأرض هي لهم موعودة ! . . .

ثالثاً وأخيراً ؛ نقل المشكلة اليهودية إلى الصعيد العالمى بعد أن كانت تعتبر مشكلة داخلية للدول التى يقيم فيها اليهود

وهكذا نرى أن الصهيونية الجديدة التى رسمها « هرتزل » فى مؤتمره جاءت تتركز على دعائم ثلاث ، هي شراء الأرض من العرب والهجرة اليهودية والدخول فى معترك السياسة الدولية لكسب عطف الدول الكبرى وتأييدها من أجل خلق « دولة يهودية » فى فلسطين ، ليست إلا الصهيونية القديمة فى صورة جديدة وأنه لم يفعل شيئاً إلا أنه ابتعثها من مضجعها فأكد وجودها بأن نقلها من الماضى إلى الحاضر وأخرجها من النطاق الذى كان قد أغلقه عليها الرومان إلى المجال الدولى الذى أفسحه أمامها الاستعمار وكانت سبباً له مجريات الأحداث فى خلال القرن التاسع عشر عندما استطاعت السلالة الخزرية باسم الصهيونية أن تشغل لها مكاناً وسط أحداث القارة الغربية واتخذت

من التنافس بين الدول الغربية وبروز سياسة التحالف والشكّل الدولى وظهور الأفكار القومية وسيلة استغللتها لمصلحة اليهود إلى درجة أن أحسن زعماء اليهود أن الظروف الدوائية أصبحت تسمح بإخراج « الوطن القومى اليهودى » إلى حيز الوجود ومن ثمّ تمكّن « هرتزل » من نشر كتابه « الدولة اليهودية » الذى كان ، ولا جدال ، فاتحة عهد جديد بالنسبة لليهود إذ أصبحت أمانيتهم ماثلة أمام أعينهم كحقيقة محسوسة بعد أن كانت مجرد خواطر ومحض آمال فبدأ نشر هذا الكتاب ، عام ١٨٩٦ ، والفقرات منه تاهب الخيلة اليهودية . . !

فى « الدولة اليهودية » جمع « هرتزل » هؤلاء الأفراد من هذه الطائفة الدينية وأوهم العالم أن هذه الطائفة ، التى ينتمى أفرادها إلى شعوب مختلفة ، هى « شعب » له كيانه الخاص . !

فى « الدولة اليهودية » استطاع « هرتزل » أن يكون من مادة الأساطير حجر الأساس فى بناء صرح « دولة يهودية » . . !

فى « الدولة اليهودية » أرشد « هرتزل » هذه الجماعة إلى فلسطين ومن خلال سطورهم أرسل خيجه هو نفسه كرأس لهذه « الأفنى » يناديهم ؛ إلى فلسطين . . !

« إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لن ننساه . . . ! »

لاغرو من ثمّ أن يكون لهذا « الكتاب » ، الذى أعطى للعقيدة الدينية القديمة طابعها السياسى الحديث اعتماداً على الحق الروحانى ، أثره العميق . . فقد أضرم فى صدر كل يهودى ضرام الجروح . . !
وهكذا . . !

بدأ سلب العرب بشراء الأراضى من العرب . !

وهكذا بدأ احتلال الأراضي العربية في صورة الهجرة اليهودية ..

وهكذا بدأ الدماء « بالقومية » و « بالجنسية اليهودية » ! .

ومن ثمَّ فإذا كان الأمل في « مسيح منتظر » قد صادف في تاريخ اليهود الإخفاق تلو الإخفاق فقد نقله « هرتزل » من إخفاق في دائرة الدين إلى نجاح في دائرة السياسة الاستعمارية ، ودليلنا على ذلك الأحداث التي تلت نشر هذا الكتاب ومدى الأثر الذي تركه هذا المؤتمر الصهيوني الأول في نفوس اليهود من التصريح الذي أدلى به « هرتزل » في صحيفته بقوله :

« لو طُلب إلى تلخيص أعمال المؤتمر فأني أقول بل أناذى

على مسمع الجميع ؛ إنني قد أسست الدولة اليهودية ! ..

إن العالم سيشهد بعد خمس أو خمسين سنة قيام الدولة اليهودية

حسبما تمليه إرادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة » ! ..

وتمكنت عينا هذه « الأفعى » من تنويم أجزاء من هذا العالم

وأرسلت فيحجها هذا إيجاء ، حتى أنه لم تمض خمسـون سنة من هذا المؤتمر

الصهيوني الأول إلا وأعلنت « الأمم المتحدة » ، ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، قرارها

بتقسيم فلسطين وقيام « دولة خززية » دعية النسب إلى إسرائيل باسم « دولة

إسرائيل » ! ..

لا غرو من ثمَّ أن نرى صورة كاتب « الدولة اليهودية »

تصدر قاعة الـ « كنيسة » وهو يكرم رسمياً كرَسُول لهذه « الدولة » التي

افتعلها من مادة الأساطير بينما يتغافل أصحابها عن أنها « دولة » خززية الأصل

أسطورية المادة تقوم قوائمها على أساس من نصوص « الأسفار الخمسة » و

« شرائع التلمود » ! ..

ومن عنصر هذا « الحق » الموهوم الذى استهل تاريخ انبثاقه بهذا النص الوارد في السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المقتراة على موسى والقائل بأن « الرب » قد قطع مع أبرام ميثاقاً قائلاً ؛

« لنسلك أعطى هذه الأرض .. »

من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ا . »^(١)

هذا النص الأسطورى هو الأساس الدينى لهذه الدولة الأسطورية وبالتالى لادعاء اليهود امتلاك فلسطين والدعامة الجوهرية التى تتخذها الصهيونية عقيدة تبنى عليها دعوتها لدعوة اليهود إلى « العودة » إلى الأرض الممنوحة لهم من « إلههم » وإلى « دولة » لهم فيها تتخذ من نصوص التوراة والتلمود دساتير حتى تتمكن هذه « الأفعى » أن تزحف من هناك وتطبق بمخالبها على جسم المجتمع البشرى ثم تطويقه كله تطويقاً لا تبقى له بعد باقية وحينذاك تستطيع أن ترفع رأسها ويكون العالم كله لها ملكاً وليس ذلك ، كما تدعى ، إلاّ انتصاراً بأمر « إله إسرائيل » وتمسكاً بهذا « الحق الروحاني » الممنوح لها من « يهوه » والمسجل في « الأسفار الخمسة » وفي « التلمود » ا .

ويقيناً ، لم يكن إلاّ على أساس من هذا « الحق الروحاني » وحده الذى ادعته الصهيونية وما زالت تدّعيه — استطاعت أن تغوص إلى عالم الأساطير ثم تطفو على صفحة الحاضر وبلعبة « سحرية » تفتعل صرح وليدتها « دولة إسرائيل » ! .. وهذا مما يجعلنا نتساءل ؛

ما هو تاريخ هذا « الحق الروحاني » الذى تدّعيه الصهيونية لوليدتها « دولة إسرائيل » وهى فى ذلك تتخذ « الأسفار الخمسة » دعائم

(١) الإصحاح ١٥ « سفر التكوين »

و « التلمود » مساند ؟!

أمّا تاريخ « الأسفار الخمسة » فسنعرض له بعد قليل
مختتمين به هذا البحث وبذلك نسدل الستار على فصول هذه المهزلة التي لعبت
دورها الخطير على مسرح التاريخ السياسى باسم الدين . . وأما تاريخ « التلمود »
فقد عرضنا ، قبل ، بعض نصوصه المتعلقة بهذا البحث وبذلك تبين لنا أنه
ليس إلا المرآة العاكسة لما جاء فى « الأسفار الخمسة » من نصوص لأن كل ما
يحتويه من شرائع ليس إلا تقديماً لهذه « الأسفار » !.

ولكن ! لما كانت الصهيونية قد اتخذت من النصوص
التلمودية شريعة ومن تعاليمها منهجاً وضعت على أسسه خططها لامتلاك العالم
فنحن نستطيع القول بأن ما وضعته الصهيونية من دساتير عليها سارت وعليها
تسير ليس إلا مرآة تعكس ، بدورها ، شرائع التلمود . . وهذه الدساتير تطلع
علينا واضحة كل الوضوح من خلال تلك المجموعة من « الوثائق السرية »
التي تمخضت عنها حركة « هرتزل » يوم رأس أول مؤتمر صهيونى واتخذ إلى جانب
القرارات العلنية قرارات أخرى سرية . فأما العلنية فقد صرنا بها وأما « السرية »
فهى تلك التى قررها هذا المؤتمر الصهيونى الأول يوم ضم كبار اليهود الذين
أطلقوا على أنفسهم لقب « حكماء صهيون » ووضعوها دساتير لما سيقبلوه هذا
المؤتمر من مؤتمرات أخذت تنعقد سنوياً فى أكثر من بلد من بلدان الغرب وتضم
رؤوس هذه « الأفعى » من اليهود الذين يطلق عليهم أيضاً لقب « حكماء
صهيون » وهذا مما يحتم علينا أن نلقى نظرة على هذه « القرارات السرية » التى
تمخض عنها هذا المؤتمر الصهيونى الأول لحكماء صهيون الأول وكما أرسلتها رؤوس
هذه « الأفعى » خبيجاً فى كل متجّه وكما سطوروها هم أنفسهم بعد أن ناقشوا الخطط
والوسائل التى تمكنهم من إطباق مخابهم على كل بقعة من بقاع العالم وعلى كل

شعب فيه الواحد بعد الآخر مما . . يسجل ؛

ارتسام الحركة الصهيونية

في « بروتوكولات حكماء صهيون »

تحمل إلينا هذه « الوثائق السرية » ، والتي لم تعد سرّاً منذ اكتشافها عام ١٩٠٢ ، صورة القرارات التي قننت المؤامرة الصهيونية التي وضعها المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧ . لا ننشرها إلاّ ونرانا نقول بأنهم حقاً قد راعوا فيها بدقة بالغة شرائع التلمود . . .

تستهل هذه « البروتوكولات » قراراتها بمواد خمس صاغتها معاول لهدم العالم المسيحي أولاً والإسلامي وباقي الأديان ثانياً كيما يستطيع اليهود بعد ذلك إخضاع العالم جميعاً لسيطرتهم وهذه هي ؛

المادة الأولى ؛

زعزعة كل مقومات العالم الحاضر ونظمه لتمكين اليهود من الاستئثار بحكم العالم والاستحواذ على خيراته لأن اليهود ، وهم « الشعب المختار » ، هم وحدهم من نسل آدم وحواء ولذلك ما خلق العالم إلاّ لهم وإلاّ ليكونوا سادته . ومن حقهم وحدهم ، استعباد من فيه وحكمهم وتسخيرهم بكل الوسائل . إن الناس ، ما عدا اليهود ، ليسوا إلاّ شياطين وبهائم ! .

المادة الثانية ؛

تحقيق سيادة الصهيونية باقامة امبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم قاطبة ويتعاقب على عرشها ملوك ممن يحملون بشريعة « التوراة » و « التلمود » ويكون مقرها « أورشلهم » أولاً ثم تستقر في « روما » إلى الأبد وبذلك تكون قد

قامت مكان الامبراطورية الرومانية التي أدالت « دولة يهوذا » وفي نفس الوقت تكون قد احتلت القاعدة الحالية للدين المسيحي الذي يجب أن يزول ! .

إن الامبراطورية اليهودية العالمية لن تقوم إلا إذا زالت جميع الأديان بصفة عامة والمسيحية بصفة خاصة . ومن ثمّ يتحتم القضاء على الأمم المسيحية حتى يمكن بعد ذلك القضاء على بقية الأمم ولأديان ! .

إن القضاء على الأمم المسيحية يتيح الفرصة للقضاء على الأمم والأديان لأنّ المسيحية أوسع الأديان انتشاراً وأهمها أقوى الأمم وأوسعها نفوذاً ولها الزعامة في التوجيه العالمى . فاذا ركزت الصهيونية طائفة ضرباتها وأعنفها على الأمم المسيحية وأممكن القضاء عليها كانت هزيمة بقية الأمم ومحو باقى الأديان أيسر وأسرع ، فلا يبقى بعد ذلك إلا الدين اليهودى وإلا القومية اليهودية !

وأما الوسائل التى يتحتم اتخاذها لبلوغ هذه الغاية فتتخصر فى : العمل على إفساد أنظمة الحكم الحاضر ! .

المادة الثالثة :

يتحتم أن يصبح زعماء الأمم جميعاً كقطع الشطرنج فى أيدينا ! نستميلهم ونغريهم من طرق شتى أهمها الرشوة والنساء ! كما أن منها العنف والارهاب بل والقتل فى الخفاء إذا لم تنجح وسيلة غيره !

يتحتم أن تُعامل أفراد الأمم جميعاً بالحيلة تارة وبالعنف تارة أخرى بأن تساس كما تساس قطعان الماشية !

المادة الرابعة :

ينبغى للصهيونية أن تسيطر على كل وسائل النشر والإعلام من صحف وكتب وأن تستخدم ، بسخاء ، الذهب !

المادة الخامسة ؛

إن التشتت الذى أصاب اليهود « الشعب المختار » فى كل أقطار العالم ليس ، كما يبدو ، مصدر ضعفهم وإنما هو فى الواقع مصدر قوة لهم ! فإنّ هذا التشتت فى أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوى نفوذ فى كل قطر إذ يستطيعون من خلال تشتتهم هذا أن يتسللوا إلى كيان الدول لتسخيرها لمصالحهم الذاتية ١ .

والآن ؟ ..

هذه المواد الخمس هى فى الواقع ليست إلا عبارات اقتطفناها مما جاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » وهى وإن كانت لاتغنى عن قراءة التقارير كلها إلا أنها تعطينا فكرة واضحة عن خطة الصهيونية وأساليبها لإخضاع العالم قاطبة وإقامة عرش صهيون على الدنيا على أساس أنهم العنصر الإنسانى الوحيد ومن عداهم من البشر فى مرتبة السائمة فهم أولاد حواء وآدم وأمّا نحن فمن نسل الشياطين ١ .. هذا هو السرّ فى سياسة العزلة التى يحيط بها اليهود أنفسهم وهذا هو السرّ فى استعمالهم على الناس حتى تمادوا فراحوا يزعمون أن « يهوه » لم يعد ذلك الرب القبلى بين الأرباب القدامى وإنما هو قد ارتقى إلى مصاف الألوهية وأصبح إله العالم وأنه إلههم وحدهم وأنهم « شعبه المختار » وليس للأمم الأخرى حظ من رضاه ولذلك لا يمكن لليهودى أن يقبل مشاركة أحد فى هذا الاحتكار وليس فى استطاعته أن يقيم سلطانة على عقيدة عامة تشاركه فيها الأمم الأخرى لأنه يرفض التنازل عن عقيدة « الشعب المختار » التى ميزه بها « يهوه » على شعوب العالم جميعاً ١ . ولذلك أقول لا يلتبسنّ عليكم إذا سمعتم يهودياً يقول بأنه يؤمن بإله العالم ويعبده فإنما هو لا يقصد بهذا القول إلا « يهوه » هذا الذى يدعوه فى صلاته باسم « إله إسرائيل ! » .

« القرار الأول » :

إن الغاية تبرّر الوسيلة . ومن ثمّ فعلينا ، ونحن نضع خطتنا لامتلاك العالم ، أن لا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد . ولذلك يجب أن يكون شعارنا كل وسائل الدماء وأن يكون جواز المرور لدينا هو الخديعة والكذب والادّعاء ، فإن حققنا في قوتنا ! لا عيب ولا عار في أن تكون جاسوساً أو دسّاساً بل هذه فضيلة لأنها ستمكّننا من إقامة « دولة صهيون » ! ..

« القرار الثانى » :

إن الصحافة كلها وجميع وسائل الإعلام هي التي يمكننا عن طريقها أن نحصل على توجيه دفة الأمور لصالحنا ، وهذه قد حصلت عليها أيدينا ! فلقد أصبحنا ، بفضل الصحافة ، قوة دولية ومن خلالها أحرزنا نفوذاً وبفضلها كدّسنا الذهب ! فيجب ألا نفلت من أيدينا بل ويجب أن تصبح حكومتنا مالكة للجزء الأعظم من الصحف ! ..

« القرار الثالث » :

في إمكاننا الآن أن نؤكد لكم أننا قد أصبحنا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية ، شعار شعبنا ، دورتها ! وحينما تغلق هذه الدوائر ستكون كل دول الغرب المسيحية محصورة فيها بأغلال لن تتخطّم ! ..

تذكروا ! ..

أن الثورة الفرنسية من صنع أيدينا . وأننا منذ ذلك الحين ونحن نقود الأمم من خيمة إلى خيمة تمهيداً للملك من دم صهيون نعدّه لحكم

العالم ! ..

« القرار الخامس » ؛

لقد أصبحنا أقوى ، جداً واقتصاديات العالم تعتمد علينا . المال كله في أيدينا ، فأيدينا تملك أعظم قوة في هذا العصر وهي الذهب ! . وإن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ما ، ولو صغيرة ، دون أن نتدخل فيها سرّاً ! ..

إن شريعتنا تقول إننا مختارون من الله لنحكم الأرض وقد مفعنا الله العبقريّة كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل ! .

بكل ما قد عرضناه من الوسائل سنضبط على الأمم المسيحية حتى تضطر إلى أن تطلب منّا أن نحكمها دولياً ! وعندما نصل إلى هذا الهدف سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم في جميع أنحاء العالم . وعند ذاك نستطيع أن نشكّل حكومة عالمية علينا ! .

« القرار السابع » ؛

لقد اعتادت البلاد جميعاً أن تستغيث بنا عند الضرورة وبقي لزم الأمر . ولذلك يجب علينا أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمغازات ! أولاً في كل أقطار العالم الغربي . ثمّ بمساعدة العالم الغربي ، نفسه ، ننشر في سائر أقطار العالم الفتن والخصومات ..

بهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار ! .

إن لما القدرة على خلق الاضطرابات في كل قطر كما نريد ! فننقد نصهنا شباكنا في جميع الحكومات ولم نجبكها إلا عن طريق الخدمات المالية

الأمميون أى يخرج لهم من متاعهم غير أن ياجأوا إلى الاحتماء بأموالنا
وبأموالنا ستمتد سلطتنا الكاملة ! ..

« القرار الحادى عشر » :

إن الأميين كقطع الغنم وإننا الذئاب ! ..

هل تعلمون ماذا تفعل الذئاب بالغنم ؟ ! ..

إذن ، أذفعوهم إلى هذا المصير ! ..

لقد شتتنا إلسهنا فى أرجاء الأرض لفعل ذلك ، وهذا هو السر من وراء هذا التشتت الذى حل بنا . فإن من رحمة « يهوه » أن « شعبه المختار » قد شُتت ، لأن هذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فنياً أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التى إذا ما طبقناها على هذا المثل وصلنا ، حتماً ، إلى أعقاب السلطة العالمية ! ..

« القرار الرابع عشر » :

حين نتمكن لأنفسنا فنصبح سادة العالم لن نبيع قيام أى

دين غير ديننا ! ..

« القرار الثانى والعشرون » :

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة ونعنى بها الذهب ! ..

فى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه ! ..

أفلا يزال ضرورياً لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو

إرادة إله إسرائيل ؟ ! ..

« القرار الثالث والعشرون » :

« إن ملكنا سيكون مختاراً من « يهوه » ! .. وعددئذ نستطيع أن

ترفع أصواتنا ونصرخ في وجه العالم قائلين :

صلُّوا ليهوه !

واركعوا أمام هذا المَلِك الذى أعاد « مُلْك داود » والذى يقود
يهوه ، نفسه ، نجمة ويتوجه ملكا على العالم بأجمعه ! .
لامكان بعد ذلك لبابوات المسيحيين ، فسيصبح « ملك اليهود »
هو « البابا » ... « البابا » الحقيقى للعالم بأكمله ! ..

والآن ؟ .

الآن ، وهذه هى بعض قرارات من « بروتوكولات حكماء
صهيون » ماذا نرى ؟ ! .

نظرة واحدة نلقها على هذه النقط الأساسية فى « بروتوكولات
حكماء صهيون » ترينا أنها ليست إلا صــــورة مطابقة لأوامر
« التوراة المكتوبة » و « التوراة الشفوية » .. فأمّا التوراة الشفوية ، أو
« التلمود » فهو كتاب قد مررنا بتاريخ كتابته ومن ثمّ فهو لا يمت إلى موسى ،
عليه السلام ، بأسباب ! .. وأما إلصاق « التوراة المكتوبة » بموسى فلم يكن ذلك
إلاّ استغلالا لاسمه لأن هذه « الأسفار الخمسة » التى يقوم عليها الدين اليهودى
الحالى قد وُضعت ، كما سنرى بعد قليل ، بعد مضى قرون من الزمن طوال على
وفاة موسى وأما هذا الفجيج السّام الذى ينبعث من سطور هذه « البروتوكولات »
ينفث شرر النّقرة فى كل متعجّج ، متذرعا بأن علة ذلك هى محاربة العالم لهم فإن
لنا فى هذا الصدد كلمة وهى : إن قول اليهود بأن محاربة العالم لهم ، وهو ما يسمونه
بالاضطهاد ، هو علة هذا الجهاز التنفيذى لدينهم والمسمى بالصهيونية وأن قيام
الصهيونية يقضى على هذه العلة إنّما هو يقول لا أساس له البتّة من الصحة !

لأن الصهيونية ، نفسها ، هي أعراض لداء مزمن وهذا الداء هو في اليهود أنفسهم بل هو اليهود أنفسهم .. وإلا فن اضطهدهم يوم اضطهدوا أنفسهم ويوم تردوا على موسى ، عليه السلام ، وخانوه وكتبوا في أسفارهم ، هذه التي ينسبونها إليه ، أنه قد « خان الرب » وأن عليه غضب الرب وقال له اطلع إلى الجبل ومث هناك في الجبل ؟ ..

من اضطهدهم يوم انقسموا على أنفسهم في مملكة سليمان ثم نقاسم كل شطر من شطريها على أهله وراحوا يترشقون بسهام العداء ؟ ..

من اضطهدهم يوم وصفوا أنفسهم بأنفسهم بالفساد والشر وغلظة الطبع وصلابة الرقبة ؟ ولن يصممهم أعدائهم بشرمًا وصموا به أنفسهم في « أسفارهم » هذه التي من عجيب المفارقات أن يتخذوها في الوقت نفسه دعامة وسنداً !

إنهم هم الذين قضوا على أنفسهم وجروا على أنفسهم ، « الاضطهاد » في كل بقعة وفي كل عصر وبين كل قبيل ، لأن العلة ليست في غيرهم وإنما فيهم وليس للأمم من حيلة معهم إلا أن تُخضعهم آخر الأمر ! فإن آفتهم الكاثفة فيهم أنهم كائن مسموخ من الوجهة الاجتماعية لأنهم جماعة مقتضية لم تصبح أمة ، واشتبهت مع العالم وهي في مرحلة غير نامية وغير قابلة للنمو لانصافها بصفات ليست ناجمة عن الحروب التي عرّضت نفسها لها عبر القرون الطويلة ولسكها وليدة الدين اليهودي نفسه فان الخلق اليهودي الذي لم يكن في جميع العصور إلا وباء يهدّد سلامة المجتمع البشري وأمنه وأواصره بالفساد ليس وليد « الاضطهاد » وإنما وليد الدين اليهودي نفسه !

إن الخلق اليهودي الذي استباح أبغض الوسائل لتحقيق أغراضه

وسعى جاهداً لينفرد بسلطان المال على مصير المجتمع فخاربه بأخس الوسائل وعمل وسعه على إفساد أخلاقه وتمزيق أسرته وهدم أديانه وقيمه ومقوماته لكي يتسلط عليه فيستخره في مصالحه ويستأثر بخير العالم دونه ، ليس وليد « الاضطهاد » وإنما هو وليد الدين اليهودي نفسه ! ..

إن الخلق اليهودي الذي يهدر المبادئ الإنسانية ويقوّض مقاييس الأخلاق ، إنما ينبع من العزلة التي يفرضها أصحاب هذا الخلق على أنفسهم وإن موقفهم العدائي من كل أمة يحملون جنسيتها ومعاداتهم كل الأديان ولا سيما المسيحية والإسلام ، ليس إلا وليد هذا الدين اليهودي نفسه المبني على التوراة والتلمود وعلى ما فبهما من تعاليم وشرائع ترسم بوضوح خطط تدمير العالم كي يحكم اليهود على أنقاضه ! .

ولما كانت الصهيونية لا تسعى إلا لتحقيق هذه الأهداف التي يرسمها الدين اليهودي فأنما ذلك لأن الصهيونية هي اليهودية أو بعبارة أوضح معنى وأصح قولاً ؛ هي الجهاز التنفيذي للدين اليهودي ! ..

وإذن ؟ .. هل يمكن لليهودي ، كائناً ما كان ، أن يعارض الصهيونية وهي ليست إلا الجهاز التنفيذي لدينه ؟ ! ..

كلا ! ..

لا جدال في أن الصهيونية هي الجهاز التنفيذي لليهودية .. فإنما اليهودية القديمة هي الصهيونية الحديثة والصهيونية الحديثة هي الصهيونية القديمة التي انبثقت في غضون الأسر البابلي لأوثك الذين كتبوا « الأسفار الخمسة » من سبط يهوذا وحولوا بدعة « الأرض الموعودة » إلى عقيدة دينية وصاغوها لواء حملوه للعودة إلى « صهيون » فأسسوا بذلك الصهيونية وجعلوها الجهاز التنفيذي لهذا الدين الذي جاءت شرائع التلمود تمثله تمام التمثيل

وهذا هو الدليل الدامغ على أن اليهودية هي الصهيونية والصيهونية هي اليهودية وهذا مما يجعلنا نقول إن «حاييم وايزمان» ، خليفة «هرتزل» في قيادة الحركة الصهيونية الحديثة ، كان على حق عندما قال :

« إن الصهيونية واليهودية متلازمتان متلاصقتان ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية » .. ١

وهنا ..

هنا أقول إن الحركة الصهيونية ، سواء منها الصهيونية الغربية التي كان يتزعمها « هرتزل » أو الصهيونية الشرقية وهذه كان يتزعمها « وايزمان » أول رئيس لـ « دولة إسرائيل » الأسطورية وتفتقها عن صيهونية عالمية ، قد تناولها أكثر من قلم في عصرنا هذا بالشرح .^(١) ومن ثم فالحديث عنها ككرة أخرى ليس إلا تكراراً ولذلك قد قصرت هذا البحث على سبر الأسس التي تقوم عليها الصهيونية وهي الدين اليهودي الحالي ووضعت موضع المقارنة ؛ الأسس الجديدة للصيهونية الحديثة والأسس القديمة لليهودية الحالية في « الأسفار الخمسة » وفي « التلمود » حتى يتبين لنا أن خليفة مؤلف « الدولة اليهودية » ومن كان أول رئيس لهذه « الدولة » الأسطورية كان صادقاً عند ما قال بأن اليهودية والصيهونية متلازمتان متلاصقتان وأنه لا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية .. ١

وهذا هو الواقع ..

إن الحركة الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذي لهذا الدين اليهودي الحالي الذي بناه يشوع بن نون ولذلك انصب بحثنا على سبر « الأصول »

(١) ومن أهم هذه المراجع « الصهيونية العالمية » للاستاذ عباس محمود العقاد

و «الظروف» و «النيارات» و «العوامل» و «الأسباب» التي أفضت إلى تكوين «الفكرة» التي تستمد الصهيونية منها مبدأ وجودها ألا وهي «عقيدة الأرض الموعودة» .. هذه «العقيدة» التي لم تفتعل «دولة إسرائيل» الحالية إلا على أساس منها ولم تقم إلا غداة تجمع «أبناء الخزر» في تكتل وأطلقوا من حناجرهم صيحة واحدة كان رجع صداها تلك «الحجة» التي تذرع بها مثلهم وتجاوبت في أرجاء «الأمم المتحدة» تقول :

«قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني ولكنها حق لنا على أساس روحاني فهي الأرض التي وعدنا بها الله وأعطانا إياها .. ومن الفرات إلى النيل ! ..»
ولذلك :

«يجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودي أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ! ..»
إن هذا اليهودي يسكفر يومياً بالدين اليهودي ! ..^(١)

هذه الصيحة التي دوت ، ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، عندما عُقد في القدس المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس والعشرون لم تكن في مداها الواقعي إلا ترديداً من تصريح أبرز زعيم من زعماء الحركة الصهيونية الحديثة وأول رئيس لـ «دولة إسرائيل» لأنها لم تكن ، بالتالي ، في واقعها الإيجابي إلا باكورة لحركة «شبيات زيون» ، أي «محبّة صهيون» ، التي امتدت فروعها الأخطبوطية في كل ركن من أركان الغرب والشرق حتى تفتّقت عن الحركة

« ١ » « بن جوريون »

الصهيونية العالمية التي تعتبر جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة تسميها « الجنسية الإسرائيلية » وإن واجبها ينحصر في تطبيق هذا المبدأ وهو :

« توطيد دعائم دولة إسرائيل وتقويتها وجمع شعب

يهود العالم فيها واعتبارها وطن جميع اليهود في كل أنحاء العالم ! »^(١)

من هنا نفهم إلى أى مدى تطورت الصهيونية حتى غدت عالمية ، لا تستهدف إلا مرمى واحداً وتتخذ من « دولة إسرائيل » قاعدة لهذا المرمى .. فالصهيونية العالمية اليوم ترى أن إقامة « دولة إسرائيل » عاملاً أساسياً لتجميع جميع يهود العالم على أساس التظاهر بأن هذا هو الحل الوحيد لقضية كل يهودى وأما المرمى من وراء ذلك فهو التكتل في فلسطين ثم الزحف منها على العالم ولذلك اتجهت الدعوة الصهيونية الحديثة في كافة أنحاء العالم إلى تعلم اللغة العبرية كوسيلة نحو التكتل القومى وكما ظهر صادق من مظاهر ربط الولاء إلى هذه القومية الجديدة في قسم للولاء الذى كان يربطهم بالبلاد التي نشأوا فيها وللجنسيات التي يحملونها .. ولا حائل يحول بين اليهودى وبين ذلك طالما أنه يدين باليهودية ، فاليهودية هي الصهيونية ، وبذلك ظهرت اليهودية بمظهرها الحقيقي باسم الصهيونية العالمية .. هذه الصهيونية التي ليست في حقيقتها ، سواء منها القديمة والحديثة والغربية والشرقية وهذه العالمية ، ليست إلا اليهودية الشيوعية الأصلية ! ..

كيف ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال يأتي من نفس أسس هذه الحركة الصهيونية العالمية القائمة على ركائز أربع هي :

أولاً ؛ الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض

فلسطين والصهاينة بصهيون .

ثانياً ، يمثل اليهود في شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه ، إلى فلسطين ومن ثمّ يعتبر جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي « الجنسية الإسرائيلية » .

ثالثاً ، إن « الأرض الموعودة » التي وعد بها « إله إسرائيل » شعبه « المختار » لتكون لهم وطنًا ومملكة أبدية هي فلسطين وما حولها من أراضٍ تمتد من الفرات إلى النيل !

رابعاً وأخيراً ، أن « الرب » قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى السيادة على العالم ... ولذلك تكون فلسطين قاعدة الامبراطورية اليهودية العالمية المنشودة ! »

هذه هي الركائز الأربع التي تمثل أسس الحركة الصهيونية العالمية وليس علينا إلا أن نناقشها ركيزة ركيزة وكل واحدة على حدة حتى يتبين لنا ماهية هذه الدعائم التي تستند إليها الصهيونية وعليها ترتكز دعواها ..
أولاً ؛

ما هي هذه الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض فلسطين والصهاينة بجبل صهيون ؟ ..
لنجعل الفصل في هذا القول هو الاحتكام إلى التاريخ التاريخ السياسي ، أولاً ، ثم التاريخ الديني .. وهذا ما يدفع بنا إلى أن نتساءل ؛
هل لليهود حق سياسي في فلسطين ؟ ..

إن الحق السياسي في أي إقليم إنما تقررهُ أصول ثابتة أساسية تتلخص في الصفة العنصرية وفي الأسبقية إلى سكناه وطول مدة الحكم

واستمرارها .. ومن ثمّ فلنعمد إلى البيانات التاريخية الخاصة بفلسطين ..

لقد عُرفت فلسطين في التاريخ القديم بـ « أرض كنعان » نسبة إلى قبائل الكنعانيين التي استقرت فيها إثر إحدى تلك الهجرات من جزيرة العرب إلى الشمال في الألف الثالث ق . م ولقد عرفنا أن هذه البقعة ظلت تسمى بأرض كنعان حتى مغرب الألف الثاني ق . م . وليس إلا بعد أن غزتها ، حوالى سنة ١٢٠٠ ق . م ، تلك القبائل الآتية من كريت وعن طريقها وفي مقدمتها قبيلة « فيليستيا » ثم استقرت على شواطئها بين يافا وغزة وبعد أن اندمج الكريتيون والكنعانيون ، بالاختلاط والتصاهر ، سميت تلك المنطقة نسبة إلى هذه القبائل باسم فلسطين وأصبح هذا الاسم يطلق على جميع الأراضي الساحلية والداخلية التي كان يسكنها الكنعانيون .. ثمّ لم يلبث أن ساد العنصر الكنعاني على فلسطين مرة أخرى وأصبح سكانها هم أهلها الأول من هؤلاء الكنعانيين العرب .

وفلسطين بحكم موقعها الجغرافي بين القارات الثلاث القديمة كانت طوال تاريخ الحضارة تقريباً جسراً يعبره الغزاة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب كما يمر عليه الفاتحون من الشمال بجاذبة الساحل إلى الجنوب حيث الجزيرة العربية ومن أفريقيا الشرقية إلى الشمال . كما كانت بالنسبة لخصب تربتها واعتدال مناخها قبلة للقبائل الرحّل المتنقلة من الجنوب والشرق والغرب وليس إلاّ في فترة من تاريخ ذلك العهد كان أن ارتحلت من القرآت الأدنى تلك العائلة العائدة بأصلها إلى « بابر » فاختارت « أرض كنعان » مأجاً وسكنت بين أهل هذه الأرض من الكنعانيين ! ..

أجل . .

لقد خضعت هذه البقعة لعناصر شتى ، وفي فترة خاصة من تاريخها كانت خاضعة لحكم هذه الجماعة من سلالة إسرائيل ولكن ذلك كان لفترة وجيزة من الزمن . وكما دالت ممالك غيرها في هذه المنطقة دالت هي أيضاً بل وذابت سلالة إسرائيل نفسها في تيار الزمن ولم يعد هناك إلا يهود كانوا قد تهودوا ولا تربطهم بأبناء إسرائيل نفسه صلة عنصرية فما هي ، بعد ، هذه الروابط التاريخية التي تربط يهود اليوم بفلسطين والصهاينة بصهيون ؟ . .

أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم ببني إسرائيل وتربط سلالة الخزر ببني إسرائيل ؟ . .

إن الصلة بين صهيون والصهاينة إنما هي صلة لا تحمل من المعنى الجغرافى إلا الاسم ولا شئٌ غير ذلك ! . وأما الصلة التى تربط اليهود بفلسطين فليست إلا من خيوط الوهم المحض قد حيكت منها الروابط . . . هذه هي الحقيقة النابعة من أغوار التاريخ ! . .

فأما صلة الصهاينة بفلسطين فلقد ذكرنا هذه الحقيقة التاريخية في مسهل بحثنا هذا عندما فرقنا بين « العبريين » وبين « بنى إسرائيل » وبين « اليهود » . وقلنا إنه في نهاية القرن السابع عشر الميلادى أبدى « بولان » ملك الخزر رغبته في الاطلاع على الدين اليهودى ، ثم وافق هوامه فاعتنقه ولم يلبث أن أرغم شعبه على اعتناقه . وهكذا أصبحت تلك المملكة التى كانت تحتل منطقة تقع بين جبال الأورال شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً بمملكة يهودية صرفة ! . ثم تعرضت هذه المملكة لغزوات شتى وتفرق أبداؤها ، وكان عددهم يربو على عشرة ملايين نسمة ، على دول شرق أوروبا وهؤلاء هم اليهود الغربيون

من سكان شرق أوروبا وهؤلاء هم أصحاب الحركة الصهيونية الحديثة وإذن ! أى الروابط التاريخية هناك تربط هؤلاء الصهاينة بفلسطين ؟ ..

أى الروابط التاريخية تربط سلالة الخزر بسلالة إسرائيل ؟ ..

إن الخزر شعب غير سامى ومن الوجهة العالمية فى علم الأجناس ينتمى إلى سلالة القبائل المنغولية التى كانت تسكن أواسط آسيا ثم طرد فى القرن الأول الميلادى فراح يتوغل فى شرق أوروبا وليس إلا بعد سبعة قرون من الزمن اعتنق اليهودية ديناً فأى الروابط التاريخية ، إذن ، تربط هذا الشعب غير السامى الذى لم تسكن له صلة إطلاقاً بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى « أرض كنعان » بالقبائل السامية التى عاشت يوماً فى أرض كنعان ؟ ! .

ثم ، بالتالى ، أى الروابط التاريخية تربط يهود العالم الحاضر بفلسطين وأية قرابة لهم ببنى إسرائيل ؟ ..

إن يهود عالم اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين والعودة إلى التاريخ نفسه إنما هى على هذه الحقيقة برهان ... حقيقة لقد جاء الفتح الفارسى لبابل وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين فعاد منهم كثيرون وأقاموا معبدهم بل وأنشأوا فيها حكومة لهم ولكن ! . المجموعة الساحقة من هذه الجماعة الدينية لم تكن إلا جماعات قد تهودت ! . فاقدت اليهودية ، كدين ، فى خلال القرون الطوال قبل الميلاد وبعده قد انتشرت فى أجزاء مختلفة من العالم .. فقد أعتنقها جماعات صغيرة من الشعوب التى كانت تسكن نفس فلسطين . ثم أسهم أسرى الحروب والتجار والمشردون من اليهود بنقلها إلى شعوب القبائل فى شمالى أفريقيا حتى مراکش وحتى الحبشة وتوغلوا بها حتى الصين والهند واليمن ومن هنا انتشر الدين اليهودى بين فئات كانت تنتمى إلى كل الأجناس المعروفة ..

ففي كل جنس كنا نجد أقلية صغيرة تهودت واعتنقت اليهودية ديناً.. ومن ثمّ فإن هؤلاء اليهود ينتمون إلى أجناس لا صلة لها قط بتاريخية بفلسطين ولا يوجد أي الروابط التاريخية تربطهم بفلسطين ولا أية قرابة لهم ببني إسرائيل ؟!

إن إسرائيل نفسه وأسباطه الإثنا عشر لم تكن لهم صلة تاريخية بفلسطين ، فكيف بسلالة الخزر وبفئات تهود أسلافها وتوارث دينها هذا عن هؤلاء الأسلاف ولا يعود العنصر منها إلا إلى أجناس مختلفة متفرقة في أرجاء العالم ؟ ..!

وإذن ..! فإن الحجّة الأولى للصهيونية الحديثة ، وهي القائلة بالروابط التاريخية لليهود في فلسطين ، تنهار من أساسها ..! لا لأنه لا رابطة تاريخية لسلالة الخزر بفلسطين فحسب ولا لليهود ، وبالتسالي ، ولا لأن بني إسرائيل أنفسهم لا صلة لهم بتاريخية بفلسطين فحسب وإنما لأن بني إسرائيل أنفسهم لا وجود لهم اليوم إلا كأطياف عابرة في مخيلة التاريخ ..!

إنّ يهود اليوم ليسوا من سكان فلسطين الأصليين ولم تكن لهم بفلسطين في عهد من العهود صلة عنصرية ولا روابط تاريخية يمكنهم الاستناد إليها وهذه حقيقة تكشف عن ماهية الدعوى التي يستند إليها الصهيونيون في « حقهم السياسي » فلسطين وهي الدعوى القائمة على قيام حكم لبني إسرائيل فيها ، هو في الواقع حكم لم يندثر ويتلاشى منذ نيف وثلاثين قرناً من الزمن فحسب وإنما هو حكم لم يدم إلاّ للحجة في جنم الزمن كما أنه لم يبسط سلطانه على كل فلسطين ..!

ولكن ! .

ما زال الصهيونيون يستندون في مطالبهم الإفليمية في فلسطين

إلى هذه الفترة من الحكم التي كان فيها لبني إسرائيل وهي الفترة التي بدأت بـ « شاول » وانتهت بالغزو البابلي لملكمة الجنوب .. بئيد أننا هنا نتساءل ؛ ألا يرى هؤلاء الصهاينة اليهود واليهود الصهاينة أن هذا التحديد نفسه يهدم دعواهم من أساسها ؟ .. فإن حكم « شاول » لم يكن قط ذا سيادة حقيقية على البلاد التي كانت أكثر بقاعها تقع تحت الظل الكنعاني والفلسطيني كما كانت ، بالتالي ، تقع تحت نفس هذا الظل إبان السنوات السبع من حكم داود في حبرون قبل أن يهزم الفلسطينيين ويستولى على آخر حصون كنعان ، حصن صهيون ، ويتخذ من القدس عاصمة لملكته هي ولئن بلغت ذروتها في عهد سليمان إلا أن القسم الأكبر من فلسطين لم يدن لها بالطاعة ولم يعترف لها بالسلطان .

ثم إن هذه المملكة ، التي لم تعمر أكثر من تسعين عاما ، قد انشطرت عقب وفاة سليمان وانقسمت إلى « مملكة إسرائيل » في الشمال و « مملكة يهوذا » في الجنوب وهذا الانقسام ، نفسه ، لم يجز أيضا بالاستقلال الحقيقي لـ « مملكتي الملكتين » لأن كلا منهما كانت تخضع إلى دولة عظمى خارجية وإلى حماية هذه الدولة كانت باستمرار وجودها تدين حتى جاء الغزو الآشوري فاكتمل « مملكة إسرائيل » ومحاربا محووا من صفحة التاريخ ثم جاء الغزو البابلي فأدال من « دولة يهوذا » من الجنوب ثم حمل « يواقيم » آخر ملوكها من « بيت يهوذا » والآلاف من رجال « اليهودية » أسرى إلى بابل وفي مقدمتهم « سبط يهوذا » نفسه وهؤلاء هم الذين تعهدوا فكرة « الأرض الموعودة » بالإئمان عندما رف عليهم ذلك الأسر وابتعث الذكريات عن حال مماثل كان في أرض النيل للآباء فراحوا يصبئون النعمة على الفرات والنيل معاً ويسطرون بأن « الأرض

الموعودة « من الفرات إلى النيل ، بينما لم يسمعهم إلاّ النبا كي على اورشليم
المضائعة والترنم على ضفاف الفرات بذكرى صهيون ! .

ومن ثمّ فنحن إذا سلّمنا بأن مدى الحكم لبني إسرائيل ، لا
للإهود ، في فلسطين كان من «شاول» ١٠٠٧ ق.م ، إلى «يواقيم» ٥٨٦ ق.م ،
فإننا نتوصل إلى حكم دام نيفاً وأربعة قرون من الزمن وهذا المدى الزمني
فقط هو الذي يستند إليه الصهيونيون في مطالبهم الإقليمية في فلسطين ويستمدون
منه الرابط التاريخي والحق السياسي في أرض لا تربطهم بها صلة تاريخية ، قطّ ،
وذلك لسبب واحد آت من نفس تاريخهم نفسه وهو أنهم ليسوا بإهوداً من
نسل آباء كانوا قد تهودوا وليسوا ، قطّ ، ببني إسرائيل ! .

وهنا لنا كلمة نقولها وهي ؛

إن هؤلاء اليهود الذين يستندون إلى هذا
المدى الزمني في مطالبهم الإقليمية في فلسطين إنما هم يتجاهلون المدى الزمني
لحكم العرب فلسطين ! .. ألا يذكر الصهاينة المدى الزمني لحكم العرب
فلسطين ؟ ! ..

إن الفتح العربي ، ٦٣٦ ، قد اغتمر فلسطين .. بل واغتمرها اغتاراً
كان من أثره أن ضاعف صبغها بالصبغة العربية الخالصة ، فلقد أمتد للعرب حكم
في فلسطين لم يدم نيفاً وأربعة قرون من الزمن وإنما .. ! إنما نيفاً وأربعة عشر
قرناً من الزمان ! .

يقيناً إن هذه الفترة من تاريخ فلسطين لكفيلة بالرد على مزاعم
الصهاينة في نداءهم بالحق السياسي للإهود في فلسطين وهي نفسها ، بالتالي ، البرهان
على تثبيت دعائم العروبة في فلسطين تثبيتاً تنهار أمامه ما تستند إليه الصهيونية

العالمية من حُجَج ومزاعم ...

هذا هو الواقع إذ عدنا إلى استعراض التاريخ ، فليس إلا على أساس إحصائي صرف تتكشف هذه الحقيقة ونخلص بها إلى النتيجة الحتمية من هذا السؤال الذي ألقيناه لنجد أن أصحاب « الحق السياسي » في فلسطين إنما هم :

العرب ! ..

وهــنـا ..

هنا يجابهنا هذا السؤال :

هل لليهود « حق قانوني » في فلسطين ؟ ..

منطقيًا أن الجواب عن هذا السؤال هو : لا أحقية لشعب في

فلسطين إلا لشعب فلسطين ..

ولكن ... من هو « شعب فلسطين » ؟ ...

من الأسانيد التاريخية نستطيع أن نتخذ من العصر الكنعاني ؛ بداية فنقول إن من الكنعانيين ، والكنعانيون موجة عربية بحثة قذفها شبه الجزيرة العربية ، قد تسكون شعب فلسطين فهو شعب عربي محض ! ..

حقيقة أن الدم الكنعاني قد ذاب في الدماء التي مازجته والتي كان ، في خضم الغزوات والفتوح ، بها قد امتزج . غير أن هناك مازالت نسبة مثوية من الدم العربي أعلى من النسبة المثوية لأي دم آخر وذلك يعود بأصوله إلى هذا الأصل الكنعاني العربي البحت كما يعود بأسبابه إلى ذلك التدفق العربي على البلاد واستيطانه لها خلال نيف وأربعة عشر قرنًا من الزمان .. وهذا مما يجعل من للنطق ، والنسبة المثوية المليها هي لادم العربي ، أن نقول إن فلسطين هي أرض

العرب وإن العرب هم أصحاب « الحق القانوني » في فلسطين ١ .
ومن ثم ، فإن هذه الحجة
الصهيونية القائلة بالرابطة التاريخية والدينية لليهود في فلسطين إنما هي حجة إذا
جزمنا بصحتها ، على أساس من معبد كان لهم فيها وهيكل كان قد بناه سليمان ،
فليس إلّا لنقول ؛

متى كانت الرابطة الدينية حجة للاستيلاء على بلدٍ يقوم فيه رمز
من حوله تترايط أفئدة بالإيمان ؟ .. !
هذا هو العالم المسيحي ! . أيتخذ من وجود قبر السيد المسيح ، عليه
السلام ، في القدس ذريعة للاستيلاء على فلسطين ثم الزحف منها على بلاد
العالم ؟ .. !

وهذا هو العالم الإسلامي ! . هل يتخذ من وجود « البيت الحرام »
في مكة أو يتخذ من وجود ضريح الرسول ، عليه السلام ، في المدينة ذريعة
للاستيلاء على أحد البلدين ثم الزحف منها على بلاد العالم ؟ ! .
كلا ! .. !

وإذن ! . فإن حجة الصهاينة من حيث التذرع بذكرى هذا الارتباط
الديني لليهود بفلسطين إنما هي حجة واهية لا تقوم على أساس سليم من المنطق
بل وإنما حجة تنقض نفسها بنفسها لأن الارتباط الديني بأى بلد لا يمنح لأحد
« الحق السياسي » أو « الحق القانوني » في الاستيلاء عليه ! .

وهكذا تنهار الركيزة الأولى من الركائز الأربع للمثلة أسس
الحركة الصهيونية العالمية .

وأما الركيزة الثانية وهي القائلة بأن اليهود يمثلون في شتى أنحاء العالم شعباً واحداً ينتمى إلى أصل واحد مرجعه إلى فلسطين ، ومن ثمَّ يجب أن يُعتبر جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي «الجنسية الإسرائيلية» فهذه ركيزة تقترب منها بهذا السؤال ؛

هل « للجنسية الإسرائيلية » وجود ، حقاً ، ؟ .

هذه الركيزة القائلة بأن جميع يهود العالم ينتمون إلى « بني إسرائيل » ومن ثمَّ فهم يُكوّنون « جنساً » وبالتالي « شعباً » ثمَّ « أمة » ومن هنا يريدون الاستقرار في وطنهم السابق إنما هي ركيزة لاسند لها من الواقع التاريخي إطلاقاً وليست في واقعها إلا خرافة تاريخية ابتدعتها الدعاية الصهيونية ، يدحضها البحث العلمى الصحيح وينقضها العلم الأثنولوجى الحديث .

البرهان ؟ ..

البرهان مستمد من علماء اليهود أنفسهم . فلقد وضع « جروفتش » ، أستاذ علم الأجناس في « الجامعة العبرية » ، تقريراً أوضح فيه نتائج التجارب التي قام بها على المهاجرين اليهود الذين وفدوا إلى « إسرائيل » من مختلف أنحاء العالم . وكان الرمي من وراء هذه التجارب هو فحص دماء هؤلاء الذين دفعت بهم « الوكالة اليهودية » إلى فلسطين لبيان ما إذا كان اليهود جنساً واحداً له فصيلة واحدة من الدم طالما أن العلم الأثنولوجى الحديث قد تمكن من تعيين فصائل الدّم لكل شعب من الشعوب على أساس من براهين أثبتت أن الدم موروث وأن كل شعب من الشعوب القديمة له فصيلة من الدم ورثها عن أسلافه وأورثها لسلالته .. وقد أوضحت هذه التجارب أن

نسبة ضئيلة جداً من يهود الأقطار العربية هم من نسل سامى الجنس وأما المجموعة الكبرى من يهود العالم وخاصة يهود أوروبا الشرقية فلا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية ١ .

ومن ثمَّ فإنَّ الركيزة الثانية التي أقامتها الصهيونية الحديثة على أساس أن يهود العالم أجمع يمثلون أعضاء في «جنسية واحدة» وأن لهم على هذا الأساس حقاً في فلسطين إنما هي ركيزة متداعية لاستحالة اعتبار اليهود جنساً واحداً له مميزاته الأثنولوجية الخاصة وهذا ما يجعلنا نفرق بين «بنى إسرائيل» وبين انتشار الدين اليهودي وبين انتشار اليهود فنذكر أن الدين اليهودي الذي أخذ في الانتشار في عهد الدولة الرومانية عامة وبعدها خاصة قد أنشأ طوائف من اليهود لا تمت إلى «بنى إسرائيل» بأوشاج قرابة ولا بصلة سوى صلة العقيدة ومن هؤلاء هذه النسبة الضئيلة من يهود اليوم الذين ينتمون إلى الفصيلة السامية ومن هؤلاء أيضاً يهود العالم العربى ، وخاصةً أوروبا الشرقية ، الذين لا ينتمون إطلاقاً إلى الفصيلة السامية ولا صلة لهم بإسرائيل ولا بأبناء إسرائيل ولا بأبناء إسرائيل ، هؤلاء الذين طواهم تيار الغزوات المتتالية والمتتالية في لجة التاريخ ١ .

ومن ثمَّ ١ .

على هذا الأساس العلمى البحت تنهار للصهيونية الحديثة حججها تقول بأن يهود العالم أجمع أعضاء في جنسية واحدة هي «الجنسية الإسرائيلية» طالما أن العلم الإثنولوجى قد أثبت بأنه ليس هناك في «علم الأجناس» شيء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» ١ .

١ . يقيناً ١ . يقيناً علمياً ، لا نقاش فيه ، أنه ليس هناك بين الأجناس البشرية شيء اسمه «الجنسية الإسرائيلية» وبهذا كانت قد أقرت ، أيضاً ،

« المجلس اليهودى الأمريكى » معترفاً ؛

« إن اليهودية لم تكن جنسية فى يوم من الأيام بل إنها دين
والجماعات البشرية التى يطلق عليها اسم يهودى جماعات تتمتع بجنسية الدولة
التي تنتمى إليها » ..!

هذا الاعتراف بجانب ما قدّمناه من برهان أثولوجى على انتفاء
« الجنسية الإسرائيلية » عن اليهود هو بدوره جانب من الدعامة التى نستند
إليها قائلين ؛
إن اليهود ليسوا شعباً بل طائفة دينية تضم جماعات مختلفة الأجناس
من الناس اعتنقوا ديناً واحداً ..!
وإذن ..!

متى كان لطائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الأجناس
وطن واحد ؟!

إن يهود العالم أجمع ليسوا إلا طائفة دينية تضم جماعات مختلفة
من الأجناس وليس لطائفة دينية حقوق قومية ولا حقوق تاريخية فى بلد من
البلدان ومثل هذا الادّعاء لا يقره « القانون الدولى » لأنه لا يعترف بالأديان
كأساس قومى ولا يقيم العلاقات الدولية على أسس دينية وإنما يعترف بالجنسيات
وإلا لطالبت كل جماعة دينية أن تكون لنفسها دولة استناداً إلى هذا القول !.
وهذه هى « البهائية » يمكن أن نتخذها مثلاً .. ينتشر البهائيون فى كل ركن
من أركان الأرض وينتمى أفرادها إلى جنسيات مختلفة ويمثلون طائفة دينية
واحدة تستمد وجودها من مصدر إيرانى بحث فماذا يكون حكم المنطق التاريخى

عليهم إذا حاولوا التجمُّع وادعوا امتلاك إيران !؟ .

ومن ثمَّ تنهار من أساسها هذه الركيزة الثانية التي استطاعت بها الحركة الصهيونية العالمية ، تحت وهم « الجنسية الإسرائيلية » ، تجميع اليهود في فلسطين وإقامة « دولة » لهم فيها تحت اسم « دولة إسرائيل » .. هذه « الدولة » التي يُعد قيامها افتياتاً على القانون الدولي وخرقاً صريحاً للعواثيق الدولية ! .

وهنا نأتى إلى الركيزة الثالثة التي تمسكت بها الصهيونية العالمية من افتعال « دولة إسرائيل » بالفعل الا وهى القائلة بأن فلسطين هى « الأرض الموعودة » التي وعد بها « يهوه » إله إسرائيل « شعبه المختار » لتكون لهم وطناً وملكاً أبدياً يشمل كل ماحوله من أراضى تمتد من الفرات إلى النيل .. وذلك على أساس ؛

« مصدر عاطفى دائم مستقل عن الزمان والمكان ، قديم قدم الشعب اليهودى ذاته ويتمثل فى الوعد الإلهى بالعودة .. ذلك الوعد الذى يرجع إلى قصة اليهودى الأول الذى أبلغته السماء أن سأعطيك ولديرتك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً أبدياً » ..^(١)

ومن ثمَّ

وهت كل حجة فى يد الصهيونية الحديثة والصهيونية العالمية على هذا الادعاء إلا حجة واحدة بها تنشبَّت وهى هذه التى تتمثل فيما تحمله فى :ها من « كتاب » تحفَّه بالقدسية وتُسجَّل نصوصه « الأسفار الخمسة الأوّل » الممثلة للتوراة هذا « الوعد » بأرض كنعان المترامية فى أحضان الفرات والدليل !..

(١) « بن جوريون »

كلا!..

كلا ، ليس هذا بالقول الجزاف وإنما هو الواقع المرتسم سطوراً
على مدخل الـ « كنيسة » ينادى ؛

« حدودك يا إسرائيل من الفُرات إلى النيل !. »

ثمّ من « تل أبيب » ما زال يصيح ؛

« ومن البحر المتوسط حتى الفرات ، ومن لبنان حتى نهر

النيل !. » ^(١)

لا جدال أن هذا « الوعد » مصدره « التوراة » ، ولكن !.. حتى نتناول هذه
« التوراة » ونضعها ، بعد قليل ، في ميزان التاريخ ونسلط عليها أشعته سابرين
ماهيتها وشرعيتها من حيث الصحة والبطلان وعند ذلك تنهار من أساسها هذه
الركيزة الثالثة ، نسترسل قائلين ؛

إننا من هذا نرى أن الصهيونية الحديثة لا
تقف عند المدى الذي مكّنها من افتعال « دولة » لها في فلسطين وإنما هي على
أساس من هذه النصوص الواردة في « التوراة » تمادى بأطباعها إلى الاستيلاء
على الشرق الأوسط بأجمعه وتستهدف مد نفوذها على سائر هذه الأنحاء التي
حدّتها « الأسفار الخمسة » ومن هنا راحت تطلق الصيحة في كل الأرجاء قائلة
بأن رقعة « الأرض الموعودة » غير قاصرة على فلسطين وإنما هي تشمل كل
البقاع الممتدة من الفرات إلى النيل وأنه يجب الاستيلاء على كل هذه الرقاع
تحقيقاً للنصوص الواردة في التوراة !..

وهنا نأتي إلى الركيزة الرابعة وهي القائلة بأن « يهوذا » قد تعهد

(١) المصدر نفسه

بأن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى السيادة على العالم ومن ثمّ تكون فلسطين قاعدة الإمبراطورية اليهودية العالمية ..

نعم ، إنَّ :

« على الشعب اليهودي أن يجمع قواه لتحقيق هذه الأهداف والاستعداد للوصول إلى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية التي تضمُّ يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة في التوراة ! » ^(١)

ومن ثمّ فإننا من هنا نرى أن بقاء «دولة إسرائيل» في فلسطين لا يُعدّ إلاّ مرحلة إذا لم تُتحد فستتفتق عن مراحل أخطر طالما أن الشرق الأوسط قد غدا في العقيدة اليهودية هــو الرقعة من الأرض التي منحها لهم إلههم !. إن «دولة إسرائيل» بمحدودها الحالية لا تعدّ في النظر اليهودي الحديث قاعدة استقرار وإنما موطئ قدم للتحفز والثوب ورأس جسر لتحقيق نصوص التوراة بإنشاء «الدولة اليهودية الكبرى» على قاعدة تمتد من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً ..
كلا !.

كلا ، ليس هذا بالقول العابر ولما هو بالرهل من الحديث فإنما المسمع مما قد طرقته هذه العبارات القائلة ؛
« إننا لم نحقق بعد هدفنا !.. »

نحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط ولذلك سنجعل الحرب حرفة حتى يتم تحرير بلادنا كلها بلاد الآباء والأجداد ..
وسنحقق رؤى أنبياء إسرائيل !..

(١) « بن جويون » في عام ١٩٤٨

وسيعود الشعب اليهودي بأسره إلى أرض آباءه وأجداده ...! »

« بن جوريون »

هذه الأهداف التي تستهدفها هذه « الدولة » القائمة على أساس وهمي من القول بـ « الجنسية الإسرائيلية » والهادفة إلى جمع شتات يهود العالم في « فلسطين » ثم إفساح حدود « إسرائيل » حتى ينفصح المجال لتوطين اليهود الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم بحيث تشمل فلسطين « التاريخية » من الفرات إلى النيل ، كانت موضوع البحث الرئيسى للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين يوم عقد في القدس ، أغسطس ١٩٥١ ، وطالب فيه ممثلو اليهود من أعضاء هذا المؤتمر ؛

« ألا يجبن أحد من اليهود عن الجهر بعزم الصهيونية على جمع يهود العالم في الدولة اليهودية ...! »

وكرجى العدى من هذا الرجاء دوت في أرجاء الـ « كنيست » ، عام ١٩٥٥ ، هذه الصيغة الأخرى تقول ؛

« إن إسرائيل لن يكتب لها البقاء ما لم تشن حرباً وقائية على الدول العربية وتعمل على مدّ حدودها داخل هذه الدول حتى تضمن سلامتها وتحقيق الحلم الذى طالما راود فلاسفة الصهيونية ألاّ وهو إقامة امبراطورية إسرائيلية ممتدة الأرجاء تفرض سلطانها قوياً يخشاه الجميع ...! »

« موسى شاريت »

ومن « تل أبيب » انطلقت صيغة أخرى تقول ؛

« إن إسرائيل بوضعها الحالى لا تمثل إلاّ خمس ما يجب أن تكون »

عليه أرض الآباء .

ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية ! .
« مناحيم بيجن »

والآن ؟ .

الآن ندور اللّوالب الفكرية منّا ، مرة أخرى ، على

هذا السؤال ؛

ما هي هذه « الأربعة الأخماس الباقية » ؟ ..

إن الجواب عن هذا السؤال قد سبقت منّا الإشارة إليه في مستهل بحثنا هذا ونؤكد الآن قائلين ؛ إن تعريف هذه « الأربعة الأخماس الباقية » لا يتينا إلا من الخريطة الجغرافية التي وضعها اليهود لامبراطوريتهم المرتقبة وهي نفسها الخريطة الرسمية المستعملة في المدارس اليهودية .. فنحن لا نلقي عليها نظرة إلا ونعلم أن هذه « الأربعة الأخماس الباقية » هي ؛ شرقي الأردن وسوريا ولبنان والقسم الأكبر من العراق ومن أراضي الإقليم الجنوبي بما فيها سيناء كلها والدلتا المصرية ، كما تضم أراضي جنوبي العقبة بما فيها « المدينة المنورة » حيث يقوم « الضريح النبوي الشريف » ! .

هذه هي الخريطة الجغرافية الرسمية المتبعة اليوم في « دولة إسرائيل » ولتدريس النشء كيما يفتح كل طفل يهودي عليها عينيه ويشحذ للغد قواه أملاً في احتلال كل هذه الرقاع مستهلاً عدوانه على الأجزاء العربية من فلسطين وشرقي الأردن ، هذه الأجزاء التي تسميها هذه الخريطة ؛ « إسرائيل المحتلة من العرب ! » .

ومن ثمّ فإنّ هذه الخريطة الرسمية لـ « إسرائيل » ، بالإضافة إلى التصريحات التي مررنا بها والصادرة عن شخصيات لها اعتبارها السياسي في سياسة « إسرائيل » ، هي إن دلت على شيء فإنما تدل على إصرار الصهيونية العالمية على ألا تقف عند حدّ إقامة « دولة إسرائيل » ! . كلا ! . وإنما هي تعلن ، صراحة ، أنها تتربص الفرص وتتحين الظروف المواتية لتحقيق الحلم الكبير من الفرات شرقاً إلى النيل غرباً في نفس الوقت الذي تستخدم فيه جميع الوسائل وتستغلّ جميع الفرص وتزود بكل الإمكانيات لتحقيق هذا الحلم الذي بدأت ، بالفعل ، تتخذ إليه الطريق ! .

أولم نقل ؛

« على الشعب اليهودي أن يجمع قواه . . . والوصول إلى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية التي تضم يهود العالم جميعاً وتحقيق النصوص الواردة في التوراة ؟ ! . » (١) .

ولإذن ! ..

« التوراة » ، وليس إلّا « التوراة » ، هي الباعث الأساسي لهذه الصرخة المحمومة التي تطلقها الآن « إسرائيل » . « التوراة » وليس إلّا « التوراة » بما تحمله من نصوص هي مبعث كل هذه الشرور لأنها هي نفسها الأساس الذي تقوم عليه نفس « دولة إسرائيل ! » فإن وجود هذا الشرّ المسمى « إسرائيل » في هذه المنطقة من شرقنا العربي وتماذيها في التوسع وتحولها إلى التفنن في أساليب العدوان علينا لا يقوم إلّا على دعائم من نصوص هذه « التوراة » وهذا مما يجعلنا نقول بأن اتجاهنا نحو توطيد الاستقرار في منطقة

(١) « بن جوريوت »

الشرق الأوسط يحتم علينا ألا نفعل المصدر الوحيد الذى استمدت منه هذه « الدولة » الأسطورية السماء « إسرائيل » وجودها ومنه تستمد كياناتها وقوتها وبقائها ألا وهو هذه « التوراة ! » .

أجل ..

إنَّ مما لاشك فيه هو أن تحقيق الحلم الذى طاف على الجبين اليهودى طويلا بقيام « دولة » لهم فى فلسطين يرجع إلى مساندة المصالح الاستعمارية وتأييدها كما أنه مما لاشك فيه هو أن جهود الاستعمار قد تضافرت مع جهود الصهيونية منذ أمد بعيد على ابتداع « دولة إسرائيل » وأن الصلة التى تدعمت بين هذين الجانبين من خلال الأساليب التى انتهجتها الصهيونية قد أدت إلى افتعال هذه « الدولة » التى تمكنت من أن تلعب دوراً هاماً على مسرح التاريخ السياسى والسياسة الدولية وأن تبرز على صفحة الحاضر كقوة سياسية ولكن ..! حجر الأساس فى بناء هذه « الدولة » لم يكن إلا « التوراة » ! .

هذا هو الواقع التاريخى ... !

يقيناً .. !

يقيناً إنَّ هذا هو الواقع التاريخى فليس إلاَّ استناداً إلى هذه « التوراة » المفتراة استطاعت الصهيونية العالمية استدرار العطف على اليهود وبرعت بصفة خاصة فى فن إثارة عواطف الشعوب فى العالم القديم والعالم الجديد حتى تمكنت من أن تدخل فى روع الجماعات أن هناك روابط دينية عميقة تربط اليهود بفلسطين كأرض هى لهم « موعودة » .. ! فلقد كانت دعاياتها من التنظيم والقوة بحيث أقنعت المجموعة الكبرى فى هذين العالمين بأن هذه الأسطورة حقيقة ! . ولذلك أقول بأن كل محاولة عن امكان الاستقرار فى

منطقة الشرق الأوسط ان تأتى إلى الغد بنتيجة فاصلة طالما ظلت الشرعية الوهمية تحف بهذا المصدر الذى تتخذ « إسرائيل » سلاحاً حاداً فى يدها وسنداً لها فى حجتها والذى منه انتزعت الصهيونية الحديثة ركيزتها الرابعة والأخيرة إلا وهى القائلة بأن « الرب » قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل فى النهاية إلى المسيادة على العالم ! .

والآن ؟ .

الآن والصهيونية العالمية لا تقف عند المدى من افتعال « دولة » لها فى فلسطين انتزعت الحجة على « شرعيتها » مما فى يدها من « تورا » تزعم أن دعوتها منها مشتقة وعليها مبنية . .

الآن والصهيونية العالمية تأبى إلا التمدى وهى عطشى إلى الدماء تتحول ناحيتها بأسلحة صاغت من النصوص الواردة فى « التورا » وشعذت منها النصل على غلاف « التامود » مستهدفة هتلك أسرارنا واستنزاف دماننا والتضحية بنا قرابين ترفعها إلى « يهوه » إلهها على أساس من نصوص هذه « التورا » القائلة بأن « الأرض الموعودة » تشمل كل الرقاع الواقعة من الفرات إلى النيل . .

الآن ورقة « الأرض الموعودة » قد اتسعت مساحتها فى الخيلة اليهودية انساعاً لا يقتصر على فلسطين ولا على أنحاء من شبه الجزيرة العربية لها كل التقديس وإنما أصبحت تطوى معاً الفرات والنيل لتشكل كل هذه الرقاع بمثابة قاعدة تستطيع هذه « الحجة » السامة الزحف منها على العالم حتى تتم تطويقه كله بجسدها واعتصاره عصرها حتى الإفناء التقييم على أقباض مدنياته

وأشلاء أهله « الأمبراطورية اليهودية العالمية » عملاً بنصوص التوراة . . .

ومن ثمّ فالآن ..

الآن ورأس هذه « الحيّة » قد ارتفع مُرسلاً فحيّجه السّام
في كل متجه بنصوص من « التوراة » فليس إلا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول
تناولاً سابراً هذه التوراة التي لا تستمد هذه « الحيّة » حياتها إلا منها ولا
يقوم لها كيان إلا بها ولا يرتفع لها رأس إلاّ على مساندها ولا يزحف لها جسد
تُشكّله هذه المجموعة من « أبفاء الأفاعى » ، كما تسميهم أسفارهم ، إلاّ على ما قد
جاء من نصوص هذه التوراة التي لا نتناولها إلاّ لنضعها في ميزان التاريخ وإلاّ
لنسلّط عليها أشعته وأضواءه وليس إلاّ في هذا الميزان وتحت هذه الأشعة
والأضواء نظرحها أمام الرأى العالمى ونسأل المنطق العالمى الحكم على مدى
شرعية « الأرض الموعودة » وحياة « إسرائيل ؟ ! » .

التقريب

(٣٠ - ٢)

عقيدة « الأرض الموعودة »

في ميزان التاريخ

إن المنطق الصهيوني العالمي الذي يرسل اليوم في مسمع العالم فيحيه سميراً يصيح أن فلسطين هي أرض اليهود لم يأت بجديد ، فما هذا الفحيح الذي تنفثه هذه « الأفي » إلاّ ترديداً لفحيح لها قديم وحديث . . . أقدمه يوم تماسكت وهي في أسر الفرات وفي تطلع نحو وكر لها اتخذته من جبل صهيون راحت تنفث شرر النقرة على الفرات وعلى النيل ، وأحدثه يوم زحفت هذه « الأفي » إلى داخل « هيئة الأمم المتحدة » ورفعت رأسها من على منبره وأطلقت فيحيها يطلب « الاعتراف » بقيام « دولة إسرائيل » ويصيح ، شاهراً في وجه العالم هذه « التوراة » بدعوى أنها الحجّة الشرعية التي تحمل نصوصها هذه المنحة الأبدية لليهود ، قائلاً ؛

« قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني ولكننا حقاً لنا على أساس روحاني » .

فهى الأرض التي وعدنا بها وأعطانا إياها الله ! .

إن هذا الفحيح وإن كان قد نفث سماً ولم يعن بكلمة « الله » هنا ربّ العالمين وإنما « يهوه » إله إسرائيل فإنما هو في واقع الأمر لم يقل إلاّ صدقاً ! . فلا سند لليهود يمنحهم فلسطين إلا هذه « الأسفار الخمسة » التي تُسكّن نصوصها مادة هذا « الأساس الروحاني » الذي استطاعوا إيهام الجانب الأكبر من العالم بصحته حتى تمكّنوا من أن يقيموا عليه هذا البناء الأسطوري والوكر الصهيوني المسمى « إسرائيل . . . ! » .

وهذا هو ما قد وقع بالفعل . فإن « دولة إسرائيل » ، هذه « الدولة » القائمة من نسج خرافة تاريخية كبرى ، قد أصبحت مرتعاً لهذه « الأفعى » التي تغفلت الأجيالُ السابقة عن سحق رأسها حتى اشتدت فاجترأت وأخذت تزحف نحونا اليوم تشهر سلاحاً في وجهنا صاغته من نصوص هذه « التوراة » وشحذت منه النصل على غلاف « التلمود » . . .

هذا هو الواقع فأما « إسرائيل » التي تطاولت اليوم بالعدوان علينا لم تتكوّن إلا من مادة هذا « الحق الروحاني » الذي استمدته هذه « الأفعى » من نصوص هذه « الأسفار الخمسة » التي تُكوّن هذه « التوراة » ، ومن هنا قلنا إن الصهيونية ليست إلا الجهاز التنفيذي لهذا الدين اليهودي الحالي الذي بناه يشوع بن نون ، هذا السفاح الذي بذر هذه السياسة العدوانية في تاريخ هذه الطائفة غداة قبض على زمام الأمور في تلك اللحظة التي انحرف فيها بنو إسرائيل عن موسى وتمردوا عليه ودارت أعينهم بحثاً عن رئيس حتى استقرت عليه هذا السفاح الذي أساس له العنق من هذه الجماعة إشباعاً لما في نفوسهم من أهواء مالت بهم إلى انتهاج منهجه في معاملة من سواهم من الناس ثم راحوا يتبعون له خطوات سجلتها عليهم « توراتهم » هذه التي تتحدث عنه قائلة بأنه صعد مع موسى إلى قمة ذلك الجبل ثم عاد بدونه وأعلن أن موسى لن يعود أبداً وما ذلك إلا لأنه قد خان « إله إسرائيل » فغضب عليه وقال له ... « اصعد إلى قمة عباريم من جبل نبو .. ومِت هناك ! » .

ولكن لما كان بنو إسرائيل قد وجدوا أن في الالتصاق باسم موسى ما يمنعهم بين الشعوب حيثية وكيانا وبالتالي وسيلة إلى تحقيق مآرب لهم وغايات فقد اتخذوا موسى رمزاً وأبوا إلا أن يظهروا بأن الأيام لا تزيدهم بموسى إلا تعلقاً وله استقطاباً وأما واقع الأمور وحقيقته فليسوا هم إلا يشوعيين قلباً وقالباً ،

حقاً ! . لقد فسق بنو إسرائيل يومَ مالوا إلى يشوع في ميل
عن موسى لتلحق بهم لعنة هذا الرسول الكريم الذي نعتهم بالجحود ولهم ؛
« . . قال ؛ بثما خلفتموني من بعدى ! » ^(١)

وأما كيف تمكنت هذه الطائفة الدينية ، أتباع يشوع بن نون ،
من إيهام العالم بأنها دينها الإشوعي هذا إلى موسى تدين ؟ فتلك بدعة جرت
بها الأقلام في أيدي سبط يهوذا وهم في أسر الفرات يعبدون بها الطريق إلى
إعادة « مملكة اليهودية » من جديد فليس إلا ليصبغوا دعواهم بصبغة شرعية
راحوا بإملاء من نزعاتهم هذه يسطرون هذه « التوراة » وينسبونها إلى موسى
وهو بري منها ومن كل ماجاء فيها من فحش وسفه وإسفاف وإحلال واستهتار
وترهات والتي ليس إلا من نصوصها يذنع اليهود حقاً دينياً موهوماً في
فلسطين هو هذا الذي يدعونه ، اليوم ، حقاً روحانياً ..
ومن ثم ! ..

من ثم ، فقد آن لنا الآن أن نحاصر هؤلاء اليهود أتباع يشوع
ابن نون بالأدلة والبراهين ونلقى أضياء التاريخ على هذه « الحجة » التي تسجل
هذا « الوعد » الذي يجعلونه قد أتى إليهم من « إله إسرائيل » ، ونكرر
القول من « إله إسرائيل » لأننا لا نستطيع أن نغض الطرف متجاهلين ما
تحمله هذه الجملة القائلة « . . . أعطانا إياها الله » من معنى نعلم به تمام العلم ،
كما يعلمون هم أيضاً هذا العلم نفسه وبه يعترفون ، بأن المقصود بكلمة الله هنا
ليس إلا « يهوه » رب إسرائيل . . . فنتساءل ؛

هل لليهود حق روحاني ، ومن ثم ديني ، في فلسطين ؟ ..
هذا السؤال هو الأخير وهو الأهم . . . فإلى المقياس الأخير من ثم
وإلى الحجة الفاصلة في « قضية فلسطين » نأتي الآن . . . ومن هنا يتحتم علينا أن

(١) الآية « ١٥٠ » من « سورة الأعراف »

نضع عقيدة « الأرض الموعودة » في ميزان التاريخ وأن نسلط للتاريخ أشعة على هذه « الحجة » التي تحمل هذا « الحق الروحاني » سايرين ماهيتها من حيث الحقيقة والبطالان وبذلك نضع ؛

« الأسفار الخمسة » أو « التوراة »

تحت أضواء التاريخ

تصدر « الأسفار الخمسة » الكتاب « المقدس » للدين اليهودي الحالي والنصوص من هذه « الأسفار الخمسة » الحاملة اسم « التوراة » هي الحجة الوحيدة التي يبنى عليها يهود العصر الحاضر مطالبهم والصهاينة مشاريعهم اعتماداً على أن كل نص من نصوصها يعود إلى موسى متفاسين أنهم قد رموا بالخيانة وبغضب « الرب » عليه وأنهم ليس إلا ليعطوا دعواهم الصبغة الشرعية نسبوا هذه « التوراة » إليه وجعلوا النصوص منها إملأ صدر إليه عن « يهوه » إله إسرائيل ! .

كلا ! ..

كلا ، لن نتناول في هذا الصدد البحث في أمر صدور هذه « الأسفار » عن رب اسمه « يهوه » لا لأننا لا نؤمن بوجود هذا الرب الخرافي « يهوه » فحسب وإنما لأن الأخرى بنا أن نبحت أولاً ونثبت ثانياً عما إذا كانت هذه « الأسفار » ، حقيقةً ، صادرة عن موسى ! .

أين البرهان ؟ .

عنه ! تُقَالُ اليدُ من الصفحات تلوا الصفحات من هذه « الأسفار » بحثاً عن هذا البرهان فلا تثر إلا على النقيض .. !

كلا ! .

كلاّ ، لا برهان هناك يأتي من ثنايا هذه « الأسفار » على أنها قد أمليت على موسى إملاء من غيره أو حتى أن موسى كان قد أملاها ، على غيره ، .. وإنما على العكس وعلى النقيض كل حرف منها يُنادى ويصرخ بالاعتراف بأن نسبتها إلى موسى إنما هي نسبة خاطئة كل الخطأ .. لا لما تنتهي إليه من فحش القول بقذفها موسى ، عليه السلام ، بالخيانة وبغضب الربّ عليه فحسب وإنما لأن نسبتها إلى هذا الرسول الكريم هي نسبة خاطئة من الجهة التاريخية ! ..

هذه هي الحقيقة الصارخة التي تطلع علينا ونحن نلقى أضواء التاريخ على هذه « الأسفار » وتتسلسل بما تحتويه من نصوص في نسق تاريخي متسلسل يجعلها تفصح بنفسها عن نفسها في اعتراف صريح بأن أكثر من مؤلّف من « سلالة يهوذا » وأعضاء « بيت داود » قد اشترك في كتابتها وأن عهداً من الزمن طوالاً كانت تفصل بينهم وبين موسى ! . وبرهاننا الأول على أن هذه الأقلام اليهودية لم تجر في أيدي مؤلفي هذه « الأسفار » إلا بعداً كنساح الغزو البابلي لأورشليم وإدالة « دولة يهوذا » وحمل أبناء يهوذا أسرى من ظلال صهيون إلى ضفاف الفرات هو أن شريانا واحداً يجري فيها لا يمجّد إلا يهوذا وسلالة يهوذا ولا يستهدف إلا إعادة « مملكة يهوذا » إلى الوجود من جديد ! . واستهداف هذا الهدف هو الذي حدا بهذه الأقلام إلى تعمد فكرة « الأرض الموعودة » وإيمانها إلى عقيدة أبوا الآت تطاولاً بها على الفرات والنيل ، كما أملت ذلك عليهم عقدة نفسية في صدورهم سجلوها بأيديهم على أنفسهم يوم جلسوا في رسف هذا الأسر على شاطئ الفرات يتأملون ما قد آل إليه حالهم من حال

ابتعث في ذا كرتهم ذكرى حالٍ آخر مماثل كان في أرض النيل — للآباء
فاستشاطت جوانبهم بغيران النعمة على النيل وعلى الفرات وراحوا يوحى من
مخيلة محمومة يتخذون هذه «العقيدة» وسيلةً إلى غاية انحصرت في إعادة بيتهم هذا ،
«بيت داود» ، إلى الملك من جديد فتعود به «مملكة اليهودية» إلى الوجود ..
وهذا مما يجعل القول بنسبة هذه «التوراة» إلى موسى هو ، بعينه ، الافتراء
والابتهتان ! ..

الدليل ؟ ..

إن الدليل على انتفاء نسبة هذه «الأسفار الخمسة» إلى
هذا الرسول الجليل يأتي بما تذكره نصوص هذه «الأسفار» نفسها من مجريات
أحداث ومن أسماء بلدان وقبائل ومن تاريخ ملوك .. ومن ثمّ حتم علينا أن نتناول
كل «سفر» من هذه «الأسفار الخمسة» على حدة مستهلين بالأول منها ، فنضع ؛

« سفر التكوين »

تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفر» المسمى بالعبرية «براشيث» ، ومعناها
«البدء» نسبة إلى الكلمة التي يبتدىء بها ، توجد كلمة ينهار بها الركن الأول
من نسبة هذا السفر إلى موسى .. إذ يتبين لنا بها من الوجهة التاريخية أنه «سفر»
قد كُتب بعد عهد موسى بزمان غير قصير وهذه الكلمة هي ؛

« دان »

هذه المنطقة في فلسطين والمسماة «دان» كانت تُعرف حتى «عهد
القضاة» ، وعلى وجه التخصيص عهد «شمشون» ، باسمها الكنعاني «لايش» .

وكان ، حتماً ، هذا اسمها في عهد موسى لأنها لم تُسمَّ « دان » إلا في أعقاب وفاة شمشون سنة ١١٢٠ ق . م . ا . .

البرهان ؟ ..

إن البرهان مُستمدّ من نفس هذا « الكتاب المقدس » للدين اليهودي الحالي والذي به « شريعته » يتحدّثنا الصهاينة ويستمدون منه هذا « الحق الروحاني » الذي له يدعون بل ومتمزّع من سابع سفر فيه وهو المسمى « سفر القضاة » . . فهذا السفر ، « سفر القضاة » ، الذي يأتي بعد « سفر يشوع » مبثّرة يتحدث في الإصحاح الثامن عشر عن « قبيلة دان » قائلاً بأن هذه القبيلة قد ظلت حتى « عهد القضاة » تضرب عصا الترحال من مكان إلى مكان ويهيم أفرادها حيارى بين كل هذه الجهات حتى استقرت أعينهم في أعقاب وفاة شمشون على « لايش » وما لبثوا أن هاجموا وقتلوا أهلها وأحرقوها ثم بنوا على أنقاضها مدينتهم الجديدة هذه التي نسبة إلى أبيهم القبطى ، « دان » ، سموها « دانا » . . !

وهذه هى النصوص من « السفر » المشار إليه تحدثنا كيف ؛
« .. هبّ الخمسة الرجال وجاءوا إلى ، لايش » ! .

ثم ؛

« .. ارتحل من عشيرة الدانيين .. ست مئة رجل مُتسلحين بعدة الحرب وصعدوا وحلّوا . لذلك دعوا ذلك المكان محلّة دان » ! .

ومن ثمّ ..

حسب هذا التوقيت التاريخي نجد أن المؤلف الذى كتب

« سفر التكوين » ، هذا السفر الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة إلى موسى

ومن ثم . . .

حسب هذا الترتيب الدَّسِّي نجد أن هذا المؤلف نفسه الذي كتب هذا «السفر» الأول من أسفار خمسة نُسبت ، زورا ، إلى موسى لم يعيش فحسب في أعقاب « عهد القضاة » وإنما هو قد شاهد « عهد الملوك » ! . لا بد وأنه قد عاش بعد أن قام ملك في بني إسرائيل وإلا فكيف يتسنى التحدث عن ملوك إسرائيل ما لم يكن قد قام ملك في إسرائيل ؟ ! .

وإذن . ١ .

إذن ، فمن اليقين المنطقي أن العهد الذي كُتب فيه هذا « السفر » لا يمكن بأي حال أن يكون العهد الذي عاش فيه موسى ! . وإلا فكيف يمكن أن تجرى على لسانه ، عليه السلام ، قائمة بأسماء ملوك أدوم ومناطق حكمهم وعلى عهده وفي زمنه لم تكن توجد تلك المناطق ولا كان لملوك أدوم قد بدأ عهد ؟ ! .

نعم ، كيف يمكن أن يجرى على لسانه ، عليه السلام ، أي ذكر لملك قام في إسرائيل وهذا عهد بدأ بـ « شاول » عام « ١٠٠٧ » ق . م وتفصله عن عهد موسى فترة زمنية استوعبت حقبة من الأجيال تربو على اثني عشر قرناً من الزمان ؟ ! .

ومن ثمّ فهذا برهان ثانٍ يُؤيد البرهان الأول وينهار به ركن آخر من نسبة هذا « السفر » إلى عهد موسى في نفس الوقت الذي يرجح فيه لدينا الرأي بأنه « سفر » قد كتب في عهد أعقب انهيار « مملكة يهوذا » وزوال ملك « بيت داود » والبرهان على ذلك كلمة نلتقطها من نفس هذا « السفر » نفسه وتاريخها لا يتجاوز نفس هذا التاريخ ، وهذه الكلمة هي ،

فيهم تغلغلا وكما اتضحت عليهم معالمه بوضوح تام فيما بين منتصف القرن الثاني ق . م . إلى نهاية القرن الأول ق . م وكما سجلتها أيديهم تلك التي سطرت « المزامير » ثم « الأمثال » ثم « الجامعة » .

وبقيماً إننا على أنعام المزامير ، هذا « السفر » الذي تم تأليفه في أوائل القرن الأول ق . م . ، نسمع الشفاء الفريسية تغنى بثراء الروح . . . وفي « الأمثال » هذا « السفر » الذي يعود تاريخه إلى منتصف القرن الأول ق . م تضرب الفريسية على ثقافة الدنيا الأمثال . . . وفي « الجامعة » ، هذا « السفر » العائد بتاريخه أيضاً إلى منتصف القرن الأول ق . م . ، نرى الفريسية تشيخ إشاحة . . تامة عن زخرف الدنيا وبريقها الخاطف ثم تجمع كل ما فيها جمعاً وتسميه « قبض الريح » !

وبذلك تقدم الفريسية براهينها على أن « الزهد » قد اجترفها بعيداً عن دنيا إسرائيل وعلا بها من الأرض إلى « ملكوت السماء » .

وفي الواقع أن هذه الشعبة الأخيرة هي التي كانت قد يئست مع الزمن من تجديد « مملكة يهوذا » بقوة السلاح فعلق رجائها بملكوت السماء . . . ولكن ، لما كان التفكير الإيجابي في « ملكوت السماء » باعثاً على التفكير في محاولة تطبيق قوانين هذا الملكوت على الأرض فليس إلا لتستشعر في نفسها أن أمامها واجباً عليها أن تؤديه . وأن هذا « الواجب » الذي ينحصر في إقامة العدالة على الأرض يدفعها إلى الإصلاح الديني وهذا يتمثل في وجوب تعديل شرائع هذا الدين الدموي حتى نسخه عن طريق هذا التعديل وذلك بالحد من سلطة الكهنوت أو بالأحرى سلطان « بيت صدوق » . .

لاجدال في أن هذا « الواجب » الذي كان نفسه الدافع إلى كتابة « المزامير »

« الكلدان »

يتحدث مؤلف « سفر التكوين » في إصحاحه الحادى عشر قائلا بأن « أبرام » قد خرج من « أور الكلدانيين » . . . ولما كان هذا الاسم ، الكلدان ، لم يعرف في صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن سقطت « نينوى » عام ٦٠٦ ق . م فإن هذا يؤكد لدينا اليقين بأن مؤلف هذا « السفر » قد عاش في فترة زمنية جاءت حتما بعد أن انتهى الوجود السياسى لأشور وحل الكلدانيون محل الآشوريين ! . وبما أننا نعلم أن الكلدانيين قد حلوا مكان الآشوريين لمدى ثلاثة أرباع قرن من الزمن « ٦٠٦ — ٥٣٩ ق . م » وأن بابل قد استعادت في خلال ذلك مكانتها السياسية القديمة كعاصمة للعالم السامى فكنت ملكها « نبوخذ نصر » الثانى من تحطيم أورشليم سنة ٥٩٦ ق . م ونقل من نقل من أهل اليهودية في أصفاد الأسر إلى ضفاف الفرات وأن في خلال هذه الفترة الزمنية المشار إليها آنفاً قد عرف العالم القديم اسم « الكلدان » وطلع على التاريخ اسم « الكلدان » فإننا من هنا نستطيع أن نقول إن هذا « السفر » ، « سفر التكوين » ، لا يعود بتاريخه إلى عهد موسى ولا صلة لموسى به على الإطلاق . . .

والآن ؟ . . .

الآن ، وقد انهيار الركن بعد الركن من بناء هذا « السفر » الأول من « الأسفار الخمسة » المنسوبة إلى موسى فتصدع الصرح نفسه من « عقيدة الأرض » بل وتقوض ووقفنا على أساس له لا يعود إلّا إلى عهد متأخر عن عهد موسى ، أفلا نستطيع أن نعلى الصوت قائلين إن الشرعية تنتفى عن « سفر التكوين » انتفاءً قاطعاً لا شك فيه ؟ ! .

ومن ثمَّ . . .

ما هو حكم المنطق العالمى على دعوى اليهود ومطالب

وإنما لأن هذا « الملوكوت السماوى » سيجىء لاقتلاع فساد هذا الكهنوت ويمحق ضلاله من الأرض ويستبدل برؤسائه هذا الرب المحب لرشاش الدماء وريح القتر والقاصر على إسرائيل ، رباً آخر هو إله العالمين وزبّ الأرض والسما .
لذلك لن يحتاج « المخلص » إلى مسحة من هذا الكهنوت فأنما هو سيكون « المسوح من الرب » !

ولكن ! . . .

لماذا يستهزئ « بيت صدوق » ؟ . .

إن اليد الكهنوتية وإن كانت قد غيبت عن أورشليم « مخلصها » الذى كانت تراه مجسداً فى شخصية « زربابل » فأنما عن الأذهان التى كانت قد هيمت القبول هذه الفكرة لم تغب ، قط ، هذه الفكرة عن البال ! .. بل بالعكس بدأت رياح الزمن تنحسر عن هذه الجنوة وترسلها لهيباً وكأتمها ألسن تنادى بأن إلى ظهور هذا المسوح من رب العالمين ، هذا المسيح ، تنادى حاجة الزمن فى أورشليم والأيام تسير بها من بداية القرن الأول ق . م . حتى منتصفه وعلى وجه التخصيص غداة امتد الظل الرومانى عليها بل وليشتد من هذا النداء الدوى منذ هذه السنة ، ٦٣ ق . م ، السنة التى أصبحت فيها اليهودية ولاية رومانية حتى سنة ٣٧ ق . م . فلقد اشتد بالزمن هذا الإرهاص لآسيا واليهود الهيرودية قد بدأت فى الانتشار . . .

والواقع أن اليهود الهيرودية قد ضاعفت هذا الإرهاص فقد قام على عرش اليهودية هيرود الأكبر ، ٣٧ ق . م . — ٤ ق . م ، وبذلك قام بيت مالك جديد يعود بنسبه إلى « أدوم » .. و « أدوم » وان كان أخا يعقوب فإنما سلالة أدوم غير سلالة يعقوب وغير سلالة يهوذا الابن الرابع ليعقوب أو

الصهاينة ومطالبهم ودعواهم ليست إلا من هذا « السفر » نابعة ، وعلى الإصحاح الخامس عشر فيه إنا عقيده « الأرض الموعودة » قائمة ١٩ .

ما هو حكم الرأى السياسى على « دولة » لم تتخذ مبدءاً وجودها إلا على أساس من هذا « الحق الروحانى » وسجله هذا النص الأسطورى الوارد فى الإصحاح الخامس عشر فى نفس هذا « السفر » وهو الذى جاء فى صورة ذلك « الميثاق » ومكانه كان رحاب المنام آمراً بأخذ « عجلة وعنزة وكبش وحمامة ويمامة » علامة على منح حنفية من الناس ، لا وجود لها اليوم فى صفحة الزمن ، كل رقايع هذه « الأرض الموعودة » و « من نهر مصر إلى نهر الفرات » ١٩ .

ثم . . . ما هو حكم أتباع يشوع بن نون ، هؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود أنفسهم ، على هذا « السفر » . . هذا « السفر » الذى يحملونه بيدهم ويقدمونه للعالم بدعوى أنه الحجة الشرعية التى تسجل لهم « حقاً روحانياً » جاء وعداً فى منام ولقمة من الناس طوتهم راحة الزمن وانسدل عليهم جفن الأيام ؟ كلا وليس هذا فحسب وإنما هذا « الوعد » الذى جاء فى منام وجماعة لا تربطها بهؤلاء الأدعياء إلا صلة العמידة الدينية لم يكن فى واقعه إلا حاملاً حاكته عقدة نفسية عقدها الأسر البابلى فى صدور أصحاب « مملكة اليهودية » من أعضاء « بيت يهوذا » أنفسهم ! .. فهو حلم طاف على جبين سلالة يهوذا وهم فى الأسر البابلى قد جلسوا على شاطئ الفرات يتذاكرون حالاً راهناً لهم تساوى فى نظرهم بحال آباء لهم وأجداد عاشوا الزمن ، أيضاً ، مستعبدين على ضفاف النيل . . . تماثلت الحالتان فى الخيلة الأسيرة بينما كان الأمل بإعادة « مملكة يهوذا » والعودة إلى صهيون يراود من أصحاب هذه الخيلة الجن فهدرت

إسرائيل .. ومن ممّم فهذا « بيت » قد اغتصب عرشاً كان وقتاً على « بيت داود » حفدة يهوذا ابن إسرائيل وساعده على هذا الاغتصاب هذا الكهنوت . من بيت صدوق عمال هؤلاء الرومان الذين أقاموا هيروود هذا عنهم قتيلاً ، وقد كان من قبل لهم حليفاً ، كما ينفذ قضاء الرومان في اليهودية . بل وإن هذا الإرهاص ليشتد عن ذي قبل شدة والأيام في هاوية الزمن تنهاوى من هيروود إلى هيروود فيجيء هيروود الثاني ، ٢ ق . م . — ٣٧ ب . م . ، وتبدأ مراجل الثورة النفسية في الاشتغال ! . فالاجتماعات السرية تعقد وإلى أورشليم تبعث بشرارها من الجليل وما حول الجليل وأما الصوت الذي انطلق غير هياب فكان صوت « يوحنا المعمدان » الذي انساب من « الجليل » في غضون هذه الفترة الزمنية القلقة يعلن ؛

لقد آن مطلع « المسيح »

ومن هيروود الثاني عومل يوحنا معاملة المتمردين على العرش فقتل
يَسْدَ أن مصرع يوحنا جاء يرجع صدهاء من الجليل ليطوف بأورشليم
معلنًا ؛

لقد طلع « المسيح » ! .

على صفحات التاريخ منقشرة أحداث اليهودية في غضون هذه الفترة الخطيرة من التاريخ السياسي والديني والتي تفتتت عنها الأيام التي جرت عبر العهود الميرودية من هيروود الأكبر إلى الرابع ممن حمل نفس الاسم ، من ٣٧ ق . م . ، إلى ٧٠ ب . م . ، وكأنا كل سطر فيها قد خط من غيوم تلبست
ينبعث من ثناياها همس زاعد يتمم باسم ؛

الصدور بحمم النقمة على النيل معاً والفرات وجرت الأقلام في اليد المحمومة بإملاء
من خيال جانح تسطّر بدعة « الأرض الموعودة » وتمدّ رقعة هذه الأرض من
الفرات إلى النيل ! .

والآن ! ..

الآن وقد تبين لنا أن « السفر » الأول من هذه
« التوراة » ، التي يعتبرها يهود العالم صكاً في أيديهم يمنحهم امتلاك كل الرقاع
المرسمة في إطار الفرات والنيل ، ليس من الوجهة التاريخية إلا صكاً باطلاً تنقضه
من الأساس نفسُ نصوصه التي لا تمت إلى موسى بصلة على الإطلاق ، كلا ؛
وليس هذا فحسب وإنما هو صك خرافي كتب بقلم يهودى في غضون أسر الفرات
وبإملاء خيالٍ طاح إلى الماضي فتذكر عهداً كان لآباء له وأجداد طواهم
فيه أسر النيل لأجيال فهب مجحوماً ينادى بأنه سيطوى معاً النيل والفرات ، فليس
إلا لتبني مدى ضعف الدعايم التي تستند إليها الصهيونية العالمية وميد الأسس
التي يرتكز عليها بناء « دولة إسرائيل » وليس إلا ليمتلاشى من جبهة العالم ،
بتملاشى القدسية عن هذا السفر ، وهم هذا « الحق الروحاني » فيتملاشى بذلك
لهذه « الدولة » الأسطورية وجود لا يقوم إلا على أساس من هذا « الحق
الروحاني » الموهوم ! ..

والآن نتناول السفر التالى من هذه « التوراة » فنضع ؛

« سفر الخروج »

تحت أشعة التاريخ

في هذا « السفر » المسمى بالعبرية « شموث » ، ومعناها أسماء ، توجد
كلمة يتهار بها الركن الأول من بناء هذا « السفر » إذ يتبين لنا بها أن نسبته إلى

بالدين المسيحي وأنَّ المسيحية منها براء . . . بل وإنها مؤامرة تتجاهل هذا « الكتاب » الذي تحترم نصوصه من جميع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وتباين نحلهم ، وإصدار قرار يتعارض مع نصوصه ليس إلا مؤامرة سياسية يؤكدُها أن أصحاب هذا القرار من دول خلقت لإسرائيل واغتصبت لها الأرض العربية وشردت أهلها وأبرزتها إلى السكيان السياسى بقرار هذه الدول الاستعمارية لحمايتها ثم أرادت أن تدعم كيائها السياسى بقرار دينى . . . فهى من ثمَّ ، بدعة مغرضة ! . بدعة مجاملة الصهيونية على حساب دين كانت دعوة صاحبه أن آمنوا برب هو إله الجميع هى فى نظر اليهود جريمة كبرى يستحق أن يحكموا عليه من أجلها بالإعدام !

وإذا قال قائل إن اليهود الذين كفّروا السيد المسيح عاشوا منذ حوالى ألفى عام وإن يهود « إسرائيل » اليوم أبرياء من « دم المسيح » ، أجبنا بالقول إن إصرار اليهود على رفض الاعتراف بالمسيح وعدم إيمانهم به هو وحده البرهان الدامع على حملهم هذه المسئولية ذاتها ! . وهذا مما يجعل أى وثيقة لا تتفق جملة وتفصيلاً مع نصوص « العهد الجديد » ليست فى واقعها إلا بدعة مغرضة ! . بدعة مجاملة الصهيونية عن طريق تزيف التاريخ ! . هل ضاقت الدنيا فى وجه الجمع السكسونى فى دورته الثالثة بمدينة روما عندما أنهى البحث فى وثيقة الكاردينال « بيا » ، أو وثيقة تبرئة اليهود من « دم المسيح » ، فلم يجد من وسيلة يفاصر بها إسرائيل سوى التجسّى على التاريخ ؟ ! . . هذا التاريخ الذى يبدأ عندما بين يسوعيين فى جانب ويسوعيين فى جانب آخر استهلت أورشليم القرن الأول الميلادى . . هذا القرن الذى لم تكن مجريات الأحداث السياسية والدينية فى خلاله إلا أشد خطورة مما قد سبقه من

موسى ، عليه السلام ، إنما هى نسبة خاطئة أيضاً من الوجهة التاريخية ، وهذه الكلمة هى ؛

« فلسطين »

هذه المنطقة من الشرق الأوسط كانت تعرف فى التاريخ القديم باسم « أرض كنعان » وكان ، حقاً ، هذا اسمها فى عهد موسى ، عليه السلام ، لأنها لم تسم « فلسطين » إلا بعد الغزو الكريتي بأجيال ؛ الغزو الذى وإن كان قد بدأ سنة ١٢٠٠ ق . م فإنما هذا الاسم ، فلسطين ، لم يطلع على صفحة التاريخ الجغرافى إلا بعد أن قويت قبيلة « فيليستيا » ، وكانت بين هذه القبائل اليونانية التى جاءت عبر كريت ، حتى استطاعت إخضاع الكنعانيين وحتى أمكنها أن تطلق اسمها على جميع هذه الأراضى الساحلية والداخلية التى كان يسكنها الكنعانيون ..

ومن ثمَّ ..

حسب هذا التوقيت التاريخى نجد أن المؤلف الذى كتب هذا « السفر » الثانى من « الأسفار الخمسة » المنسوبة ، زوراً ، إلى موسى لا بدّ وأنه قد عاش فى فترة زمنية جاءت بعد أن سادت قبيلة « فيليستيا » على جميع تلك القبائل وتمكنت من السيطرة السياسية على كل هذه الأرجاء ، وهذا مما يجعلنا نقول بأنّه من المستحيل ، تاريخياً ، أن يكون موسى صاحب هذا السفر !

كلاً ؛ ولا يمكن بحال أن يكون صاحب تلك النصوص التى جاءت فى الإصحاح الخامس تقول بأنّه قد رفع هذه التريمة إلى « إله إسرائيل » متغنياً ؛ « أرىم للربّ فإنّه قد تعظّم .. تأخذ الرعدة سكان فلسطين » ..

لا جدال ، من ثمّ ، في أن الاعتقاد بنسبة هذا « السفر » إلى موسى ، عليه السلام ، هو في الواقع الوقوع البيّن للغلط في التاريخ .

ثمّ ..
ثمّ ، إلى جانب هذا البرهان يأتي برهان آخر مستمد ، أيضاً ، من نفس هذا « السفر » ومكانه الإصحاح السادس عشر القائل :

« وأكل بنو إسرائيل المنّ أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة . أكلوا المنّ حتى جاءوا إلى طرف أرض كنعان . . »

ومن ثمّ ..

إذا كان موسى ، وفقاً لنصوص أخرى ستوافينا بعد قليل ، قد توفي في موآب وأرض موآب كانت غير عامرة ولا تقع في طرف أرض كنعان ولم يكن إلاّ يشوع بن نون هو الذي بلغ بهم هذه الأرض العامرة وجاء بهم إلى طرف أرض كنعان فيكون الاستحالة بعينها أن موسى ، عليه السلام ، هو صاحب هذا « السفر » . وإلا فكيف يتسنى لمحدث أن يتحدث عن حدثٍ حَدَثَ بعده بسنين إن لم يكن بقرونٍ أو بأجيالٍ ؟

ثمّ ..

ثمّ إلى جانب هذا البرهان يأتي ، أيضاً ، برهان ثالث وهذا ينم عن تاريخ كتابة اللغة العبرية نفسها .. إن الكتابة في اللغة العبرية حديثة العهد نسبياً لأنها لم تُبتكر إلاّ بعد عهد موسى ببضعة قرون . ومن ثمّ فما هو حكم التاريخ اللغوي على هذا النصّ الذي يجي في الإصحاح الرابع والثلاثين من نفس هذا « السفر » يقول بأن موسى قد :

« .. كتب على اللوحين كلمات العهد . . »

قرون .. لا لأنّ هناك كان الذين نبذوا ظهوراً دين يسوع واعتنقوا ديناً
مبادئ يسوع ... كلا ! . فإنّ هؤلاء كانوا قلة وتاريخهم الحيوى كان لم يبدأ
بعد وإنما لأن هناك كانت تلك الكثرة من أهل اليهودية التي رفضت
مسيحية يسوع ، عليه السلام ، بينما علقت أنظارها بالمستقبل تنتظر ظهور «المسيح
المنتظر» . . . ومن غريب المفارقات أن تصبح على رأس هذه الكثرة طبقة
الكهنوت نفسها التي نجدها قد اعتنقت نفس هذه العقيدة وراحت تحاول
استغلالها لتدعيم مركزها الدينى . . .

واعتبر الحكم الرومانى ذلك تحدياً له فنار ضد اليهود جميعاً . . .
وهاجم «تيطس» اليهودية واحتل اورشليم ودمرها وهدم المعبد الثانى من جديد
وقتل من تمكن من قتله من اليهود وأما من ظل منهم على قيد الحياة فليس
إلا ليبدأ تاريخ التشتت فى أرجاء الأرض . . فسكّاب هذا الحدث ، الذى
استغرق مرحلة من الزمن ، ما بين سنة ٦٦ م . إلى سنة ٧٠ م ، إيذاناً ببداية
نهاية التاريخ اليهودى من فلسطين . . وأما النهاية الحاسمة فقد جاءت إثر
تلك الأحداث الدامية فى تاريخ أهل اليهودية وكانت آخر محاولة يهودية جاءوا
بها لإحياء تراثهم فى فلسطين وذلك عند ما أعلن بعض يهود القدس العصيان
على الرومان ودعوا لقيام دولتهم من جديد وقام « باركوشباس » ، ابن النجم ،
ينادى بأنه هو « المسيح المنتظر » .. فهاجمهم «هادريان» ، ١١٧ — ١٢٨ م . ،
واحتل المنطقة اليهودية فى القدس ودمرها تدميراً وقتل من تمكن من قتله
من اليهود . . وأما ما كان قد تبقى من آثار المعبد الثانى فقد قوضه تقويضاً شام
بنى مكان مدينة القدس مدينة جديدة سماها « إيليا » حرّم على اليهود
سكنها . . . وبعد هذه المحاولة لم تقم لليهود فى فلسطين قائمة ولم يظهر لهم

فيها أى نشاط سياسى حتى العصر الحديث ..

هذا هو الواقع التاريخى لتاريخ هذه الجماعة من أتباع يشوع ابن نون وتبّاع دينه والذين لم يبق منهم من «بيوت إسرائيل» الاحفنة وأما العدد الأكبر من هؤلاء اليهود فكان قد تألف من الذين كانوا قد تهودوا... وهؤلاء هم الذين قد راحوا، فراراً من الجحيم الذى استعر حمه فى فلسطين إثر الغزو الرومانى وهدم، «المعبد» يبدأون تاريخ اليهود وقصة التشتت فى أرجاء الأرض. لا تجمع بقعة الأفراد من هذه الجماعة الدينية إلا لتستدير حلقاتهم من حول هذه الأسئلة؛

أين أورشليم؟ ..

وأي صهيون؟!

وأي «بيت الرب»؟! ..

وأي؟! ..

أين «الأرض الموعودة»؟! ..

لقد هوت أورشليم فهوت الجامعة الوطنية وهوى «المعبد» فهوى النظام الكهنوتى وفصمت عرى الوحدة التى كانت تصل اليهودى باليهودى ولم يعد شىء يربط هذه الجماعة إلا الذكرى...

والذكرى؟ .. الذكرى حالة نفسية تمر بها الجماعات كما يمر بها الأفراد وتعتصر الفكر لدى مغيب كل أمنية ولا تعتصره إلا لتطرق من حوله مطارق الحزن.. والحزن إذا ما طرقت الفكر مطارقه فليس إلا ليدتبع ما تطويه الذاكرة من أصوات وما يحوم فيها من أطياف ..

كيف يتسنى أن يكون موسى ، عليه السلام ، قد كتب كتابة لم تكن قد تكونت بعد والحروف منها لم تكن قد خطت على صفحة التاريخ ؟!

نعم . .

نعم ، إلى جانب هذا البرهان على حداثة هذا « السفر » يأتي برهان آخر وهذا تمثله مجموعة الإصحاحات التي تُكوّن نفس « سفر الخروج » . . .

يحدثنا هذا « السفر » بأن « الرب » قد كلم موسى ، في خلال ذلك التيه لأربعين سنة في الصحراء ، قائلاً بأنه قد عين « بصلاييل » من سبط يهوذا صائفاً ليعمل في الذهب والفضة والنحاس ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب . . وأنه على الفور صدع بالأمر وبدأ في عمل أكاليل من الذهب الخالص وصحاف وصحون وكاسات من ذهب نقيّ وسلاسل مجسدة من ذهب نقيّ وجلال من ذهب نقيّ وصفايح من ذهب نقيّ ومنازة من ذهب نقيّ ومائدة رُصّيت عليها أوانيها من ذهب نقيّ .
ما هذا الخلط ؟!

كيف يتأتى لهؤلاء الذين كانت تتقاذفهم متاهات الصحراء أن يصوغوا كل هذا الذهب ؟! بل ومن أين كان لهم كل هذا الذهب ؟! وكيف يتأتى لهؤلاء الذين كانوا لا يجدون إلا « المن » طعاماً أن يصوغوا المائدة أدوات كلها من ذهب ؟!

نعم . .

من أين كانت هذه الحجارة الكريمة التي يكيلها كيلاً الإصحاح السابع والعشرون من هذا « السفر » ؟!

من أين كان لهؤلاء كل هذا الزبرجد والزمرّد والياقوت
الأصفر والياقوت الأزرق ١٩.

من ثمّ ١.. فلا جدال في أن المؤلف الذي كتب هذا « السفر » لا بدّ
وأنه قد عاش في فترة من الزمن متأخرة بكثير عن فترة ذلك التيه الذي يحدثنا
هذه ١.. بل لا بدّ أنه قد عاش بعد انهيار « مملكة يهوذا » وأمسى ذكر
الصعاف من الذهب والحلى من الأحجار الكريمة التي كانت للملك « يهوذا » مادة
لستوره هذه التي أبي بها ، أيضاً ، إلا أن يفرغ كل ذلك في يد واحدٍ من أبناء
يهوذا .. ولما لم يجد من اليهوديين أحداً في عهد موسى إلّا « بصلائيل » فقد
جعله صائغاً وأفرغ بين يديه كل ذهب وجوهر « ملك يهوذا » ١ .
ثمّ ..

إلى جانب هذا الحديث عن الجوهر وعن الذهب يحدثنا
نفس هذا المؤلف عن لون آخر من المبخ مآدته تلك الثروة الحيوانية التي يدعى
أنها كانت لبني إسرائيل خلال تلك المسغبة التي يحدثنا نفس هذا المؤلف عنها
ويقصُّ علينا كيف كابدوا متاعبها في تلك المتاهات حيث عضهم الجوع واشتهوا
اللحم ولم يجدوا إلّا « المن » قوتاً ١ ..

يزخر « سفر الخروج » بأصناف من الضحايا التي كانت ، على
حدّ قول مؤلف هذا « السفر » ، تجيُّ بها تلك الجماعات إلى باب « خيمة
الاجتماع » من ثيران وبقر وكباش وماعز وغنم وتيوس ودجاج وحمام ويمام
ومن طواجن ومن أقراص الفطير ومن رقائق الفطير ومن الدقيق الملتوت بالزيت ..
إنذا لنفساء ؛

من أين كان لهؤلاء الذين شجّعت عليهم السماء

تحت ضغط من دوافع هذه العوامل النفسية تناوأت اليد اليهودية، حيثما كان مكانها من الأرض، الحلقة التي تصلها بالماضي.. هذه الحلقة المتمثلة في « الأسفار الخمسة » والتي كان قد أصبح عليها علم اسم ؛ « التوراة » .. وما أنحنى القلب اليهودي يراجع في هذه « التوراة » ماضيه الا وبدأ التهامس يدور في في مجتمعاتهم بنغمة واحدة تترت تُردد ؛

إذا كانت أورشليم قد هوت فليس ذلك إلا لفترة وإذا كان « المعبد » أيضاً قد قوض فليس ذلك أيضاً إلا لفترة .. فترة ، قد تطول ولكنها حتماً ستنتهي يوماً طاملاً أن اليد تملك هذه « الأسفار » !. هذه « التوراة » القائلة بأن فلسطين ، بل وليس فلسطين وحدها فحسب وإنما كل الأراضي الممتدة من الفرات إلى النيل ، هي « منحة » لبني إسرائيل .

وهكذا جاء انتشار أتباع يشوع بن نون في الأرض بمضاعفة تسييج هذه « الأسفار الخمسة » بالقدسية لاعتبارهم إياها حجة شرعية على تملك بني إسرائيل فلسطين .. ناسين ، في حى التمسك بهذه « الأسفار » ، أن هذا الاعتبار نفسه ينقض دعوتهم من أساسها ، وهذا لأمرين ..

أولاً ؛ هذا « الوعد » جاء قاصراً على بني إسرائيل وحدهم وهؤلاء كانوا قد طواهم الزمن منذ أباد الغزو الآشوري « القبائل العشر » من صفحة التاريخ ومحا من هذه الصفحة شيئاً اسمه إسرائيل وبالتالي ، منذ حمل الغزو البابلي القبيلتين الباقيتين من سلالة يهوذا وبنيامين ، وهؤلاء لم يعد منهم إلا قلة تناوُلها ، أيضاً ، التيار الزمنى بالتلاشي .. وهذا مما يجعل هذا « الوعد » حتى ولو كان صحيحاً ، وهذا مجازاً ، يعتبر لاغياً من الوجهة الشرعية إذ لا صلة دم تربط هذه الجماعة من سلالة آباء كانوا قد تهودوا

إلا من قطرات «المن» ، هذا الثراء الغذائي في ألوان المأكول وأصناف اللحم؟
كيف أمكن أن يكون ذلك في فترة رقت فيها مجاعة طاحنة
وأن تكون هذه الثروة الغذائية في متناول أيدي جماعة جائعة ضالسة في صحراء
لا تجد في فيافيها غير المن طعاما وغذاء ومأكلاً؟ ١٩ .

وإذن ... ١

ما هو حكم المنطق العالمي على هذا « السفر » المنسوب
زوراً إلى موسى ولليهود الصهاينة دعاوى وللصهاينة اليهود مطالب ليست إلا
من وهم القدسية التي تحف بهذا « السفر » مستمدة ونابعة ؟ . .

ما هو حكم العقل على هذا « السفر » وليس إلا من سراب
القدسية التي تكونه قد تكونت عقيدة « الأرض الموعودة » ؟ ١٩ .

وما هو حكم الرأي العالمي على جماعة هي بهذا « السفر » تتشبث
وله بالقدسية تغلف وفي وجه العالم تشهره حجة شرعية تدعى بها «حقاروحانيا»
لها في أرض تترامى في أحضان الفرات والنيل ؟ ١٩ .

ها هو ذا « سفر الخروج » أمامكم وقد خلا من كل منطق
فأى منطق ، بعد ذلك ، هذا الذي يقول بقدسية « سفر » لا يعود إلى موسى
ولا منطق فيه ؟ ١٩ .

والآن ..

الآن وقد أذابت أشعة التاريخ القدسية الوهمية التي أحاطت
بهذا « السفر » فذابت بذلك الشرعية عن هذا السفر الثاني من أسفار هذه
التوراة المقترأة فليس إلا لنجد أنه قد آن لنا أن نتناول « السفر » الذي يتلوه

واتبعوا دين يشوع بن نون بأبناء إسرائيل الذين كانوا قد تناوولهم الزمن بالفناء
إلا من قلة تغيب في هذه المجموعة من أدياء النسب إلى إسرائيل ! . .

والأمر الآخر هو ؛ أن هذه « الحجة » تعتبر من الوجهة التاريخية
غير شرعية ومن ثم لاغية وذلك لأن هذه « الأسفار الخمسة » مفتراة على
موسى وعليه مزورة ! . .

وهنا نتساءل ؛ أغابت ، حقاً ، عن هذه الجماعة هذه الحقيقة ؟ . .

يقيناً إن هذه الحقيقة وإن غابت عن الناحية الجماعية في هذه
الجماعة فإنما هي عن الناحية المثقفة فيهم لم تغب ! . والبرهان على ذلك
مستمد من نفس التاريخ الفكري لذلك العصر الذي كان العقل الإنساني في
خلاله يسجل خطواته الفلسفية في اليونان الصغرى وفي اليونان الكبرى
وخاصة في الأسكندرية . . فهناك ، وتحت أشعة ذلك العصر الفاسق وأضواء
العلم اليوناني تناول العقل اليهودي هذه « الأسفار الخمسة » وما تصفحها إلا
وبداً يتطرق الى تفكيره الشك في كل ما احتوته من نصوص ! . .

كل ما في هذا « الكتاب المقدس » تنقضه نقضاً صريحاً هذه
الفلسفات وهذه العلوم ! . .

كل ما في « الكتاب المقدس » من نصوص قد أترعتها الأغلاط
والقترحات كما أترعها السقه والفتش والانحلال ! .

وفي الواقع أن هذا الملشك الذي تمثل ؛ « فيلون » في القرن الأول
الميلادي كان قد بدأ قبل ذلك بزمان غير قصير ذلك عند مسا بدأ اليهود في

وبذلك نضع ؛

« سفر اللاويين »
تحت أشعة التاريخ

في هذا « السفر » المسمى بالعبرية « ويقرا » ، أى « ودعاً » ،
توجد كلمة ينهار بها الصرح نفسه من هذا السفر ، إذ يتبين لنا بها أنه « سفر »
، كسابقيه ، باطل النسبة إلى موسى وإلى عهده ، عليه السلام ، بتاريخ كتابته
لا يعود . . وهذه الكلمة مكانها الإصحاح الخامس القائل بأن « الرب » قد
كلم موسى قائلاً ؛

« . . إذا خان أحد خيانة . . . يأتى إلى الرب بذبيحة لاثمة
كذباً صحيحاً من الغنم بتقويمك من شواقل فضة على شاكل القدس ! . »

من المعلوم أن مدينة القدس لم تكن قد فتحها اليهود بعد كما هو
المفروض عندما جاء هذا النص المنسوب إلى موسى . ولما كنا نعلم أنه لم
تضرب في القدس عملة إلا بعد أن احتلها اليهود فيكون الكلام في عملتها
مقدماً خطأ في الترتيب الزمنى للحوادث ! . . ومن ثمّ فيقينا أن المؤلف الذى
كتب هذا « السفر » لا بدّ وأنه قد عاش في فترة من الزمن جاءت بعد أن
دخل اليهود القدس وضربت في القدس عملة . . وعلى ذلك يكون هذا
« السفر » باطل النسبة إلى موسى ولا يمكن بأى حال أن يكون صاحبه
موسى ! . .

والآن . .

الآن وقد أذابت أشعة التاريخ القدسية عن « سفر

الأسكندرية في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد بترجمة « العهد القديم » إلى اليونانية وأتموها حوالى سنة ٢٥٠ ق . م فنحن نرى من هذه الترجمة ، التى عرفت بالترجمة السبعينية ، أن رياح الشك قد عصفت بترجمتها وإلا لما كانت هنالك كل تلك الشروح والتعليقات التى رأوا أن يضيفوها كما يفهم المعنى من وراء النصوص من هذه « الأسفار الخمسة » ! . . فمن هذه الشروح والتعليقات تطلع علينا تأويلات غريبة واستعارات بعيدة عن ظاهر العبارات وما يشبه الخيال من صور مجازية وكتابات خفية على النجوى الذى أفاض فيه من بعد « فيلون » . . ومثلاً على ذلك ما تأتى به إلينا الشروح التى أضيفت إلى السفر الأول من هذه الأسفار والتى تسهل سطورها بهذا القول : إن سفر التكوين لا ينبغى أن يؤخذ على ظاهره الساذج هذا وإنما ينبغى أن يفهم أن له معنى آخر خفياً ! .

وأما ما هو هذا المعنى الخفى فهذا ما قد تناوله من بعد « فيلون » عندما راح يلجأ إلى « بدعة التأويل » محاولاً تأويل ما قد جاء فى هذا « السفر » من قصص أتت فى تأويلها بأخطاء أفدح منها . لا لأنه قد خرج بهذا التأويل عن درجة النزاهة فحسب وإنما لأنه قد أظهر بذلك شكه من حيث أراد له إخفاء

هذا المنهج هو الذى انتهجه الفكر اليهودى عندما أدرك ، . . .
يحتويه هذا « الكتاب المقدس » من سقه وخش واخلال وترهات وأباطيل وهذا هو المنهج الذى انتهجه اليهود وظهر عليهم واضحاً بعد هدم « المعبد » وطردهم من فلسطين فلقد تغافلوا تغافلاً يميناً عن كل ما جاء فى « الأسفار الخمسة » من أغلاط تاريخية واستخدموا « المنهج الفيلونى » منهجاً فى تفسير ما يصطدمون به من نصوص « كتابهم » هذا مستهدفين بذلك هدفاً سياسياً

واحداً هو احتلال فلسطين من جديد ! وأما كيف يمكنهم الاستيلاء من جديد على فلسطين فليس إلا عن طريق إيهام العالم بأنهم لموسى أتباع وأن هذه الأسفار لموسى أسفار .. ففي هذا ضمان أمام الرأي العالم يكفل لهم الحق في مطالبتهم بهذه البقعة من الأرض كوعد روحاني جاءت به إليهم هذه « التوراة » ..!

والواقع — مع ؟ ..

الواقع هو أن هذه الجماعة لا تعود إلى موسى بدينها لأن هذه « الأسفار » التي بها تدين ليست لموسى أسفاراً ..!

الواقع هو أن هذا « الوعد » لا يحمل أية صبغة شرعية قط ..! لا لأن هذه « الأسفار » لا تعود إلى موسى فحسب وإمماً لأنه « وعد » جعلوه يحيى على لسان « يهوه » إله إسرائيل وهذا رب لا صفة له عالمية قط ولا يتصف إلا بال محلية كما بذلك يطالع علينا « السفر الثاني » من هذه « الأسفار الخمسة » وكما تؤكد بقية هذه « الأسفار » وإن كان عن هذه الحقيقة يتغافل اليهود عمداً، وكى يعطوا دعواهم صبغة شرعية راحوا يؤهمون العالم بأنهم إذ ينادون « يهوه » فلا يعنون بذلك إلا إله الكون !

الواقع هو أن هذه الجماعة وثنية المعتقد لأن عبادة « يهوه » عليها تسيطر ... وهل هناك وثنية أوغل من عبادة رب محب لرشاش الدماء يأمر عابديه باستنزاف دم من سوى جماعته من البشر ؟ ..!

هذا هو الواقع في تاريخ هذه الجماعة منذ بدأوا يلعبون على مسرح التاريخ هذه الرواية المأجنة حتى هذا العصر الحاضر الذي بدأت اليد العربية

التلاويين » نجدنا نتناول « السفر » الرابع من هذه « التوراة » فنضع ؛

« سفر العدد »

تحت أشعة التاريخ

في هذا « السفر » المسمى بالعبرية « بمدير » ، نسبة إلى ما يشتمل عليه من تعداد « بنى إسرائيل » عند طردهم من مصر ، توجد جملة لو تنبّه إليها الباحثون من حول موضوع نسبة هذا « السفر » إلى موسى لما كان قد طال بينهم الجدل والجدل وهذه الجملة مكانها الإصحاح الثانى والعشرون والتي تجي في صدد الحديث عن بالآق بن صفور ملك موآب وتحدثنا عن تراجعه مخافة محاربة موسى . ولما كان هذا قول يجعل بالآق معاصراً لموسى وكان من المفروض ، بالتالى ، أن موسى على حد ادعاء هذا المؤلف هو صاحب هذا « السفر » وأنه هو نفسه المتحدث فكيف يتسنى أن تجي هذه الجملة التي تدل دلالة قاطعة على حداثة هذا « السفر » وهى القائلة ؛

« وكان بالآق بن صفور مَلِكاً على مُوآب في ذلك الزمان ١٩ »

من ثم ١ .

لا شك في أن المؤلف الذى سطر هذه العبارة لا بد وأنه قد عاش في فترة زمنية بعيدة كل البعد عن الرواية التي يرويها بدليل أنه يقول « .. في ذلك الزمان ١ . »

أى زمن تُراه كان هذا الزمن الذى يتحدث فيه مؤلف هذا

« السفر » عن « ... ذلك الزمان » ١٩ .

لا جدال في أن « .. ذلك الزمان » كان زمناً طالت بينه

وبين هذا المؤلف للمسافات وإلا لما كان قد تحدث عنه بصيغة الماضى البعيد ١ .

تسجل فيه السبقار على آخر فصول هذه الرواية الهزلية . . . وهذا هو ما سجلوه بأنفسهم على أنفسهم عندما سطوروا « التهود » بعد أن كتبوا ؛

الـ « مشنا »

لم تسكد مدينة أورشليم تسقط في أيدي الرومان ولم يكبد الرومان المنتصرون على اليهود ينهالون على أكثرهم ثقتيلا واستعمال القسوة مع الباقين فالطارد وبذلك بدأ التيه حول الأرض إلا ورأى خاصة اليهود ، وعلى رأسهم الحاخام « يوخاس » ، حوالى عام ١٥٠ م ، أن كل ما يستطيعون عمله بعد فقدهم « الجامعة الوطنية » هو اتخاذ الوحدة العقيدية ، المتمثلة في عقيدة « الأرض الموعودة » ، وسيلة للعودة إلى أورشليم ، وذلك عن طريق تقوية الرابطة الدينية بين جماعاتهم المتفرقة في أنحاء العالم وأن السبيل إلى ذلك يتلخص في تقييد سنهم بعناية ودقة . . وبدأوا العمل فراحوا يسجلون قوانينهم الخاصة وعاداتهم المتوارثة وتقاليدهم الدينية وسنهم الموروثة في كتاب أطلقوا عليه ، نسبة إلى هذه السنن ، هذا الاسم ؛ « مشنا » وما تم وضعه في منتصف القرن الثالث الميلادي إلا وعملوا بكل ما لديهم من قوة على تداوله بين أيدي جميع يهود الأرض . .

يبدأ أن الـ « مشنا » كان موجزاً تترعه النواحي الفامضة والمتشابهة ومن ثم كان افتقاره إلى تفصيل وتجلية وإيضاح . واضطلع خاصتهم بهذا الأمر فراحوا يضعون شروطاً وتعليقات يفتشون فيها مجمله ويحلون بها غامضه ويقولون الحكامة الحاسمة في شأن ما قد جاء فيه من متشابه الكلام فجاءوا بشروح دعوها باسم « جامارة » . . ومن هنا نعلم أن الـ « مشنا »

وهذا برهان منطقي على أن هذا «السفر» الرابع من أسفار هذه «التوراة» الحالية لا صلة لموسى ، عليه السلام ، به على وجه الإطلاق ولا يمكن بحال أن يكون صاحبه موسى ! . . .
والآن . . .

والآن وقد أذابت أشعة التاريخ الشرعية عن «سفر العدد» وبانتفاء نسبته إلى موسى انتفت عنه القدسية نجدنا نتساءل «السفر» الخامس الذي تكتمل به هذه «التوراة» المفتراة ففضع ؛

« سفر التثنية »

تحت أشعة التاريخ

في هذا «السفر» المسمى بالعبرية «دبريم» ، أى «إعادة» ، يبلغ بنا الفكر ذروة الإغراب إذ نقرأ في هذا الجزء من هذه التوراة ، المنسوبة زوراً إلى موسى ، هذا النص ؛
« فمات هناك موسى . . . ودقنه في الجواء في أرض موآب مُقابل بيت فغور .

ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ! . . . »

بهذا الإصحاح الرابع والثلاثين والأخير من آخر «الأسفار الخمسة» مُختتم «التوراة» . . فنطويها جانباً ونطرق للحظة ثم نهبُ ونسأل ؛
كيف قبلت العقول الاعتقاد بأن موسى ، عليه السلام ، هو صاحب هذه «التوراة» ؟ ! .

كيف يُعقل أن يكون موسى هو ، حقاً ، صاحب هذه التوراة

أو المُوَحَّى إليه بها ومن غير المنطقي أن يتحدث إنسان ، كائن من كان ، عن موته ودفنه قبل حدوث هذه الأحداث ١٩ . كلا وليس هذا فحسب ، وإنما كيف يمكن أن يتحدث موسى عن قبره ، نفسه ، ويقول ؛
« ... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » ١ .

« ... إلى هذا اليوم » ؟ ..

حقاً أن هذه العبارة الأخيرة تحمل البرهان القاطع على أن هذا « السفر » قد كتب في عصر متأخر جداً عن عهد موسى ، عليه السلام ، بدليل أنه لم يعد يُوجد أحد يعرف أين مكان قبر هذا النبي الجليل ١ .

والآن ..

الآن وهذه هي أضواء التاريخ قد ألقيناها على هذه « التوراة » التي يتداولها يهود اليوم وهذه هي أشعته قد سلطناها على كل « سفر » من هذه « الأسفار الخمسة » على حدة في تركيز على النصوص التي تستقيم بها الحجة على انتفاء القدسية عنها وبطلان نسبتها إلى موسى ، عليه السلام ، أفلا نستطيع ، بعد ذلك ، أن نعلّي الصوت قائلين ؛

لقد تقطّع الخيط الوحيد الذي يربط الصهاينة به أنفسهم بفلسطين وانه قطع قتهاوى هذا « الحق الروحاني » وهوى في هاوية الأضاليل فلا شيء يبقى ، بعد ، من مقومات هذه « الدولة » التي لم تقم إلا على أساس وهى من إيهام العالم بهذا الحق الموهوم ١٩ .

أى شيء يبقى ، بعد ، من مقومات هــ هذه الأضالوة المسماة « إسرائيل » وقد وهت الحجة الوحيدة التي يربط اليهود بها أنفسهم بفلسطين ١٩ .

لمشروحة على هذه الصورة مع الـ « جامازة » كونت كتاباً يحمل تعاليم الدين اليهودى وهو :

« التلمود »

إن « التلمود » كلمة معناها باللغة العبرية « تلمذة » أو « تعليم » اختصاراً لكلمة « تعاليم » بيد أن معناها الدينى أو بالأحرى مفهومها اليهودى أعمق من هذا بكثير وأخطر إذ أن التلمود يعتبر لديهم « التوراة الشفوية » !

« إن إله إسرائيل قد أملى التلمود على موسى شفويّاً ! »

هذا هو قول حاخامات اليهود من مؤلفى « التلمود » وأما

تاريخ « التلمود » فشئ آخر ! ..

إن تاريخ « التلمود » ينحصر فى عهود ثلاثة هى نفسها العهود

التي استغرقت وضعه حتى آتاهه وهذه هى :

العهد الأول :

عهد الـ « تانايم » أو المعلمين .. وهذا عهد جاء فى أعقاب سقوط

أورشليم عندما أسس « يوحنا بن زاكاي » فى منطقة منعزلة بالقرب من يافا

مدرسة « هامدراس » وبدأ بنفسه فى وضع السطور الأولى من هذا « التلمود »

حتى أتم هو وأثنان من خلفائه وضع القسم الأول منه وهو المعروف تحت

اسم « التلمود الأورشليمى » . .

العهد الثانى :

عهد الـ « عمورايم » ، أو الشُّراح .. وهذا عهد جاء عقب

الانتقال إلى العراق وتأسيس مدرسة « سورا » هناك ، حوالى عام ٢٤٠ م ،

حيث تم القسم الأخير من « التلمود » وهو المعروف تحت اسم « شلقان عراق »
أو « التلمود البابلي » . .

العهد الثالث والأخير ؛

عهد الـ « صبور ايم » أو المحققين . . وهذا عهد جاء وقسمه
تم بناء هيكل التلمود ولم يبق إلا التحقيقات الأخيرة من أنه قد جاء مطابقاً
لما جاء في « الأسفار الخمسة » من نصوص . . وتوكل حاخامات اليهود هذه
المقارنة وقاموا بهذا التحقيق وما أتمت أيديهم ، دون إضافة أى شيء جديد ،
الامسات الأخيرة لهذا الهيكل وتم الاتفاق فيما بينهم على أنه قد جاء حقاً يمثل
تمثيلاً صحيحاً شريعة « إله إسرائيل » إلا وكانت الأيام قد جرت إلى حوالى
سنة ٥٥٠ م . وهذا هو العهد الذى تم فيه وضع « التلمود » ! .

هذا هو تاريخ « التلمود » . . سطور كتبت بأيدي حاخامات اليهود
كما قد كتبت من قبل سطور « الأسفار الخمسة » بأيدي اليهوديين ! . . ومن
هنا جاء « التلمود » حاملاً نفس الصفات المادية الموروثة والمبـادى الدموية
المتوارثة . . ومن هنا لا نتناوله وننشر منه الصفحات إلا وتفوح منها ، كريهة ،
رائحة الذبائح والدماء وإلا وتضج المسامع منا من أهوال ما فيها من استنزاف
دماء البشر ! . .

وهنا . .

هنا يجب علينا ، حتماً ، أن نأتى ببعض ما يشتمل عليه التلمود . .
ومع علمنا بأنه ليس إلا المرأة العاكسة لما في « الأسفار الخمسة » من نصوص
فلا بد لنا من استجلائه على حقيقة فنقول ؛ إن « التلمود » عدة أجزاء . تبلغ

إليك هذه « التوراة » ! ..

ها هي ذى « التوراة » ، التى يستمد منها الصهاينة مطالبهم ويعتبرها يهود العالم الحاضر أجمع ، سواء أظهروا صهيونيتهم أم خافوا ، فأخفوها ، حجة شرعية تمنحهم فلسطين منحة أبدية ، قد تكشفت فى واقع التاريخ الصحيح عن حجة باطلة ومن ثم غير شرعية ... فلقد وضعناها فى ميزان التاريخ فارتفعت كفة الحق عنها وترفعت وفى كفة الباطل هوت هويًا إلى الخضم ! .

وها هي ذى عقيدة « الأرض الموعودة » ، هذه العقيدة التى لم تنبت إلا من هذه « التوراة » ، قد وافقنا الأدلة عنها وأتانا البرهان من نفس نصوص « توراتهم » هذه على أنها ليست إلا مجرد خرافة بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى علمى وأن من هذه الخرافة التاريخية استطاع الصهاينة أن يصوغوا مادة وهمية بنوا بها على أساسى سرايى بحت أركان هذه الدولة الأسطورية المسماة « إسرائيل » .. فلقد تتبعنا هذه الأسطورة وتيسر الزمن بها يجرى من فكرة مبعثرة إلى عقيدة دينية مستحكمة فوجدناها قد استحالت ، حقًا ، إلى مجرد خرافة ومحض حلم ووهم بحت ! .. فهى خرافة نسجت غفوة فى إبهار ظلمة التاريخ وهى حلم سجله على نفسه الإصحاح الخامس عشر من « سفر التكوين » فى استبهار ليا إلى الأسر على شاطئ الفرات والحلم بأرض النيل وهى وهم ! .. وهم قد تبهّد فى بهرة ضوء الحاضر وتحت معاول التاريخ الصحيح ! .

وإذن ! ..

إذن ، فلقد آن الآن لنجاوب المنطق الصهيونى الحديث الذى كلما حاصرته الحجج السياسية والقانونية راح يشهر فى وجه العالم هذه « التوراة

المكتوبة « ولها يلجأ وبها يحتجى ومُتخذاً لمزاعمه منها مساند يصيح ؛ « قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسى أو قانونى ولكنها حق لنا على أساس دينى وحق روحانى مستمد من التوراة » ، قائلين ؛

ها هي ذى أشعة التاريخ قد أذابت مادة القدسية عن هذه « التوراة » ونفت كل صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا الدين اليهودى الحالى القائم على هذه التوراة المفتراة وعن نصوص غير شرعية قد تكشف هذا « العك » الذى يقوم عليه كيان هذه الدولة الأسطورية المسماة « دولة إسرائيل » ومن ثم فما هو ، بعد ، هذا الأساس الدينى و « الحق الروحانى » لليهود فى فلسطين ؟ ! .

أين هو هذا « الحق الروحانى » وقد تلاشت القدسية عن هذه « التوراة » فتلاشى هذا « الحق الروحانى » إلى ... لاشئ ! . .

والآن ؟ . .

الآن ومن مدد ما قد انتزعناه من صدر التاريخ من حقائق ترتد عنها أبسط الشكوك ، إلى جانب ما قد خلصنا إليه فى بحثنا هذا أيضاً من تعقب تاريخ إسرائيل وآباء إسرائيل وأبناء إسرائيل ، إلى أنه ليس هناك شئ^{*} فى واقع التاريخ الحاضر اسمه « إسرائيل » ولا شئ^{*} هناك اسمه « بنو إسرائيل » ولا شئ^{*} هناك اسمه « شعب يهودى » ولا شئ^{*} هناك اسمه « الجنسية الإسرائيلية » نستطيع أن نلقى بهذا التعقيب قائلين ؛

لا مكان شرعى^{*} فى فلسطين لشيء اسمه « إسرائيل » ! . .

كلاً ! ..

لا مكان شرعى^{*} فى فلسطين للصهاينة وإلى ترهات قد استحالَت إلى هذه

الثمانية ولكن يُوحَّد فيما بينها روح واحدة تسرى في جميع هذه الأجزاء
وتسير عبر سطورها كفتح أفعى تنفث السموم! عطشى هي إلى الدم أبداً،
لا ترتوى إلا بسفكه ولا تقيم لها عيداً إلا على استنزافه قطرة قطرة . . .
لا هدف لها إلا التخاذ « الأرض الموعودة » مقراً وحكم العالم من على
عرش فيها سيقوم « مسيح منتظر » وإبادة سكان الأرض جميعاً من مسيحيين
ومن كان في عهد أتمام هذا التلمود من غير المسيحيين . . . وهذه هي بعض
النصوص التلمودية الخاصة بهذا الموضوع الذي طرفناه والتي جاءت في « شلقان
عراق » ^(١) هذا التلمود البابلي المتداول بين يهود العالم في عصرنا الراهن . .
فلنتقرأ ؛

خلاصة تعاليم التلمود وأصول شرائعه

يقدم « التلمود » قبل كل شيء صورة لإله إسرائيل فيقول ؛
إن النهار اثنتا عشرة ساعة .

« في الثلاثة الأولى منها يجلس يهوه يطالع الشريعة .

وفي الثلاثة الثانية منها يحكم .

وفي الثلاثة الثالثة يطعم العالم .

وفي الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك السمك ا . »

ولكن ا .

في لحظات من هذه الساعات يهب « يهوه » يبكي ويزار

(١) طبعة امستردام سنة ١٦٤٤

وطبعة براج سنة ١٨٣٩

وطبعة فارسوفيا سنة ١٨٦٣

فلة — د ؛

« اعترف يهوه بأخطائه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار
يبكى ويزأر قائلاً: تبألى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ! »
بيد أن لا بأس . ؛

« ليس يهوه معصوماً عن الطيش والغضب » ! .
ولكن « يهوه » وإن كان غير معصوم عن الطيش والخطأ إلا
أن هذا لا يمنع من الندم على هذا الطيش والغضب اللذين جرّأ على « شعبه المختار »
هذه الحالة من التعماسة حتى إنه كثيراً ما يبكى كل يوم ويلطم .
نعم ! . . . ؛

« يندم يهوه على تركه اليهود في حالة التعماسة حتى أنه يلطم ويبكى
كل يوم ! . »

وكيف لا يبكى « يهوه » ندماً فيزأر ويلطم و ؛
« أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح » ! .

لماذا ؟ ..

« لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية ! »
وعلاًم العجب وهذا هو الواقع فاسمعوا ؛
« كان آدم يأتى شيطانة عظيمة اسمها « ليليت » لمدة مائة وثلاثين
سنة فولد منها شياطين .

وحواء أيضاً اتصلت خلال هذه المدة بذكور الشياطين فصارت
لا تلد في هذه الفترة إلا شياطين .

هؤلاء الشياطين الذين من نسل آدم أيضاً ومن نسل حواء هم

« الحجة » التي اعتمدت عليها الصهيونية في دعوتها وفي افتعال هذه « الدولة » الأسطورية المسماة « إسرائيل » وعن نصوص مفتراة على موسى ومُزورة عليه قد اتضح تحت أشعة التاريخ هذا « الصك » الذي شهرته الصهيونية في وجه العالم وما زالت ، في غير تورّع ، تشهره سجلاً يمنح اليهود به أنفسهم فلسطين ملكاً أبدياً .. !

كلا ! . لا مكان شرعيّ في فلسطين لهؤلاء اليهود الصهاينة والصهاينة اليهود وإلى أساطير سطرتها أيدي ذليلة بإملاء مخفية جاحجة جنحت بها شطحات الخيال على أجنحة فكر كليل عليل أوردتها موارد الشطط قد استعجالت هذه « التوراة » المفتراة على موسى ! . . هذه التوراة التي ، بانتفاء نسبتها إلى هذا الرسول الكريم ، تنتفي عنها انتفاء تاماً صفة القدسية التي دثرت بها كما تتلاشى عنها ، بالتالي ، الشرعية التي أسبغت على ما جاء فيها من « أسفار » هي هذه التي تحمل هذا « الحق الروحاني » الموهوم لليهود في فلسطين ! . .

كلا ! . لا مكان شرعيّ في فلسطين لهذا الخليط من الأجناس الذي يتجمع خلايا سرطانية في جسم المجتمع البشري تحت اسم « الجنسية الإسرائيلية » ! . فلقد ذابت هذه الاكذوبة الروائية المسماة « الجنسية الإسرائيلية » في خضم النوع البشري الذي منه ، كأفراد ، قد طفت هذه الطائفة الدينية التي لا تربطها بفلسطين إلاّ أوشاج وهم حيكمت من مادة الخرافة ! .

كلا ! ..

كلا ، لا مكان شرعيّ في أرض عربية لهذه السلالة الخزيرية التي تزعم طائفة من اليهود تنتمي إلى جنسيات مختلفة من شعوب العالم تعتنق ديناً

غير اليهود من الناس ! . »

لذلك ؛

« يستطيع الإنسان في بعض الأحوال أن يقتل الشياطين ! . »

ثم لما كان لا مكان للشياطين في النعيم ومكانهم هو الجحيم فإن ؛

« النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود ! . . »

أما الجحيم فمأوى كل غير اليهود وفي مقدمتهم المسيحيين !

ولا نصيب لهؤلاء في الجحيم سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة

والطين ! . »

أوشك في أن المسيحيين مكانهم الجحيم ؟ ! .

أنى يمكن أن يكون غير ذلك وسيلاحق المسيحيون ؛

حتمًا ، بمن اتبعوه فإن ؛

« يسوع الناصري موجود في الجحيم بين الزفت والقطران

والنار ! . »

لماذا ؟ ! . لأن ؛

« يسوع الناصري ارتدّ عن الدين اليهودى ! . »

ثم ؛

« ان أمه مريم أتت به من الجندي « باندارا » بمعامرة الزنا ! . »

لذلك نقول ؛

« إن الكنائس المسيحية بمقام القاذورات وإن الواعظين فيها

أشبهه بالكلاب النابجة ! . »

قد وانتدنا الأدلة عنه من « توراتهم » هذه بأنه لا يعود بأصول تكوينه إلى موسى ، عليه السلام ، وإنما إلى يشوع بن نون ذلك السفاح الذى مُرِدَّ « توراتهم » هذه لصوته الأثم مقالة آثمة رمت هذا الرسول الجليل بالخيانة وبغضب إلههم عليه وجعلت جزاء ذلك « الأمر بموته » ، ثم هى فى اجترأ عجيب تحدثنا أشنع حديث عن أشنع حَدَثٍ لست أدري كيف لم تفتن إلى مضمونه ، من قبل ، الأجيال ! . . لا ولست أدري كيف لم يَنْتَبِه من قبل فكريُّ باحثٍ إلى ما تشتمل عليه « توراتهم » هذه من نصوصٍ تحدثنا عن استصحاب هذا السفاح لموسى ، عليه السلام ، إلى أعلى ذلك الجبل ثم العودة بدونه ليعلم أن الأمر بموت موسى قد تمَّ تنفيذه وفقاً لما قد طلب « الرب » . . !

كلاً ! . لست أدري كيف فات الأجيال وغاب عن الوعي الفكرى حتى الآن مفهوم هذه النصوص التى تدين بها هذه الطائفة وفى نفس الوقت هى تدينهم بأكبر جرم هم بنصوصهم هذه ، نفسها ، به يعترفون . . ! فإِذَا هم بهذه النصوص يَحْمِلُونَ أنفسهم بأنفسهم دم موسى نفسه ! . . ! إن « توراتهم » هذه تُلَطِّخ أيديهم بدم هذا الرسول الكريم يومَ تمردوا عليه وانحرفوا عنه إلى هذا السفاح الذى لم يسلم من يده شئ حتى الحيوانات أحرقتها أحياء ! . ولذلك ؛

« . . باعوا بغضبٍ من الله وضربت عليهم الذلة والمسكنة ! . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله . . ! ويقتلون الأنبياء بغير حق . . ! ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ! . » ^(١)

(١) الآية « ١١٢ » من « سورة آل عمران »

كلّا ! . لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية الشيعية الذين العاملة بشرائع توراتها هذه « المكتوبة » وتوراتها الأخرى « الشفوية » أو هذا التلمود الذى لم نطوه جانباً إلّا وقد علمنا لماذا يستحل اليهود قتلنا وهتك أستارنا وسفح أعراسنا . . فنحن في شريعهم التلمودية ، مسيحيين ومسلمين ، كأثباتٍ ممسوخة ، استولد آدم بعضنا من الشيطانة « ليليت » وولدت حواء بعضنا الآخر من اتصالها بالذكور من الشياطين . . وأما اليهود فهم ، وحدهم ، نسل آدم وحواء . . !

كلّا ! . لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية من عبدة « يهوه » وأتباع يشوع بن نون ، وليس ذلك لأنه ليس لطائفة دينية الحق في امتلاك أى بقعة من بقاع الأرض فحسب وإنما لأن هذه الطائفة تدين بدينٍ يشوعىّ المنبت والمصدر والشرائع توارثته عن تلك الجماعة التى انحرفت عن موسى ، عليه السلام ، فتبرأ منها و ؛

« قال ؛ رب انى لا أملك إلّا نفسى وأخى ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! . » ^(١)

كلّا ! لا مكان شرعىّ في فلسطين لهذه الطائفة الدينية الفتاكة بالقيم السفّاحة للأعراض والمتطاولة بأطباعها إلى النيل والفرات بدافع من عقدة نفسية توارثتها وأنانا عنها البرهانُ القاطع من نفس نصوص « توراتهم » هذه بأنها بدعة انبثقت في غضون الأسر البابلى بأعضاء « بيت يهوذا » يوم هدمت صدورهم بحمم النقمة على النيل والفرات فصاحوا ؛ من الفرات إلى .. النيل ! ..

فلتمحَ هذه السطور المنقوشة على واجهة ال « كنيست » والقائلة ؛

(١) الآية « ٢٥ » من « سورة المائدة »

« لا قرابة بين اليهود وبين الأمم الخارجة عن دين اليهود ؛

لأنهم أشبه بالحير !

يجب أن يعتبر اليهود بيوت باقى الأمم نظير زرائب للحيوانات ! »

بـل ؛

« إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة !

خلقهم الله على هيئة إنسان ليكونوا لاثمين لخدمة اليهود الذين

« خلقت الدنيا من أجلهم ! »

كيف ؟ ! !

« نحن شعب الله فى الأرض !

لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا هذا الحيوان الإنسانى وهم كل

الأمم والأجناس ! .. سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من

الحيوان ؛

نوع أخرس ، كالدواب والأنعام والطيور . ونوع ناطق ، كالمسيحيين

وغيرهم من سائر الأمم من أهل الشرق والغرب .

سخرهم لنا ليكونوا فى خدمتنا ! .. وفرقنا فى الأرض لنمتطى

ظهورهم ونمسك بعنانهم لمنفعتنا ! .. »

ولذلك فإن ؛

« اليهودى لا يخطئ إذا اعتدى على عرض غير اليهودية لأن

المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة ! .. »

لا جدال فى ؛

« أن لليهود الحق فى اغتصاب النساء غير اليهوديات ! . »

« إن حدودك يا إسرائيل . . من الفرات إلى النيل !... »

لتمح هذه السطور التي يلقنها تلقيناً كل طفل يهودى يولد صهيونياً بالطابع وبالطبيعة والفطرة فهو يفتح عينيه على الحياة ويستقبل العالم على أهazيج الوهم القائل بأنه فرد من شعب إسرائيلى مختار ومواطن فى دولة يهودية عالمية وأن فى يده حجة ورائة شرعية تمنحه فلسطين وكل الرقاع المترامية فى إطار الفرات والنيل ملكاً أبدياً . . .

ولتخدم تلك الصبيحة التى دوت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ ، غداة عُقد فى القدس المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرون ، تقول ؛

« إن كل يهودى يجب أن يهاجر إلى فلسطين وإن كل يهودى أقام خارج إسرائيل منذ إنشائها يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة ! . . »
داود بن جوريون

« التوراة » ١ ؟ .

إن هذه « التوراة » المقرأة التى اتخذتها الصهيونية حجة فى يدها وتمكنت بها من إقامة هذه الدولة الأسطورية واحتلال فلسطين قد تلاشت عنها القدسية وفى سراب التاريخ قد ذابت ذوباً « عقيدة الأرض الموعودة » وفى حلم غابت كما من أضغاث حلم قد حيكت وفى آفاق الحاضر عبثاً نتلفت بحثاً عن شئ اسمه « شعب إسرائيل » فلا نجد إلا طائفة دينية تـكـوـنـت من شتى شعوب العالم وشذاذه الأفاقيـن تدين بدين يشوع بن نون تستحل قتلنا وتستبيح استنزاف دمائنا وانتهاك أعراضنا وهتك أستارنا ولا تعرف عيداً إلا إذا عجت فطائرهم بدماء بشرية أشهى ما تكون لديها الدماء المسيحية قبل الدماء الإسلامية ! .

كلا ولا شك في ؛

« أن الزنا بغير اليهود ، ذكوراً كانوا أو إناثاً ، لا عقاب عليه
لأن غير اليهود هم من نسل الحيوانات !.. »
لا شك ؛

« أن الفرق بين درجة الإنسان والحيوان يماثل الفرق بين اليهودي
وباقى الشعوب !.. »

كلا ، وايس هذا فحسب وإنما الواقع هو ؛
« أن اليهودى عند الله أفضل من الملائكة ! لولا اليهود لزالَت
البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر !.. »

ولذلك ؛

« يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك
بقاى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود دون سواهم !.. »
وهذا حتى ؛

« يحكم اليهود نهائياً بقاى الأمم !.. »

ولكن !..

« قبل أن يحكم اليهود نهائياً على بقاى الأمم يجب أن تقوم الحروب
على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم !.. »

وأما إذا سألتهم ؛ ما هى الوسيلة إلى هذه الغاية ؟..

فإليك الجواب وهو ؛ إن هذه الغاية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق المثال !
ولذلك ؛

« يجب أن تصبح الأمة اليهودية غاية فى الثراء !.. »

أنسألون ماهي الوسائل إلى الإثراء ؟ . إليكم الجواب ؛

« إن السرقة والربا هما أسرع الوسائل إلى الإثراء . ! »

السرقة ؟ . نعم . ! ؛

« إن السرقة غير جائزة من اليهودى لليهودى ومسموح بها إذ كانت من مال غير اليهودى !

السرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى !
حلال هى ومباحة كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يملكها
من يضع يده عليها أولاً .. ! »

تعلم .. ! ؛

« تعلم من الخاخام صموئيل الذى ابتاع من غير يهودى
آنية من الذهب ظفها الأجنبى نحاساً ودفع الخاخام ثمنها أربعة دراهم فقط ثم سرق
منها درهماً . ! »

ثم إن هناك أسلوباً آخر من أساليب السرقة وهو اربا . - بل
والربا الفاحش ! .. فتما ؛

« مسموح لليهودى غش غير اليهودى وسرقة ماله بواسطة الربا

الفاحش . ! »

لأن ؛

« الله يأمر بأخذ الربا من غير اليهود وأن لا تُقرضه إلا تحت
هذا الشرط ! وبدون ذلك نكون قد ساعدناه مع أنه من الواجب علينا
ضرره . ! .. »

نتلفت فلا نجد إلا طائفة دينية تدين بهذا الدين الذى حاكته قبضة
يشوع بن نون وإلا سلاله خزرية من أدعياء النسب إلى إسرائيل لم تستطع أن
تعيد « مملكة الخزر » اليهودية إنما استطاعت من مدد هذه الخرافة التاريخية
عقيدة « الأرض الموعودة » أن تقيم لها « دولة » هى بوضعها الحالى لا تمثل إلا
جزءاً يسيراً من حقيقة « الدولة الصهيونية العالمية » وهذا مما يجعلنا نقول إن
بقاء هذه الدولة الخرافية المسماة « إسرائيل » فى صفحة الحاضر على وجه التعميم
وفى أرض عربية على وجه التخصيص لا يمثل فحسب الشوكة السامة فى جنبات
شرقنا وإنما وجودها فى أرض العروبة يمثل الخطر القائم الذى يهدد العالم بكل
بقعة فيه . . فإن احتلال فلسطين من قبل الصهيونية وقيام « دولة » لهم فيها لا
يمثل احتلال جزء من شرقنا العربى وإنما يمثل خطة استعمارية شاملة بعيدة المدى
رسمتها رؤوس هذه « الأفعى » الذين أطلقوا على أنفسهم لقب « حكماء صهيون »
فهى خطة تستهدف إفناء كل فرد غير يهودى وإقامة عرش صهيون على دنيا
يرف عليها دين يشوع بن نون ! ..

هذا هو الواقع فإن قيام « إسرائيل » على أرض فلسطين لا يعنى
تشريد العرب من ديارهم واغتصاب وطنهم فحسب كما أنه لا يعنى قيام قاعدة جديدة
للاستعمار الغربى فى العالم العربى هى حجر عثرة بين جزئى العروبة فى آسيا وأفريقيا
وتشطر الوطن العربى إلى قسمين منفصلين وتقطع الشريان الذى يربط بينهما فى
قضاء على الوحدة الجغرافية الطبيعية بين سوريا والعراق وجزيرة العرب من
ناحية ومن ناحية أخرى بين بلاد المغرب والجمهورية العربية المتحدة وإنما بقاء
« إسرائيل » يحمل إلى العالم معانى أكثر بعداً وأعمق غوراً ! . معانى
تتصل اتصالاً مباشراً بمستقبل العالم كله وتحمل تهديداً مباشراً للسلام العالى

قاطبة ولهذا السبب ارتبطت حالة الاضطراب والتوتر داخل حدود المنطقة العربية بالموقف الدولي العام وأصبح سلام المنطقة جزءاً لا يتجزأ من سلام العالم وأخذ النزاع « العربي — الصهيوني » مظهره الحقيقي حيث أضحي صراعاً حاداً بين الاستعباد والحرية وبين الحرب والسلام وهذا مما يدفع بنا إلى القول بأنه إذا كانت «دولة إسرائيل» لا تقوم، أساساً وبنیاناً، إلا من نصوص هذه «التوراة» وهذه قد استحالَت إلى خرافة فلا مكان إذن يجب أن يبقى لهذه «الدولة» الأسطورية على صفحة الحاضر . . .

وإذن . . .

ماذا ينتظر العرب ؟ .

ماذا ننتظر وقد اتضح أمامنا أن قضية فلسطين ، هذه المشكلة التي تُعتبر أعقد مشكلة في جبين الشرق الأوسط ، ليست إلا نسج خرافة تاريخية بكل ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى عامي ؟ .

إذن . . .

ليطلق العالم العربي صوته حتى تروح برجع صدهاء الآفاق

ربيع ينادي ؛

لا مكان لهذه «الدولة» الأسطورية المسماة «إسرائيل» في أرض عربية لأن المدد الذي استمدته الصهيونية العالمية لقيام هذه «الدولة» ليس إلا خرافة ذابت تحت أضواء التاريخ الصحيح وتلاشت مادة وهمية . . .

لا مكان لهذه الجرثومة السرطانية المسماة «إسرائيل» في قلب العروبة النابض لأن الدعائم التي اتخذتها الصهيونية ركائز لصرح «دولتها» قد مادت في أغوار التاريخ إلى ترهات وأباطيل . . .

وأما ! .

إن كلمة « الله » هي في ذهن كل يهودى صفة لاحقة لهذا الرب الخرافى الذى تصورته هذه الطائفة من عبدة أنه لن يرضى عنها إلا إذا استنزفت ماؤنا قطرة بعد قطرة . . . ولذلك أقول أيضاً إن اليهودى يهودى قبل كل شئ مهما تكن جنسيته وإنه صهيونى أولاً وآخرًا لحماً ودماً فكرياً وعقيدة . . . صهيونى هو مهما تشككت أسماؤه وتباينت أصوله وخالفت جنسية الواحد منه الآخر . . . فهو قد ينتمى إلى جنسية أو أخرى ويتبع مذهباً سياسياً أو آخر ولكن ، إذا تعارض ذلك ومصالحته الأولى كيهودى أصبح يهودياً ويهودياً فقط صهيونى النية والفعل . . .

وإلا فمن هو اليهودى ؟ ..

أليس اليهودى هو الذى يدين باليهودية كدين ؟ ..

أليست اليهودية ، كدين ، هي نفس « الأسفار الخمسة » و « التلمود » ؟ ..

نعم .. ما هي الصهيونية ؟ ..

أليست الصهيونية هي تقنين التلمود والتلمود هو تقنين

الدين اليهودى ؟ ..

إن الصهيونية لا تستمد قوامها إلا من « الأسفار الخمسة » ولا

تتخذ دساتير لها إلا شرائع التلمود وليس أدل على ذلك من نصوص

« البروتوكولات » التى نحن بصددنا والتى تنص على قرارات تفصح عن ما

يمكنه التضمير من كل يهودى نحونا وفي نفس الوقت ترسم بصورة واضحة

للخلق اليهودى ، ونقتطف منها القرارات التالية :

والاتفاقات الصناعية أيضاً ! . وبشبائك المال سوف نتصيد جميع الحكومات وبشبائك المسكائد والدسائس سوف يعادى بعضهم بعضاً وعند ذلك نكون قد وصلنا إلى ما نريد . ولكن ! الكى نصل إلى هذه الغاية يجب أن نطوى على كثير من الدهاء خلال المفاوضات والاتفاقات بأن نتظاهر بعكس ذلك كى نظهر الأمين المتحمل للمسئولية وبهذا سننظر إلينا الحكومات كأننا متفضلون ومنقذون للانسانية ...

« القرار التاسع » :

إننا مصدر إرهاب بعيد المدى ! فإننا نسخر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب ، من رجال يرغبون فى إعادة المسكيات .. وسواهم . ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ! وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما تبقى من السلطة ويحاول أن يحطم كل النظم الحاضرة والقوانين القائمة . وبهذا التدمير تتعذب الحكومات وتضرخ طلباً للراحة وتستمد ، من أجل السلام ، لتقديم أى تضحية . ! . ولكن ! . ان نمنحهم أى سلام حتى يعترفوا صراحة بحكومتنا الدولية العليا ! .

لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميّين وجعلناه فاسداً متعقفاً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام .. ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة ! .

« القرار العاشر » :

لابد أن يستمر فى شكل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات فتستمر ، بذلك ، العداوات والحروب والموت ! . هذا مع الجوع والفقر ومع تفشى الأمراض ! . ولا بد أن يمتد كل هذا إلى حد أن لا يرى

أما إذا أبقى عبدة « يهو » وأتباع يشوع بن نون إلا إصراراً على الباطل وظل عبدة هذا الرب الخرافي الحب لرشاش الدماء وأتباع هذا السفاح الذى امتد جنونه إلى أن يحرق الحيوانات أحياء صرعى هذيان هذه التوراة المفتراة فاعلموا أن أشعة التاريخ ، وهى أقوى علاج ، لم تفسد فى تذويب هذا التضخم السرطاني الذى استفحل دأؤه واستشرى فى جسم المجتمع البشرى يهدده بالفناء وأن الوقت ، من ثم ، قد آن لبتز هذا السرطان . . .

وإذن هبوا . . .

هبوا . . .

ليهب العالم العربى قوياً ، وجمعاً وجميعاً ، ذوداً على الحق وردعاً خلفاء الباطل ، وفى صبر جميل يُغذّيه اليقينُ بالله ليعدن عدته لبتز هذا السرطان الذى ينهش جسم المجتمع البشرى نهشاً ولا يعيش إلا على امتصاص دمائه قطرة بعد قطرة . . يسرق ، بأساليبه ، الأموال سلباً ويهتك ، بهتكه ، للأعراض سترأ . . .

يا أيها العرب . . .

يا أيها العرب ، مسيحيين ومسلمين ، إني أطلقها صيحة فى مسامعكم حيثما كان مكانكم فى أرجاء هذا الشرق الرحيب تخاطب كل فريق منكم على حدة . . .

ويا أيها المسيحيون . . .

هل نسيتم ماذا أصاب السيد المسيح ، عليه السلام ، على أيديهم ؟! راجعوا وصفهم له فى « تلمودهم » وراجعوا سيرته فى « أناجيلكم » وقارنوا بين السيرتين . . . لا تقولوا إن هذه نظرة تلمودية فإنما هم أبناء

سياسةً وميولاً ، عقيدةً ودينًا ولا صلة لموسى ، عليه السلام ، بهذا الدين اليهودى
الحالى على الإطلاق !... ومن أين جاءت هذه الصلة وهذه هي «توراتهم»
التي يفترونها عليه وينسبونها إليه تنتهى إلى أن ترمى هذا الرسول الكريم بالخيانة
وبغضب «يهوه» ، إله إسرائيل ، عليه ١٩ .

كلا ١. ولا تقف «توراتهم» هذه عند هذا الحد من التطاول على
هذا الرسول الجليل وإنما هي قد أقصته عنها بهذا النص الذى وجهته إليه قائلة
«إصعد إلى الجبل . . ومت هناك» وذلك كما أقصت من قبل هارون ، ذلك
النبي الجليل الذى حدثتنا عنه هذه «التوراة» بأن «الأمر بموته» فى الجبل
قد صدر أيصاً على نفس هذه الصورة فى أعقاب ذلك اليوم الذى فزع فيه إلى
أخيه يستنجد به منهم ويناديه ؛

« . . استضعفونى وكادوا يقتلونى ! . . . لا تجعلنى مسع

القوم الظالمين ! »^(١)

حقاً ! . . .

حقاً لقد صدقت فيهم فراسة موسى يوم أشاح عنهم إلى الله ربّ
العالمين يتضرع إليه ويناديه ؛

« رب ابنى أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ! »^(٢)

حقاً ! . حقاً لقد فسق بنو إسرائيل يوم تمردوا على موسى ومالوا

عنه إلى يشوع ، ولذلك ؛

« . . . باءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات

الله ويقتلون النبيين بغير الحق ! . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . »^(٣)

(١) الآية « ١٥٠ » من «سورة الأعراف»

(٢) الآية « ٢٥ » من «سورة المائدة»

(٣) الآية « ٦١ » من «سورة البقرة»

الصلود وهم لا يسرون إلا على سذنه . . . إنهم لا يزالون يرون « المسيح » فيكم ولذلك فهم يستحلون دماءكم قبل دماءنا . . . هم يستهدفون تدميركم قبل تدميرنا . هم يذوون إفداءكم قبل إفنائنا . . . راجعوا ماذا يضررون لاكم في وثائقهم^(١) . . . تلك الوثائق التي سطرها أقلام « حكماء صهيون . . . »

وانتم يا أيها المسلمون .

هل نسيتم أن صاحب الرسالة الإسلامية ، عليه السلام ، قد ألنى هذا الدين اليهودى الحالى إلغاءً باناً . . . أذكروا أنه ، عليه السلام ، فرّق بين « صحف موسى » وبين « صحفهم » هذه التي وصفها بتوراة مُحرفة مُفتراة كتبتها أيديهم ونسبوها ، بهتاناً ، إلى مصدر قدسى . . . اذكروا أنه ، صلى الله عليه وسلم ، قد دعاهم إلى الإفلاع عن هذا الدين الذى افتروه على موسى ، عليه السلام ، فلما أبوا إلا التصاقاً بالباطل تناول ، عليه السلام ، مبيض البتر واستأصل هذا السرطان من جسم المجتمع العربى حيثما كان وحيثما قد وجد . استأصل ، عليه السلام ، جرثومة هذا الداء لامن يثرب وحدها فحسب وإنما من يثرب وفيما حول يثرب ومن كل مكان من أرجاء شبه الجزيرة العربية كان فيه قد توغل هذا الداء الخبيث وتغلغل واستشرى . . .

إذن .

يا أيها العرب . . .

هَبُوا . . . هَبُوا ، مسيحيين ومسلمين ، جميعاً ومن أجل الخير الأسمى التفتّوا من حول مَنْ فى يده اليوم هذا المبيض الباتر . . .

التفتّوا ، إذا ابتغيتم سلاماً ، من حول مَنْ خلق هذا الحب

(١) راجعوا القرارات؛ الثالث والخامس والثالث والعشرين من «بروتوكولات حكماء صهيون».

ينحوض الشرقُ العربي اليوم خضمَّ مشكلات مختلفة تنفرد كل واحدة منها بملامح خاصة ، وتنسم في نفس الوقت بالخطورة والأهمية ولا تقتصر على دائرة واحدة من دوائر التفكير البشرى دون أخرى ، فهي تضرب بأعراقها في دوائر الاجتماع والاقتصاد والعلم والفلسفة والسياسة .

ولسكن . .

تتفرَّد من بين هذه المشكلات كلها مشكلة واحدة لا تعترم فحسب بالخطورة ولا تنسم فحسب بالأهمية وإنما تعدأ أكثر هذه المشكلات خطورة وأهمية بل وحيوية لارتباطها بطبيعة الحياة في الشرق الأوسط ولساسها المباشرة بهذا المزدحم الهائل للصراع البشرى في مختلف المرافق وسائر النواحي وهذه المشكلة هي ؛

مشكلة فلسطين

منذ زمن بعيد مداه في مدى التاريخ وأعقد مشكلة في جبين الشرق الأوسط إنما هي هذه المشكلة ! . إلا أنها الآن أمام الهدف الصهيوني العالى الحالم باقامة امبراطورية يهودية عالمية تحكم العالم وتستعبد الشعوب الاسلامية والمسيحية على سواء قد ازدادت على تعقيد تعقيداً بما نسجته اليد الصهيونية حولها من نسيج حاكته من سحب الماضي المتوغل في القدم ، وجعلت سداه « عقيدة الأرض الموعودة » ولحمته تغلغل هذه العقيدة الدينية ورسوخها في صدر كل فرد من أفراد الجماعة اليهودية . . وهذه ، سواء أخفاها اتقاء واستراً أم

الكبير وبَسَط ذراعيه تحتضنكم احتضاناً في غير تفرقةٍ بين مسيحي منكم
ومسلم ! . . .

التفوا بعزيمةٍ لا تعرف تردداً ولا تخاذلاً من حول صاحب هذا
الصوت الذى انطلق جبهة وجهراً وجهراً يرنُّ في مسمع الحاضر ويخلد في
ذاكرة الغد بنداء راح رجَّع صده في قلب كل عربي حُرٍّ وروح دويماً
وهديراً هادراً يتجاوب :

« إن الشرَّ الذى وُضع في قلب العالم العربى لا بدَّ أن يُتَمع . . . »
« جمال عبد الناصر »

ها هي ذى اللحظة الحاسمة لإستئصال جرثومة هذا الداء الخبيث
من جسم المجتمع البشرى قد اقتربت إن لم تكن قد أزفت وتعاول صاحب هذا
الصوت المبضع الباتر يعدّه للبتر وأقْدَم ، من أجل الخير البشرى والسلام
العالمى وبَنَفْسٍ ارتضت الإسلام ديناً ومحمد رسولا وآمنت بموسى وبالمسيح
وبسائر الأنبياء والرسل الكرام ، يَسْتَحِقُّ بيدِ رأس هذه « الأفعى » وبالأخرى
يُطَوِّحُ بهذه « النجمة السوداء » إلى أفق الآفول بينما من حوله وحولكم قد
ارتفعت يد الزمن وتأهبت لتحققر في وعى التاريخ وتسجل في صفحة الخلد بأنَّ
المبضع العربى قد استأصل من جسم المجتمع البشرى هذا السرطان المسمى
« إسرائيل » . . .

ما أنا آمرك به . اذهب إلى الغنم وخُذْ لِي من هناك جَدَّيْن جَيِّدَيْن من المعزى ،
فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب . فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل
وفاته .

فقال يعقوب لرفقة أمه ؛ هوذا عيسو أخى رجل أشعر وأنا
رجل أملس . ربما يحسنى أبى فأكون فى عينيه كتمهاون وأجلب على نفسى لعنة
لا بركة !

فقالت له أمه ؛ لعنتك على يا ابنى . اسمع لقولى فقط واذهب
خُذْ لِي . فذهب وأخذ وأحضر لأمه . فصنعت أمه أطعمة كما كان
أبوه يحب . وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التى كانت
عندها فى البيت وألبست ابنها الأصغر . وألبست يديه وملاسه عنقه جلود
جَدَّيْن للمعزى ، وأعطت الأطعمة والخبز التى صنعت فى يد يعقوب ابنها .

فدخل إلى أبيه وقال ؛ يا أبى !

فقال ؛ هاأنذا ، من أنت يا ابنى ؟

فقال يعقوب لأبيه ، أنا عيسو بكرك ، قد فعلت كما كلمتنى . قم
اجلس وكُل من صيدى لكى تباركنى نفسك .

فقال اسحق لابنه ، ما هذا الذى أسرعت لتجد يا ابنى !

فقال ، إن الرب الهك قد يسر لى .

فقال اسحق ليعقوب ، تقدم لأجسك يا ابنى أأنت هو ابنى

عيسو أم لا ؟

فبتقدم يعقوب إلى اسحق أبيه . فحسَّ وقال ، الصوت

صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو !

المراجع العربية

القرآن الكريم «

الكتاب المقدس « — العهد القديم « و « العهد العتيق «

المشنا «

: التلمود « طبعات فارسوفيا وبراج وأمستردام .

: السكز المرصود في قواعد التلمود «

د . روهلنج ترجمة د . يوسف نصر الله ١٨٩٩

« الذبائح التلمودية «

« يقظة العالم اليهودي « إلى ليفي أبوعسل

« الصهيونية العالمية « الأستاذ عباس محمود العقاد

« الخطر الصهيوني « أو « بروتوكولات حكاء صهيون «

الأستاذ محمد خليفة التونسي

« الصهيونية وريبتها دولة إسرائيل «

الفريق محمد فوزي والأستاذ عمر رشدي

« خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية «

السيد / عبد الله التل

« الدولة العربية الكبرى «

الأستاذ محمود كامل الحماي

« بلاد ما بين النهرين « الحضارتان البابلية والأشورية «

دبلا بورت . ترجمة الأستاذ / محرم كمال

« محنة التوراة « الأستاذ عصام الدين حفي ناصف

« دعا يعقوب بنبيه وقال ؛ اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام . اجتمعوا واسمعوا .. واصفوا إلى إسرائيل أبيكم !
راؤ بين .. فائراً كالماء لا تنفضل لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته ! ..

شمعون ولأوى .. آلات ظلم سيوفهما . في مجلسهما لا تدخل نفسى ! بمجمعهما لا تتحد كرامتى ! لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاها عرقياً ثوراً ! ..

أقسمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل .. » (١)

وهكذا أخرج المؤلف اليهودى الأبناء الثلاثة الأول متذرعاً بما ذكره من أسباب هى في مدلولها تحمل الدليل على أن هذا المؤلف اليهودى الذى لم يجعل نصب عينيه إلا « كينل المحامد لابن الرابع تمهيداً لقيام « بيت داود » قد غفل أو تغافل عن أن الى « لأوى » إنما موسى ، عليه السلام ، بسلسلة نسبه يعود ! ..

والآن ... نجيء الى الابن الرابع ، « يهوذا » ، الجدة الأعلى لداود وذرية داود .. فلنصنع الى هذا المؤلف اليهودى وهو يحدثنا بأن إسرائيل قد استرسل في حديثه الى أبنائه متجهماً به الى « يهوذا » قائلاً ؛
 « يهوذا !

إياك يحمدا اخوتك ايدك على قفا أعدائك . يسجد لك بنو أبيك ايهوذا جرو أسد . من فريسة صعدت يا ابنى ا
 جئوا وربض كأسد وكلبوة . من ينهضه ؟
 لايزول قضيب من يهوذا .. وله يكون خضوع شعوب ! .. » (٢)

(١) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين (٢) الإصحاح ٤٩ سفر التكوين

قَفَنَ فيها مؤلف « سفر الخروج » حلم مؤلف « سفر التكوين » وحوّل في خلالها فكرة « الأرض الموعودة » من حلم باهت وأمنية هاجمة بين الضلوع إلى عقيدة دينية بدأ بها تشبّث هذه الجماعة بهذه البقعة من مفرق طرق عالم الشرق الأوسط القديم هذا التشبّث الذي ما لبث أن تحوّل إلى المطالبة بهذه « البقعة » كحق شرعيّ استمد شرعيته من الإيمان بأن « يهوه » قد منحها لهم ملكاً أبدياً ١ .

ويقيناً ! .. يقيناً ، ليس إلاّ تحت هذا اللون من التقنين كان أن تحوّلت فكرة « الأرض الموعودة » إلى عقيدة دينية انعقد على الإيمان بها الصدرُ من كل فرد من أبناء هذه الطائفة الدينية غداة سطر هذا المؤلف اليهودي افتراءاته على موسى ، عليه السلام ، قائلاً إن « يهوه » هو الذي قد أعاد موسى إلى « بني إسرائيل » في مصر كيما يُكوّن منهم جيشاً يزحف به صوب « الأرض الموعودة » حتى أننا لنجد هذه الفكرة وقد استحوذت على تفكير هذا المؤلف اليهودي استحواداً هي التي جعلته يطلع علينا بنصوص جديدة تتحدث عن تمرد العمالّ العبريين على من كانوا يملكون تحت امرتهم ، يومذاك ، من المصريين .. فنحن نسمع هذا المؤلف اليهودي يحدثنا عن تسكاسل هؤلاء العمالّ عن القيام بما كان قد أُلقي على عاتقهم من أعمال وصراخهم قائلين ؛ نريد أن نذهب « فمضى ثلاثة أيام في البرية ونذبح للربّ إلهنا » كما نسمع الصوت المصري ينبعث من نفس هذه النصوص اليهودية ، وعلى حدّ تصوير هذا المؤلف اليهودي ، يسأل باعثي هذا التمرد ؛

« لماذا يا موسى وهرون تُبطلان الشعب عن أعماله ؟ » (١)

(١) الاصحاح ٥ « سفر الخروج »

أهم المراجع الإفرنجية

- "Antiquities of the Jews" By F. Josephus.
 "Wars of the Jews" " " "
 "History of the Jews" „ Milman - I, II, III, V.
 "Israel in Egypt" „ F. Petrie
 "The Exodus" „ Ali Shaffei.
 "Historical Notes on the Pelusiac Branch".
 "The Red Sea Canal and the Route of the Exodus".
 "The Bible".
 "Dictionary of the Bible" Hastings
 "The Archeology of the Bible" By F. Kenyon
 "The Bible and its Background" „ A. Robertson, V.
 "The God of the Bible" „ Evans Ball.
 "Hebrew Religion and its developments" By Osterly & Robinson.
 "Shulkan Araq"
 "Jewish Ritual Murder" By A. Leess "1938"
 "Cuneiform Parallels to the Old Testament" E. W. Rogers.
 "The Cuneiform texts of Ras-Shamra" C. P. Shaeffer.
 "The Ras-Shamra tablets" J. W. Jack.
 "Babylonian Historical texts" S. Smith.
 "The World's Earliest Laws" Ch. Edwards.
 "History of Babylon" L. W. King.
 "Israel and Babylon" Wardle.
 "The Archeology of Palestine" W. F. Albright.
 "The Religion of the Semites" Robertson & Smith.
 "Religion on Ancient Egypt" By G. Maspero.
 "The Passing of the Empires" " " "
 "The Life and Time of Akhnaton" „ A. Weigall.
 "Egypt" „ J.H. Budge.
 "Histoire de L'Egypte" „ J.H. Breasted.
 "Histoire ancienne des peuples de L'Orient Classique" Maspero.
 "The Ancient History of the Near East" Hall.
 "The People of the Sea" "
 "Zionism" E. B.
 "The World's Great Restoration, or Calling of the Jews"
 Sir ; H. Finch.
 "Judenstaat" Th. Hertzl.

الفهرست

صفحات	
٥٦ - ١٩	التمهيد
٧١ - ٥٧	الحقل التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »
٨٧ - ٧٣	الإطار التاريخي لمنطقة « الأرض الموعودة »
١٢٣ - ٨٩	انبثاق فكرة الأرض الموعودة
١٥٢ - ١٣٣	المهد التاريخي لمولد « إسرائيل »
١٧٦ - ١٥٢	طرد بني « إسرائيل » في مصر
٢٧٦ - ١٧٦	انحسار الزمن عن مطلع عقيدة « الأرض الموعودة »
٣٣١ - ٢٧٦	الزحف الإسرائيلي صوب « الأرض الموعودة »
٣٥١ - ٣٣١	ارتسام رقعة « الأرض الموعودة » في إطار الفرات والنيل
٣٦٣ - ١٥١	بروز « يشوع بن نون » في إطار التاريخ الإسرائيلي
٤١٦ - ٣٦٣	تكوين الدين اليهودي الحالي وعودته بأصله إلى « يشوع »
	انتقال عقيدة « الأرض الموعودة » في المجال العاطفي إلى المجال
٤٦٤ - ٤١٦	السياسي
— ٤٦٥	التعقيب
٤٩٩ - ٤٦٧	عقيدة « الأرض الموعودة » في ميزان التاريخ

الطعام فأنما هناك مواد أخرى وعليها يشتمل الإصحاح الحادى عشر من هذا
« السفر » الذى يترسل مؤلفه قائلا ؛

« وكلم الرب موسى قائلا ؛ كلم بنى إسرائيل قائلا ؛ إذا حبلت
امراة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام .. وإن ولدت أنثى تكون نجسة
أسبوعين .. ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتى بمخروف حولى
محرقة وفرخ حمامة أو يمامة ذبيحة خطية إلى باب خيمة الاجتماع إلى
الكاهن ...

وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرخى حمام الواحد
محرقة والآخر ذبيحة خطية فيكفر عنها الكاهن فتطهر ا . » (١)

وعلى هذا النمط تتوالى النصوص وبعد « شريعة التى تلد
ذكرا أو أنثى » تبيىء « شريعة ضربة البرص » وعليها يشتمل الإصحاح الثالث
عشر والرابع عشر من هذا « السفر » ولنتلوها « شريعة ذى السيل » الذى ...
يضطجع مع نجسة » وعليها يشتمل الإصحاح الخامس عشر وكلها شرائع أترعتها
ألوان الدماء لأكثر من نوع واحد من الحيوان .. فنحن نرى فيما شرعه هذا
المؤلف اليهودى مثلا واضحا على ذلك عبر هذه النصوص ؛

« كلم الرب موسى قائلا ؛ هذه تكون شريعة الأبرص يوم طهره .
يؤتى به إلى الكاهن .. يأمر الكاهن أن يوخذ للمتطهر عصفوران
حيان طاهران وخشب أرز وقرمز وزوفا .

ويأمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى إناء
خزف على ماء حي . أما العصفور الحى فيأخذه مع خشب الأرز

(١) الإصحاح ١١ « سفر اللاويين »

فى « سفر العدد » .. فلا شىء جديد فى هذه الإصحاحات الثلاثة الا ما يفيد بأن حركة اسرائيل واتجاهها نحو شرق الأردن كانت بعد انقضاء أربعين سنة من الارتحال عن مصر وأن فى خلالها كانت فكرة « الأرض الموعودة » تودع فى أذهانهم حتى غدت عقيدة دينية وأما فى نهاية هذه الأربعين سنة فى النصوص ما يفيد بأنها قد أصبحت عقيدة نفسية يزيد لها على تعقيد تعقيداً صوتُ هذا المؤلف الذى يزيدنا إيماناً بأن على أجنحة الهوى قد شطّح به الخيال والا فأتى جنوح أكبر من القول على موسى عليه السلام والقول بأنه هو المتحدث الى « يهوه » بهذه النصوص قائلاً :

« وتضرعت الى الرب فى ذلك الوقت قائلاً ؛ يا سيدى الرب قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة . أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل . كأمالك ؟ ... »^(١)

أى إسرائيل :

« قد علمتكم فرائض وأحكاماً كما أمرنى الرب .
إلهى لكى تعملوا هذا فى الأرض التى أنتم داخلون إليها لكى تملكوها !
فاحفظوا واعملوا لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعب .
الذين يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون ؛ هذا الشعب العظيم إنما هو شعب
حكيم وفطن ، لأنه أى شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا ؟ ! »^(٢)
أولا تذكرون ذلك « اليوم » ؟ . وكيف لا تذكرون ذلك .
« اليوم » ؟ . إنه ؛

(١) الإصحاح ٣ « سفر التثنية »

(٢) الإصحاح ٤ « سفر التثنية »

مطبعة الصّادى بالقاهرة
٨٩ شارع الشيخ ربحان بمابيه

عندما تعطل مسير الأفلاك بإشارة من يد يشوع وتوقفت حركة الكون إبتاراً
بأمر يشوع . . فلقد تكلم يشوع ؛

« وقال أمام عيون إسرائيل ؛ يا شمس دومي على جبعون ويا قمر
قف على وادي إيلون . فدامت الشمس ووقف القمر . . وقفت الشمس في كبد
السما ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل ! . . . »^(١)

هكذا يقول لنا مؤلف « سفر يشوع » ، ونقول « مؤلف » سفر
يشوع « لأن هذا « السفر » المترع هو الآخر بالتهويل والمتناقضات بالرغم مما
قد مازجه من بعض الحقائق من سيرة بني إسرائيل وتحركاتهم في « أرض
كنعان » ، قد أُلّف حوالى القرن الخامس ق . م . ثم نُسب إلى يشوع إبرازاً
له وتعظيماً له عن موسى وفي هذا الدليل الكافي على التفاف الوجه اليهودي من
حول يشوع منذ ذلك العهد الذى عاش فيه يشوع حتى هذا العهد الذى كُتب فيه
هذا « السفر » الذى يحمل كل هذا التعظيم ليشوع ! . . بل وكأنما هذا التعظيم
لم يكن ليكتمل إلا عن طريق اختلاق هذه « المعجزات » التى وإن نسب بها
هذا المؤلف إلى نفسه جهالة فادحة بعلم الهيئـة وبالتالى بقوانين الكون قائماً
وراءها يقع السبب الحقيقى الذى غفل عنا طويلاً في تاريخ بني إسرائيل والسبب
نفسه هو نفس يشوع ! . فانه هو يشوع الذى لمح بوادى الجزر الكنعانى وأدرك أن
السانحة قد سنحت لغزو « أرض كنعان » واحتمال قيام ملك فيها لمن سيعبر
بهذه الجماعة إلى تلك الأرض . . يشوع هو الذى انتهر فرصة الوهن السياسى
الذى أصاب كنعان فامتدت قبضته تتجسس مقاليد الحكم في بني إسرائيل
فأعلن نبأ وفاة موسى بينما راح مؤيدوه يقولون ؛

(١) الاصحاح ١٠ « سفر يشوع »

المؤلفة والكتاب :

« أنكار محمد السقاف » وهي شريفة عربية تنحدر من أسرة عربية تنتشر في شبه الجزيرة العربية والكثير من الأقطار الإسلامية ، ويرتفع نسبها إلى الحسين حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الجد الأعلى للمؤلفة هو القطب الصوفي « العيدروس مصطفى بن عبد الرحمن السقاف » ، أستاذ الجبرق والمعروف بـ « سيدى الميديرسي » وصاحب المزار القائم بجوار المسجد الزينى بالقاهرة .

أول مفكرة عربية تسهم في الدراسات الفلسفية والعقائدية بعمق وجلد ؛ قدمت إلى المكتبة العربية كتاب « العقل الإنسانى فى مراحل التطورية » وهو يقع فى ثلاثة أجزاء كبيرة استغرق وضعه عشر سنوات ووضعت فيه أسس نظرية فلسفية جديدة عن « الكون والمكون والكائن » .

أول أدبية تفرغ للتأليف بتكليف من الدولة .

وقع عليها اختيار لجنة الأدب بوزارة الثقافة وبرئاسة المنفوره الأستاذ عباس محمود العقاد ، فى مستهل عام ١٩٦٢ ، لكتابة مؤلف عن « إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة » . هو هذا الكتاب الذى تقدمه اليوم بعد عمل استغرق أكثر من خمس سنوات . وتعرض فيه المؤلفة لموضوع خطير يشغل بال العرب جميعاً ، وخاصة أنه قد جاء بعد ثلاث نكسات أصابت العرب فى الإسلام فى مأساة فلسطين .

تقوم الآن بأعداد مؤلف عن « الحلاج وأثره فى التفكير الصوفى والفلسفى » تعمل فيه منذ منتصف عام ١٩٦٥ .

والذى يذئزع اليهود من الإصحاح الخامس عشر فيه هذا « الحق الروحانى »
الذى يدعون لهم فى فلسطين ، لا بدَّ وأنه قد عاش بعد أن قويت « قبيلة دان »
وتمسكنت من الزحف على « لايش » واحتلالها . ولما كانت « لايش »
لم تصبح « محلة دان » إلاَّ بعد وفاة شمشون فإنَّ هذا البرهان كف على أن هذا
« السفر » لا يعود إلى عهد موسى وإلاَّ فكيف يمكن أن يحى الذكر فيه
عن « دان » على لسان موسى وتكن على عهد شمشون مدينة باسم « دان » لم
حتى تسكون على عهد موسى ؟ ..

ثمَّ ..

ثمَّ ، إلى جانب هذا البرهان يأتى برهان آخر ينبع من أغوار
الترتيب التاريخى نفسه ومكانه من نفس هذا « السفر » ، « سفر التكوين » ،
الإصحاح السادس والثلاثون الذى يستهل الحديث بذكر الترتيب النسبى لنسل
عيسو الإبن الأكبر لإسحاق والذى ، كما تغير اسم يعقوب إلى إسرائيل ، كان
قد تغير اسمه ، أيضاً ، من عيسو إلى « أدوم » ثم ، بالتالى ، كما أصبح نسل
إسرائيل يعرف بالإسرائيليين أصبح نسل أدوم هذا يعرف بالأدوميين . . . وعلى
قائمة طويلة بأسماء هؤلاء الأدوميين يشتمل هذا الإصحاح حتى ينتهى بنا فى
الحديث عنهم إلى كيف توالى عليهم الأزمان فكونتهم إلى قبائل وعشائر
مكنتهم بعد ذلك من احتلال « جبل سدير » حيث أقاموا فيه لأنفسهم مُلكاً
مستقلاً من مُلك بنى إسرائيل . . . ثمَّ ، بعد أن يحصى كاتب هذا الإصحاح
« أبناء أدوم » يقول :

« وهؤلاء هم الملوك الذين مَلَكَوا فى أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكُ

لبنى إسرائيل ١ . »